

# الْحَمْدُ

في محاسن الشعر ، وآدابه ، ونقده

## للجزء الثاني

تأليف

أبي علي الحسن بن رَشِيْق ، الْقَيْرَوَانِي ، الْأَزْدِي

٣٩٠ - ٤٥٦ من الهجرة

حقيقه ، وفصله ، وعلق حواشيه

مُحَمَّدُ مُحَمَّدِي الَّذِي عِنْدَ الْجَمِيدِ

عفا الله تعالى عنه أ

## دار الجيل

لانشور والتوزيع والطباعة

بيروت - لبنان

ص. ب. ٨٧٤٧



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## ٤٥ - باب التصدير

وهو كما أن يرد أعجاز الكلام على صدره ، فيدل بعضه على بعض ، ويسهل استخراج قوافي الشعر إذا كان كذلك وتقتضيها الصنعة ، ويكسب البيت الذي يكون فيه أهبة ، ويكسوه رونقاً وديباجة وهو يزيد مائة وطلاوة .

وقد قسم هذا الباب عبد الله بن المعتز على ثلاثة أقسام :  
أحدها : ما يوافق آخر كلمة من البيت آخر كلمة من النصف الأول ، نحو قول الشاعر :

يُنْفَى إِذَا مَا الْجَيْشِ كَانَ عَرْمَرَمًا فِي جَيْشِ رَأْيٍ لَا يُفْلُ عَرْمَرَمِ  
الآخر : ما يوافق آخر كلمة من البيت أول كلمة منه ، نحو قوله :

سَرِيعٌ إِلَى ابْنِ الْعَمِّ يَشْتَمُ عِرْضَهُ وَلَيْسَ إِلَى دَاعِي النَّدَى بِسَرِيعِ  
والثالث : ما وافق آخر كلمة من البيت بعض ما فيه ، كقول الآخر :

عَزِيزُ بَنِي سُلَيْمٍ أَفْصَدَتْهُ سِيَاهُ الْمَوْتِ وَهِيَ لَهُ سِيَاهُ

والتصدير قريب من التردد ، والفرق بينهما أن التصدير مخصوص بالقوافي تُرَدُّ على الصدور ، فلا تجد تصديراً إلا كذلك حيث وقع من كتب المؤلفين ، وإن لم يذكروا فيه فرقاً ، والترديد يقع في أضعاف البيت ، إلا ما ناسب بيت ابن العميد المقدم .

أمثلة للتصدير

ومن أبيات التصدير قول زهير :

كَذَلِكَ خِيَمُهُمْ ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ إِذَا مَسَّتْهُمُ الصَّرَاةُ خِيَمٌ

وقال أيضاً في ذلك :

لَهُ فِي الدَّاهِبِينَ أَرْوَمٌ صِدْقٍ وَكَانَ لِكُلِّ ذِي حَسَبٍ أَرْوَمٌ

وقال أبو الأسود - واسمه ظالم بن عمرو بن سُفيان الدؤلي - :  
 وما كُلُّ ذِي لُبٍّ بِمَوْتِكَ نُصَحُّهُ      وما كل مَوْتٍ نَصَحَهُ بليبي  
 فهذا تصدير ، وإن كان ظاهره في اللفظ ترديداً للعلة التي ذكرتها .  
 ومن أناشيدهم في التصدير قول طَقَيْلِ الْغَنَوِيِّ :

تَحَارِمُكَ أَمْنَعُهَا مِنَ الْقَوْمِ ؛ إِيَّيْ      أَرَى جَفَنَةً قَدْ ضَاعَ فِيهَا الْمَحَارِمُ  
 وقال جرير وهم يستحسنونه جداً :  
 سَقَى الرَّمْلَ جَوْنٌ مُسْتَمِيلٌ رَبَابُهُ      وما ذاك إِلَّا حُبٌّ مِّنْ حَلٍّ بِالرَّمْلِ  
 وقال عمرو بن أحرر :

تَغَمَّرْتُ مِنْهَا بَعْدَ مَا نَفَسَ الصَّبَا      وَ لَمْ يَرَوْا مِنْ ذِي حَاجَةٍ مِّنْ تَغَمَّرَا  
 « تغمرت » أي : شربت من الغمر ، وهو قدح صغير جداً ، ضربه  
 مثلاً ، أي : تعالت منها بالشيء القليل ، وذلك لا يبلغ ما في نفسي منك  
 من المراد .

ومن التصدير نوع سماه عبد الكريم المضادة ، وأنشد للفرزدق :  
 أَصْدِرُ هُمُومَكَ لَا يَغْلِبُكَ وَارِدُهَا      فَكُلُّ وَارِدَةٍ يَوْمًا لَهَا صَدْرُ  
 وأنشد في التصدير بيت طفيل المتقدم ، وبيت جرير ، وخص بيت الفرزدق  
 بالمضادة دون أن يجعله تصديراً كما جعله أولاً طباقاً كما يقال في الأضداد إذا وقعت  
 في الشعر ، وقد رأيت في إحدى النسخ مع أبيات للطائفة<sup>١</sup>  
 ويقاربه من كلام المحدثين قول ابن الرومي :

رَيْنِحَانُهُمْ ذَهَبٌ عَلَى ذَرِيرٍ      وَشَرَابُهُمْ دُرٌّ عَلَى ذَهَبٍ  
 والكتاب يسمون هذا النوع التبديل ، حكاه أبو جعفر النحاس .  
 ومن أناشيد ابن المعتز قول منصور بن الفرخ في ذكر الشيب :  
 يَا بَيَاضاً أَذْرَى دَمِوعِي حَتَّى      عاد منها سوادُ عيني بياضاً

من التصدير  
المضادة

وأشدد لأبي نواس ، وهو عندي بعيد من إحكام الصنعة التي يدخل بها في هذا الباب ، على أنه غاية في ذاته ؛ لأن أكثر العادة أن تعاد اللفظة بنفسها :

دَقَّتْ وَرَقَّتْ مَذَقْتُ مِنْ مَائِهَا وَالْعَيْشُ بَيْنَ رَقِيقَتَيْنِ رَقِيقُ  
وأشدد لمسلم بن الوليد :

تَبَسَّمُ عَنْ مِثْلِ الْأَفَاحِ تَبَسَّمتْ لَهُ مُزَنَةٌ صَنِيفِيَّةٌ فَتَبَسَّمَا  
وهذا البيت أيضاً ترديد ، وأشدد للطائي :

ولم يحفظ مُضَاعَ المجدِ شَيْءٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ كَالْمَالِ الْمُضَاعِ  
فالمولدون أكثر عناية بهذه الأشياء ، وأشدد طلباً لها من القدماء ، وهي  
في أشعارهم أوجد كما قَدَّمتُ آتِفاً .

## ٤٦ - باب المطابقة

[ المطابقة في الكلام : أن يأتلف في معناه ما يضاف في فخواه <sup>(١)</sup> ] المطابقة حد المطابقة  
عند جميع الناس : جَمَعَكَ بَيْنَ الضَّديْنِ في الكلام أو بيت شعر ، لإقامة ومن  
اتبعه ؛ فإنهم يجعلون اجتماع المعنيين في لفظة واحدة مكررة طباقاً ، وقد تقدم الكلام  
في باب التجانس ، وسمى إقامة هذا النوع - الذي هو المطابقة عندنا -  
التكافؤ ، وليس بطباق عنده إلا ما قَدَّمتُ ذكره ، ولم يُسمَّه التكافؤ أحد غيره  
وغير النحاس من جميع من علمته .

(١) هذه العبارة زيادة في المصريتين ، وقد كتب بحاشيتهما « سقطت هذه  
الجملة من بعض النسخ ، وكأنها من منيات المؤلف على حاشية نسخته فأدخلها بعض  
النساخ في جملة الكتاب وسيأتي مثل هذا في أبواب آخر » اهـ والصواب عدم إثباتها ،  
وذلك ظاهر كل الظهور لمن يلتفت إلى ما بعدها ، وانظر ص ١٥ من هذا الجزء

قال الخليل بن أحمد : يقال « طابقت بين الشيتين » إذا جمعت بينهما على حذو واحد وألصقتهما .

وذكر الأصمعي المطابقة في الشعر فقال : أصلها وضع الرّجلِ في موضع اليد في مشى ذوات الأربع ، وأنشد لنا بقة بنى جَعْمَةَ :

وَخَيْلٍ يُطَابِقُنَ بِالْدَّارِ عَيْنَ طِبَاقِ الْكِلَابِ يَطَّانَ الْمِرَاسَا

ثم قال : أحسن بيت قيل لزهير في ذلك :

لَيْتُ بَعَثْتُ يَصْطَفَادُ الرَّجَالَ ، إِذَا مَا اللَّيْثُ كَذَبَ عَنْ أَفْرَانِهِ صَدَقَا

حكى ذلك ابن دريد عن أبي حاتم عنه .

وأما علي بن سليمان الأخفش فاختار قول ابن الزبير الأسدي :

رَمَى الْحِدْتَانُ نِسْوَةَ آلِ حَرْبٍ بِمَقْدَارٍ سَمَدَنْ لَهُ سُودَا

فَرَدَّ شُمُورُهُنَّ الشُّودَ بِيِضَا وَرَدَّ وُجُوهَهُنَّ الْبِيضَ سُودَا

وهذا من التبديل على مذاهب الكتاب ، واختار أيضا قول طَفَيْلِ

الغَفَوِيِّ :

بِسَامِ الْوَجْهِ لَمْ تُقَطَّعْ أَبَا جِلْهِ يُصَانُ وَهُوَ لِيَوْمِ الرَّوْعِ مَبْدُولٌ<sup>(١)</sup>

حكاه الحاتمي عن أبي الفرج علي بن الحسن القرشي . .

وقال الرماني : المطابقة : مُسَاوَاةُ الْمَقْدَارِ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَلَا نَقْصَانٍ .

(١) في الصريتين « بشام الوجه » بالشين معجمة ، وهو تصحيف ، ويقال :

فرس سام الوجه ، إذا كان محمولا على كرهية الجري ، وقال عنترة :

والحيل ساهمة الوجوه كأنما سقيت فوارسها تقيع الخنظل

والأباجل : جمع أبجل ، وهو عرق ، وهو من الفرس والبعير بمنزلة الأكل

من الإنسان .

قال صاحب الكتاب : هذا أحسن قول سمعته في المطابقة من غيره ، وأجمعه لفائدة ، وهو مشتمل على أقوال الفريقين وقُدّامة جميعاً ، وأما قول الخليل « إذا جمعت بينهما على حذوٍ واحدٍ والصقتهما » فهو مساواة المقدار من غير زيادة ولا نقصان كما قال الرماني ، يشهد بذلك قول ليبيد :

تعاورن الحديثَ وطبقنه كما طبقتَ بالنعلِ المثالا

ومنه « طَبَّقْتُ المِفْصَلَ » أى : أصبته فلم أزد في العضو شيئاً ولم أنقص منه . . . وكذلك قول الأصمعي « أصلها من وضع الرجل موضع اليد في مشى ذوات الأربع » هو مساواة المقدار أيضاً ؛ لأن من ذوات الأربع ما تجاوز رجله موضع يده ، ومنها ما يطابق كما قال خَلْقَةُ ، وربما كان طباقها من ثقل تحمله أو شكيمة تمنعها أو شيء تنقيه على أنفسها ، ولذلك شبه النافعة الجمعدى مشى الخليل بوطاء الكلاب الهراس ، وهو حُطَامُ الشَّوْكَ ؛ فهي لا تضع أرجلها إلا حيث رفعت منه أيديها طلباً للسلامة .

وأما قول قدامة في المطابق « هو ما اشترك في لفظة واحدة بعينها » فإنه أيضاً مساواة لفظاً للفظ ، وهي - أعنى المساواة - على رأى الخليل والأصمعي مساواة معنى لمعنى ، وقد يكون المراد أيضاً مطابقة اللفظ للمعنى ، أى : موافقته ، ألا ترى أنهم يقولون : « فلان يطابق فلاناً على كذا » إذا وافقه عليه وساعده فيه ؛ فيكون مذهب قدامة أن اللفظة وافقت معنى ، ثم وافقت بعينها معنى آخر ، ويصح هذا أيضاً في قول الخليل في الطبايق « إنه جمعك بين الشيثين على حذو واحد » فيكون الشيثان للمعنيين ، والحذو الواحد : اللفظة .

ومن ملحق ما رأيته في المطابقة قول كثير بن عبد الرحمن يصف هيباً  
وَعَنْ تَجْلَاءَ تَدْمَعُ فِي بَيَاضٍ إِذَا دَمَمَتْ ، وَتَنْظُرُ فِي سَوَادِ

أمثلة من  
المطابقة

وقال أيضاً :

وَوَاللَّهِ مَا قَارَبْتُ إِلَّا تَبَاعَدَتْ بِصَرْمٍ، وَلَا أَكْثَرْتُ إِلَّا أَقَلَّتْ

وقال ابن المعتز، ويروى لابن المعتدل :

هَوَايَ هَوَىٰ بَاطِنٌ ظَاهِرٌ قَدِيمٌ حَدِيثٌ لَطِيفٌ جَلِيلٌ

ولبعض الأعراب :

أَمْوِرُهُ الرِّجَالِ عَلَىٰ لَيْلَىٰ وَلَمْ أُوتِرْ عَلَىٰ لَيْلَى النَّسَاءِ

وقال أعرابي : الدرهم مياهم تيسمُ حمداً أو ذمماً ، فمن حَبَسَهَا كان لها ، ومن

أنفَقَهَا كانت له ، ونظم الشاعر هذا الكلام فقال :

أَنْتَ لِلْمَالِ إِذَا أَمْسَكَتَهُ فَإِذَا أَنْفَقْتَهُ فَلَمَّا لَكَ

ومن الطبايق الحسن قول أعرابي : خرجنا حفاة حين انتعل كل شيء ظلّه ،

وما زادنا إلا التوكل ، وما مطايانا إلا الأرجل ، حتى لحقنا بالقوم .

وقال آخر لصاحبه : إن يسار النفس أفضل من يسار المال ، فإن لم ترزق

غنى فلا تحرم تقوى ، فرب شبعان من النعم غرثان من الكرم ؛ واعلم أن المؤمن

على خير ترحب به الأرض وتستبشر به السماء ، ولن يساء إليه في بطنها وقد أحسن

على ظهرها . : ولربيعة بن مفرّوم الضبي :

فَدَعَوْا نَزَالَ فَكُنْتُ أَوَّلَ نَازِلٍ وَعِلَامَ أَرْكَبُهُ إِذَا لَمْ أَنْزَلِ

ومن أفضل كلام البشر قولُ رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض خطبه .

« فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ، ومن دنياه لآخرته ، ومن الشيبية قبل الكبر ،

ومن الحياة قبل المات ؛ فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعجب ،

وما بعد الدنيا دار ، إلا الجنة أو النار » فهذا هو المعجز الذي لا تكلف فيه ولا

مطمع في الإتيان بمثله . وقال الله عز من قائل : ( وما يستوى الأعمى والبصير ،

ولا الظلمات ولا النور ، ولا الظل ولا الخُرُور ، وما يستوى الأحياء ولا الأموات )



وعد ابن المعتز من المطابقة قول الله عز وجل : ( ولكم في القصاص حياة ) لأن معناه : « القتل انقى للقتل » فصار القتل سبب الحياة ، وهذا من أملح الطباق وأخفاه .

وبما استغفر به الجرجاني من الطباق واستلطفه قول الطائي :  
 مَهَا الْوَحْشِ إِلَّا أَنْ هَاتَا أَوَانِسُ قَفَا الْخَطَّ إِلَّا أَنْ تَلَّكَ ذَوَابِلُ  
 لمطابقتيه بهاتان وتلك ، وإحداها للحاضر والأخرى للغائب ، فكانتا في المعنى  
 بقيضتين وبمثلة الضدين ، هذا قوله ، وليس عندي بمحقق ؛ إنما إحداها للقريب  
 والأخرى للبعيد المشار إليه ، ولكن الرجل أراد التخلص فزل في العبارة .  
 ومثل هذا عندي في بابه قول أبي الطيب يذكر خيل العدو الزاحف للحرب :  
 ضَرَبْنَ إِلَيْنَا بِالسِّيَاطِ جِهَالَةً فَلَمَّا تَعَارَفْنَا ضَرَبْنَ بِهَا عَنَا  
 فقوله « ضربن إلينا » مجيء إقدام ، وقوله « ضربن بها عنا » ذهاب فرار ،  
 وهما صدان .

ومن أنواع الطباق قول هُدُبَةَ بْنِ خَشْرَمٍ :  
 فَإِنْ تَقْتُلُوا بِنِي الْحَدِيدِ فَإِنَّا قَتَلْنَا أَخَاكُمْ مُطْلَقًا لَمْ يُكَبَّلِ  
 فقوله « في الحديد » ضد قوله « مطلقاً لم يكبل » وإن لم يأت على متعارف  
 المضادة ، وكذلك قوله :

فَإِنْ يَكُ أَنْفِي زَالَ عَنِّي جَمَالُهُ فَمَا حَسْبِي فِي الصَّالِحِينَ بِأَجْدَعًا  
 كأنه قال : « وإن يك أنفي أجدع فما حسبي بأجدع » .

قال الجرجاني : وقد يحاط من نقص علمه ويسوء تمييزه بالمطابق ما ليس منه ،  
 كقول كعب بن سعد الدنوني يرثي أخاه :

لَقَدْ كَانَ أُمَّ جَاهَهُ فَمُرُوحٌ عَلَيْنَا ، وَأَمَّا جِهَلُهُ فَعَزِيبُ

لما رأى الحلم والجهل ووجد مروحاً وعزيباً جعلهما في هذه الجملة ، ولو ألحقنا

عما يظن  
 من المطابق  
 وليس منه

ذلك بها لوجب أن يلحق أكثر أصناف التقسيم ، ولا تَسَع الخرق فيه حتى يستغرق أكثر الكلام .

قال صاحب الكتاب : معنى قوله فيما أنكر أن البيت إنما حقه أن يكون في باب المقابلة ؛ لمقابلة الشاعر فيه كلمتين بكلمتين تقر بان من مضادتهما ، وليستا بضدين على الحقيقة ، ولو كانتا ضدين لم يكن ما زاد على لفظتين متضادتين أو مختلفتين إلا مقابلة ، فإن لم يكن بين الألفاظ مناسبة البتة إلا الوزن سمي موازنة ، وسأذكره في باب المقابلة إن شاء الله ، هكذا جرت العادة في هذه التسمية .

وأما قولنا «إن الكلمتين غير متفاوتتين» فظاهر ؛ لأن الحلم ليس ضده في الحقيقة الجهل ، وإنما ضده السفه والطيش ، وضد الجهل العلم والمعرفة وما شاكلهما ، وكذلك الروح ليس ضده العزيب ، وإنما ضده المغدو به أو المبكر به ، وما أشبههما ولما ثقل وزن الروح من هاتين اللفظتين وقَلَّ استعماله تسمحت فيهما ، وأما العزيب فهو البعيد والغائب ، ولا مضادة بينه وبين الروح إلا بعيدة ، كأنه يقول : إن هذا يأتي لوقته وذلك بعيد خفى لا يأتي ولا يعرف ، على أنا نجد أبا تمام إمام الصنعة قد قال :

ولقد سَأَوْتُ لَوْ أَنَّ دَاراً لَمْ تَلْحُ وَحَلَمْتُ لَوْ أَنَّ الْهَوَى لَمْ يَجْهَلْ

وقال زهير ، وزعموا أنه لأوس بن حجر :

إذا أنت لم تعرض عن الجهل والخلفاء أصبَتْ حليماً أو أصابَكَ جاهِلٌ

لما وجده خلافاً له طابق بينهما كما يفعل بالضد ، وإن كان الخلاف مقصراً عن رتبة الضد في المباعدة ، والناس متفقون على أن جميع مخلوقات : مخالف ، وموافق ، ومضاد ، فمتى وقع الخلاف في باب المطابقة فإنما هو على معنى المسامحة وطرح الكلفة والمشقة ، وأنشد غير واحد من العلماء لحسين بن مطير :

من أمثلة  
المطابقة أيضا

بِسُودِ نَوَاصِيهَا وَحُمْرِ أَكْفِهَا  
وَصُفْرِ تَرَاقِيهَا وَبَيْضِ خُدُودِهَا

ورواه ابن الأعرابي في نسق أبيات :

بصفر تراقيا وحر أكفا  
وسود نواصيها وبيص خدودها

وهذه الرواية أدخل في الصنعة ، وقال الرماني وغيره : السواد والبياض ضدان ، وسائر الألوان يصاد كل واحد منها صاحبه ، إلا أن البياض هو ضد السواد على الحقيقة ؛ إذ كان كل واحد منهما كلما قوى زاد بعداً من صاحبه ، وما بينهما من الألوان كلما قوى زاد قرباً من السواد ، فإن ضف زاد قرباً من البياض ، وأيضاً فلأن البياض منصبع لا يصيبغ ، والسواد صابغ لا منصبع ، وليس سائر الألوان كذلك ؛ لأنها كلها تصبغ وتنصبع ، انقضى كلامهم ، وهو بين ظاهر لا يخفى على أحد ، وإنما أوردته لإبطالاً لزعم من زعم أن أفضل مطابقة وقعت قول عمرو بن كلثوم :

بأنا نُورِدُ الرِّايَاتِ بِيضاً  
وَنُصْدِرُهُنَّ حُمْراً قَدَرٍ وِيداً

من شعر  
أبي الحسن  
في الطباق

ومن أخف الطباق روحاً ، وأقله كلفة ، وأرسخه في السمع ، وأعلقه في القلب ؛ قول السيد أبي الحسن في قصيدة :

ألا لَيْتَ أَياماً مَضَى لِي نَعِيمُهَا  
تَسْكِرُ عَلَيْنَا بِالْوَصَالِ فَنَنعم  
وصفراء تحكي الشمس من عهد قيصر  
يَتوقُ إِلَيْهَا كُلُّ مَنْ يَتكرم  
إذ أَمْزَجَتْ فِي النُّكَّاسِ خِلْتاً لَأَنَّ  
تَنثرُ فِي حَاقَاتِهَا وَتَنظم  
جمعنا بها الأشتاتِ مِنْ كُلِّ لَذَّةٍ  
على أنه لم يغش في ذلك محرم

فطابق بين « تنثر وتنظم » و بين « جمعنا والأشتات » أسهل طباق وألطفه من غير تعمل ولا استكراه ، وأتى في البيت الأول من قوله « مضى وتسكر » بأخفى مطابقة ، وأظرف صنعة على مذهب من انتحلها .

وما يغلط فيه الناس كثيراً في هذا الباب الجمال والتقيح كقول بعض  
المحدثين .

أمثلة مما يغلط  
فيه الناس

وَجْهٌ غَايَةُ الْجَمَالِ ، وَلَكِنْ فَعَلَهُ غَايَةً لِسُكْلِ قَبِيحٍ  
وَلَيْسَ ضَدُّهُ ، وَإِنَّمَا ضَدُّهُ الدَّمَامَةُ ، وَالتَّقِيحُ ضَدُّهُ الْحَسَنُ . وَقَالَ الصُّوَلِيُّ  
أَبُو بَكْرٍ يَصِفُ قَلَمًا :

ناحل الجسم ، ليس يعرف مذكا ن نعيا ، وليس يعرفُ ضراً  
وليس بينهما مضادة . وإنما ضد النعيم البؤس ، فأما قول أبي الطيب :  
فَالسَّلْمُ تَكْسِيرٌ مِنْ جِنَاحَيْ مَا لَهُ بَنَوَالَهُ مَا تَجْبُرُ الْهَيْجَاهُ  
فإنه داخل في الطباق المحض ؛ لأن المراد بالهيجاء الحرب ، وهى اسم من  
أسمائها ، فكأنه قال الحرب ، فأتى بضد السلم حقيقة .

#### (٤٧) — باب ما اختلط فيه التجنيس بالمطابقة

من ذلك أن يقع في الكلام شيء مما يستعمل للضدين : كقولهم « جَلَلٌ »  
بمعنى صغير ، و « جلال » بمعنى عظيم ؛ فإن باطنه مطابقة ، وإن كان ظاهره  
تجنيساً ، وكذلك « الْجَوْنُ » الأبيض ، و « الجون » الأسود ، وما أشبه ذلك  
وكذلك إن دخل النفي كما قدمت ، قال البحترى :

أسباب  
اختلاطهما

يَقِيضُ لِي مِنْ حَيْثُ لَا أَعْلَمُ الْهُوَى وَيَسْرِي إِلَى الشَّوْقِ مِنْ حَيْثُ أَعْلَمُ  
فهذا مجانس في ظاهره ، وهو في باطنه مطابق ؛ لأن قوله « لا أعلم » كقوله  
أجمل ، ومثل ذلك قول الآخر :

لِعَمْرِي لَنْ طَالَ الْفَضِيلُ بِنُ دَيْسِمٍ مَعَ الظِّلِّ مَا إِنْ رَأَيْتُهُ بِطَوِيلٍ  
كأنه قال : إن رأيه قصير ، وقد جاء في القرآن : ( هل يستوى الذين  
يعلمون والذين لا يعلمون ) فأما قول الفرزدق :

لعمرى لئن قلّ الحصى في عديديكم نبي هَشَلٍ ما لؤمكم بقليل  
ظاهرةُ تجنيس بالقلة ، وباطنه تطبيق بالكثرة ؛ إذ كان معنى « قل الحصى  
في عديديكم » أنكم كثير ، ومعنى « ما لؤمكم بقليل » أنه كثير أيضاً ، يخالف  
الأول ، وقد قال جلهمة بن أد بن مالك - وهو طيء - لولده في وصية « ولا تكونوا  
كالجراد ، أكل ما وجد وأكله ما وجد » فهذا مجانس الظاهر مطابق الباطن ،  
ومما أنشده نعلب :

أنى حُبِّي سُلَيْمِي أَنْ يَبِيدَا وَأَمْسَى حَبْلُهَا خَلَقًا جَدِيدَا

الجديدهنا : المجدود ، وهو المقطوع ، مثل قتيل وهزيل بمعنى مقتول [ومهزول] ،  
كأنه قال مجدوداً ، أى : مقطوعاً ، فليس يمتابق ، وإن كان كذلك في الظاهر  
عند من لا يميز ، فأما المميز فيعلم أنه لا يكون حلقاً جديداً في حال :  
وقال العتابي يعاتب المأمون وقد حجب عنه وكان به حَفِيَا :  
تَضْرِبُ النَّاسَ بِالْمَهْنَدَةِ الْبَيْضِ عَلَى غَدْرِهِمْ وَتَنْسَى الْوَفَاءَ  
فأتى بالغدر والوفاء جميعاً ، وهما ضدان ، فطابق بينهما في الظاهر ، وباطن  
كلامه مجانس ؛ لأن قوله « وتنسى الوفاء » كقوله تغدر .  
وقال جرير أيضاً :

\* أَتَصْحَوُ أَمْ فُؤَادُكَ غَيْرُ صَاحٍ \*<sup>(١)</sup>

فقوله « غير صاح » نقيض « أتصحو » لولا أنه استفهام لم تعلم حقيقة  
محصوله بعد ، إلا على مذهب مَنْ جمل « أم » بمعنى « بل » فكأنه قال  
لنفسه : بل فؤادك غير صاح ، فناقض الصحو ، ودخل كلامه في المطابقة . . وقال  
قيس بن الخطيم ، ويروى لعدى :

(١) تمامه \* عشية هم صبحك بالرواح \* وقد تكرر في هذا الكتاب  
ذكر صدر هذا البيت ( انظر الجزء الأول ص ١٩ ) .

وإني لأغنى النَّاسِ عن مُتَكَلِّفٍ يرى النَّاسَ ضُلَّالًا وليس بهمتهدى  
 كأنه قال «وهو ضال» فجانس في الباطن ، وإن كان قد طابق في الظاهر .  
 ومن هذا الباب قولك فاعل ومفعول ، نحو «خالق ومخلوق» و «طالب  
 ومطلوب» هما ضدان في المعنى ، وإن تجانسا في اللفظ ، وكذلك ما كان اسم  
 الفاعل منه مُفْعِلٌ<sup>(١)</sup> والمفعول مُفْعَلٌ نحو «مكرم ومكرم» و «مُعْطٍ<sup>(٢)</sup>  
 ومُعْطَى» وما جرى هذا الجرى أو زاد عليه في البناء ، وأما قولك «قضيت  
 واقتضيت» فظاهره تجنيس وباطنه طباق ، إلا أنه طباق غير محض ، وكذلك  
 قولك «أخذتُ وأعطيت» ؛ لأن الأخذ ضده الترك ، والإعطاء ضده المنع ،  
 فهذا مما يظنه مَنْ لا يحسن طباقاً وليس كما ظن ، ولكنه كثير جداً في الكلام ،  
 واستعمله الناس ، كما تقدم من قولنا في الحلم والجهل والجمال والقبح .

ومما ظاهره تجنيس وباطنه طباق الوعد والوعيد كما قال الشاعر<sup>(٣)</sup> :

وإني وإن أوعدتهُ أو وعدتهُ      لخلف إيعادي ومُنجز موعدي

وأول ما يعتد به في هذا الباب قولُ امرئ القيس :

فإن تدفِنُوا الداءَ لا تُخَفِهْ      وإن تبعثوا الحربَ لا تقعد

ويروى \* فإن تكتموا الداءَ لا تخفه \* وقوله «لا تخفه» أي : لنبدنه من

(١) في الصريتين « اسم الفاعل منه مفعول » وهو واضح الخطأ .

(٢) في الصريتين « معطى ومعطى » بإثبات الياء في الكلمتين ، والأول اسم  
 فاعل والثانية اسم مفعول ، والصواب حذف الياء من الأول ما لم تقترن بال كالمعطى  
 أو يضاف كمعطى الدنانير أو يكون في موضع نصب نحو اللهم أعط معطياً خلفاً .

(٣) البيت لعاصم بن الطفيل ، وقد روى في ديوانه (ص ١٥٥ طبع أوربة)

هكذا :

وإني إن أوعدته أو وعدته      لأخلف إيعادي وأنجز موعدي

قوله تعالى : ( أكاد أخفيها ) فكأن الشاعر قال : إن تدفنوا الداء ندعه دفيناً  
أو قال : إن تسكتموا الداء نكتمه ، وكذلك قوله « لا نعد » كأنه قال : إن  
تبعثوا الحرب نبعثها ، ومن كلام السيد أبي الحسن :

وأعلم أن المجد شئٌ مَخْلُدٌ وأن الفتى والمالَ غيرُ مَخْلُدِ

والبيت من قصيدة شريفة أولها :

صَحَا الْقَلْبُ عَنْ سَعْدَى وَعَنْ أَمِّ سَعْدٍ وَلَمْ يَشْجُبْنِي نَوْحُ الْحَمَامِ الْمَغْرَدِ

### (٤٨) - باب المقابلة

[المقابلة : مواجهة اللفظ، بما يستحقه في الحكم ، هذا حد ما توضح عندي<sup>(١)</sup>] حد للمقابلة

المقابلة : بين التقسيم والطباق ، وهي تنصرف في أنواع كثيرة ، وأصلها ترتيب  
الكلام على ما يجب ؛ فيعطى أول الكلام ما يليق به أولاً ، وآخره ما يليق به  
آخرًا ، ويأتي في الموافق بما يوافق ، وفي المخالف بما يخالفه .

وأكثر ما نجىء المقابلة في الأضداد ، فإذا جاوز الطباق ضدّين كان مقابلة أكثر ما نجىء

فيه المقابلة :

مثال ذلك ما أنشده قدامة لبعض الشعراء ، وهو :

فِيَا عَجَبًا كَيْفَ انْفَقْنَا ؛ فَنَاصِحٌ وَفِيٌّ ، وَمَطْوِيٌّ عَلَى الْغِلِّ غَادِرٌ ؟

فقابل بين النصيح والوفاء بالغل والقدر ، وهكذا يجب أن تكون المقابلة  
الصحيحة ، لكن قدامة لم يبال بالتقديم والتأخير في هذا الباب ، وأنشد  
للطَّرِمَّاح :

أَسْرَنَاهُمْ وَأَنْعَمْنَا عَلَيْهِمْ وَأَسْقَيْنَا دِمَاءَهُمُ التُّرَابًا

(١) هذه العبارة زائدة في المصريتين ، وقد كتب على حواشيهما : « ليس

لهذه الجملة أثر في بعض نسخ الكتاب » اهـ وقد سبق التنبيه إلى مثل هذه

العبارة في ص ٥ من هذا الجزء .

فما صبروا لبأسٍ عند حربٍ ولا أدوا لحسنٍ يدٍ ثواباً  
 تقدم ذكر الإنعام على المأسورين ، وآخر ذكر القتل في البيت الأول ؛ وأتى  
 في البيت الثاني بعكس الترتيب ، وذلك أنه قدم ذكر الصبر عند بأس الحرب  
 وآخر ذكر الثواب على حسن اليد ، اللهم إلا أن يريد بقوله \* فما صبروا لبأس  
 عند حرب \* القوم المأسورين إذ<sup>(١)</sup> لم يقاتلوا حتى يقتلوا دون الأسر وإعطاء  
 اليد ؛ فإن المقابلة حينئذ تصح وتترتب على ما شرطنا ، وهذه عندهم تسمى مقابلة  
 الاستحقاق ، ويقرب منها قول أبي الطيب :

مقابلة  
 الاستحقاق

\* وَقَفَلُهُ مَا تُرِيدُ الْكَفُّ وَالْقَدَمُ<sup>(٢)</sup> \*

لأن الكف من اليد بمنزلة القدم من الرجل ، فبينهما مناسبة وليست مضادة ،  
 ولو طلبت المضادة لكان الرأس أو الناصية أولى ، كما قال تعالى : ( فيؤخذُ  
 بالنواصي والأقدام ) .

ومن أناشيد المقابلة قول التابعة الجعدي :

من أمثلة  
 المقابلة

فَتَيَّ تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ عَلَى أَنْ فِيهِ مَا يَسُوءُ الْأَعَادِيَا

فقابل بسر بيسوء وصديقه بالأعدى ، وهذا جيد ؛ ولو كان كل مقابل  
 على وزن مقابله في هذا البيت والبيت الذي أنشده قدامة أولاً لكان أجود . .  
 وقال عمرو بن معدى كرب الزبيدي :

ويبقى بعد حلم القومِ حلمي ويفنى قبل زادِ القومِ زادي

فقال « يبقى بعد » ثم قال « يفنى قبل » فهذا كما أردنا .

وقال الفرزدق :

وأنا لنمضي بالأكفِّ رباحنا إذا أرعشت أيديكم بالمعاليق

(١) في المصريتين « إن » ونزاة تصحيفا .

(٢) صدره \* رجلاه في الركض رجل واليدان يد \* يصف جواده بأنه

يرفع رجليه معا فهما كرجل واحدة ويديه معا فهما كيد واحدة .



سأل أبو جعفر المنصور أبا دَلَامَةَ فقال : أيُّ بيتٍ قالته العرب أشعر؟ قال :  
بيت يلعب به الصبيان ، قال : وما هو ذلك ؟ قال : قول الشاعر :

ما أحسنَ الدينَ والدنيا إذا اجتمعا      وأقبحَ الكفرَ والإفلاسَ بالرجل

وقال يزيد بن محمد المهلبى ، يقوله لسليمان بن وهب :

فمن كان للآثامِ والذلِّ أرضُهُ      فأرضكُمُ للأجرِ والعزِّ مَعْقِلُ  
وقال فى التغزل :

إن تغيبى عني فسقياً ورغياً      أو تحلّى فينا فأهلاً وسهلاً

والمعجز قولُ الله تعالى : ( ومن رحمته جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مُبْصِراً ولتبتغوا من فضله ) فقابل الليل بالسكون ، والنهار بابتغاء الفضل ، وجعل بعضُ المفسرين الليل والنهار بمعنى الزمان ، والأول أعجب إلى ، وقال تعالى : ( وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين ) .

ومن جيد المقابلة قول بكر بن النطّاح الحنفى :

أذكى وأوقدُ للعداوةِ والقرى      نارَينِ نارَ وَغىِ ونارِ زنادِ  
وكذلك قوله :

لباسى حُسَامٌ أو إزارٌ مُعَصَفَرٌ      ودِرْعٌ حَدِيدٌ أو قميصٌ مُخْتَلَقُ  
إلا أنه لو كان الإزار رداءً كان أجود ، لاسيما والسيف يسمى رداءً ، ولكفا هكذا رويناه .

ومن خفى المقابلة والقسمة قول العباس بن الأحنف وأحسن ما شاء :

اليومُ مثلُ الحولِ حتى أرى      وَجْهَكَ ، والساعةُ كالشهرِ  
وهذا مليح ؛ لأن الساعة من اليوم كالشهر من الحول جزء من اثني عشر .  
وقال محمد بن أحمد العلوى :

لا تؤخرُ عني الجوابَ فيومى      مثل دهر ، وساعتى مثل شهر  
( ٢ — العمدة ٢ )

أشعر بيت  
قالته العرب

أمثلة  
من المقابلة

من جيد  
المقابلة

من خفى  
للمقابلة

فلم يصنع شيئاً ، وكان يمكنه أن يجعل مكان دهر حولا ؛ فتكون قسمة مستوية ، ولكننا هكذا روينا .

من جيد المقابلة  
في المنثور  
ومن جيد ما وقع في المنثور من المقابلة قول بعض الكتاب « فإن أهل الرأي والنصح لا يساويهم ذوو الأفن والغش ، وليس من يجمع إلى الكفاية الأمانة كمن أضاف إلى العجز الخيانة » ومن كلام إبراهيم بن هلال الصابي « وأعدّ لمحسنهم جنة وثوابا ، ولسيئهم ناراً وعقابا » .  
وقال أبو الفتح محمود بن حسين كشاجم :

تريك الحسن والإحسان وقفا إذا برزت لنا وإذا تقيبُ

ومما عابه الجرجاني على ابن المعتز :

بياض في جوانبه أحمرار كما احمرت من الخجل الحدودُ

لأن الحدود متوسطة وليست جوانب ؛ فهذا من سوء المقابلة ، وإن عده الجرجاني غلطاً في التشبيه ، وإنما العلة في كونه غلطاً ما ذكرناه . .

ومن المأخوذ بالمعيب عندي قول الكمي مخاطب قضاة :

رأيتم من مالكٍ وادعائه كرامة الأولاد من عديم النسل

فوقع تشبيهه على الادعاء والرئمان خاصة ، لا على صحة المقابلة في الشبهين ؛

لأن هؤلاء - فيما زعم - يدعون أبا ، والراثة تدعى ولداً ، وهما ضدان .

والصواب قول الآخر يهجو كاتباً ، أنشده الجاحظ :

حمار في الكتابة يدعيها كدعوى آل حرب في زياد

وقال أبو نواس :

أرى القنصل للدين وللدين جامعاً كما السهم فيه القوق والرئيس والنصلُ

فزاد في المقابلة قسماً ؛ لأنه قابل اثنين بثلاثة .

وكذلك قول أبي قيس ابن الأسلت :

الحزم والقوة خير من السإدهان والفكة والتجاع

مما عيب من  
للمقابلة

فقابل الحزم بالإدهان ، والقوة بالفكة - وهى الضعف - ويروى  
 « الفمة » وهى العى ، وزاد الماع ، وهو الجبن والخفة .  
 ومما سقط فيه عبد الكريم من جهة المقابلة وإن كان تمثيلاً وتشبيهاً  
 قوله يمدح نزار بن معد صاحب مصر :

إلى ملكٍ بين الملوك وبينه مسافةٌ ما بين الكواكب والتُّرْبِ

لأنه لما أتى بالملوك أولاً وبضمير المدوح - وهو الهاء التى فى « بينه » -  
 بعد ذلك ، ثم أتى بالكواكب وهى جماعة تقابل الملوك وبالترب وهو واحد  
 يقابل الضمير باتحاده ؛ أوجب له بهذا الترتيب أن يكون هو الترب ، وتكون  
 الملوك هم الكواكب ، ولم يرد إلا أن يجعله موضع الكواكب ، ويعلمهم  
 موضع الترب ، ولكن حكم عليه ما حكم على ابن المعتز الذى إليه انتهى التشبيه  
 وسر صناعة الشعر . . . ويدلك على صحة ما طلبته به قولُ امرئ القيس بن حُجر :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا لَدَى وَكْرهَا الْعُنَابُ وَالْحَشْفُ الْبَالَى

قابل الرطب أولاً بالعناب مقدماً ، وقابل اليابس ثانياً بالحشف تالياً . وكذلك

قول الطَّرْمَاح :

يَبْدُو وَتَضْمُرُهُ الْبِلَادُ كَأَنَّهُ سَيْفٌ عَلَى شَرَفٍ يُسَلُّ وَيُغْمَدُ

فقابل يبدو بيسل ، وقابل تضمره البلاد بيمغد ، على ترتيب ، وكذلك كان

يجب لهؤلاء أن يصنعوا ، وإلا كانوا مخطئين أو مقصرين .

ومن المقابلة ما ليس مخالفاً ولا موافقاً كما شرطوا إلا فى الوزن والازدواج

من القابلة نوع  
 يختص باسم  
 الموازنة

فقط ، فىسمى حينئذ موازنة نحو قول النابغة :

أَخْلَاقُ مَجْدٍ تَجَلَّتْ مَا لَهَا خَطَرٌ فِى الْبَاسِ وَالْجُودِ بَيْنَ الْحِلْمِ وَالْخَبْرِ

وعلى هذا الشعر جشاً النعمان بن المنذر فَمَ النَّابِغَةُ دَرَأً .

وينضاف إلى هذا النوع قول أبى الطيب :

نصيبك في حياتك من حبيب نصيبك في منامك . من خيال  
فوازن قوله « في حياتك » بقوله « في منامك » وليس بصدّه ولا موافقه ،  
وكذلك صنع في الموازنة بين حبيب وخيال ، وإن اختلف حرف اللين فيهما ،  
فإن تقطيعه في العروض واحد .

فأما قول أبي تمام :

فكنت لناشيهم أباً ، ولكهلم أخاً ، ولدى التقويس والكبرة أبنياً  
فإنه من أحكم المقابلة وأعدل القسمة .

وقد بينت في أول هذا الباب أن المقابلة بين التقسيم والطبق ؛ فكلاهما توفر  
حظها منهما كانت أفضل .

ومن أملح ما روينا في الموازنة وتعديل الأقسام مما يجب أن نختتم به هذا  
الباب قول ذي الرمة :

أستحدثت الركب عن أشياهم خيراً أم راجع القلب من أطرايه طربُ ؟؟  
لأن قوله « أستحدثت الركب » مُوازن لقوله « أم راجع القلب » وقوله « عن  
أشياهم خيراً » موازن لقوله « من أطرايه طرب » وكذلك « الركب » موازن  
« للقلب » وعن موازن لمن ، و« أشياهم » موازن « أطرايه » وخبراً موازن ل« طرب » .  
وقال السيد أبو الحسن في هذا النوع :

لكفأك أندى من عُيُوم سَواجِم وَعَزَمُكَ أمضى من حُسام مهند  
فكل لفظة من القسم الأول موازنة لأختها من القسم الآخر موازنة  
عدلٍ وتحقيقٍ .

#### (٤٩) — باب التقسيم

اختلف الناس في التقسيم : فبعضهم يرى أنه استقصاء الشاعر جميع أقسام  
ما ابتدأ به ، كقول بشار يصف هزيمة :

بضرب يذوق الموت من ذاق طعمه ويدرك من نجى الفرار مثاليه

من أملح  
الموازنة  
وتعديل  
الأقسام

حد التقسيم

فراح فريقٌ في الأسارى، ومثله قتيلٌ، ومثلٌ لآذٍ بالبحر هاربه  
فالييت الأول قسمان : إما موتٌ، وإما حياة تورث عاراً ومثلبة، والبيت  
الثاني ثلاثة أقسام : أسير، وقتيل، وهارب؛ فاستقصى جميع الأقسام، ولا يوجد  
في ذكر الهزيمة زيادة على ما ذكر.

ومثل ذلك قول عمرو بن الأهم إلا أنه أكثر إيجازاً :

أشرباً ما شربنا فهذيل من قتيل وهارب وأسير

فجمع الوجوه كلها في مصراع واحد.

ومن التقسيم الجيد قول نُصَيْب :

فقال فريق القوم : لا، وفريقهم : نعم، وفريق قال : ويحك ماندرى<sup>(١)</sup>

فلم يبق جواب سائل إلا أتى به؛ فاستوفى جميع الأقسام، وزعم قوم أنه

أفضل بيت وقع فيه تقسيم.

ومن أناشيد قدامة في هذا الباب قول الشماخ يصف حمار وحش :

متى ماتتَعُ أرساغُهُ مطمئنةً على حَجَرٍ يرفضُ أو يتدحرج

فلم يُبقي الشماخ قسماً ثالثاً إلا أن يقول : يغوص في الأرض، وذلك لا يلزم؛

من جهة أن الحافر عند الجري وسرعة المشي يقذف الحجر إلى وراء، إلا أنه لو

أتى به لكان حسناً من أجل قوله « مطمئنة ».

ومن أشرف المنثور في هذا الباب قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وهل

لك يا ابن آدم من ماله إلا ما أكلت فأفانيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت »

فلم يبق عليه الصلاة والسلام قسماً رابعاً لو طلب يوجد .. وقال نافع بن خليفة « يا بني،

اتقوا الله بطاعته، واتقوا السلطان بحمته، واتقوا الناس بالمعروف » فقال رجل منهم :

ما بقي شيء من أمر الدين والدنيا إلا وقد أمرتنا به . . وقال أعرابي « إذا كان

الرأي عند من لا يُقبلُ منه، والسلاح عند من لا يستعمله، والمال عند من لا ينفقه

(١) حفظى « وفريق : لئيم الله ماندرى » واللام للابتداء، وإين : مبتدأ حذف خبره.

من جيد  
التقسيم

من جيد  
التقسيم  
في المنثور

ضاعت الأمور» وكان ثابت البناني يقول « الحمد لله وأستغفر الله » فسئل : لم خصهما؟ فقال : لأني بين نعمة وذنوب؛ فأحمد الله على النعمة، وأستغفره من الذنوب . . ووقف أعرابي على حلقة الحسن البصري فقال : رحم الله من تصدق من فضل، أو واسبى من كفاف، أو آثر من قوت، فقال الحسن : ماترك البدوي منكم أحداً إلا وقد سأله .

ثم نود إلى الشعر ، قال عمر بن أبي ربيعة المخزومي :  
وهبها كشيء لم يكن، أو كنفازح به الدار، أو من غيبتته المقابر  
فلم يُبقي مما يعبر به عن إنسان مفقود قسماً إلا أتى به في هذا البيت .  
وقال آخر ، وأحسبه أبا دهب الجحى أو طريحا :

لو قلت للسيل دغ طريقك والبعوج عليه كالهضب يقتلج  
لارتد، أو ساخ، أو لكان له في سائر الأرض عنك مُنعرج  
ولا يدع السيل طريقه إلا بأحد هذه الأشياء .  
وقال أبو العتاهية :

وعلى من كلفني بكم قيدٌ وجامعة وغل  
فأتى على جميع ما يتخذ للأسور أو المجنون ولم يبق قسماً .  
هذا وأمثاله مما قدمت هو الجيد من التقسيم ؛ وأما ما كان في بيتين أو  
ثلاثة فغير عاجز عنه كثير من الناس .

وزعم الخاتمي أن أصح تقسيم وقع لشاعر قول الأسعر الجعفي يصف فرساً :  
أما إذا استقبلته فكأنه بازٍ يكفكف أن يطير وقد رأى  
أما إذا استدبرته فنسوقه ساقٍ قموصٍ الوقع عارية النساء  
أما إذا استعرضته متمطراً فتقول : هذامثل سيرحان الغصا  
واختاره أيضاً قدامة ، وليس عندي بأفضل من قول امرئ القيس إلا

بشرف الصفات :

عود إلى  
جيد التقسيم  
في الشعر

أصح  
تقسيم

إذا أقبَلتْ قلتْ دُبَاءةً من أُلْخَصْرِ مغموسة في العُدْرَةِ (١)  
 وإنْ أَدْبَرَتْ قلتُ أُنْفِيَةَ مملئة ليس فيها أُنْرُ (٢)  
 وإنْ أَعْرَضَتْ قلتُ سُرْعُوفَةً لها ذَنْبٌ خَلْفَهَا مُسَبَطَرٌ (٣)

ولو لم يكن إلا تنسيق هذا الكلام بعضه على بعض ، وانقطاع ذلك بعضه من بعض ، وقد صنعت على ضعف متني (٤) وتأخر وقتي :

إذا أقبَلتْ أقمَتْ ، وإنْ أَدْبَرَتْ كَبَّتْ وتعرض طولاً في العنان فتستوى  
 وكَلَفْتُ حاجاتي شبيهة طائر إذا انتشرت ظَلَّتْ لها الأرضُ تنطوى  
 ومن التقسيم نوع هو هذا الأول إلا أن فيه زيادةً تدريجياً وترتيباً فصعبٌ  
 لذلك على متعاطيه وقل جداً . . فأحسنه قولُ زهير بن أبي سلمى :

يطعنهم ما ارتموا حتى إذا طعنوا ضَارَبَ حتى إذا ما صار بوااعتنفاً

فأتى بجميع ما استعمل في وقت الهياج ، وزاد ممدوحه رتبة ، وتقدم به  
 خطوة على أقرانه ، ولا أرى في التقسيم عدل هذا البيت ، ويليهِ في بابهِ  
 قول عنتره :

إن يلحقوا أكرُّز ، وإن يستلحموا أشدُّ ، وإن يلقوا بضنك أنزل

ويروى « وإن يقفوا » وما ينضاف إليهما قول طريح بن إسماعيل الثقفى :

(١) دبءاء : هى فى الأصل القرعة ، ومثلها الدبة - بفتح الدال والباء مشددة -  
 وكنى بذلك عن لينها وطراوتها وانطوائها ، وقوله « مغموسة فى العدر » يريد به  
 أنها ربي ، والندر : جميع غدير ، وذلك ما يدل على ما ذهبنا إليه من التكنية بالدبءاء  
 (٢) الأنفية : الصخرة المستديرة المجتمعة ، مملئة : متداخلة مدورة صلبة ،  
 الأثر : أراد به الحدش .

(٣) سرعوفة : هى الجرادة ، مسبطر : طويل ممتد .

(٤) لعل الاوفق « على ضعف متنى » .

إن يسمعوا الخير يُخْفَوهُ، وإن سمعوا  
شراً أذَاعُوا، وإن لم يسمعوا كذبوا  
وقال الحصين بن الحمام :

دفعنا كُمُ بالحلم حتى يَطرُتُمُ  
فلما رأينا جهلكم غير مُنتَه  
وبالكف حتى كان رفع الأصابع  
وما قدمضى من حللكم غير راجع  
مسسنا من الآباء شيئاً، وكنا  
إلى حَسَبِ في قومه غير واضح  
فلما بلغنا الأمهات وجدتمُ  
بنى عمكم كانوا كرام المصاحمِ .

كأنه يقول : نحن أكرم منكم أمهاتٍ ، فهذا هو التدريج في الشعر .  
وبعضهم في التقسيم على خلاف ما قدمت : زعم أبو العيناء أن خير تقسيم  
قيل قول ابن أبي ربيعة :

تهيم إلى نُعمٍ ؛ فلا الشمل جامع  
ولا قربُ نعم إن دنت منك نافعُ ،  
ولا الجبل موصول ، ولا أنت مُقصرُ  
ولا نأُيها يسلى ، ولا أنت تصيرُ  
واختار قوم آخرون قولَ الحارثي :

فلا كمدى يَفنى ، ولا لكِ رقة ،  
ولا عنك إقصار ، ولا فيك منطمع  
وزعم الفرزدق أن أكل بيت قالته العرب - أوقال : أجمع بيت - قول  
اسرى القيس .

له أَيْطَلَا ظبي ، وساقا نعامه  
وإرخاء سِرْحَانٍ ، وتقرّيب تتقل  
وقال الأعشى يصف فرساً :

سلس مُقلدُهُ ، أسيل خذُهُ ، مرع جَنَابُهُ

وقال عمرو بن شأس :

مُدْمَجٌ سَابِغُ الضلوع طویلُ الشَّخصِ عَبلُ الشَّوَى مُمرُّ الأُعلى  
وقال أبو دواد الإيادي :



بَعِيدٌ مَدَى الطَّرْفِ خَاطِي البُضِيعِ - مُمَرٌّ أَمَطًا سَهْرِيٌّ الْقَصَبِ (١)  
 هذا وما قبله يسمى جمع الأوصاف، وسماء ببض الخذاق من أهل الصناعة  
 التقريب - العين قبل القاف - وأما التقريب (٢) فمكرهه في الكلام .  
 وكان محمد بن موسى المنجم يحب التقسيم في الشعر ، وكان معجبا بقول

العباس بن الأحنف :

وَصَالِكُمْ صَرَمٌ وَحُبُّكُمْ قَلِيٌّ وَعَظْفُكُمْ صَدٌّ ، وَسَلِّكُمْ حَرْبٌ  
 ويقول : أَحْسَنَ وَاللَّهِ فِيمَا قَسَمَ حِينَ يَجْعَلُ كُلَّ شَيْءٍ ضِدَّهُ ، وَاللَّهُ إِنْ هَذَا  
 التَّقْسِيمَ لِأَحْسَنَ مِنْ تَقْسِيمَاتِ إِقْلِيدَسَ ، حَكَى ذَلِكَ الصَّوْلَى . .  
 ومن مליح التقسيم قول داود بن سلم (٣) :

فِي بَاعِهِ طَوْلٌ ، وَفِي وَجْهِهِ نُورٌ ، وَفِي الْعَرِيِّ نَيْنٌ مِنْهُ شَمَمٌ

فوصف بعض أحواله وقسمها كما فعل الأولون .

من التقسيم  
التقطيع

ومن أنواع التقسيم التقطيع، أنشد الجرجاني للناطقة الديداني :

وَاللَّهُ عَيْنًا مِنْ رَأَى أَهْلَ قَبِيَّةٍ أَضْرَّ لِمَنْ عَادَى وَأَكْثَرَ نَافِعَا

وَأَعْظَمَ أَحْلَامًا وَأَوْ كَبِيرَ سَيِّدًا (٤)

(١) في عامة الأصول \* . . . . خاطي البضع \* وصوابه ما أثبتناه ،  
 والخاطي - بالحاء والظاء المعجمتين - الكثير اللحم الكثرة ، والبضيع - بفتح الباء وبعد  
 الضادياء مثناة - هو اللحم ، وقد أنشد ابن بري لدجنوس بنته لقيط :

يعدو به خاطي البضيع كأنه سمع أزل

(٢) في عامة الأصول التقريب - بتقديم العين المهملة على القاف المثناة كالندى  
 قبله - وهو خطأ وتصحيف ، والتقريب في الكلام مثل التقعير ، وتقول : قرب فلان  
 كلامه وقعره - بتضعيف العين فهما - وهما بمعنى واحد .

(٣) في المطبوعات كلها «داود بن مسلم» والتصحيح عن الأغاني ١٥٣/٥ بولاق  
 والبيت من خمسة أبيات مدح فيها قثم بن العباس وكان منقطعاً إليه . والبيت في الأغاني

في وجهه بدر ، وفي كفه بحر ، وفي العينين منه شمم

(٤) في الديوان (ص ٧٤) \* . . . وأكثر سيديا \* بالياء المثلثة

وسماه قوم - منهم عبد الكريم - التفصيل ، وأنشد في ذلك :  
بيضٌ مفازقنا ، تغلى مَرَّاحِلُنَا نَأْسُو بِأَمْوَالِنَا آثَارَ أَيْدِينَا  
وقال البحري :

فِفْ مَشُوقًا ، أَوْ مُسْعِدًا ، أَوْ حَزِينًا أَوْ مُعِينًا ، أَوْ عَازِرًا <sup>(١)</sup> أَوْ عَدُولًا  
فقطع وفصل كما تراه . وقال أبو الطيب :

فِي شَوْقٍ مُأْتَبَى ، وَيَأْتِي مِنَ النَّوَى ، وَيَدَمَعُ مَا أُجْرَى ، وَيَا قَلْبَ مَا أُصْبَى  
ففصل كما فعل أصحابه ، وجاء به على تقطيع الوزن ، كل لفظتين ربع بيت ..  
وقال أيضا :

لِلسَّبِي مَا نَكَّحُوا ، وَالْقَتْلَ مَا وُلِدُوا ، وَالنَّهْبَ مَا جَمَعُوا ، وَالنَّارَ مَا زَرَعُوا  
وإذا كان تقطيع الأجزاء مسجوعا أو شبيها بالمسجوع فذلك هو الترصيع  
عند قدامة ، وقد فضله وأطنب في وصفه إطنابا عظيما . . وأنشد أبيات أبي  
الثلثم يرثي صَخْرَ الْعَيِّ :

الترصيع

لو كان للدهر مال عند مثله لكان دهر صخر مال قنيان  
أبي الهزيمة ، نابٍ بالعظيمة ، متلاف الكريمة ، لاسقطول لأن وان  
حامي الحقيقة ، نسال الوريقة ، معساق الوسيقة ، جلد غير مُنْيَان <sup>(٢)</sup>  
رَبَاءَ مَرَقِيَّةٍ ، مَنَاعٍ مَغْلِبِهِ رَكَابُ سَهْمِيَّةٍ ، قَطَاعُ أَقْرَانِ <sup>(٣)</sup>

(١) في عامة الأصول « وغادرا » من الغدر - بالغين معجمة والداد مهملة -  
وهذا تصحيف واضح ، وصوابه ما أثبتناه .

(٢) الحقيقة : الربة ، وما وجب على الرجل أن يدافع عنه ، والوريقة : أصلها  
الشجرة المورقة ، ولعله أراد القبيلة ، والوسيقة : الإبل ، والثنيان - بضم الثاء  
وسكون النون - ومثله الثني - بكسر الثاء - ما تكون منزلته بعد منزلة السيد .

(٣) رباء : صيغة المبالغة من « ربا » إذا أشرف وصعد ، والمرقبة : النظرة في  
رأس الجبل ، أو هي الحصن ، والأخير أولى بالمراد من البيت ، يريد أنه مقدم قومه =

هَبَّاطٌ أودية ، سَمَّالٌ أودية شَهَادٌ أندية ، سِرْحَانٌ فتيان  
يعطيك مالا تكاد النفس تُسَلِّمه من التَّلَادِ وَهَوْبٌ غير مَنَّانٍ  
والقدماء من هذا النوع ، إلا أنهم لا يكثرون منه كراهة التكلف . قال (١)

أبو دؤاد يصف فرسا ، وقيل : بل رجل من الأنصار :

فَالْعَيْنُ قَادِحَةٌ ، وَالرَّجُلُ ضَارِحَةٌ ، وَالْيَدُ سَابِحَةٌ ، وَاللَّوْنُ غَرِيْبٌ (٢)  
وَالشَّدُّ مِنْهُمْ ، وَالْمَاءُ مُنْحَدِرٌ ، وَالْقَصْبُ مُضْطَمِرٌ ، وَالْمَتْنُ مَلْحُوبٌ (٣)  
وقال السكيت بن زيد في ذلك :

كَالنَّاطِقَاتِ الصَّادِقَاتِ  
تُؤَسِّقَاتِ مِنَ الدَّخَائِرِ

= في لقاء العدو ، والغلبة : مصدر غلبه يغلبه غلبا وغلبة ومغلبا  
ومغلبة ، والسلمية - ومثله السلمب بلاهاء - يقال للفرس الذكر إذا عظم وطال  
وطالت عظامه .

(١) نسب الجوهري الشطر الرابع لامرئ القيس في مادة (ق ص ب) ونقله  
عنه صاحب اللسان ، ثم نقل عن ابن بري أن الصواب أنه لإبراهيم بن عمران  
الأنصاري ، وذكر خمسة أبيات منها البيتان ، وهما مع هذه الأبيات مما أثبتته ناشر  
ديوان امرئ القيس للطبوع في ١٩٣٠ (ص ٣٥) .

(٢) ضارحة - بالضاد المعجمة والحاء المهملة - يريد أنها تفرح الحصى ، أي :  
تنجيه وتبعده ، وقيل : معناه أنها واقعة إلى الأمام . سابحة : تسير بلطف وخفة  
كمن يسبح في الماء ، أي : أنه لا يجهد راكبه ولا يتعبه ، وعريب : أسود ، وجمعه  
غرايب .

(٣) الشد : العدو والجري ، والقصب - بضم القاف وسكون الصاد المهملة -  
المعى ، وقيل : هو ما كان أسفل البطن من الأمعاء ، وقيل : المراد به ههنا الخصر  
وليس بعيداً مما قدمنا .

وإلى هذا ذهب أبو الطيب بقوله :

النَاعِمَاتِ القَاتِلَاتِ الحَيِّمَا تِ المَبْدِيَاتِ مِنَ الدَّلَالِ عَرَائِبَا

وقال توبة بن الحَمَيْرِ ، وفيه التقسيم والترصيع :

لَطِيفَاتِ أَقْدَامِ ، نَبِيلَاتِ أَسْوَاقِ لَقِينَاتِ أَفْحَاذِ ، دِرَاقِ خُصُورِهَا

وقال مسلم بن الوليد صريع العواني :

كَأَنَّهُ قَمَرٌ ، أَوْضِيَعَمُ هَصِرٌ ، أَوْحِيَّةٌ ذَكَرٌ ، أَوْعَارِضٌ هَطَلٌ

وقال أيضا :

يُورِي بَزْنِدِكَ ، أَوْ يَسْعَى بِجَدِّكَ ، أَوْ يَفْرِي بِجَدِّكَ ، كُلُّ غَيْرٍ مُخَدُّودٌ

ومن كلام أبي تمام ، وكان يجيد التصنيع :

تَجَلَّى بِه رُشْدِي ، وَأَثَرَتْ بِه يَدِي ، وَفَاضَ بِه نَمْدِي ، وَأَوْزَى بِه زَنْدِي

وقال أيضا وأحسن ما شاء :

تَدِيرُ مَعْتَمِمْ ، بِاللَّهِ مُنْتَمِمْ ، اللَّهُ مَرْتَقِبٌ ، فِي اللَّهِ مَرْتَعِبٌ

وقال أيضا في غير هذا النمط :

عَنْ ثَامِرٍ ضَافٍ ، وَنَبَّتِ قَرَارَةٌ وَوَافٍ ، وَنُورُ كَالْمِرَاجِلِ خَافِي

للمرّاجل : ثياب . . وقال كشّاجم :

هَلَالٌ فِي إِضَاءَتِهِ \* حَيَاءٌ فِي سَمَاحَتِهِ \* شَهَابٌ فِي اتِّقَادِهِ

ومن جيد ما للمحدثين قول ديك الجن :

حُرٌّ الإِهَابِ وَسَيِّمُهُ ، رَثُّ الإِيَابِ بَ كَرِيمِهِ ، نَحْضُ النِّصَابِ صَمِيمُهُ

فأكثر البيت ترصيع كيف ما أدّرتَه<sup>(١)</sup> . .

وكان المذهب الأول وهو الحمود أن يؤتى بيت من هذا أو بعض بيت ، كما

قال امرؤ القيس :

(١) في عامة الأصول « كيفما أردته .

وأوتادُهُ ماذِيَّةٌ ، وعمادُهُ رُدَيْنِيَّةٌ ، فيها أُسْنَةٌ قَعَصَبٌ (١)  
وكما قال امرؤ القيس (٢) :

كحلاءٍ في بَرَجٍ ، صفراءٍ في نَعِيجٍ ، كأنَّها فِضَّةٌ قد مَسَّها ذَهَبٌ (٣)  
وأما ما هو شبيهه بالمسجوع فقول امرئ القيس :

فَتَوَرُّ التِّيَامِ ، قَطْعُ الوَعِ الكَلالِ مِ ، تَفْتَرُّ عَن ذِي غُرُوبٍ أَشِيرٌ (٤)  
وقوله \* أَلصُّ الضُّرُوسِ ، حَنِيُّ الصُّلُوعِ (٥) \*

فجاء فتور في وزن قطوع ، وكذلك الضروس والصلوع ، وألص وحني .

(١) الأوتاد : جمع وتد ، وهو ما تشد به الحيمة . والماذية : هي الدروع البيض  
وقيل : السلاح كله . والعماد : الخشب التي ترفع عليها الخيام . والردينية : الرماح  
المنسوبة إلى ردينة . وقعصب : رجل كان يصنع الأسنة .

(٢) لم أجد في شعر امرئ القيس هذا البيت ، ولا وجدته منسوبا إليه فيما  
بين يدي من المراجع ، وهذا البيت مشهور لدى الرمة ، وهو في ديوانه (ص ١٢)  
من قصيدته التي أولها :

ما بال عينك منها المراء ينسكب كأنه من كلى مفرية سرب  
والعبارة المذكورة في الأصل تفيد أنها من وضع النساخ ، فإن عادة مؤلف  
الكتاب أن يقول في مثل هذا الموضع : « وكقوله أيضا » ؛ لأن الشاهد السابق  
لامرئ القيس ، فتنبه ، وسيستدل به المؤلف مرة أخرى في باب الاشتراك وينسبه  
لدى الرمة على الصواب .

(٣) البرج - بفتح الباء والراء جميعا - تباعد ما بين الحاجبين ، والنعيج -  
بفتحين أيضا - حسن اللون ، قال الجوهري : « نعج ينعج نعجا مثل طلب يطلب  
طلبا وامرأة ناعجة حسنة اللون » اه وقيل النعج : الايضاض الخالص ، ويبعد  
أن يراد هنا .

(٤) فتور القيام : متراخية متكاسلة غير وثابة . قطوع الكلام : قليلته ، تفرق :  
تبسم ، ذى غروب : فم حر الأستان رقيق المراء ، أشير : روى في مكانه خصر

(٥) تمامه \* تبوع طلوع نشيط أشير \*

ثم أدخل المولدون في هذا الباب أشياء عدوها تقطيعاً وتقسياً ، وذلك نحو  
قول أبي العميث الأعرابي :

فاصدق وعفت وجد وأنصف واحتمل      واصفح ودارٍ وكأفٍ واحلم وأشجع  
والطف ولين وتأنٍ وأرفق وأتدِّد      واحزم وجدٌ وحامٍ واحمل وادفع  
وكقول ديك الجن :

اخلُ وامرُز ، وضُرِّ وانفع ولينٌ وأخشن ورشٍ وأبرٍ وأنتدبُ للعالي  
وقول أبي الطيب :

أقلُّ أنبلُ اقطع أحمِلُ عل سل أعد      زدأهشَ بشَّ تفضلُ أذنُ سرِّ صيل  
ثم زاد في هذا وتباغض حتى صنع :

عشٍ ابقِ أسمُ سُدُّ قُدُّ جُدُّ مرٌّ أنه رةٍ فيه أسرٍ نلِّ

غِظُ أرم صُبِّ احم اغزُ اسبِ رُغُ زِعُ دلِ ائن بل

فهذه رقية العقرب كما قال ابن وكيع ، ولا بد من شرحها . . قوله «عش ابق»  
دعاء له بالعيش والبقاء ، واسم : من السمو ، وسد : من السيادة : أي دم هكذا ،  
وقد : من قود الخليل ، وجد : من الجود والسباح ، أو من الجود وهو المطر التزير ،  
مرانه : من الأمر والنهي ، رة : من الرزي تثبت الماء فيه أظنه في الخط دون اللفظ ،  
على أنه ليس موضع وقف ، ولا يجب أن يكتب بلاهاة لثلاثي الخالف العادة وتقع كلمة  
على حرف واحد ، والورى : داء في الجوف : أي أصنع ذلك بإعدادك وحسادك ، فه:  
من الوفاء ، وأسر : من سرى الليل ، يصفه بالعزم والغارات ، ونل : من النيل  
والإدراك ، أي : نل ماتحب ، وروى نل [ أي ] أعط ، من النول ، ويقال : نلته  
إذا أعطيته ، وغظ : من غيظ الحسود ، ويروى «عظ» من الوعظ ، وارم : من  
رمى العدو بالمكائد وغيرها ، وصب : من صاب المطرُ والسهمُ ، واحم : من حميت  
المكان ، واغز : من الغزو ، واسب : من السبي ، ورُع : من الروع ، وزع : من  
وزعت ، أي : كفت ، ود : من الدية ، ول : من الولاية للأمور ، وقد يكون من

من المطر الوَلِيُّ ، واثن : من ثنى أضداده إذا رَدَّهم ، وبل : من الوابل ، وهذه غاية اللقت والبغاضة وإن كان ولا بد فقله أيضا :

دانٍ بعيدٌ ، مُحِبٌّ مبغضٌ ، بهجٍ ، أغرٌ ، حلومرٌ ، لَيْنٌ شمرسٌ  
 نديٌ أبيٌّ غرٌّ وافٍ أخو ثقة جمدٌ سريٌّ نهٍ نذبٌ رِضاً نَدَسٌ  
 نديٌ : من الندى ، وغرٌّ : من غرى به ، ونهٍ : من النهى ، وأصل هذا كُلهٍ  
 من قول امرئ القيس :

أفادَ فَجَادَ ، وشادَ فَزَادَ وَفَادَ فَدَادَ ، وَعَادَ فَأَفْضَلَ

٥٠ - باب التسميم

وقدامة يسميه التوشيح . . وقيل : إن الذى سماه تسميماً على بن هارون الاختلاف فى المنجم ، وأما ابن وكيع فسماه المطمع ، وهو أنواع : منه ما يشبه المقابلة ، وهو الذى تسميته وأنواعه اختاره الحاتمي ، نحو قول جنوبٍ أختِ عمرٍ وذى الكلبِ :

فأقسم يا عمرو لو نبهك إذا نبهاً منك داءٌ عضالاً  
 إذا نبهاً ليثَ عريسةٍ مُفيتاً مُفيداً نفوساً ومالاً<sup>(١)</sup>  
 وخرقٍ تجاوزت مجهوله بوجناء حرف تشكى الكلالاً<sup>(٢)</sup>

(١) العريسة - بكسر العين المهملة وتشديد الراء - الشجر اللتف ، وهو مأوى الأسد فى خيسه ، ومنه قولهم \* كبتغى الصيد فى عريسة الأسد \* ويقال « عريس » أيضا بلاتاء .

(٢) خرق - بفتح فسكون - المكان الواسع تتخرق فيه الرياح ، أرادت الفلاة . والوجناء : الناقة . والحرف : المهزولة ، ولا يقال جعل حرف ، وإنما يقال ناقة حرف ، شبهوها إذا كانت ضامرة من الهزال بالحرف من حروف الهجاء ، وهو الألف ، تشكى : أصله تشكى ، فحذف إحدى تاءيه . والكلال : التعب والإعياء .

فكنت النهارَ به شمسُهُ وكنت دُجَى الليلِ فيه الملالاً  
أردتُ قولها « مفيتاً. نفوساً ومفيداً مالا » فقابلت مفيتاً بالنفوس ومفيداً  
بالمال ، وكذلك قولها في البيت الأخير لما ذكرت النهار جعلته شمساً ولما ذكرت  
الليل جعلته هلالاً لمكان القافية ، ولو كانت رائية لجلته قرأ .

وسر الصنعة في هذا الباب أن يكون معنى البيت مقتفياً قافيته ، وشاهدنا بها  
دالا عليها كالذي اختاره قدامة للراعي ، وهو قوله :

وإن وُزِنَ أَحْصَى فوزنتُ قومي وجدت حَصَى ضَرِبْتَهُمْ رَزِينَا  
فهذا النوع الثاني هو أجود من الأول للطف موقعه .

والنوع الثالث شبيه بالتصدير ، وهو دون صاحبيه ، إلا أن قدامة لم يجعل  
بينهما فرقا .. وأنشد للعباس بن مرداس :

هُمُ سَوَدُوا هَجْنًا وَكَلُّ قَبِيلَةٍ يُبَيِّنُ عَنْ أَحْسَابِهَا مَنْ يَسُودُهَا  
وقال نصيب الأكبر مولى بنى مروان :

وقد أيقنتُ أن سَتَبِينَ لَيْلِي وَتُحَجَّبُ عَنْكَ إِنْ نَفَعَ الْيَقِينُ  
وإن تأملت قوافي ما هذه سبيله لم تجد له من لطف الموقع ما لقافية الراعي  
وإنما اختير هذا النوع على ما ناسب للمقابلة والتصدير لأن كل واحد منهما  
مدلول عليه من جهة اللفظ : إما بالترتيب ، وإما باشتراك المجانسة ، والقافية في  
بيت الراعي دالة على نفسها بالمعنى وحده ، فصار استخراجها أمجب وأغرب ،  
وتمكنها أشد وأوكد .

وقد حكي أن ابن أبي ربيعة جلس إلى ابن عباس رضي الله عنه ، فابتدأ ينشده :

\* تَشَطُّ غَدًا دَارُ جِيرَانِنَا \*

فقال ابن عباس :

\* وَاللَّذَارُ بَعْدَ غَدٍ أَبْعَدُ \*



فقال له عمر : هكذا صنعت ، فأنت ترى كيف طبق المَفْصِلَ ، وأصاب  
شاة الروى ، لما كان المعنى يقتضى زيادة البعد كلما طال العهد بأيام الموسم ،  
واجتنب «أشط» لأنه لا يترن ولا يستعمل ، وعدا عن أن يقول «أبرح»  
وما شاكلة رغبة في قرب المأخذ ، وسلوكا لطريق الفصاحة ، وإتيانا بالمتعارف  
المعتاد المتعاهد .

ويحكى عن عَدِيِّ بْنِ الرَّقَّاعِ أَنَّهُ أَنْشَدَ فِي صَفَةِ الظُّبَيْيَةِ وولدها:  
\* تَرْجِي أَعْنَ كَأَنَّ لِبُرَّةَ رَوْقِهِ (١) \*

فغفل المدوح عنه، فسكت ، فقال الفرزدق لجرير : ما تراه يقول ؟ فقال :  
يقول :

\* قَلَمَ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا \*

وأقبل عليه المدوح فأنشد كما قال جرير لم يُغَادِرْ حَرْقًا .. وقالت الخنساء :  
ببيض الصَّفَّاحِ وَتَمْرِ الرِّمَّاحِ بِالْبَيْضِ ضَرْبًا وَبِالسَّمْرِ وَخَزَا  
وقالت أيضا في نحو ذلك :

ونلبس في الحرب نَسَجَ الحَديدِ ونلبس في السَّلْمِ خَزَا وَقَزَا  
وقال حريث بن مُحَفَّض :

فإِنْ يَكُ طَعَنُ بِالرُّدَيْنِيِّ يَطْعَمُنَا وَإِنْ يَكُ ضَرَبُ بِالْمَهْنَدِ يَضْرِبُنَا

وقال ابن الدمينية - واسمه عبد الله بن عبيد الله [أحد بنى عامر (٢)] الخثعمي:  
وَكُونِي عَلَى الْوَاشِينِ لَدَاءَ شَعْبَةٍ كَمَا أَنَا بِالْوَاشِيِ أَلْدُ شَعُوبُ

(١) الروق - بفتح الراء وسكون الواو - القرن ، وإبرته : طرفه ، على

التشبيه . (٢) في الأصول « بن عبيد الله بن عبد الخثعمي »

(٣ - العمدة ٢)

وكوفى إذا مالوا عليك صليبة      كما أنا إن مالوا على صليب  
فالبيتان جميعاً مُسَهَّمَان . وقال دعبل  
وإذا عاندنا ذو نَحْوَةٍ      غَضِبَ الروحُ عليه فخرج  
فعلى أيماننا يجرى الندى      وعلى أسيافنا تجرى المَهَجُ

ليس يجهل أحد بعد معرفة البيت الأول من هذين البيتين قافية الآخر منهما.

ومن جيد التسهيم قول بعضهم :  
لو أننى أُعْطِيتُ من دَهْرِي المني      وما كل من يعطى المني بمسد  
لقلت لأيام مزين : ألا أرجى      وقلت لأيام أتين : ألا ابعدى  
وكذلك قول الآخر وهو مليح :

من جيد  
التسهيم

حبيبي غداً لا شك فيه مودعُ      فوالله ما أدري به كيف أصنع  
فيا يومٍ لا أدبرت هل لك تحبس      ويا غداً لا أقبلت هل لك مدفع  
إذ لم أشيعهُ تَقَطَّعْتُ حَسْرَةً      ووا كبدي إن كنت ممن يشيع

أردت البيت الأخير .. وما أظن هذه التسمية إلا من تسهيم البرود ، وهو

مأخذ التسهيم  
والتوشيح

أن ترى ترتيب الألوان فتعلم إذا أتى أحدها ما يكون بعده . وأما تسميته  
توشيحاً فن تَعْظِفُ أثناء الوشاح بعضها على بعض وجمع طرفيه ، ويمكن أن  
يكون من وشاح اللؤلؤ والخرز ، وله فواصل معروفة الأماكن ، فلعلهم شبهوا  
هذا به ، ولا شك أن الموشحات من ترسيل البديع وغيره إنما هي من هذا ،  
وبعض الناس يقول : إن التوشيح بالجيم ، فإن صح ذلك فإنما يجيء من  
« وَشَجَتِ العروقُ » إذا اشتبكت ، فكأن الشاعر شبك بعض الكلام ببعض ..  
فأما تسميته المَطْمَعُ فذلك لما فيه من سهولة الظاهر وقلة التكلف ، فإذا حوول  
امتنع وبعُدَ مرَّامُه .

## (٥١) - باب التفسير

وهو: أن يستوفى الشاعر شرح ما ابتدأ به مجملاً، وقل ما يجيء هذا إلا في حد التفسير أكثر من بيت واحد، نحو قول الفرزدق واختاره قدامة:

لقد جئت قوماً لو جأت إليهم طريد دم أو حاملاً ثقل مغرم  
لألفيت منهم معطياً ومطاعنا وراك شزراً بالوشيح المقوم

هذا جيد في معناه، إلا أنه غريب مريب؛ لأنه فسر الآخر أولاً والأول آخرًا؛ فجاء فيه بعض التفسير والإشكال، على أن من العلماء من يرى أن رد الأقرب على الأقرب والأبعد على الأبعد أصح في الكلام.

وأكثر ما في التفسير عندى السلامة من سوء التضمين لأنه هو بعينه ما لم يكن في بيت واحد أو شبيه به كالذي أنشده سيديويه:

خَوَّيَ عَلَى مُسْتَوِيَاتٍ خَمْسٍ كَرَكْرَكَةٍ وَثَفَنَاتٍ مُنْسٍ<sup>(١)</sup>

لأن هذا وإن كان كالبيت المصريح فهو بيتان من مشطور الرجز ومن التفسير الجيد قول<sup>(٢)</sup> حاتم الطائي، ويروى لعتيبة بن مرداس:

من جيد التصير

(١) يقال للناقة إذا بركت فتجافي بطنها في بروكها لضمرها: قد خوت - بتشديد الواو - وقد كثر ذلك حتى صاروا يقولون للابل إذا خست بطنها وارتفعت: قد خوت، والكركرة - بكسر الكافين بينهما راء مهملة ساكنة - رحي زور البعير والناقة، وقيل: هو الصدر من كل ذي خف، والثففات: جميع ثفنة، بفتح فسكس - وهي ما يقع على الأرض من أعضاء البعير إذا استناخ كالركبتين، وقيل: هو كل ماولى الأرض من كل ذي أربع إذا برك أو ربض، وتعد الكركرة لإحدى الثففات، وهن خمس.

(٢) ذكر صاحب اللسان (مادة ق س ب) عن ابن بري وقد أنشد البيت الثالث، قال: « هذا البيت يذكر أنه لحاتم الطائي، ولم أجده في شعره » اهـ

متى ما يجيء يوماً إلى المال وارثي      يَجِدُ جَمْعَ كَفٍّ غَيْرِ مَلَأَى وَلَا صَفْرٍ  
يَمِيدُ فَرَسًا مِثْلَ الْعَنَانِ وَصَارِمًا      حَسَامًا إِذَا مَا هَزُّ لَمْ يَرْضَ بِالْهَبْرِ (١)  
وَأَثْمَرَ خَطِيئًا كَأَنَّ كُؤُوبَهُ      نَوَى الْقَسْبَ قَدْ أَرَبَى ذِرَاعًا عَلَى الْقَشْرِ (٢)

فهذا هو التفسير الصحيح السالم من ضرورة التضمنين ؛ لأنه لم يعلق كلامه  
بلو كما فعل الفرزدق ، ولا بما يقتضى الجواب اقتضاء كلياً ؛ فلهذا حسن عندي . .  
ومثله قول عروة بن الورد :

وإن امرأ يرجو ترائي وإن ما      يصيرُ له منه غداً لقليلُ  
ومالٍ مال غير دِرْعٍ ومَغْفَرٍ      وأبيضَ من ماء الحديدِ صقيلِ  
وَأَثْمَرَ خَطِيئَةَ الْقَنَاةِ مُتَقَفًّا      وَأَجْرُدُ عَرِيَانَ السَّرَاةِ طَوِيلُ  
هكذا أنشدوه بالإقواء ، ويجوز أن يرفع على القطع والإضمار ، كأنه قال :  
هو صقيل ، أو قال : ولي أبيض من ماء الحديد ، يعني سيفه .

وقال ذو الرمة في التفسير :

وليلٍ كجلباب العروس أدرعته      بأربعة والشخصُ في العين واحد  
أحمُّ علافى ، وأبيض صارم      وأعيس مهزرى ، وأروع ماجد  
ففسر الأربعة ما هي ، ورفع على شرط ما قدمت من الإضمار ، كأنه  
قيل له : ما الأربعة التي شخصها في العين واحد ؟ فقال : كذا وكذا وكذا ...  
ومن التفسير ما يفسر الأكثر فيه بالأقل ، وهو من باب الإيجاز والاختصار :

(٢) الهبر - بفتح الهاء وسكون الباء - اللحم ، يريد أن سيفه لا يتقع بالضرب  
في اللحم حتى يصل إلى العظم .

(٣) القسب - بفتح فسكون - التمر اليابس ، قال الليث : ومن قاله بالصاد  
فقد أخطأ ، ونوى القسب : أصاب النوى . والقسب : الصلب الشديد . وأرَبَى  
كأربى .

وذلك ما أتت فيه الجملة بعد الشرح ، نحو قول أبي الطيب :  
 من مبلغ الأعراب أنى بعدها جالست رَسَطَاليس والإسكندرا  
 ومالت محزّ عِشارها فأضافى من ينحر البِدْرَ النَّصَارَ لمن قرى  
 وسمعت بظليموس دارس كتيبه متملكاً متبدياً متحضراً  
 ولقيت كل الفاضلين كأنما رد الإله نفوسهم والأعصرا  
 نسقوا لنا نسق الحساب مقدماً وأنى فذلك إذ أتيت مؤخرأ  
 فقوله \* نسقوا لنا نسق الحساب مقدماً وأنى فذلك إذ أتيت \* تفسير  
 مليح قليل النظير في أشعار الناس . .

وتعلقت به في بعض مدح السيد أبي الحسن فقلت :

أنى بعد أهل العلى كجملة شيء شرح

وقد أتى به أبو الطيب في بيت واحد فقال :

إذا عدّ الكرام فتلك عجل كما الأنواء حين تعد عام

فهذا الذى كنا ترغّب فيه لكون المفسر والمفسر به في بيت واحد .

ونظيره قوله أيضاً :

مضى وبنوه وانفردت بفضلهم وألف إذا ما جمعت واحد فرّد

لجاء به أيضاً في بيت واحد .

وكذلك قول امرئ القيس :

فلو أنّ ما أسعى لأدنى معيشة كفانى - ولم أطلب - قليل من المال

ومن قول عمرو بن معد يكرب الزبيدى :

فأرسلنا ربيتنا فأوى فقال : ألا أولى خمس رنوع

رباعية وقارحها وجحش وثالثة وهادية زموع

ففسر ماهى ، وأثنها لغلبة التأنيث على اسم الدواب . .

وقال مالك بن خريم ، وقيل : خزيم :

فإن يك شاب الرأس منى فإننى أبئت على نفسى مناقبَ أربعا  
 فواحدة أن لا أبيت بغرة إذا ما سَوَّام الحى حَوَّلِي تَضوعا  
 وثانية أن لا تُفَزَّعَ جارتي إذا كان جار القوم فيهم مُفَزَّعا  
 وثالثة أن لا أصمَّت كلبنا إذا نزل الأضياف حِرْصاً لنودعا  
 ورابعة أن لا أحجلَ قدرنا على لحمها حين الشتاء لَشَبَعَا  
 «أحجل» أستر، أجملها في حجلة لتخفى عن الجار رغبة أن نشبع، ولكن أبرزها  
 وكتب أحمد بن يوسف - وفي رواية النحاس : عمرو بن مسعدة -  
 عن اللأمون « أما بعد فقد أمر أمير المؤمنين من الاستسكار من المصاييح في  
 شهر رمضان ؛ فإن في ذلك أنسا للسابلة ، وضياء للمجتهدين ، ونفيا لمكان  
 الريب ، وتزيها لبيوت الله عز وجل عن وحشة الظلم » .  
 ومن جيد التفسير في بيت واحد قول أبي الطيب :

فتي كالسحاب الجون يُخَشَى وَيُرْتَجَى يُرَجَّى الحيا منه وَتُخَشَى الصواعقُ  
 فإنه قد أحكمه أشدَّ إحكام ، وجاء به أحسن مجيء ، حتى أربي على  
 البحترى إذ يقول :

بأروع من طيِّ كان قيصه يُزُرُّ على الشيخين زيد وحاتم  
 سماحا وبأسا كالصواعق والحيا إذا اجتمعا في العارض المتراكم  
 وقد رد الكلام جميعا آخره على أوله . .

وأصل هذا من المعجز قول الله تعالى : (وهو الذي يريك البرق خوفاً وطمعا).  
 وقال أبو الطيب أيضاً في التفسير المستحسن :

إن كوتبوا أو لقوا أو حوربوا وجدوا في الخط واللفظ والهيجاء فُرْسَانًا  
 ففسر وقابل كل نوع بما يليق به ، من غير تقديم ولا تأخير ، كالذي وقع أولا  
 في بيتي الفرزدق . .

ومن التفسير قول كشاجم - واسمه محمود بن الحسين :

في فها مسك ، ومشمولة صريف ، ومنظوم من الدر  
فالمسك للنكهة والخمر للرياسة واللؤلؤ للنفر  
وهذا من مליح ما وقع للمحدثين .

وقال لقمان لا بنه : إياك والبكسل والضجر ، فإنك إذا كسلت لم تؤد  
حقا ، وإذا ضجرت لم تصبر على حق .

### (٥٢) - باب الاستطراد

وهو : أن يرى الشاعر أنه في وصف شيء وهو إنما يريد غيره ، فإن قطع  
الاستطراد حد  
أوضح  
الإستطراد  
وأول من قاله

الناس يسمى الجميع استطراداً ، والصواب ما بينته . .

وأوضح الاستطراد قول السموأل وهو أول من نطق به حيث يقول :

ويح أناس لا نرى القتل سببة إذا ما رأته عامر وسالول

يُقرب حب الموت آجالنا لنا وتكرهه آجالهم فتطول

واتبعه الناس ، فقال الفرزدق وأجاد :

كأن فجاج الأسد حول ابن مسمع إذا اجتمعوا<sup>(١)</sup> أفواه بكر بن وائل

ثم أتى جرير فأدبني وزاد بقوله :

لما وضعت على الفرزدق ميسمي وضعا البعيث جدعت أنف الأخطل

فهجا واحداً واستطرد باثنين . .

وقال مخارق بن شهاب المازني يصف معزى :

ترى ضئيفها فيها يبيت بغبطة وضيف ابن قيس جائع يتحوب

فوفد ابن قيس هذا على النعمان بن المنذر فقال : كيف المخارق بن شهاب

(١) في نسخة « حول بيوتهم إذا حلبوا » .

فيكم؟ فقال : سيد شريف حسبك من رجل يمدح تيسه ويهجو ابن عمه .  
ومن جيد الاستطراد قول دعبل بن علي الخزاعي ، ويروي لبشار بن برد  
وهو أصح :

خليلي من كذب أعيناً أخا كما      على دهره ، إن الكريم معين  
ولا تبخلاً بخل ابن قزعة ؛ إنه      تخافة أن يرُجى نداء حزين  
إذا جثته في القرمط أغلقَ بابه      فلم تلقه إلا وأنت كمين  
ويروي \* في حاجة سد بابه \* وأنشد البحري أبو تمام لنفسه في صفة فرس  
واستطرد يهجو عثمان بن إدريس الشامي :

وسابح هطل التمداء هتان      على الجراء أمين غير خوان  
أطى النصوص وما نظى قوائمه      فخل عينيك في ظمان ريان  
فلو تراه مشيحاً والحصى زيم      تحت السناك من مثنى ووحدان  
أيقنت إن لم تثبت أن حافره      من صخر تدمر أو من وجه عثمان  
فقال له : أتدرى ما هذا من الشعر؟ قال : لا أدري ، قال : هذا الاستطراد ،  
أو قال : المستطرد .

قال الحاتمي : وقد يقع من هذا الاستطراد ما يخرج به من ذم إلى مدح ،  
كقول زهير :

إن البخيل ملومٌ حيث كان ولكن الجواد على علاته هرام  
فسمى الخروج استطراداً كما تراه اتساعاً ، وأنشد في الخروج بالاستطراد من  
مدح إلى ذم قول بكر بن النطاح يمدح مالك بن طوق :

عرضتُ عليها ما أردت من المنى      لترضى ، فقالت : قم فجنني بكوكب  
فقلتُ لها : هذا التعتُّ كله      كمن يتشهى لحم عنقاء مُغرب  
سلى كلُّ أمر يستقيمُ طلابه      ولا تسألني يادراً في كل مذهب  
فأقسيمُ لو أصبحت في عزِّ مالك      وقدرته أعبي بما رُمّتِ مطلبى



فَسَقَى شَقِيئَ أَمْوَالِهِ بِمَفَاتِيهِ كَمَا شَقِيئَ قَيْسٍ بِأَرْمَاحِ تَغْلِبِ

فهذا مليح : أوله خروج ، وآخره استطراد ، وملاحظته أن مالكاً من بني تغلب  
فصار الاستطراد زيادة في مدحه ، وزعم قوم أنه يمدح مالك بن علي الخزاعي ،  
ومما استطرده به أبو الطيب قوله في هجاء كافر :

يَمُوتُ بِهِ غَيْظًا عَلَى الدَّهْرِ أَهْلُهُ كَمَا مَاتَ غَيْظًا فَاتِكُ وَشَدِيبُ

على أن هذا البيت قد يقع موقع غيره من أبيات هذا الباب ؛ إذ ليس  
القصده فيه مدحاً ولا هجاءاً للرجلين المذكورين ، ولكن التشبيه والحكاية  
لاغير .

وقيل : أصل الاستطراد أن يريك الفارس أنه فر ليكز ، وكذلك الشاعر  
يريد أنه في شيء ففرض له شيء لم يقصد إليه فذكره ولم يقصد قصده حقيقة  
إلا إليه .

ومن الاستطراد نوع يسمى الإدماج ، وذلك نحو قول عبيد الله بن طاهر من الاستطراد  
الإدماج  
لعبد الله بن سليمان بن وهب حين وَزَرَ للمعتضد :

أَبِي الدَّهْرِ مِنْ إِسْعَافِنَا فِي نَفْسِنَا وَأَسْعَفْنَا فِي مَنْ نُحِبُّ وَنُكْرِمُ  
فَقُلْتُ لَهُ : نَعْمَاكَ فِيهِمْ أُمَّهَامَا وَدَعَّ أَمْرُنَا ؛ إِنَّ الْمَهْمَ الْمَقْدَمَ

وحكى أحمد بن يوسف الكاتب أنه دخل على المأمون وفي يده كتاب من  
عُمر بن مَسْعُودٍ يردد فيه النظر ، فقال : لعلك فكرت في ترديد النظر في هذا  
الكتاب ، قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : إني عجبته من بلاغته واحتياله  
لمراده « كتبت كتابي إلى أمير المؤمنين أعزه الله ومن قبلي من قواده وأجناده في  
الطاعة والانقياد على أحسن ما يكون عليه طاعة جنده تأخرت أرزاقهم واختلت  
أحوالهم » ألا ترى يا أحمد إدماجه المسألة في الإخبار ، وإعفاءه سلطانه من

الإكثار؟ ثم أمر لهم برزق ثمانية أشهر ، وهذا النوع أقل في الكلام من الاستطراد المتعارف وأغرب .

### ٥٣ - باب التفريع

حد التفريع  
ومنزلته من  
الاستطراد

وهو من الاستطراد كالتدريج من التقسيم ، وذلك أن يقصد الشاعر وصفاً ما ثم يفرع منه وصفاً آخر يزيد الموصوف توكيداً ، نحو قول الكميت :

أحلامكم لسقام الجهل شافيةٌ كما دماؤكم يشفى بها الكلب<sup>(١)</sup>

فوصف شيئاً ثم فرع شيئاً آخر لتشبيهه شفاء هذا بشفاء هذا . وقال ابن المعتز:

كلامه أخذع من لحظه ووعدّه أكذب من طيفه

فبينما هو يصف خدع كلامه فرّع منه خدع لحظه ، ويصف كذب وعده فرّع كذب طيفه وقال أيضاً يصف ساقى كأس :

فكأن حُمرَةً لونها من خده وكان طيباً نسيمها من نشره

حتى إذا صب المزاج تبسّمت عن ثغرها فحسبته من ثغره

مازال ينجزني مواعيد عينه فمه ، وأحسب ريقه من خمره

البيتان الأولان من هذه الثلاثة تفريع ، والبيت الآخر ليس بتفريع جيد؛ لأن الحُمرة نازلة عن رتبة الريق عند العاشق ، وحق التفريع أن يكون الآخر من الموصوفين زائداً على الأول درجة : في الحسن إن قصّد المدح ، وفي القبح إن قصّد اللطم ، وهو نوع خفي إلا على الحاذق البصير بالصنعة .

ومثل بيت ابن المعتز قول البحترى :

(١) قال صاحب اللسان وأنشد هذا البيت : « قال اللحياني : الرجل الكلب

يعض إنسانا ، فيأتون رجلا شريفاً فيقطر لهم من دم أصبعه فيسقون الكلب فيسبراً » اهـ .

وإذا تألق في النَّدىِّ كلانسه المصقولُ خلتَ لسانه من عَضِيهِ  
لأن حق العَضْبِ في باب المدح أن اللسان أمضى منه . .

ومن التفریع الجيد قول الصنوبري :

ما أخطأت نوناته<sup>(١)</sup> من صُدْغِه شيئا ، ولا ألفاته من قـده  
وكأنما أنفاسه من شعره وكأنما قرطاسه من جلده  
فانظر إليه كيف يزيده رتبة في الجودة كلما فرع .

ووصف ابن شيرزاد جارية كاتبة : فقال كأن خطها أشكال ، صورتها ، وكان  
بيانها سحر مقلتها ، وكان سكينها غنج لحظها ، وكان مدادها سواد شعرها ، وكان  
قرطاسها أديم ، وجهها ، وكان قامتها بعض أناملها ، وكان مقطها قلب عاشقها .

وشتان ما بين هذا الوصف وقول الآخر يهجو كاتبا أنشده الصولي في أبيات :  
كان دواته<sup>(٢)</sup> من ريقٍ فيه تلاقٍ فذشرها أبداً كريه  
وقال كشاحم :

شيخٌ لنا من مشايخ الكوفة نسبته للعليلِ موصوفه  
لو بدّلَ الله قلبه غنما ما طمع الناس منه في صوفه

ومن لطيف التفریع قول أبي الطيب يصف ليلا :

أقلبُ فيه أجفاني كأني أعدُّ بها على الدهر اللذُنوباً

بينما هو يصف كثرة سهره وإدارة لحظه شبهها بكثرة ذنوب الدهر عنده . .

وقال فبرد :

ولو نقصتُ كما قد زِدتَ من شرفِ على الورى لرأوني مثل شانيكا

(١) في عامة الأصول « نوباته » وهو تحريف شنيع .

(٢) في الصريتين « ذواته » وما أقبحه من تحريف .

هذا التفريع للمعون . . وقال محمد بن وهب :

طللان طالَ عليهما الأمد      دَثْرًا فلا عِلْمَ ولا نضد  
لَيْسَا البلى فكأنما وَجَدَا      بعدَ الأحبة بعض ما أجد

ومن المستحسن قول الخوارزمي أبي بكر محمد بن العباس :

تَمَحُّ البديهة ليس يُمَسِّكُ لفظُهُ      فكأنما أفاظه من ماله  
وكأنما عزماته وسيوفهُ      من حدّهن خلقن من إقباله  
متبسّمٌ في الخطبِ تحسب أنه      تحت العجاج مُلثَمٌ بفعاله

وأخبت ما سمعته في هذا الباب قولُ ابن الرومي يهجو رجلا :

له سائسٌ ماهرٌ      يحولُ على مَتْنِهِ  
ويطعنُ في دبره      أفانينَ من طعنه  
بأطولَ من قرنه      وأغلظَ من ذهنه

ومن التفريع أيضا قول أبي الطيب على غير هذا النظام :

أسير إلى أقطاعه في ثيابه      على طرفه من داره مُحْسَمَاهُ  
وما مَطَرَتْنِيهِ من البيض والقنا      وروم العبيدِيّ<sup>(١)</sup> هاطلات غمامه

فهذا تفريع تناوله من قول أبي تمام :

فقالوا : فما أولاك ؟ صِفْ بَعْضَ نَيْلِهِ      فقلت لهم : من عنده كلُّ ما عندي  
وأصله من قول أبي نواس :

\* فكلُّ خَيْرٍ عِنْدَهُمْ من عِنْدِهِ \*

يصف كلب صيد .

(١) العبيدِيّ — بتشديد الـدال مفتوحة — العبيد ، جمع عبد .

## ٥٤ - باب الالتفات

وهو الاعتراض عند قوم ، وسماهُ آخرون الاستدراك ، حكاة قدامة ، حد الالتفات  
وسيله أن يكون الشاعر آخذاً في معنى ثم يعرض له غيره فيعدل عن الأول  
والاختلاف في تسميته إلى الثاني فيأتي به ، ثم يعود إلى الأول من غير أن يخل في شيء مما يشد الأول ،  
كقول كثير:

لَوْ أَنَّ الْبَاخِلِينَ ، وَأَنْتِ مِنْهُمْ ، رَأَوْكَ تَعَلَّمُوا مِنْكَ الْمَطَالَ  
فقوله \* وأنت منهم \* اعتراض كلام في كلام ، قال ذلك ابن المعتز ،  
وجعله باباً على حدِّه بعد باب الالتفات ، وسائر الناس يجمع بينهما .  
قال النابغة الذبياني :

أَلَا زَعَمْتَ بَنُو عَبْسٍ بَأْنِي - أَلَا كَذَّبُوا - كَبِيرُ السَّنِّ قَانِي  
فقوله \* ألا كذبوا \* اعتراض ، ورواه آخرون للجعدى \* ألا زعمت بنو  
كعب \* وهو أشبه بالجعدى ؛ لأنه أعلى سنامنه ؛ فقوله \* ألا كذبوا \* اعتراض ،  
وكذلك ما يجري مجراه .

وأنشدوا في الالتفات لبعض العرب :  
فَظَلُّوا يَوْمَ - دَعَّ أَخَاكَ بِمَثَلِهِ - عَلَى مَشْرِعٍ يَرُودِي وَلَمَّا بَصْرَدُ  
فقولك \* دع أخاك بمثله \* التفات مليح .  
وقال جرير يرثي امرأته أم حَزْرَةَ :  
نَعْمَ الْقَرِينُ - وَكَانَتْ عِلْقَ مَضْنَةٍ - وَارَى بِنَعْفِ بَلِيَّةِ الْأَحْجَارِ  
فقوله \* وكانت علق مضنة \* هو الالتفات .

وقال عوف بن محم لعبد الله بن طاهر :  
إِنَّ الثَّمَانِينَ - وَبُلَّغْتَهُنَّ - قَدْ أَحْوَجَتْ سَمْعِي إِلَى تَرْجَانِ  
فقوله \* وبلغتها \* التفات ، وقد عده جماعة من الناس تنمياً ، والالتفات

أشكل وأولى بمعناه ، ومنزلة الالتفات في وسط البيت كمنزلة الاستطراد في آخر البيت ، وإن كان ضده في التحصيل ؛ لأن الالتفات تأتي به عفواً وانهازاً ، ولم يكن لك في خلدٍ فتقطع له كلامك ، ثم تصله بعد إن شئت ، والاستطراد تقصده في نفسك ، وأنت تحميد عنه في لفظك حتى تصل به كلامك عند انقطاع آخره ، أو تلقيه إلقاء وتعود إلى ما كنت فيه .

وقد جاء الالتفات في آخر البيت نحو قول امرئ القيس :  
 أبعَدَ الحارثِ الملكِ بن عمرو له ملكُ العراقِ إلى عمان  
 نجاوَرَةَ بنى شَمَجَى بن جَرَمٍ هواناً ما أتيج من الهوان  
 ويمنعها بنو شَمَجَى بن جرمٍ مَعِيزَهُمْ ، حنانك ذا الحنان  
 فقوله \* ما أتيج من الهوان \* وقوله \* حنانك ذا الحنان \* الالتفات  
 وحكى عن إسحاق الموصلي أنه قال : قال لي الأصمعي : أتعرف التفات جرير؟  
 قلت : وما هو؟ فأشدني

أُنسى إذ تُودِّعنا سليبي بعدِ بِشَامَةٍ ، سُمِّيَ البِشَامُ  
 ثم قال : أما تراه مقبلا على شعره ، إذ التفت إلى البشام فدعا له ، وأنشد له  
 عبد الله بن المعتز :

متى كان الخيامُ بذى طلوحٍ سُقِيتِ العَيْثُ أيتها الخيامُ .  
 وأنشد له أيضا ابن المعتز :

طَرَبَ الحمامِ بذى الأراكِ فهاجني لا زلتَ في غللي وأُبكِ ناضِرِ  
 لم يعد ابن المعتز إلا ما كان من هذا النوع ، وإلا فهو اعتراض كلام في كلام  
 وقد أحسن ابن المعتز في العبارة عن الالتفات بقوله « هو انصراف المتكلم من الإخبار إلى المخاطبة ، ومن المخاطبة إلى الإخبار » وتلا قوله تعالى : ( حتى إذا كنتم في الملكِ وَجَرَينَ بِهِمْ بريحٍ طيبةٍ ) .

وأنشد غيره لأبي عطاء السندي يرثي يزيد بن عمر بن هبيرة :

وإنك لا تبتعدُ على متعهدٍ بلى كلُّ مائحت الترابِ بعيد  
وهذا هو الاستدراك، ومثله قول زهير :

حَيُّ الديارِ التي لم يبيلها القدم بَلَى ، وَغَيْرَهَا الأرواحُ والدَّيَمُ  
وكذلك قول جرير :

غداً بأجماعِ الحى تُفَضِّي لُبَانَهُ فَأَقْسَمُ لَا تُفَضِّي لِبَاتِنَا غداً  
وأشدد ابن المعتز في هذا النوع ، وهو لبشار :

نبتت فاضح قومه يغتابني عند الأمير ، وَهَلْ عَلَى أميرٍ؟  
ومن مليح ماسمته قول نصيب :

وددتُ - ولم أخلق من الطير - أننى أعارُ جَنَاحِي طائرَ فأطيرُ  
فقوله \* ولم أخلق من الطير \* عجب ، ولما سمعتِ التي قيل فيها هذا البيت  
تنفست تنفساً شديداً ، فصاح ابن أبي عتيق : أوه قد والله أحبته بأحسن من شعره ،  
والله لو سمعتك لتعقَ وطار ، فجعله غراباً لسواده .

وأشدد الصولي للعباس بن الأحنف :

قد كنت أبكى وأنتِ راضيةٌ حذارَ هذا الصدودِ والغضبِ  
إن تم ذا المهجر يا ظلم ، فلا تم ، فما في العيش من أربِ  
وقال : سمعت ثعلباً يقول : ما رأيت أحداً إلا وهو يستحسن هذا الشعر .  
ومن المليح أيضاً قول التحيف<sup>(١)</sup> بن سليمان العقيلي :

أمنكم يا حنيف - نعم لعمرى - لِحَى مَحْضُوبَةٌ ودمٌ سَجَالُ

يخاطب ابنه . . وقال عدى بن زيد العبادى وهو فى حبس النعمان يخاطب  
ابنه زيدا ويحرضه :

فلو كنتَ الأسيرَ ، ولا تَكُنْهُ ، إِذَا عَلِمْتَ مَعَدَّ ما أقول

(١) فى عامة الأصول « التحيف » بالنون ، وهو تحريف .

## (٥٥) - باب الاستثناء

تسميته وحده وابن المعتز يسميه توكيد المدح بما يشبه الدم ، وذلك نحو قول النابغة  
الذياني :

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنْ سَيُوفِهِمْ      بَيْنَ فُلُولٍ مِنْ قِرَاعِ الْكُتَابِ  
فَجَعَلَ فُلُولَ السَّيْفِ عَيْبًا ، وَهُوَ أَوْ كَدٌ فِي الْمَدْحِ . .  
وقال النابغة الجعدي :

فَتَى كَمَلَتْ أَخْلَاقَهُ غَيْرَ أَنَّهُ      جَوَادٌ فَمَا يُبْقِي مِنَ الْمَالِ بَاقِيَا  
فاستثنى جوده الذي يستأصل ماله ، بعد أن وصفه بالكمال . وبهذا الاستثناء  
ثم وزاد كمالاً وتأكد حسنه . .  
وكذلك قوله :

فَتَى تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ      عَلَى أَنْ فِيهِ مَا يَسُوءُ الْأَعَادِيَا  
فكأنه لما كان فيه ما يسوء أعياده لم يطلق عليه أنه يسر فقط ، وذلك زيادة  
في الحاح ، وليس هذا الاستثناء على ما رتبته النحويون فتطلبه بحروف الاستثناء  
المعروفة ، وإنما سمي اصطلاحاً وتقريباً ، سماه هؤلاء المحدثون نحو الحاتمي وأصحابه  
ولم يسم حقيقة . .

ومن مליح هذا النوع قول أبي هفان [و] قد تقدم به وجود غاية التجويد :

وَلَا عَيْبَ فِينَا غَيْرَ أَنْ سَمَّاحِنَا      أَضْرَبْنَا ، وَالْبَأْسُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ  
فَأَفْنَى الرَّدَى أَرْوَاحَنَا غَيْرَ ظَالِمٍ      وَأَفْنَى النَّدَى أَمْوَالَنَا غَيْرَ عَائِبِ

فقوله إن السماح والبأس أضرب بهم ليس بعيب على الحقيقة ، ولكن توكيد  
مدح ، والمليح كل المليح قوله « غير ظالم ، وغير عائب » فهذا الثاني أعجب من  
الأول وألطف موقعا . . وقال آخر :

من مليح  
هذا النوع



ولا عيبَ فينا غيرُ عِرْقٍ لمعشرِ كِرَامٍ ، وأنا لا نخطُّ على النمل<sup>(١)</sup>  
 قفصر من جهة قوله \* غير عرق لمعشر كرام \* لأن سبيل هذا الباب أن يؤثر  
 فيه بما يظن أنه عيب أو تقصير ، وإن كان على التحصيل فخرًا وفضلًا ، كالفُلُول في  
 سيوف النابغة الذبياني ، وإتلاف المال في شعر الجعدي ، وترك الخط على النمل في شعر  
 لآخر وأنهم لا يشفون صاحبها ، وهي داء واحدتها النملة ، وأما ذكر السكرم فلا  
 وجه له ههنا .

ومن هذا الباب قول ابن الرومي :

أَيْسَ لَهُ عَيْبٌ سِوَى أَنَّهُ لَا تَقَعُ الْعَيْنُ عَلَى شِبْهِهِ  
 فجعل أفراداه في الدنيا بالحسن دون أن يكون له قرين يؤسه عيباً ؛ فهو  
 يزيد توكيد حسنه .

وقال حاتم الطائي :

وَمَا تَتَشَكَّى جَارِيَّ غَيْرَ أَنْتِي إِذَا غَابَ عَنْهَا بَعْلُهَا لَا أُرُورُهَا

(١) قال ابن منظور : « النمل : قروح في الجنب وغيره ، ودواؤه أن يرقى  
 بريق ابن الجبوسى من أخته ، تقول المجوس ذلك . . . ثم أشد هذا البيت . .  
 أئى : لسنا بمجوس نسكرح الأخوات . قال أبو العباس : وأنشدنا ابن الأعرابي  
 هذا البيت ، وفسره أنا كرام ولانأى بيوت النمل في الجذب لنحفر على ما جمع لنا كله  
 . . . وقال الجوهري : النمل : بثور صغار مع ورم يسير ثم يتقرح فيسقى  
 ويتسع ، ويسمى الأطباء الدناب ، وتقول المجوس : إن ولد الرجل إذا كان من  
 أخته ثم خط على النملة شفى صاحبها . وفي الحديث : « لارقية إلا في ثلاث : النملة  
 والحمة والنفس » اه كلامه بحروفه . والتفسير الذى ذكره أولاً ثم نقله بعد عن  
 الجوهري هو المطابق لما ذكره المؤلف هنا ، وهو للموافق لقول الشاعر \* غير  
 عرق لمعشر كرام \* فإنهم كانوا يعدون غير العرب ليسوا من الكرام في شيء ،  
 ومنه تعلم أن اعتبار المؤلف ذكر السكرم مما لا وجه له في الكلام غير سديد ، هذا  
 وفي رواية ابن منظور للبيت \* غير نسل لمعشر \* ورواية المؤلف أقرب .

سِيلِنَعَهَا خَيْرِي وَيَرْجِعُ أَهْلَهَا لَهَا وَلَمْ تُفَصِّرْ عَلَى سَتُورِهَا  
لما كان في ترك الزيارة إشكالاً بيّن مراده .  
ومن أصحاب التأليف من يعد في هذا الباب ما ناسب قول الشاعر :  
فَأَصْبَحْتُ مِمَّا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا سَوَى ذِكْرِهَا كَالْقَابِضِ الْمَاءِ بِالْيَدِ  
وقال الربيع بن ضبيع الفزاري :  
فَنَيْتُ وَمَا يَفْنَى صَنِيعِي وَمَنْطِقِي وَكُلُّ أَمْرِي إِلَّا أَحَادِيثَهُ فَأَنِي  
وليس من هذا الباب عندي ، وإنما هو من باب الاحتراس والاحتياط ؛ فلو  
أدخلنا في هذا الباب كل ما وقع فيه استثناء لطلال ، ونلجنا فيه عن قصده وغرضه  
ولكل نوع موضع .

## (٥٦) - باب التميم

وهو التمام أيضاً ، وبعضهم يسمى ضرباً منه احتراساً واحتياطاً .  
ومعنى التميم : أن يحاول الشاعر معنى ، فلا يدع شيئاً يتم به حسنه إلا أورده  
وأتى به : إما بالغة ، وإما احتياطاً واحتراساً من التقصير ، وينشدون بيتاً<sup>(١)</sup> طرفه :  
فَسَقَى دِيَارَكَ غَيْرَ مُفْسِدِهَا صَوَّبَ الرَّبِيعَ وَدِيمَةَ تَهْمِي  
لأن قوله غير مفسدها\* تميم للمعنى ، واحتراس للديار من الفساد بكثرة المطر .  
ومثله قول جرير :

حد  
التميم

(١) من قصيدة له يهدد فيها للسيب بن علس الشاعر ، ويمدح قتادة بن مسلمة  
الحنفي ، وقبله بأربعة أبيات :

أبلغ قتادة غير سائله منى الثواب وعاجل الشك  
والشك : العوض والجزاء ، وفتادة هذا من أجواد العرب ، وكان يقال له :  
غيث الضريك ، وكان قوم لرفقة قد أصابهم سنة فأنوه فأحسن عطيتهم .

فسقائك - حيث حلت غير فقيدة - مَزَجُ الرَوَاحِ وَدِيمَةٌ لَا تُقْلِعُ  
 فقوله \* غير فقيدة \* تتميم لما أراد من دنوها وسقيها غير راحلة ولا ميتة  
 إذ كانت العادة أن يدعى للغائب الميت بالسقى ؛ فاحترس من ذلك .  
 وقد عاب قدامة على ذى الرمة قوله :

أَلَا يَا سَلَمِي يَا دَارَمِي عَلَى الْبَيْلِي وَلَا زَالَ مُنْهَلًا بِمَجْرَعَاتِكَ الْقَطْرِ  
 فإنه لم يحترس كما احترس طرفه ، فرد ذلك عليه بأن الشاعر قدم الدعاء  
 بالسلامة للدار في أول البيت ، وهذا هو الصواب . . وقال زهير :  
 مِنْ يَلْقَى يَوْمًا كَلَىٰ عِلَاتِهِ هَرَمًا يَلْقَى السَّمَاحَةَ مِنْهُ وَالنَّدَىٰ خُلُقًا  
 قوله \* على علاته \* مبالغة وتتميم عجيب .

من التتميم  
 في القرآن  
 الكريم  
 والأصل في هذا قول الله عز وجل : ( وَيَطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا  
 وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ) فقوله ( على حبه ) هو التتميم والمبالغة في قول مَنْ قَالَ إِنَّ الْمَاءَ ضَمِيرُ  
 الطَّعَامِ ، وَإِنْ كَانَ كِنَايَةً عَنِ اللَّهِ تَعَالَىٰ خَرَجَ الْمَعْنَىٰ عَنِ هَذَا الْبَابِ ، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ  
 اسْمُهُ : ( مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ )  
 فتتم بقوله - ( وهو مؤمن ) - .

من أمثلة التتميم  
 في الشعر

ومن أناشيد قدامة والحاتمي وغيرها قول نافع بن خليفة الغنوي :  
 رَجَالٌ إِذَا لَمْ يُقْبَلِ الْحَقُّ مِنْهُمْ وَيَعْطَوْهُ عَادُوا بِالسِّيُوفِ الْقَوَاضِبِ  
 قال الحاتمي : فإن المعنى تم بقوله « ويمطوه » وإلا كان ناقصا .  
 ويمجرى مجراه عندى قول عنتره العبسي :

أَتْنِي عَلَىٰ كَمَا عَلِمْتَ فَإِنِّي سَهْلٌ تُخَالَفْتِي إِذَا لَمْ أُظْلَمْ

فقوله \* إذا لم أظلم \* تتميم حسن .

وقال آخر :

فَلَا تَبْعِدْنِي لِأَمْنِ السُّوءِ ؛ إِنِّي إِلَيْكَ وَإِنْ شَطَّتْ بِكَ الدَّارُ نَازِعٌ

فاستثناؤه « السوء » تميم واحتراس جيد .

وقال أبو الطيب بن الوشاء :

لئن كان باقي عيشنا مثل مأمضى فللموت إن لم ندخل النار أروح

وقال سُرّاقه البارقي يهجو رهط جرير :

صغارٌ مقاريهم عظامٌ جمورهم بطلا عن الداعي، إذا لم يكن أكلًا<sup>(١)</sup>  
كأنه قال إذا لم يكن المدعو إليه أكلًا .

وقال مربع بن وعودة الكلابي وقد قتل رجلا نَهْشَلِيَا :

وقلت لأصحابي : النَّجَاءُ ؛ فإِنَّمَا مع الصبح - إن لم نَسْبِقُوا - جَمْعُ نَهْشَلٍ

ويجري على هذه الأناشيد قول ابن محكان السعدي حين قدم للقتل :

ولست وإن كانت إلى حبيبة بياك على الدنيا إذا ماتت

فاستثنى \* وإن كانت إلى حبيبة \* استثناء مليحا ، وبوي التقديم والتأخير ؛

فلذلك جاز له أن يأتي بالضمير مقدما على مُظْهَرِه ، هكذا قال فيه أبو العباس المبرد ،

ومن التميم الحسن قول امرئ القيس :

على هيكل يعطيك قبل سؤاله أفانين جري غير كز ولا واني

فقوله \* قبل سؤاله \* تميم حسن لقوله « أفانين جري » وقول أعشى باهلة<sup>(٢)</sup> :

\* وكل أمر سوى الفحشاء ياتمر<sup>(٣)</sup> \*

يقول : هو يدبر كل شيء سوى الفحشاء فإنه لا يدبرها .

(١) المقاري : جمع مقرى - بكسر الميم وسكون القاف وبعد الراء ألف

مقصورة - وهو إناء يقرى فيه الضيف ، ويقال لاجفنة مقراة ، وقال ابن الأعرابي :

المقاري : القدور ، وجعورهم : أراد أستاذهم ، وعظم الاست مما يتهاجى به العرب .

(٢) يرثي أخاه لأمه المنتشر بن وهب الباهلي ، وكان بنو نفيل قد قتلوه .

(٣) لا يصعب الأمر إلا ريث يركبه \* ولا يصعب الأمر : لا يجده

صعبا .

## (٥٧) — باب المبالغة

آراء الناس  
في المبالغة

وهي ضروب كثيرة . والناس فيها مختلفون : منهم من يؤثرها ، ويقول بتفضيلها ، ويراها الغاية القُصوى في الجودة ، وذلك مشهور من مذهب نابغة بني ذبيان ، وهو القائل : أشعر الناس من استجيد كذبه ، وضحك من رديته ، هكذا أعرفه ، ورأيت بخط جماعة - منهم عبد الكريم والباغانى - من استجيد جيده ومطابقه وضحك من رديته . وروى قوم من حديث النابغة ومطالبتة حسان ابن ثابت بالمبالغة ونسبته إياه إلى التقصير في قوله :

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْعَرُءُ يَلْمَعْنَ بِالضُّحَى وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمًا

• ما هو مشهور عندهم مشهور في كتبهم ، ومنهم من يعيبها وينكرها ، ويراها عيباً وهجئة في الكلام ، قال بعض الخذاق بنقد الشعر : المبالغة ربما أحالت المعنى ، ولَبَّسَتْهُ عَلَى السَّامِعِ ؛ فليست لذلك من أحسن الكلام ولا أفره ، لأنها لا تقع موقع القبول كما يقع الاقتصاد وما قاربه ؛ لأنه ينبغي أن يكون من أهم أغراض الشاعر والمتكلم أيضاً الإبانة والإفصاح ، وتقريب المعنى على السامع ؛ فإن العرب إنما فَضَّلَتْ بالبيان والفصاحة ، وحلا منطقتها في الصدور وقبلته النفوس لأساليب حسنة ، وإشارات لطيفة ، تكسبه بيانا وتصوره في القلوب تصويراً ، ولو كان الشعر هو المبالغة لكانت الحاضرة والمحدثون أشعر من القدماء ، وقد رأيناهم احتالوا للكلام حتى قربوه من فهم السامع بالاستعارات والمجازات التي استعملوها ، وبالتشكك في الشبهين ، كما قال ذو الرمة :

فِيَاظْمِيَةَ الْوَعَسَاءِ بَيْنَ جَلَاجِلٍ وَبَيْنَ النَّقَا آ أَنْتِ أُمُّ أُمَّ سَالِمٍ

فلو أنه قال \* أنت أم سالم \* على نفي الشك بل لو قال « أنت أحسن من  
الظبية » لما حل من القلوب محل التشكك . وكما قال جرير :

فإنك لو رأيت عبيدَ تيمٍ      وتيمًا قلت : أيهمُ العبيدُ

فلو قال « عبيدكم » أو « خير منهم » لما ظن به الصدق ، فاحتمال في تقريب  
المشابهة ؛ لأن في قربها لطافة تقع في القلوب وتدعو إلى التصديق .

وكذلك قول أبي النجم يصف عرق الخليل :

كأنه من عرقِ يسرِّبلُهُ      ككُرسفِ الندافِ لولا بَلَلُهُ<sup>(١)</sup>

فإنه لو قال « إنه الكرسف » لم يكن في حسن هذا ؛ لأنه يشهد بتقارب  
الشبهين إلى أن أوقع في الشك . . والمبالغة في صناعة الشعر كالاستراحة من  
الشاعر إذا أعياه إيراد معنى حسن بالغ فيشغل الأسماع بما هو محال ، ويهول مع  
ذلك على السامعين ، وإنما يقصدها من ليس بمتمكن من محاسن الكلام أن  
تمكنه ، ولا يتعذر عليه ، وتنجذب كلما أرادها إليه ، انقضى كلامه .

وفيه كفاية و بلاغ ، إلا أنه - فيما يظهر من نحوه - لم يرد إلا ما كان فيه بُعد ،  
وليس كل مبالغة كذلك ، ألا ترى أن التتميم إذا طلبت حقيقته كان ضرباً من  
المبالغة وإن ظهر أنه من أنواع الحشو المستحسن ، وقد مر ذكره . وكذلك ما ناسب  
قول ابن المعتز يصف خيلاً :

صَبَبْنَا عَلَيْهَا ظَالِمِينَ سَيَاطِنَا      وَطَارَتْ بِهَا أَيْدٍ سِرَاعٍ وَأَرْجُلُ<sup>(٢)</sup>

وهذا عند جميع الناس من باب الحشو ، وهو عندى مبالغة ، وكذلك  
الإيغال ، وسيرد في باب إن شاء الله .

(١) الكرسف - بضم الكاف والسين بينهما راء مهله ساكنة - القطن ،  
وهو الكرسوف أيضاً ، وواحدته كرسفة . والنداف : الذى يضرب القطن بالندف  
(٢) انظر ص ٦٩ الآتية .

التقصي  
من المبالغة  
وحده

فن أحسن المبالغة وأغربها عند الخذاق : التقصّي ، وهو بلوغ الشاعر أقصى ما يمكن من وصف الشيء ، كقول عمرو بن الأيهم التغلبي :

وُنُكْرِمُ جَارَتَنَا مَا دَامَ فِيْنَا وَنُنْبِعُهُ الْكِرَامَةَ حَيْثُ كَانَا  
فَتَقَصَّى بِمَا يُمْكِنُ أَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ فِتْمَاعَاهُ وَوَصَفَ بِهِ قَوْمَهُ .

ترادف  
الصفات

ومن أغربها أيضاً ترادف الصفات ، وفي ذلك تهويل مع صحة لفظ لا تحيل معنى ، كقول الله تعالى : ( أو كظلماتٍ في بَحْرِ جَلِيٍّ يَعْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ، ظلماتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ) .

الغلو

فأما الغلو فهو الذي ينكره مَنْ ينكر المبالغة من سائر أنواعها ، ويقع فيه الاختلاف لا ما سواه مما بينت ، ولو بطلت المبالغة كلها وعييت لبطل التشبيه وعييت الاستعارة ، إلى كثير من محاسن الكلام : فن أبيات المبالغة قول امرئ القيس :

كَأَنَّ الْمَدَامَ وَصَوْبَ الْغَامِ وَرِيحَ الْخُرَاصِي وَنَشْرَ الْقَطْرِ<sup>(١)</sup>  
يُعَلِّئُ بِهِ بَرْدُ أُنْيَابِهَا إِذَا غَرَّدَ الطَّائِرُ الْمُسْتَحِرَّ

فوصف فاتها بهذه الصفة سَجَرًا عند تغير الأفواه بعد النوم ، فكيف تظنها في أول الليل ؟ ومثل ذلك قوله يصف ناراً وإن كان فيه إغراق :

نَظَرْتُ إِلَيْهَا ، وَالنَّجُومُ كَأَنَّهَا مَصَابِيحُ رُهْيَانٍ ، تُشَبُّ لِقْفَالِ

يقول : نَظَرْتُ إِلَى نَارِ هَذِهِ الْمَرْأَةِ تُشَبُّ لِقْفَالِ وَالنَّجُومُ كَأَنَّهَا مَصَابِيحُ

رُهْيَانٍ ، وَقَدْ قَالَ :

(١) في عامة الأصول « نشر العطر » بالعين المهملة ، وهو تصحيف دعا إليه ذكر النشر ، وإنما هو « نشر القطر » بقاف مثناة . والقطر - بضم فسكون وبضمتين - العود الذي يتخرجه ، وقد قطر ثوبه - بتضعيف الطاء - وقطرت الجارية

تَنَوَّرَتْهَا مِنْ أَذْرِعَاتِ وَأَهْلِهَا بِيَّتْرِبَ أَدْنَى دَارِهَا نَظَرَ عَالٍ (١)  
 وبين المسكانين بُعْدُ أَيَّامٍ ، وإنما يرجع الثَّقَالُ من الغزو والغارات وَجْهَ  
 الصباح ؛ فإذا رأوها من مسافة أيام وجه الصباح وقد خد سَنَّاها وَاكَلَّ موقدها  
 فكيف كانت أول الليل ؟!! وشبه النجوم بمصابيح الرهبان ؛ لأنها في السحر  
 يضعف نورها كما يضعف نور المصابيح الموقدة ليلاً أجمع ، لاسيما مصابيح الرهبان ؛  
 لأنهم يكلون من سحر الليل فرجما نعسوا ذلك الوقت ، وهذا مما أورده شيخنا  
 أبو عبد الله .

وقال امرؤ القيس يصف فرساً :

لَهَا ذَنْبٌ مِثْلُ ذَيْلِ الْعُرُوسِ تَسُدُّ بِهِ فَرْجَهَا مِنْ دُبُرٍ  
 أراد طوله ؛ لأن العروس تجر ذيلها إما من الحياء وإما من الخيلاء .

وزعم الجاحظ أن قول غيلان ذى الرمة :

وَلَيْلٍ كَجَلْبَابِ الْعُرُوسِ أَدْرَعَتْهُ بِأَرْبَعَةٍ وَالشَّخْصُ فِي الْعَيْنِ وَاحِدٌ  
 أراد به سُبُوغُه لالونه ، وأكثر الناس على خلاف قوله ، وأنا أرى أن هذا  
 كقول عوف بن عطية بن الخريج التيمي من تيم الرباب يصف خيلاً :  
 وَجَلَّلَانَ دَمْحًا قَنَاعَ الْعُرُوسِ تَدْبِي عَلَى حَاجِبَيْهَا الْخِمَارًا

«دَمْحٌ» : جبل بعينه ، فأراد أن الخليل كسونه قناعاً من الغبار هذه صفة .  
 ومن مُعْجِزِ المبالغة قول الله عز وجل : ( سِوَاكَ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَعَ الْقَوْلَ وَمَنْ  
 جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ) فجعل من يُسِرُّ القولَ كن  
 يجهر به ، والمستخفي بالليل كالسارب بالنهار ، وكل واحد منهما أشد مبالغة في  
 معناه وأتم صفة .

(١) انظر ص ٦٢ الآتية .



## (٥٨) - باب الإيغال

وهو ضرب من المبالغة كما قدمت ، إلا أنه في القوافي خاصة لا يَعدُّوها ،  
والخاتمي وأصحابه يسمونه التبليغ ، وهو تفعيل من بلوغ الغاية ، وذلك يشهد  
بصحة ما قلته ، ويدل على ما رتبته .

صفة أشعر  
الناس

وحكى الخاتمي عن عبد الله بن جعفر عن محمد بن يزيد اللبردي قال : حدثني  
التوزي قال : قلت للأصمعي : مَنْ أشعر الناس ؟ قال : الذي يجعل المعنى الخسيس  
بلفظه كبيراً ، أو يأتي إلى المعنى الكبير فيجعله خسيساً ، أو ينقضي كلامه قبل  
القافية ، فإذا احتاج إليها أفاد بها معنى ، قال : قلت : محو من ؟ قال : نحو  
الأعشى إذ يقول :

كَنَاطِحِ صَخْرَةٍ يَوْمًا لِيَقْلِقَهَا      فَلَمْ يَضِرْهَا وَأَوْهَى قَرْنَهُ الرَّعْلُ  
فقد تم الثـ قبل بقوله : وأوهى قرنه ، فلما احتاج إلى القافية قال « الوعل »  
قال : قلت : وكيف صار الوعل مفضلاً على كل ما ينطح ؟ قال : لأنه ينحط  
من فُتَّةِ الجبل على قرنه فلا يضيره ، قال : قلت : ثم محو من ؟ قال : [نحو] ذى الرمة  
بقوله :

قِفِ الْعِمِيسَ فِي أَطْلَالِ مَيْتَةٍ وَأَسْأَلِ      رُسُومًا كَأَخْلَاقِ الرَّذَاءِ الْمُسَلْسَلِ  
فتم كلامه ، ثم احتاج إلى القافية فقال « المسلسل » فزاد شيئاً ، وقوله :  
أظنُّ الذي يجدى عليك سؤاها      دموعاً كتبديدِ الجمانِ الْمُفَصَّلِ  
فتم كلامه ، ثم احتاج إلى القافية فقال « المفصل » فزاد شيئاً أيضاً .

أول من  
ابتكر هذا  
النوع

وليس بين الناس اختلاف أن اسماً القيس أول من ابتكر هذا المعنى  
بقوله يصف الفرس :

إِذَا مَا جَرَى شَاوِينَ وَابْتَلَّ عِطْفَهُ      تَقُولُ هَزِيذَ الرِّيحِ مَرَّتَ بِأَنْجَابِ  
فبالغ في صفته ، وجعله على هذه الصفة بعد أن يجرى شأوين ويبتلَّ عطفه

بالعرقِ ، ثم زاد إيغالا في صفته بذكر الأناب ، وهو شجر الريح في أضعاف  
أغصانه حفيفٍ عظيمٍ وشدة صوت ، ومثل ذلك قوله :  
كَأَنَّ عُمُونَ الطَّيْرِ حَوْلَ خِيَابِنَا وَأَرْحُلِنَا الْجَزَعُ الَّذِي لَمْ يُثَقِّبِ  
فقوله « لم يثقب » إيغال في التشبيه ، واتبعه زهير فقال :

كَأَنَّ فُتَاتَ الْعَهَنِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ نَزَلْنَ بِهِ حَبُّ الْفَنَاءِ لَمْ يُحْطَمِ  
فأوغل في التشبيه إيغالا بتشبيهه ما يتناثر من فتات الأرجوان بحب الفناء  
الذي لم يحطم ؛ لأنه أحمر الظاهر أبيض الباطن ، فإذا لم يحطم لم يظهر فيه بياض  
البتة ، وكان خالص الحرة ، وتبعهما الأعشى فقال يصف امرأة :

غَرَاهُ فَرَعَاهُ مَصْفُورٌ عَوَارِضُهَا تَمْشِي الْهُوَيْنَا كَمَا يَمْشِي الْوَجِي الْوَحْلُ  
فأوغل بقوله « الوحل » بعد أن قال « الوجي » وكذلك قوله « الوعل »<sup>(١)</sup>  
وكان الرشيد كثير العجب بقول صريع الغواني :

إِذَا مَا عَلَتْ مِنَّا ذُوَابَةَ شَارِبٍ تَمْشَتْ بِهِ مَشْيَ الْمُقِيدِ فِي الْوَحْلِ  
ويقول : قاتله الله! ما كفاه أن جعله مقيداً حتى جعله في وحل ، وأنا أقول :  
إنه بيت الأعشى<sup>(١)</sup> بعينه .

ومن الإيغال قول الطرمّاح العقيلي يصف فرساً بسعة المنخر :  
لَا يَكْتُمُ الرَّبْوَ إِلَّا رَبِيثٌ يَخْرُجُهُ مِنْ مَنَخِرٍ كَوِجَارِ الثَّعْلِبِ الْخَرْبِ  
فكونه كوجار الثعلب غاية في المبالغة ، فكيف إذا كان خرباً ؟ .

ومن الإيغال الحسن قول الخنساء :  
وَإِنَّ صَخْرًا لَتَأْتُمُّ الْهُدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عِلْمٌ فِي رَأْسِهِ نَارٌ  
فبالغت في الوصف أشد مبالغة ، وأوغلّت إيغالا شديداً بقولها « في رأسه  
نار » بعد أن جعلته علماً ، وهو الجبل العظيم .

وأنشد الجاحظ :

أَلْوِيَّ حِيَازِمِي بَهَنَ صَبَابَةً كَمَا تَتَلَوَّى الْحِيَةَ الْمُنْتَشِرِقُ

(١) في البيت الذي أنشده المؤلف أول التمثيل لهذا النوع .

فقوله « الحية المشرق » إيغال ؛ لأنه أشد لتلويّه .

وكذلك قول جرير :

بات الفرزدق عائراً وكأنه قَعَوُ تعاوره السقاةُ معار  
وإذا كان مُعاراً كان أشد لاستعماله وأقل للتحفظ عليه .

وقال النجاشي يذكر عبد الرحمن بن حسان :

لما أتاني ما يقول ودونه مسيرة شهرٍ للمطى المُفردِ  
فأوغل بقوله « المفرد » إيغالا عجيبياً ؛ لأنه أشير من الحمل .

وقال جميل :

إني لأكتمُ حبها إذ بَعْضُهُمْ فيمنُ يجبُ كفاشِدِ الأغفالِ  
« الناشد » طالب الضالة ، وإذا كانت غُفلاً ليس فيها سِمةٌ كان أشد

للبحث عليها ، وأكثر للسؤال والذكر .

ومن أحسن إيغال المحدثين قول مروان بن أبي حفصة :

هم القوم: إن قالوا أصابوا ، وإن دُعوا أجابوا ، وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا  
فقوله « وأجزلوا » قد أتى به في نهاية الحسن .

وكذلك قول بشار بن برد :

وغَيْرَان من دون النساء كأنه أسامة ذو الشَّبْلَيْنِ حين يجوع

فقوله « حين يجوع » إيغال حسن .

وقال ابن المعتز :

وداع دعا والليلُ بيني وبينه فكنتُ مكان الظن منه وأعجلا

فقوله « وأعجل » زيادة وصف ، وإيغال ظاهر .

وقال أبو الطيب في رثاء أم سيف الدولة :

مَشَى الأُمراء حَوَليَتِها حُفَاةً كأنَّ المَرَوَّ من زِفِّ الرِّثالِ

« فالزف » : أصغر الريش وأمينه ، ولا سيما ريش النعام ، ولم يرض بذلك

حتى جعله زف الرثال ، شبه به المرو - وهو ما صغر من الحصى وحد - فهذا فوق

كل مبالغة وإيغال .

ومن هذا نوع يسمى الاستظهار ، وهو قول ابن المعتز لابن طباطبأ العلوي  
أو غيره :

من الإيغال  
الاستظهار

فَأَنْتُمْ بَنُو بَيْتِهِ دُونَنَا وَنَحْنُ بَنُو عَمِّ الْمُسْلِمِ

فقوله « المسلم » استظهار ؛ لأن العلوية من بني عم النبي عليه الصلاة والسلام  
أبضا أعنى أبا طالب ومات جاهليا، فكأن ابن المعتز أشار بمجذقه إلى ميراث الخلافة.  
وليس بين الإيغال والتميم كبير فرق ؛ إلا أن هذا في القافية لا يعدوها ،  
وذلك في حشو البيت .

واشتقاق الإيغال من الإبعاد ، يقال : أوغل في الأرض ، إذا أبعده ، فيما  
حكاه ابن دريد ، وقال : وكل داخل في شيء دخول مستعجل فقد أوغل فيه  
وقال الأصمعي في شرح قول ذي الرمة :

اشتقاق  
الإيغال

كَأَنَّ أَصْوَاتَ مَنْ إِيغَالِهِنَّ بِنَا أَوْ آخِرِ الْمَيْسِ أَصْوَاتُ الْفَرَارِيِّجِ

الإيغال : سرعة الدخول في الشيء ، يقال : أوغل في الأمر ، إذا دخل فيه  
بسرعة ، فعلى القول الأول كأن الشاعر أبعده في المبالغة وذهب فيها كل الذهاب ،  
وعلى القول الثاني كأنه أسرع الدخول في المبالغة بمبادرته هذه القافية .  
وكما [أ] كثرت من الشواهد في باب فيما أريد بذلك تأنيس المتعلم وتجسيره على  
الأشياء الزائفة . ولأريه كيف تصرف الناس في ذلك الفن ، وقلّبوا تلك المعاني والألفاظ

### (٥٩) — باب الغلو

ومن أسمائه أيضا الإغراق ، والإفراط ، ومن الناس من يرى أن فضيلة  
الشاعر إما هي في معرفته بوجوه الإغراق والغلو ، ولأرى ذلك إلا محالاً ؛ لمخالفته  
الحقيقة ، وخروجه عن الواجب والمتعارف . . وقد قال الحدائق : خير الكلام  
الحقائق ، فإن لم يكن فما قاربها وناسبها ، وأنشد المبرد قول الأعشى :

أسمائه  
وميزته

فَلَوْ أَنَّ مَا أَبَقَيْنَ مِنْ مَعْلُوقٍ بَعُودٍ مُتَمَامٍ مَا تَأَوَّدَ عُوْدَهَا  
 فقال : هذا متجاوز ، وأحسن الشعر ما قارب فيه القائل إذا شبه ، وأحسن  
 منه ما أصاب الحقيقة فيه ، انتهى كلامه .

وأصح الكلام عندي ما قام عليه الدليل ، وثبت فيه الشاهد من كتاب الله أصح الكلام  
 تعالى ، ونحن نجد أنه قد قرن الغلو فيه بالخروج عن الحق ؛ فقال جل من قائل :  
 ( يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ ) .

والغلو عند قدامة : تجاوز في نعمت ما للشيء أن يكون عليه ، وليس خارجاً عن  
 طباعه ، كقول النمر بن تَوَلَّبٍ في صفة سيف شبه به نفسه :

تَظَلُّ تَحْفَرُ عَنْهُ إِنْ ضَرَبَتْ بِهِ      بعد الذراعين والساقين والهادي

إذ ليس خارجاً عن طباع السيف أن يقطع الشيء العظيم ثم يغوص بعد  
 ذلك في الأرض ، ولأن مخارج الغلو عنده على « تكاد » وعلى هذا تأول أصحاب  
 التفسير قول الله تعالى : ( وَبَلَّغْتَ الْقُلُوبَ الْحَنَاجِرَ ) أي : كادت .

وقال الجرجاني في كتاب الوساطة : الإفراطُ مذهب عام في المحدثين ، وموجود  
 كثير في الأوائل ، والناس فيه مختلفون : من مستحسنين قابل ، ومستقبحين رادٍّ ، وله  
 رسوم متى وقف الشاعر عندها ولم يتجاوز بالوصف حدّها سَلِمَ ، ومتى تجاوزها  
 اتسعت له الغاية ، وأدته الحال إلى الإحالة ، وإنما الإحالة نتيجة الإفراط ، وشعبة  
 من الإغراق .

وقال الخاتمي : وجدت العلماء بالشعر يعيرون على الشاعر أبيات الغلو قول الخاتمي  
 في الغلو والإغراق ، ويختلفون في استحسانها واستهجانها ، ويعجب بعض منهم  
 بها ، وذلك على حسب ما يوافق طباعه واختياره ، ويرى أنها من إبداع  
 الشاعر الذي يُوجِبُ الفضيلة له ، فيقولون : أحسن الشعر أكذبهُ ، وأن الغلو  
 إنما يراد به المبالغة والإفراط ، وقالوا : إذا أتى الشاعر من الغلو بما يخرج عن

الموجود ويدخل في باب المعلوم فإنما يريد به المثل وبلوغ الغاية في النعت ، واحتجوا بقول النابغة - وقد سئل : مَنْ أشعر الناس - فقال : من استجيد كذبه وأضحك رديته ، وقد طعن قوم على هذا المذهب بمنافاته الحقيقة ، وأنه لا يصح عند التأمل والفكرة ، انقضى كلامه .

من أبيات  
الغلو

ومن أبيات الغلو للقدماء قول مهمل :

فَلَوْلَا الرِّيحُ أُنْمِيعَ مِنْ بَحْرِ جُبْرِ صَلِيلِ الْبَيْضِ تُقْرَعُ بِالذُّكُورِ

وقد قيل : إنه أ كذب بيت قالته العرب ، وبين حُخْرٍ - وهي قصبية اليمامة - وبين مكان الوقعة عشرة أيام ، وهذا أشد غلواً من [ قول ] امرئ القيس<sup>(١)</sup> في النار ؛ لأن حاسة البصر أقوى من حاسة السمع وأشد إدراكاً . .  
ومنها قول النابغة في صفة السيوف :

تَقْدُ السُّلُوقِ الْمَضَاعَفَ نَسِجُهُ وَيُوقِدْنَ بِالصَّفَاحِ نَارَ الْجِهَابِ

وهو دون بيت امرئ القيس<sup>(١)</sup> في تنوُّرِ صاحبة النار إفراطاً ، ودون بيت النابغة قولُ المرثد بن تَوَلَّبِ في صفة السيوف أيضاً ، وقد أنشدته فيما مضى من هذا الباب<sup>(٢)</sup> واختار قوم على بيتي النابغة والمرثد قولَ أبي تمام :

وَيَهْتِزُ مِثْلَ السِّيفِ لَوْلَمْ تَسْلُهُ يَدَانِ لَسَلَّتَهُ طُبَاهُ مِنَ الْعَمِيدِ  
ومن الغلو قولُ جرير :

فَلَوْ وُضِعَتْ فِقَاحُ بَنِي نُنَيْرٍ عَلَى خَبِيثِ الْحَدِيدِ إِذَا لَدَابَا

لأنه شيء لا يذوب أبداً ، . وقد نعى على أبي نواس قوله :  
وَأُحْقَتْ أَهْلَ الشُّرْكِ حَتَّى إِنَّهُ لَتَخَافُكَ التُّنْفُ التِّي لَمْ تُخْلَقِ

(١) هو قوله الذي أنشده من قبل ( ص ٥٦ من هذا الجزء ) :

تنورتها من أذرعَات، وأهلها ييثرب ، أدنى دارها نظر عال  
(٢) انظر ص ٦١ السابقة .

إذ جعل ما لم يخلق يخافه . . وكذلك قوله :

حتى "الذي في الرحم لم يك صوراً لفؤاده من خوفه خققان

وزعم بعض المتعجبين أن الذي كثر هذا الباب أبو تمام ، وتبعه الناس بعده ، من غلو النبي وأين أبو تمام مما نحن فيه ؟ فإذا صرت إلى أبي الطيب صرت إلى أكثر الناس غلواً ، وأبعدهم فيه همة ، حتى لو قدر ما أخلى منه بيتاً واحداً ، وحتى تبلغ به الحال إلى ما هو عنه غنى ، وله في غيره مندوحة ، كقوله :

يترشفن من فمي رشقاتٍ هُنَّ فيه أخلى من التوحيدِ

وإن كان له في هذا تأويل ومخرج يجعله التوحيد غاية المثل في الخلاوة بفيه .

وقوله :

لو كان ذو القرنين أعملَ رأيه      لما أنى الظلماتِ صِرْنَ شموسا  
أو كان صادف رأسَ عازرَ سيقه      في يوم معركةٍ لأغيا عيسى  
أو كان ليج البحر مثلَ يمينه      ما انشقَّ حتى جاز فيه موسى

فإدعاه إلى هذا وفي الكلام عوضٌ منه بلا تعلق عليه ؟ فكيف إذا قال :  
كأنِّي دَحَوْتُ الأَرْضَ من خِيَرَتِي بها      كأنِّي بَنَى الإسكندِرُ السدَّ من عزمي

فشبه نفسه بالخالق ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً ، ثم انحط إلى الإسكندر ، وربما أفسد أبو الطيب إغراقه هكذا ونقص منه بما يظنه إصلاحاً له وزيادة فيه ، نحو قوله يصف شعره :

إذا قلته لم يمنع من وصوله      جدارٌ مَعْلَى أو خيلاء مطنب

فأوجه الخيلاء المطنب بعد الجدار المنيف ؟ بينا هو في الثريا صار في الثرى !  
وإنما أراد الحاضرة والبادية ، وكذلك قوله :

تصدُّ الرياحُ الهوجُ عنها مخافةً      ويفزعُ منها الطيرُ أن يلقطَ الحبا

فكم بين خوف الرياح الموج وصدودها ، وبين فرع الطير أن تلتقط الحب؟  
ولاسيا وأفرعُ الطير بهائمته التي تلتقط الحب لضئفها وعدمها السلاح ، وأقل خيال  
أوتمثال يحى مزروعات جمّة ، وقد رجح صاحب الوساطة هذا البيت على قول  
أبي تمام :

قد بثَّ عبدُ الله خوفَ استقامِهِ على الليلِ حتى ما تدبُّ عقاربُه  
فاعتبروا يا أولى الأبصار .

وما يشا كل قول أبي الطيب في ألفاظه قول نصر الخبز أرزى<sup>(١)</sup> :

ذبتُ من الشوقِ فلوزُجِّبِي في مقلةِ النَّائمِ لم ينتبه  
وكانَ لي فيما مضى خاتمٌ فالآنَ لو شئتُ تمنّقتُ بهُ

فبين الإغراق والإغراق بونٌ بعيد واختلاف شديد .

وإذا لم يجد الشاعر بدأ من الإغراق - لحبه ذلك ، ونزوع طبعه إليه - فليكن ذلك  
منه في الندرة ، وبيتا في القصيدة إن أفرط ، ولا يجعل هججيراً كما يفعل أبو الطيب .  
وأحسن الإغراق ما نطق فيه الشاعر أو المتكلم بكاد أو ما شاكلها ، نحو  
كأنّ ولو ولولا ، وما أشبه ذلك مما لم يناسب أبيات أبي الطيب المتقدم ذكرها  
في البشاعة ، ألا ترى ما أعجب قول زهير :

لو كان يقعدُ فوقَ الشمسِ من كرمِ قومٍ بأحسابهم أو مجدِّهم قعدوا  
فبلغ ما أراد من الإفراط ، وبنى كلامه على صحة .

ومما استحسنته الرواة ونص عليه العلماء قول امرئ القيس يصف سناناً :

حملتُ رُدَّ ينيباً كأنَّ شبَّاتهُ سنَّالهبِ لم يتَّصلِ بدُّ خانٍ<sup>(٢)</sup>

أحسن  
الإغراق

(١) المشهور في هذه النسبة « الخبز أرزى » أو « الخبز أرزى » .

(٢) في الديوان « كأن سنانه » وهو المحفوظ ، وهو الموافق لقول المؤلف

« يصف سناناً » .



وإذا نظرت إلى قول أبي صخر:

تَكَادُ يَدِي تَنْدَى إِذَا مَا لَسْتُهَا وَيَنْدُبْتُ فِي أَطْرَافِهَا الْوَرَقُ النَّضْرُ

وقول أبي الطيب:

عَجِبْتُ مِنْ أَرْضِ سَحَابٍ أَكْفَهُمْ مِنْ قَوْقِهَا وَصُخُورُهَا لَا تُورِقُ

لم يخف عنك وجه الحكم فيهما ، على أن في قول أبي الطيب بعض الملاحاة والمخالفة لطبعه في حب الإفراط وقلة المبالاة فيه ؛ إذ كان ممكنا أن يقول: إن الصخور أورقت ، ولغة القرآن أفصح اللغات ، وأنت تسمع قول الله تعالى : ( يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ) وقوله : ( إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ) وقوله : ( يَكَادُ زَيْتُهَا يَضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ )

اشتقاق  
الغلو

واشتقاق الغلو [ من ] المغالة ، ومن غلوة السهم ، وهي مدى رميته ، يقال : غاليت فلانا مغالاة وغلاء ، إذا اختبرتما أيكما أبعث غلوة سهم ، ومنه قول النبي عليه الصلاة والسلام : « جَرَى الْمَذَكِيَّاتِ <sup>(١)</sup> غِلَاءٌ » وقد جاء في حديث داحس « غلاء » و « غلاب » بالباء أيضا ، وإذا قلت : غَلَا السَّعْرُ غِلَاءً ، فإنما تريد أنه ارتفع وزاد على ما كان ، وكذلك غَدَّتِ الْقَدْرُ غَلِيًّا أَوْ غَلِيَانًا ، إنما هو أن يَجِيْشَ مَآوِهَا وَيَرْتَفِعَ ، وَالْإِغْرَاقُ أَيْضًا أَصْلُهُ فِي الرَّمْيِ ، وَذَلِكَ أَنْ تَجْذِبَ السَّهْمُ فِي الْوَتْرِ عِنْدَ التَّنْزِيعِ حَتَّى تَسْتَفْرِقَ جَمِيعَهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ حَنِيَةِ الْقَوْسِ ، وَإِنَّمَا تَفْعَلُ ذَلِكَ لِبَعْدِ الْفَرْضِ الَّذِي تَرْمِيهِ ، وَهَذِهِ التَّسْمِيَةُ تَدُلُّ عَلَى مَا نَحْوَتْ إِلَيْهِ وَأَشْرَتْ نَحْوَهُ .

الإغراق

(٢) المشهور في رواية هذا المثل : « جرى المذكيات غلاب » كما أشار المؤلف إليه ، والمذكية من الخيل : التي قد آتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان ، والغلاب : المغالبة . ومن رواه كالمؤلف أولا « غلاء » بالهمز في آخره فإنما هو جمع غلوة ، يعني أن جريها يكون غلوات ، ويكون شأوها بعيدا ، لا كالجدعان .

## (٦٠) - باب التشكك

وهو من مُلَحِّ الشعر وطَرَفِ الكلام ، وله في النفس حلاوة وحُسْنُ موقع ،  
بمخلاف ما لاخلو والإغراق .

فائدة  
التشكك

وفائدته الدلالة على قرب الشبهين حتى لا يفرق بينهما ، ولا يميز أحدهما من  
الآخر ، وذلك نحو قول زهير :

وَمَا أُذْرِي وَسَوْفَ إِخَالُ أُذْرِي أَقَوْمٌ آلُ حِصْنٍ أُمُّ نِسَاءِ  
فَإِنْ تَسْكُنُ النِّسَاءُ مُخْبِثَاتٍ فَحَقُّ لِكَلِّ مُحْصَنَةٍ هِدَاءِ

فقد أظهر أنه لم يعلم أنهم رجال أم نساء ، وهذا أملح من أن يقول : هم  
نساء ، وأقرب إلى التصديق ؛ ولهذا العلة اختاروه كما تقدم القول في بيت  
ذى الرمة :

أَيَا ظَبِيَّةَ الوَعَسَاءِ بَيْنَ جَلَالِجٍ وَبَيْنَ التَّقَا أَنْتِ أُمُّ أُمِّ سَالِمٍ<sup>(١)</sup>  
وبيت جرير

\* فَإِنَّكَ لَوْ رَأَيْتَ عَيْبِدَ تَيْمٍ<sup>(١)</sup> \*

وبيت أبي النجم في صفة عرق الخليل<sup>(١)</sup> .

وقال العرجي<sup>(٢)</sup> :

بِاللَّهِ يَا ظَبِيَّاتِ القَاعِ قُلْنَ لَنَا لَيْلَى مِنْكُنَّ أُمَّ لَيْلَى مِنَ البَشَرِ<sup>(٢)</sup>

(١) انظر (ص ٥٣ و ٥٤) من هذا الجزء .

(٢) اضطرب العلماء في نسبة هذا البيت ؛ فزعم قوم أنه لمجنون ليلي ، وكأنهم  
اغتروا بذكر ليلي فيه ، وقد بحث جميع ديوانه فلم أجده ، وقد نسبه العيني  
كالمؤلف إلى العرجي ، ونسبه العباسي لأعرابي ولم يسمه ، ونسبه الباخري لبديوي  
سماه كاهلا الثقي ، ونسبه قوم للحسين بن عبد الله ( وانظر حواشينا الممتعة على شرح  
الأشعري ج ١ ص ٢١٣ ) .

ولما سلك طريق ذى الرمة .

وقال سلم بن عمرو الخاسر :

تَبَدَّتْ قَلْتُ الشَّمْسُ عِنْدَ طُلُوعِهَا      بِجِلْدٍ غَنِيٍّ اللَّوْنِ عَنِ أَمْرِ الْوَرَسِ  
فَلَمَّا كَرَّرْتُ الطَّرْفَ قُلْتُ لِصَاحِبِي      عَلَى مِرْيَةٍ : مَا هَا هُنَا مَطْلَعُ الشَّمْسِ

فأنت ترى كيف موقع هذا الشك من اليقين ؟ وكيف حلاوته في الصدر وقبوله ؟ ؟ فإنه لو كان يقيناً ما بلغ هذا المبلغ .

وتناول هذا المعنى أبو زيد الوضاح بن محمد النقفى فقال يمدح المستعين بالله :

وقائلة والليلُ قد نَشَرَ الدُّجَى      فَغَطَّى بِهَا مَا بَيْنَ سَهْلٍ وَقَرَدٍ  
أرى بارِقاً يبدو من الجَوْسِقِ الَّذِي      بِهِ حَلَّ مِيرَاثُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ  
فَطَلَّ عَذَارَى الْحَىُّ يَنْظُنُّ نَحْتَهُ      ظَفَّارِيَةَ الْجَزِيعِ الَّذِي لَمْ يُسْرِدِ  
أضاءتُ به الآفاقُ حتى كأنما      رأينا يَنْصِفِ اللَّيْلَ نَوْرَ ضُحَى الْعَدِ  
فقلتُ : هو البدرُ الَّذِي تَعْرِفِينَهُ      وَإِلَّا يَكُنْ فَالنُّورُ مِنْ وَجْهِ أَحَدِ

وأما قول أبي تمام حين قصد عبد الله بن طاهر إلى خراسان يذكر شكك

وقائه واستبعادهم الطريق :

يَقُولُ فِي قَوْمِ صَحْبِي وَقَدْ أَخَذَتْ      مِنَّا الشَّرَى وَخَطَا الْمَهْرِيَّةَ الْقُرْدِ :  
أَمْطَلَعَ الشَّمْسُ تَبْعِي أَنْ تَوُؤْمَ بِنَا ؟      قُلْتُ : كَلَّا وَلَكِنْ مَطْلَعُ الْجُودِ

فقد صرف المعنى فيه عن وجهه ، وخالف فيه قصده ، ونسب الـ إلى

غيره ، وهو بعيد من قول سلم ، وليس ذكرهما جميعاً مطلع الشمس ذمومة ،

ولا عليه معول . . وقال ابن ميادة :

وَأَشْفَقُ مِنْ وَشَكِّ الْفِرَاقِ وَإِنِّي      أَظُنُّ - لِمَحْمُولٍ عَلَيْهِ فِرَاكِبُهُ  
فوالله ما أدرى : أيعلمنى الهوى      إِذَا جَدَّ جِدُّ الْبَيْنِ أَمْ أَنَا غَالِبُهُ ؟ !

ف قوله في البيت الأول « أظن » مليح جداً ، وكذلك قوله في البيت الثاني

« ما أدري أين غلبني الهوى أم أنا غلبه » .

وأخذ هذا المعنى ابن أبي مية وزاده ملاحه فقال :

فديتك لم تشيع ولم ترومن هَجْرِي      أُسْتَحْسَنُ الْمَجْرَانُ أَكْثَرَ مِنْ شَهْرِ  
أراني سأسلو عنك إن دام ما أرى      بلا ثقة، لكن أظن ولا أدري

وقد أحسن أبو الطيب في قوله :

أَرَيْكَ أَمْ مَاءَ الْقَمَامَةِ أَمْ خَمْرٌ ؟      بِنِيَّ بَرُودٌ وَهُوَ فِي كَبْدِي جَمْرٌ

لولا أنه كدر صفوه ومرر حلوه بما أضاف إليه من قوله :

أَذَا الْفُضْنُ أَمْ ذَا الدَّعْصُ أَمْ أَنْتِ فِتْنَةٌ      وَهَذَا الَّذِي قَبْلَهُ الْبَرْقُ أَمْ نَعْرٌ ؟  
ولله در أبي نواس إذ يقول :

ألا أرى مثل أم ترى اليوم في رسمِ      تَعَصُّ بِه عَيْنِي وَيَلْفُظُهُ وَهَمِي  
أنتِ صُورُ الْأَشْيَاءِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ      فَظَنِّي كَلَّا ظَنَّ وَعَلِمِي كَلَّا عِلْمِ

ويروى « وجهلى كلاً جهل » .

وأول من نطق بهذا المعنى امرؤ القيس :

لمن طلل دَارِسٌ آيُهُ      أَضْرَبُهُ سَالِفُ الْأَحْرُسِ<sup>(١)</sup>  
تَكَرَّرُهُ الْعَيْنُ مِنْ جَانِبِ      وَيَعْرِفُهُ شَعْفُ الْأَنْفُسِ

أول من  
نطق بهذا  
للمعنى

وقال أعرابي في معنى أبيات الوصاح بن محمد :

أَقُولُ وَالنَّجْمُ قَدْ مَالَتْ مَيَاسِرُهُ      إِلَى الْغُرُوبِ : تَأْمَلُ نَظْرَةَ حَارِ  
أَلْحَمَّةً مِنْ سَنَاءِ بَرْقِي رَأَى بِصَرِي      وَوَجْهَهُ نَعْمُ بَدَا لِي أَمْ سَنَاءُ نَارِ  
بِلِ وَجْهِ نَعْمِ بَدَا وَاللَّيْلُ مُعْتَسِكِرٌ      فَلَاحَ مَنْ بَيْنَ حُجَابٍ وَأَسْتَارِ

(١) الطلل : ما شخص من آثار الديار ، دارس : عاف ، آيه : جمع آية ،  
والهاء ضمير الطلل ، وارتفاعه على أنه فاعل بدارس ، سالف : ماضى ، الأحرس :  
جمع حرس وهو الدهر .

## ٦١ - باب الحشو وفضول الكلام

وسماه قوم الاتكاء ، وذلك أن يكون في داخل البيت من الشعر لفظ  
لا يفيد معنى ، وإنما أدخله الشاعر لإقامة الوزن ، فإن كان ذلك في القافية فهو  
استدعاء ، وقد يأتي في حشو البيت ما هو زيادة في حسنه وتقوية لعناه : كالذى  
تقدم من التتيم ، والاتفات ، والاستثناء ، وغير ذلك ، مما ذكرته آنفاً .  
من ذلك قول عبد الله بن المعتز<sup>(١)</sup> يصف خيلاً :

أمثلة من  
الحشو

صَبَبْنَا عَلَيْهَا ظَالِمِينَ سَيَاطِنًا - فطارت بها أيدي سراعٍ وأرجل<sup>(١)</sup>

وقد مرّ ذكره في باب<sup>(١)</sup> المبالغة ، فقوله « ظالمين » حشو أقام به الوزن ،  
وبالغ في المعنى أشدّ مبالغة من جهته ، حتى علمنا ضرورة أن إتيانه بهذه  
اللفظة التي هي حشو في ظاهر الأمر أفضل من تركها ، وهذا شبيه بالتتيم ..  
وقال الفرزدق :

ستأتيك مَنِي - إن بقيت - قصائدٌ يُقَصِّرُ عن تحبيرها كلُّ قائل

فقوله « إن بقيت » حشو في ظاهر لفظه ، وقد أفاد به معنى زائداً ، وهو  
شبيه بالاتفات من جهة ، وبالاحتراس من جهة أخرى ، فما كان هكذا فهو  
الجيد ، وليس بحشو إلا على المجاز ، أو بعد أن يُنعتَ بالجودة والحسن ، أو إضافا  
لإيه ، وإنما يطلق اسم الحشو على ما قدمت ذكره مما لا فائدة فيه .  
وقد أتى المتأني بما فيه كفاية حيث يقول :

إن حشو الكلام من لُكْنَةِ المرء وإيجازهُ مِنَ التَّقْوِيمِ

فجعل الحشو لكمة ، وليس كل ما يحشى به الكلام زيادة فائدة لكمة ،

(١) انظر (ص ٥٤) من هذا الجزء .

وإنما أراد ما لا حاجة إليه ولا منفعة ، كقول أبي صفوان الأسدي يذكر بازيًا :

ترى الطَيْرَ والوحشَ من خوفه حَوَاجِرَ منه إذا ما أَعْتَدَى

فقوله « منه » بعد قوله « من خوفه » حشولا فائدة فيه ، ولا معنى له ،

وكذلك قول أبي تمام يصف قصيدة :

خذها ابنةَ الفكرِ المذبِ في الدجى واللَّيْلُ أسودُ حَالِكُ الجلباب

فقوله « الدجى » حشو ؛ لأن في القسم الثاني ما يدل عليه من زيادة

استعارتين مليحتين ، فإن لم يكن في القسم الأول حشو كان القسم الثاني بأثره فضلة .

وقال أبو الطيب في نحو من ذلك :

إذا اعتلَّ سيفُ الدولةِ أَعْتَلَّتِ الأرضُ

وَمَنْ فَوْقَهَا والبأسُ والكَرَمُ المَحْضُ

فقوله « والبأس » حشو ؛ لأن قوله « ومن فوقها » دال على الإنس والجن

جميعًا ، والبأس والكرم جميعًا ، اللهم إلا أن يحمله على تأويلهم في قول الله تعالى :

(فيهما فاكهة ونخل ورمان) فأعاد ذكرهما وهما من الفاكهة لفضلهما ، وقوله تعالى :

(من كان عدوًّا لله وملائكته ورُسُله وجبريلَ وميكالَ) فإن هذا سائغ وليس

بحشو حينئذ .

ومن الحشو قول الكلِّبَةَ اليربوعى :

إذا المرء لم يَغْشَ الكريهةَ أوْشَكَتْ حِبَالُ الهُوَيْنَا بالفتى أن تَقَطَّعَا

فقوله « بالفتى » حشو ، وكان الواجب أن يقول « به » لأن ذكر المرء قد

تقدم ، إلا أن يريد في قوله بالفتى الزراية والأطنوزة<sup>(١)</sup> فإنه يحتمل .

وقال زيد الخليل يخاطب كعب بن رهير :

(١) الأطنوزة : من الطنز - بفتح الطاء وسكون النون ، وفي آخره زاي -

وهو السخرية ، وباب فعله نصر ، والرجل طناز - بالفتح وتشديد النون - قال

صاحب المختار : « وأظنه مولدا أو معربا » اهـ .

يَقُولُ: أرى زيداً وقد كان معدماً أراه لعمرى قد تمولَ واقتنى  
 فقوله « أراه لعمرى » حشو واستراحة يُستغنى عنها بقوله « أرى زيداً »  
 ومما يكثر به حشو الكلام « أضحى، وبات ، وظل ، وغدا ، وقد ، ويوماً »  
 وأشباهاها ، وكان أبو تمام كثيراً ما يأتي بها ، ويكرهه للشاعر استعمال  
 « ذا ، وذى ، والذى ، وهو ، وهذا ، وهذى » وكان أبو الطيب مولماً بها ، مكرراً  
 فيها في شعره ، حتى حمله حبه فيها على استعمال الشاذ وركوب الضرورة في قوله:  
 لَوْلَمْ تَكُنْ مِنْ ذَا الْوَرَى اللَّذِمْنِكَ هُوَ عَقَمَتْ بِمَوْلِدِ نَسْلَهَا حَسَوَاهُ  
 وكذلك يكرهه للشاعر قوله بنى شعره « حقاً » إلا أن تقع له موقعها في  
 قول الأخطل :

فَأَقْسَمَ الْمَجْدُ حَقًّا لَا يُخَالِفُهُمْ حَتَّى يُخَالَفَ بَطْنَ الرَّاحَةِ الشَّعْرُ  
 فَإِنْ قَوْلُهُ ههنا « حقاً » زاد المعنى حسناً وتوكيداً ظاهراً .

ولقد أحسن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر في قوله لابن المعتز:  
 وَلَوْ قُبِلَتْ فِي حَادِثِ الدَّهْرِ فِدْيَةٌ لَقَلْنَا عَلَى التَّحْقِيقِ نَحْنُ فِدَاؤُهُ  
 فقوله « على التحقيق » حشو مليح فيه زيادة فائدة .

ومن الناس من يسمى هذا النوع من الكلام ارتفاداً ، وأنشد بعض العلماء

قول قيس بن الخطيم :

قَضَى لَهَا اللَّهُ حِينَ صَوَّرَهَا الْخَالِقُ أَنْ لَا يُكْنِيهَا سَدَفُ  
 والانسكاء عنده والارتفاد هو قول الشاعر « صورها الخالق » لأن اسم

الله تعالى قد تقدم .

ووجدت الخذاق يعيبون قول ابن الحدادية - وهي أمه ، واسمها قيس بن منقذ:

إِنَّ الْفَوَادَ قَدْ أَمْسَى هَائِمًا كِلْفًا قَدْ شَفَّهَ ذِكْرُ سَلْمَى الْيَوْمَ فَانْتَكَسَا

لحشوه « قد » في موضعين من البيت ثم بد « أمسى » و « اليوم » على تناقضهما .

وعاب الخاتمي على الأعشى قوله :

فرميت غفلة قلبه عن شاته فأصبت حبة قلبها وطحالمها  
لأن تعكير « القلب » عنده حشوا لا فائدة فيه ، وهذا تعسف من الحائمي  
لأن قلبه غير قلبها ؛ فإما كرر اللفظ دون المعنى ، ورأيت روايته في أكثر النسخ  
« حبة قلبه وطحالمها » وهو غلط ، ومن ههنا عابه فيما أظن ، ومن الناس من روى  
« فرميت غفلة عينه عن شاته » وهي رواية مشهورة صحيحة .

ونعوا على أبي العيال المذلي قوله:

ذَكَرْتُ أَخِي فَعَاوَدَنِي صُدَاعُ الرَّأْسِ وَالْوَصَبُ

لأن « الصداع » من أدواء الرأس خاصة ، فليس لذكر الرأس معه معنى ؛

وعلى جميل قوله :

وَمَا ذَكَرْتِكِ النَّفْسُ يَا بُنَيَّ مَرَّةً مِّنَ الدَّهْرِ إِلَّا كَادَتِ النَّفْسُ تَتَلَفُّ

فتكرير « النفس » لبس له وجه ههنا ، وللتكرير موضع يحسن فيه ، وسيرد

إن شاء الله في بابه .

ومن الحشو نوع سماه قدامة التفصيل — بالفاء — وزعم قوم أنه بالعين  
كأنهم يجعلونه اعوجاجاً من قولهم : ناب أعصل ، وجعله آخرون بالعين وضاد  
معجمة ، كأن عندهم من : تمضل الولد ، إذا عسرَ خروجه واعترض في الرحم ،  
وظاهر البيت الذي أنشده قدامة يدل على أنه التفصيل — بالفاء — وهو قول دريد  
ابن الصمة :

وَبَلَّغْ نَمِيْرًا — إِنْ عَرَضَتْ — ابْنَ عَامِرٍ وَأَيُّ أَخٍ فِي النَّائِبَاتِ وَطَالِبِ

ويجري هذا المجرى قول أبي الطيب ، بل هو أقبح منه :

حَمَلْتُ إِلَيْهِ مِنْ لِسَانِي حَدِيْقَةً سَقَاهَا الْحِيَا سَقَى الرِّيَاضَ السَّحَابِيَّ

لأن التفرقة بين النعت والمنعوت أسهل من التفرقة بين المضاف والمضاف إليه ،

وهما بمنزلة اسم واحد ، فإذا شئت أن تجعل بيت ابن الخطيم « حين صورها الخالق »

من هذا النوع جاز لك ؛ فيكون التقدير قضي لها الله الخالق حين صورها .

من الحشو  
التفصيل



## ٦٢ - باب الاستدعاء

حد  
الاستدعاء

وهو ألا يكون للقافية فائدة إلا كونها قافية فقط ، فتحلو حينئذ من المعنى  
كقول عدى القرشني ، أنشده قدامة :

وَوُقِيتَ الحَتُوفَ مِنْ وَارِثٍ وَا لِي ، وَأَبْغَاكَ صَالِحًا رَبُّ هُوْدٍ

فإنه لم يأت لهود النبي عليه السلام ههنا معنى إلا كونه قافية .

وما أعجب السيد الحميري في قوله :

أَقْسَمُ بِالفَجْرِ وبالْعَشْرِ والشَّعْبِ والوْتَرِ وربِّ لِقْمَانَ

في منزله محكم ناطق بنور آيات وبرهان

فالفجر فجر الصبح والعشر عشر النحر . والشعب شعب نحيان

عمد وابن أبي طالب والوتر رب العزة الباني

باني سموات بناها بلا تقدير إنس ولا جان

فانظر إلى قوله « رب لقمان » ما أكثر قلقة وأشد ركا كته !!! وأما قوله

« الباني » فقد خرج فيه من حد اللين والبرد ، وتجاوز فيه الغاية في ثقل الروح ،

والله حسبه .

ومن أناشيد قدامة قول علي بن محمد صاحب البصرة :

وسابغة الأذيال رَغْفٍ مفاضةٍ تَكْتَفِّها مَنى نِجَادٍ مِخْطَطِ

فلا أدري معنى هذا الشاعر في تخطيط النجاد ، وهذا أقل مافي تكلف التوافق

الشارده إذا ركبها غير فارسها ، وراضها غير سائسها .

## ٦٣ - باب التكرار

مق يحسن؟  
ومتى يقبح؟

وللتكرار مواضع يحسن فيها ، ومواضع يقبح فيها ، فأكثر ما يقع التكرار

في الألفاظ دون المعاني ، وهو في المعاني دون الألفاظ أقل ، فإذا تكرر

اللفظ والمعنى جميعاً فذلك انْخِذْلَانُ بعينه ، ولا يجب للشاعر أن يكرر اسماً إلا على جهة التشوق والاستعذاب ، إذا كان في تغزل أو نسيب . . كقول امرئ القيس ، ولم يتخلص أحد تخلصه فيما ذكر عبد الكريم وغيره ، ولا سلم سلامة في هذا الباب :

دِيَارٌ لَسَلْمَى عَافِيَاتٌ بِذِي الْخَالِ      أَلْحَ عَلَيْهَا كُلُّ أَسْحَمٍ هَطَالِ  
وَتَحْسِبُ سَلْمَى لَا تَزَالُ كَهْدَنَا      بَوَادِي أُنْزَامِي أَوْ عَلَى رَأْسِ أَوْعَالِ  
وَتَحْسِبُ سَلْمَى لَا تَزَالُ تَرَى طَلَاءً      مِنْ الْوَحْشِ أَوْ بَيْنَمَا مِخْلَالِ  
لِيَالِي سَلْمَى إِذْ تُرِيكَ مُنْضَدًّا<sup>(١)</sup>      وَجِيداً كَجِيدِ الرَّيْمِ لَيْسَ بِهَطَالِ  
وكقول عيسى بن ذريح :

الْأَبَيْتَ لُبْنَى لَمْ تَكُنْ لِي خَلَّةً      وَلَمْ تَلْقِنِي لُبْنَى وَلَمْ أَدْرِ مَا هِيَ  
أوعلى سبيل التنويه به ، والإشارة إليه بذكر ، إن كان في مدح كقول أبي الأسد :

وَلَأَمَّةٌ لَأَمْتِكَ يَا فَيْضُ فِي النَّدَى      فَقُلْتُ لَهَا : هَلْ يَقْدَحُ الْوَوْمُ فِي الْبَحْرِ؟  
أرادت لثني الفيض عن عادة الندى      وَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْثِي السَّحَابَ عَنِ الْقَطْرِ؟!  
كَأَنَّ وَفُودَ الْفَيْضِ يَوْمَ تَحَمَّلُوا      إِلَى الْفَيْضِ لَأَقْوَا عِنْدَهُ لِبَلَّةِ الْقَدْرِ  
مواقعُ جُودِ الْفَيْضِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ      مَوَاقِعُ مَاءِ الْمَزْنِ فِي الْبِلَدِ الْفَقْرِ  
فتكرر يرأس الممدوح ههنا تنويه به ، وإشارة بذكره ، وتفخيم له في القلوب والأسماع .  
وكذلك قول الخنساء :

وَإِنَّ صَخْرًا لَمَوْلَانَا وَسَيِّدُنَا      وَإِنْ صَخْرًا إِذَا نَشْتُو لَنَحَارُ  
وَإِنَّ صَخْرًا لَتَأْتُمُّ الْمُدَاةَ بِهِ      كَأَنَّهُ عَلِمَ فِي رَأْسِهِ نَارَ

(١) في إحدى روايات الديوان « إذ تريك منصبا » وأراد نغرا متسقا مستويا

أو على سبيل التقرير والتوبيخ . كقول بعضهم :  
إلى كم وكم أشياء منكُمُ تربيُنِي أُغَمِّضُ عنها لست عنها بذى عمى  
فأما قول محمد بن مُناذر الصَّبِيْرِي (١) في معنى التكرير :  
كَمُ وَكَمُ كَمُ كَمُ وَكَمُ وَكَمُ كَمُ وَكَمُ كَمُ وَكَمُ كَمُ وَكَمُ كَمُ  
فقد زاد على الواجب ، وتجاوز الحد .  
ولما أنشدوا للصاحب أنى القاسم إسماعيل بن عباد قول أبي الطيب :  
عَظُمْتَ فلما لم تُتَكَلَّمْ مَهَابَةً بواضعتَ ، وهو العظم عظاما عن العظم  
قال : ما أكثر عظام هذا البيت مع أنه من قول الطائي :  
تَعَظَّمْتَ عَن ذَاكَ التَّعَظُّمُ فِيهِمْ وَأَوْصَاكَ عَظْمُ الْقَدْرَانِ تَنْبِيلاً  
ومن المعجز في هذا النوع قول الله تعالى في سورة الرحمن : ( فبأى آلاء  
ربكما تكذبان ) كلما عدد منة أو ذكر بنعمة كرر هذا . وقد كرر أبو كبير  
المذلي قوله :

فإذا وذلك لَيْسَ إِلَّا ذِكْرُهُ وَإِذَا مَضَى شَيْءٌ كَانَ لَمْ يَفْعَلْ  
على بعض الروايات في سبعة مواضع من قصيدته التي أولها :  
أَزْهِيْزُ هَلْ عَن شَيْبَةٍ مِّنْ مَّعْدَلٍ أَمْ لَا سَبِيلَ إِلَى الشَّبَابِ الْأَوَّلِ ؟  
كلما وصف فصلا وأتمه كرر هذا البيت .  
أو على سبيل التعظيم للمحكي عنه ، أنشد سيبويه :  
لَا أَرَى الْمَوْتَ يَسْبِقُ الْمَوْتَ شَيْءٌ نَقَصَ الْمَوْتَ ذَا الْغِنَى وَالْفَقِيرَا  
أو على جهة الوعيد والتهديد إن كان عتاب موجه ، كقول الأعشى . ليزيد  
ابن مسهر الشيباني :

أَبَا ثَابِتٍ لَا تَمَلِّقَنَّكَ رِمَاحُنَا أَبَا ثَابِتٍ أَقْصِرْ وَعِرْضُكَ سَالِمٌ  
وَذَرْنَا وَقَوْمًا إِنْ هُمْ عَمَدُوا نَنَا أَبَا ثَابِتٍ وَأَقْعُدْ فَإِنَّكَ طَاعِمٌ !!  
(١) في عامة أصول هذا الكتاب « البصري » بتقديم الباء ، وإنما هو  
« الصبيري » بتقديم الصاد على الباء - نسبة إلى مواليه بنى صبير بن يربوع

أو على وجه التوجع إن كان رثاء وتأييناً ، نحو قول متمم بن نويرة :  
 وقالوا : أتبكي كلَّ قبر رأيتَهُ      لقبرِ نَوَى بين اللوى فالدكادك ؟؟  
 فقلت لهم : إن الأسيَّ يبعثُ الأسيَّ      دَعُونِي فهذا كله قبرُ مالك  
 وأولى ما تكرر فيه الكلام باب الرثاء ؛ لمكان الفجيمة وشدة القرحة التي  
 يجدها المتفجع ، وهو كثير حيث التمس من الشعر وجد .

أو على سبيل الاستغاثة وهي في باب المديح ، نحو قول العديل بن الفرخ :  
 بَنِي مِسْمَعٍ لَوْلَا إِلَهُهُ وَأَنْتُمْ      بَنِي مِسْمَعٍ لَمْ يُنْكَرِ النَّاسُ مِنْكُمْ رَا  
 ويقع التكرار في الهجاء على سبيل الشهرة ، وشدة التوضيح بالهجو ، كقول  
 ذي الرمة يهجو المرثي<sup>(١)</sup> :

تسمى امرأ القيس بن سعدٍ إذا اعتزت      وتأبى السبالُ الصُّهْبُ والأُنْفُ الخُمْرُ  
 ولصكنا أصلُ امرئ القيس مَعَشَرٌ      يَحِلُّ لَهُمْ لَحْمُ الْخَنَازِيرِ وَالْخُمْرُ  
 نصاب امرئ القيس العبيد وأرضهم      ممر<sup>(١)</sup> المساحي لا فلاة ولا مصر  
 تَخَطَّى<sup>(٢)</sup> إِلَى الْفَقْرِ امرؤ القيس ؛ إنه      سَوَاءَ عَلَى الضَّيْفِ امْرُؤُ الْقَيْسِ وَالْفَقْرُ  
 تحب امرؤ القيس القري أن تناله      وتأبى مقاربتها إذا طلع الفجر<sup>(٣)</sup>  
 هل الناسُ إلا يا امرأ القيس غادرٌ      ووافٍ وما فيكم وفاء ولا غدر؟  
 وكذلك صنع جرير في قصيدته الدِّمَّاعَةُ التي هجا بها راعي الإبل ؛ فإنه كرر  
 « بني غير » في كثير من أبياتها .

ويقع أيضاً على سبيل الازدراء والتهمك والتنقيص ، كقول حماد بن محمد لابن  
 نوح ، وكان يعرب :

(١) في الديوان « مجر المساحي » .

(٢) في عامة الأصول « تخلى إلى القفر » بتقديم المثناة على الواحدة ، وكذا في  
 قافية البيت ، وهو تصحيف ، وما أثبتناه عن الديوان .

(٣) في نسخة « إذا طلع النسر » .

يَا بْنَ نُوحِ يَا أَخَا أَلِجَلْسِ وَيَا بْنَ الْقَتَبِ<sup>(١)</sup>  
 وَمِنْ نَشَأِ وَالِدُهُ      بَيْنَ الرِّبَا وَالْكُتُبِ  
 يَا عَرَبِي يَا عَرَبِي      يَا عَرَبِي يَا عَرَبِي

ومن المغيب في التكرار قولُ ابن الزيات :

أَتَعْرِفُ أَمْ تَقِيمُ عَلَى التَّصَابِي ؟      قَدِ كَثُرَتْ مُنَاقَلَةُ الْعَتَابِ  
 إِذَا ذَكَرَ السَّلْوُ عَنِ التَّصَابِي      نَفَرَتْ مِنْ اسْمِهِ نَفْرَ الصَّعَابِ  
 وَكَيْفَ يُبْلَاغُ مِثْلَكَ فِي التَّصَابِي      وَأَنْتَ فَتِي الْمَجَانَةِ وَالشَّبَابِ !!  
 سَاعِزْفُ إِنْ عَزَفْتَ عَنِ التَّصَابِي      إِذَا مَا لَاحَ شَيْبُ بِالْغُرَابِ  
 أَلَمْ تَرِنِي عَدَلْتُ عَنِ التَّصَابِي      فَأَغْرَتْنِي الْمَلَامَةُ بِالتَّصَابِي !!  
 فَلَا الدُّنْيَا بِالتَّصَابِي ، عَلَى التَّصَابِي لَعْنَةُ اللَّهِ مِنْ أَجْلِهِ ، قَدِ بَرَدَ بِهِ الشَّعْرُ ،  
 وَلَا سِيَا وَقَدْ جَاءَ بِهِ كُلُّهُ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ مِنَ الْوِزْنِ ، لَمْ يَعُدُّ بِهِ عَرُوضَ الْبَيْتِ ، وَأَيْنَ

هذا من تكريره على جهة التخميم في قوله للحسن بن سهل من قصيدة :

إِلَى الْأَمِيرِ الْحَسَنِ اسْتَجِدُّهَا      أَيُّ مَزَارٍ وَمُنَاخٍ وَمَحَلِّ  
 أَيُّ مَزَارٍ وَمُنَاخٍ وَمَحَلِّ      لِحَائِفٍ وَمُسْتَرِيشٍ ذِي أَمَلٍ

وهذا كقول امرئ القيس :

تَقَطَّعُ أَسْبَابَ اللَّبَانَةِ وَالْهَوَى      عَشِيَّةَ جَاوِزْنَا حَمَاةَ وَشَيْرَا  
 عَشِيَّةَ جَاوِزْنَا حَمَاةَ وَشَيْرَا      أَخُو الْجَهْدِ لَا يَلُوبِي عَلَى مَنْ تَعَذَّرَا<sup>(٢)</sup>

ومن تكرير المعاني قول امرئ القيس ، وما رأيت أحداً نبه عليه :

من تكرير  
المعاني

(١) هذه الأبيات من الرجز المجزوء ، وقد حذف من صدر أولها سبب حفيف

(٢) يروى هذا البيت هكذا :

بسير يضح العود منه يمنه أخو الجهد لا يلوي على تعذرا

وحماة وشيزر : مدينتان من مدن الشام، والعود: المسن من الإبل ، يمنه : يضعفه  
 أخو الجهد: السائق المجدو أراد به نفسه، لا يلوي : لا يلتفت أولاً بيقي، تعذرا : قدم عذرا.

فَيَأَلَّكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نَجُومَهُ      بِكُلِّ مُغَارٍ الْفَتْلُ شُدَّتْ يَبْذِلُ  
كَأَنَّ الثَّرْيَا عُلِقَتْ فِي مَصَامِيهَا      بِأَمْرَاسٍ كَتَّانٍ إِلَى صُمِّ الْجَنْدَلِ  
فالبيت الأول يغنى عن الثاني ، والثاني يغنى عن الأول ، ومعناها واحد ؛  
لأن النجوم تشتمل على الثريا ، كما أن يذبل يشتمل على صم الجندل ، وقوله  
« شدت بكل مغار الفتل » مثل قوله « علقث بأمراس كتان »

ويقرب من ذلك وليس به قول كثير:

وَإِنِّي وَتَهْيَأِي بِعِزَّةٍ بَعْدَمَا      تَخَلَّيْتُ مِمَّا بَيْنَنَا وَتَخَلَّتِ  
لِسَاكُثْرَتِي ظِلَّ الْعِنَامَةِ كَمَا      تَبَوَّأُ مِنْهَا لِلْعَقِيلِ اضْمَحَلَّتِ  
كَأَنِّي وَإِيَّاهَا سَحَابَةٌ مُجْحِلٍ      رَجَاهَا فَلَمَّا جَاوَزْتَهُ اسْتَهَلَّتِ  
إلا أن كثيراً تصرف ، فجعل رجاء الأول ظل العنامة ليقيل تحتها من حرارة  
الشمس فاضمحلت وتركته ضاحياً ، وجعل للمحل في البيت الثاني يرجو سحابة  
ذات ماء فأمطرت بعد ما جاوزته .

ومن مליح هذا الباب ما أنشدنيهِ شيخنا أبو عبد الله محمد بن جعفر لابن  
المعز ، وهو قوله :

لَسَانِي لِسِرِّي كَتُومٌ كَتُومٌ      وَدَمْعِي بِحُبِّي نَمُومٌ نَمُومٌ  
وَلِي مَالِكٌ شَفَنِي حُبُّهُ      بَدِيعُ الْجَمَالِ وَسِيمٌ وَسِيمٌ  
لَهُ مُقَلَّتَا شَادِنِ أَحْوَرٍ      وَلَقَطُ سَحُورِ رَخِيمٍ رَخِيمٍ  
فَدَمْعِي عَلَيْهِ سَجُومٌ سَجُومٌ      وَجِسْمِي عَلَيْهِ سَقِيمٌ سَقِيمٌ

باب منه

ذكر ابن المعز أن الجاحظ سمي هذا النوع المذهب الكلامي .  
قال ابن المعز : وهذا باب ما علمت أني وجدت منه في القرآن شيئاً ، وهو  
ينسب إلى التكلف ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

قال صاحب الكتاب : غير أن ابن المعتز قد ختم بهذا الباب أبواب البديع الخمسة التي خصها بهذه التسمية ، وقدمها على غيرها ، وأنشد للفرزدق :

لكل امرئ نَفْسَانِ : نَفْسٌ كَرِيمَةٌ وَأُخْرَى بُعَاصِبُهَا الْفَتَى وَيُطِيعُهَا  
ونفسك من نفسك تَشْفَعُ لِلنَّدَى إِذَا قَلَّ مِنْ أحرارهن شَقِيعُهَا

وأنشد لآخر ، ولا أظنه إلا إبراهيم بن العباس :

وَعَلَّمْتَنِي كَيْفَ الْهَوَى وَجَهْلَتِهِ وَعَلَّمَكُم صَبْرِي عَلَى ظَلَمِكُمْ ظَلَمِي  
فَاعْلَمْ مَالِي عِنْدَكُمْ فِيمِيلُ بِي هَوَايَ إِلَى جَهْلِي وَأَعْرِضْ عَنِّي عَلَى

وعاب على أي تمام قوله :

فَالْمَجْدُ لَا يَرْضَى بِأَنْ تَرْضَى بِأَنْ يَرْضَى الْمُؤْمَلُ مِنْكَ إِلَّا بِالرِّضَا  
وحكى أن إسحاق الموصلي سمع الطائي ينشد ويكثر من هذا الباب وأمثاله عند الحسن بن وهب ، فقال : يا هذا ، لقد شددت على نفسك .

وأنشد ابن المعتز لنفسه :

أَسْرَفْتُ فِي الْكَيْمَانِ وَذَاكَ مِنْ دِهَانِي  
كَتَمْتُ حَبِكَ حَتَّى كَتَمْتَهُ كِتَابِي  
فَلَمْ يَخْصَنَ لِي بَدْنًا مِنْ ذِكْرِهِ بِلِسَانِي

وهذه الملاحظة نفسها ، والظرفُ بعينه .

ومن هذا الباب نوع آخر هو أولى بهذه التسمية من كثير مما ذكره المؤلفون ، نحو قول إبراهيم بن المهدي يمتنر إلى المأمون من وثوبه على الخلافة :

البرمك وِطَاءُ الْعِذْرِ عِنْدَكَ لِي . فَمَا فَعَلْتُ ، فَلَمْ تَعْدِلْ وَلَمْ تَلَمْ  
وَقَامَ عَلَيْكَ بِي فَاحْتَجُّ عِنْدَكَ لِي مَقَامَ شَاهِدِ عَدْلِ غَيْرِ مُتَّهَمٍ

وكذلك قول أبي عبد الرحمن العطوي :

فَوَحَقُ الْبَيَانِ يَعْضُدُهُ الْبُرْهُانُ هَانُ فِي مَاقِطِ أَلَدِّ الْخِصَامِ  
 مَا رَأَيْنَا سَوَى الْحَيِيَّةِ شَيْئًا جَمَعَ الْحَسْنَ كُلَّهُ فِي نِظَامِ  
 هِيَ تَجْرِي مَجْرَى الْإِصَابَةِ فِي الرَّأْيِ وَتَجْرِي الْأُرْوَاحَ فِي الْأَجْسَامِ

وقد نقلت هذا الباب نقلا من كتاب عبد الله بن المعتز، إلا ما لا يخفاء به  
 عن أحد من أهل التمييز، واضطرنى إلى ذلك قلة الشواهد فيه، إلا ما مناسب قول  
 أبى نُوَّاس :

سَخُنْتُ مِنْ شِدَّةِ الْبُرُودَةِ حَتَّى صِرْتُ عِنْدِي كَأَنَّكَ النَّارُ  
 لَا يَعْجَبُ السَّامِعُونَ مِنْ صَفْتِي كَذَلِكَ التَّلِيحُ بَارِدٌ حَارٌ  
 فَهَذَا مَذْهَبُ كَلَامِي فَلسَفِي . . وَقَوْلُهُ أَيْضًا :  
 فِيكَ خِلَافٌ خِلَافِ الَّذِي فِيهِ خِلَافٌ خِلَافِ الْجَمِيلِ  
 وَأَشْبَاهُ ذَلِكَ مِمَّا فِي هَذَا غَنَى عَنْهُ وَدَلَالَةٌ عَلَيْهِ .

(٦٤) — باب نفي الشيء بإيجابه

وهذا الباب من المبالغة، وليس بها مختصاً، إلا أنه من محاسن الكلام،  
 فإذا تأملته وجدت باطنه نقيماً، وظاهره إيجاباً . . قال امرؤ القيس :

عَلَى لَا حِبِّ لَا يُهْتَدَى بِمَنَارِهِ إِذْ سَافَهُ الْعَوْدُ النَّبَاطِيَّ جَرَّ جَرًّا<sup>(١)</sup>  
 فقوله « لا يهتدى بمناره » لم يرد أن له مناراً لا يهتدى به، ولكن أراد  
 أنه لا منار له فيهتدى بذلك المنار.  
 وكذلك قول زهير :

هو من المبالغة  
 ولا يختص بها

(١) لاحب : هو الطريق الواضح . مناره : هو العلامة توضع على الطريق للهداية،  
 وفي الحديث : « إن للدين صوى ومنارا كمنار الطريق » سافه : شمه، والسوف الشم،  
 والعود : المسن من الإبل . النباطى : الضخم، جرجر : رغاوضج، وأخرج جرته .



بأرضٍ خَلَاءَ لَا يَسُدُّ وَصِيدُهَا عَلَى ، وَمَعْرُوفِي بِهَا غَيْرُ مُنْكَرٍ (١)  
فأثبت لها في اللفظ وصيداً ، وإنما أواد ليس لها وصيد فيسد على .  
ويتصل بهذا قول الزبير بن عبدالمطلب يذكر عميلة بن السباق بن عبدالدار ،  
وكان نديماً له وصاحباً :

صَبَّخْتُ بِهِمْ طَلْقًا رَاحَ إِلَى النَّدَى إِذَا مَا انْتَشَى لَمْ تَحْتَضِرْهُ مَفَاقرُهُ  
صَمِيحًا بِحَثِّ الكَأْسِ قَبْضُ بَنَانِهِ كَلِيلًا عَلَى وَجْهِ النَّدِيمِ أَظْفَرُهُ  
فظاهر كلامه أنه يَحْمِشُ وجه النديم ، إلا أن أظفاره كغليظة ، وإنما أراد في  
الحقيقة أنه لا يظفر وجه النديم ولا يفعل شيئاً من ذلك ، وكذلك قوله « لم تحتضره  
مفقره » أى : ليس له مفقر فتحضره .

وقال أبو كبير الهذلي يصف هضبة :

وَعَلَوْتُ مَرَّةً تَقَبَّأً (٢) عَلَى مَرَاهُوبَةٍ حَصَاءَ لَيْسَ رَقِيهَا فِي مِثْلِ  
عِطَاءٍ مُعْتَقَةٍ يَكُونُ أُنَيْسَهَا وَرُزْقَ الحِمَامِ جَمِيمَهَا لَمْ يُوَكَّلْ  
يريد أنه ليس بها جيم فيؤكل ، يدل على ذلك قوله في البيت الأول « حصاء »  
وهى التى لا نبت فيها .

وقال أبو ذؤيب يصف فرساً :

مَتَلَقَ أَنَسَاوَهَا عَن قَانِيءٍ كَالْقَرَطِ صَاوٍ غُبْرَةٌ لَا يُرْضَعُ  
فلم يرد أن هناك بقية لبن لا يرضع ، لكن أراد أنها لا لبن لها فيرضع .  
والشاهد على جميع ما قلته في شرح هذه الأشياء ما جاء في تفسير قول الله عز وجل :

(١) الوصيد في الأصل : فناء الدار والبيت ، ومنه قوله تعالى : ( وكلهم باسط ذراعيه بالصيد ) والأصيد لغة فيه حكاها الفراء .

(٢) المرتقب : اسم المكان من الارتقاب ، وهو الصعود في رأس جبل أو حصن ، وضبطه في اللسان على أنه اسم فاعل بكسر القاف ، وهو وجه ، والمثمل : اللجأ . والجيم : النبت الذى طال بعض الطول ولم يتم .

( لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَاقًا ) قالوا : ليس يقع منهم سؤال فيقع إلحاقا : أى هم لا يسألون البتة .

والمعيب من هذا الباب قول كثير يرى عزة صاحبه :  
 قَهْلًا وَقَاكِ الْمَوْتَ مَنْ أَنْتِ زَيْنُهُ وَمَنْ هُوَ أَسْوَأُ مِنْكَ دَلًّا وَأَقْبَحُ ؟  
 لأنه قد أوهم السامع أن لها دلا سيئا ، ولكن غيره أسوأ منه وأقبح ،  
 فكيف إن كان القبح راجعا عليها لا على دها ، وليس هذا فى شيء من  
 قوله تعالى : ( أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا ) لأن هذا  
 لا إشكال فيه

المعيب من  
 هذا الباب

#### (٦٥) — باب الاطراد

ومن حسن الصنعة أن تطرد الأسماء من غير كلفة ، ولا حشو فارغ ؛ فإنها  
 إذا اطردت دلت على قوة طبع الشاعر ، وقلة كلفته ومبالاته بالشعر .  
 وذلك نحو قول الأعشى :

حده ومنزلته  
 أمثله

أَقْسَى بَنَ مَسْعُودِ بْنِ قَيْسِ بْنِ خَالِدٍ وَأَنْتَ ائْرُوْ تُرْجُو شَبَابَكَ وَائِلُ  
 فَأَتَى كَالْمَاءِ الْجَارِي اِطْرَادًا وَقَلَّةَ كَلْفَةِ ، وبين النسب حتى أخرجه عن مواضع  
 اللبس والشبهة . .

ولما سمع عبد الملك بن مروان قول دريد بن الصمة :  
 قَتَلْنَا بَعِيدَ اللَّهِ خَيْرَ لِدَاتِهِ ذُوَابَ بْنِ أَسْمَاءَ بْنِ زَيْدِ بْنِ قَارِبٍ  
 قال كالمعجب : لولا القافية لبلغ به آدم ، ورواه قوم « أبأت بعبد الله » .  
 وقال أبو تمام :

عبد المليك بن صالح بن عيسى بن قسيم النبي في نسبه  
 فهذا سهل العنان ، خفيف على اللسان ، وإن كانت الياء في «المليك» ضرورة  
 وتكلفا .

وقال الحارث بن دوس الإيادي :

وَشَبَابٌ حَسَنٌ أَوْجُهُمْ مِنْ إِيَادِ بْنِ نَزَارِ بْنِ مَعَدٍ  
فاطردت ثلاثة أسماء لا كلفة فيها .

وقال أبو تمام في قالب بيت الأعشى ، وإن نقص عنه اسما واحداً :  
بنصر بن منصور بن بسام انفري لنا شَطَفُ الأيامِ عن عيشة رغد  
فأما من أتى بأكثر من هذا ومن الأول فقد قال بعضهم :  
من يكن رَامَ حَاجَةً بَعُدَتْ عَنْهُ وَأُعِيَتْ عَلَيْهِ كُلُّ الْعِيَاءِ  
فلها أحمدُ المَرَجِيُّ بنُ يَحْيَى بنِ مَعَاذِ بنِ مُسْلِمِ بنِ رَجَاءِ  
فجاء كلامه نَسَقًا واحداً ، إلا أنه قد شغل البيت وفصل بين الكلام بقوله  
« المَرَجِيُّ » غير أن مجانسة رجاء هَوَّنتُ خطيئته وغفرت ذنبه .  
وقال الطائي :

عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتّاب بن سهم سهمكم لا يسهم  
فخاطب بذلك بني عمرو بن غنم التغلبيين ، وهم بنو عم مالك بن طوق ،  
فاتنظم له ما أراد من الأسماء ، إلا أنه ظاهر التشكف ، وقال فأتى بستة :  
مناسبٌ تحسب من ضوئها منازلًا للقمر الطالع  
كالدلو والحوتِ وأشراطه والبطن والنجم إلى البالع  
نوح بن عمرو بن حوَّي بن عمرو بن حوَّي بن الفتي مانع  
فأحكم التصنيع وقابل ستة ستة ؛ لأن الأشراط منزلة ، وإن جمعها ، إلا أن  
« الفتي » ههنا غَضَّة مع بَرْد لفظ ورَكَ كَاكَة ، ما أحسن أباه هؤلاء كلهم يقال له الفتي  
وإن كنا نعلم أنه لم يرد فتاء السن ، ولكن الفتوة .  
وجاء أبو الطيب فجاءك بالتعسف في قوله لسيف الدولة :

فأنت أبو الهيجا ابن حمدان يا ابنه تشابه مولودٌ كريمٍ ووالدُ  
وحمدان حمدونٌ وحمدون حارثٌ وحارث لقمانٌ ولقمان راشدٌ

ففي هذا المعنى بمن التقصير أنه جاء به في بيتين وأنه جعلهم أنياب الخلالة  
بقوله :

أولئك أنياب الخلالة كلها وسائر أملاك البلاد الزوائد

وهم سبعة بالمدوح ، والأنياب في المتعارف أربعة ، إلا أن تكون الخلالة  
تمسح نيل أو كلب بحر ؛ فإن أنياب كل واحد منهما ثمانية ، اللهم إلا أن يريد  
أن كل واحد منهم ناب الخلالة في زمانه خاصة ؛ فإنه يصح ، وفيه من الزيادة  
على ما قبله أنه زاد واحداً في العدد ، فإنه جعل كل ابن هو أبوه في الخلالة إلى  
أن بلغ راشداً ، ولم يقصد إلى ذلك أحد من أصحابه ، وإنما مقت سعه هذا  
تكريره كل اسم مرتين في بيت واحد ، وهي أربعة أسماء .

#### ٦٦ — باب التضمين والإجازة

وهذا باب يختلط على كثير من الشعراء ممن ليس له ثقب في العلم ولا حذق  
بالصناعة ، كجماعة ممن وسم في بَلَدِنَا بالمعرفة ، وينسب إليها مكذوباً عليه فيها ،  
كاذباً فيما ادعاه منها ، ولتعرفهم في لحن القول .

حد التضمين فأما التضمين فهو قَصْدُكَ إلى البيت من الشعر أو القسم فتأتي به في آخر

شعر كإوني وسطه كالتمثل ، نحو قول محمود بن الحسين كشاحم السكاتب :

يا خاضبَ الشيبِ والأيامُ تظهره      هذا شبابٌ لعمرُ الله مصنوع  
أذْ كَرْتَنِي قَوْلِ ذِي لُبٍّ وَتَجْرِبَةٍ      في مثله لك تأديبٌ وتقريع  
إن الجديدَ إذا ما زيدَ في خَلْقٍ      تبين الناسُ أن الثوبَ مرقوع

فهذا جيد في بابه ، وأجود منه أن لو لم يكن بين البيت الأول والآخر واسطة ؛  
لأن الشاعر قد دل بذلك على أنه متهم بالسرقة ، أو على أن هذا البيت غير  
مشهور ، وليس كذلك ، بل هو كالشمس اشتهاراً ، ولو أسقط البيت الأوسط

لكان تضميناً عجيبك لأن ذكر التوب قد أخرج الثاني من باب الأول إلا في  
الغنى ، وهذا عند الخدّاق أفضل التضمين ، فأما احتذى كشاحم قول ابن المعتز  
في أبيات له :

ولا ذنب لي إن ساء ظنك بعدما      وفيت لكم ، ربّي بذلك عالم  
وها أنا ذا مُستعْتَبٌ متّصلٌ      كما قال عباسٌ وأنقى راغم:  
تحمّلٌ عظيمٌ الذنب من تحبه      وإن كنت مظلوماً قتل : أنا ظالم  
وأبيات العباس بن الأحنف التي منها البيت المضمن هي قوله :

وصبّ أصاب الحُبُّ سَوْدَاءَ قلبه      فأحمله ، والحُبُّ داء ملازم  
فقلت له إذ مات وجداً بحبه      مقالةٌ تُصحح جانبها المآثم:  
تحمّل عظيم الذنب من تحبه      وإن كنت مظلوماً قتل : أنا ظالم  
فإنك إن لم تحمّل الذنب في الهوى      بفارقك من تهوى وأنفك راغم

غير أن شيخنا أبا عبد الله روى هذه الأبيات أيضاً لابن المعتز .

فهذا النوع من التضمين جيد ، وهو الذي أردنا من قبل ؛ وأجود منه أن  
يصرف الشاعر للمضمن وجه البيت المضمن عن معنى قائله إلى معناه ، نحو قول  
بعض المحدثين ، ونسبه قوم إلى ابن الرومي :

يا سائل عن خالد ، عهدى به      رطب العجان وكفه كالجلد  
كالأقحوانِ غداةً غبّ سمائه      جفت أعالیه وأسفله ندى  
هكذا أعرفه ، وروى « عن جعفر » فصرف الشاعر قول النايفة في صفة  
الشعر (١) :

(١) القامة : ريشة في مقدم الجناح ، وهي أربع قوادم ، أسف لثاته بالإمجد :  
أى : ذرت بالإمجد ، وكانوا يفرزون اللثة بالإبرة ثم يذرون عليها الإمجد ، والأقحوان :  
تبت له نوار أصفر وحواليه ورق أبيض ، شبه الأسنان بياض ورقه .

تجلو بقادِمَتِي حَامَةَ أَيَكَّةَ • بَرَدًا أُسِفًا لِنَاتِهِ بِالْإِمْدِ  
ككَلِّاقِحْوَانِ غَدَاةِ غَبِّ سَمَاءِهِ جَفَتْ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ نَدِي

إلى معناه الذى أراد .

ومن هذا المعنى أيضاً قول ابن الرومى بلا محالة :

وسألتُ عَنِ الحَسَنِ بنِ وهبٍ وعما فيه من كرمٍ وخيرٍ  
فقلتُ : هو للهدبُ غيرُ أنى أراه كثير إرخاء الستور  
وأكثر ما يُغْنِيهِ فتاه حُسَيْنٌ حين يخلو بالسريـر  
فلولا الريحُ أَسْمِعَ من بحُجْرٍ صَلِيلِ البيضِ تفرعُ بالذکور  
فالبيت الأخير لمهلل ، فجاء قرع البيض بالذکور ههنا عجيباً ، وإن كانت  
اللفظتان فى المعنى غير اللفظتين .

ومن الشعراء من يضمن قسماً نحو قول بعضهم ، أظنه الصولى :

خَلَقْتُ على باب الأمير كَأَنى قفانبك من ذكرى حبيبٍ ومنزلٍ  
إذا جئتُ أشكو طولَ ضيقٍ وفاقة يقولون : لا تَهْلِكِ أَسَى وتحمل  
ففاضت دموعُ العين من سوءِ رَدِّهم على النحر حتى بَلَّ دمعىَ بحملى  
لقد طال تردادى وقصدى إليكم فَهَلْ عندَ رَسْمِ دارسٍ من مُعَوَّلٍ  
ومنهم من يقلب البيت فيضمنه معكوساً ، نحو قول العباس بن الوليد بن  
عبد الملك بن مروان لمسلمة بن عبد الملك :

لقد أنكرتني إنكارَ خَوْفٍ يضم حشاك عن شتى ودَحْلِي  
كقولِ الرءِ عمرو فى القوافى لقيسٍ حين خالف كل عدل  
عذيرك من خليلك من مُرَادٍ أريد حياته ويريد قتلى  
والبيت المضمن لعمر بن معدى كرب الزبيدى ، يقوله لابن أخته قيس  
ابن زهير بن هيرة بن مكشوح المرادى ، وكان بينهما بعد شديد وعداوة عظيمة ،  
وحقيقته فى شعر عمرو :

أريد حياته ويريد قتلى عَذِيرَكَ من خليلك من مراد  
 وكان علي بن أبي طالب رضى الله عنه إذا رأى ابن مُلجَمٍ تمثل بهذا البيت.  
 ومن التضمين ما يجمع فيه الشاعر قسمين من وزنين كقول علي بن الجهم  
 يُعْرَضُ بِفَضْلِ الشاعِرةِ جارية المتوكل وبنان المغنى وكانا يتعاشقان فإذا  
 غَنَى بنان :

اسمى أو خبرينا يا ديار الظاعنينا

غنت هي كالجأوبة له عما يقول :

ألا حيتِ عَنَّا يا مدينا وهل بأسٌ بقول مسلمينا

فقال علي منها عليهما في ذلك :

كلما غَنَى بنانٌ اسمى أو خبرينا

أنشدتُ فضلَ أَلَا حَيَّتِ عَنَّا يا مدينا

عارضتُ مَعْنَى بِمَعْنَى والندامى غافلونا

أحسنتُ إذ لم تجاوبنهم ديارُ الظاعنينا

لو أجابتهم لَصِرْنَا آيَةً لِّلسائلينَا

واستعاد الصوتَ مولاها وحثَّ الشارينا

قلتُ للمولى وقد دَا رَتُّ حَمِيَّا الكاسِ فينا:

رُبَّ صَوْتٍ حَسَنٍ يُنْبِتُ فِي الرَّأْسِ قرونا

وأنشد ابن المعتز في باب التضمين للأخطل :

ولقد سما لِلخُرْمِيِّ فلم يقل يومَ الوغى لكن تضايق مُقَدِّمِي

إشارة إلى قول عنتره العبسى :

إذ يَتَّقُونَ بِيَ الأَسنةِ لم أَحِمُّ عنها وكفى تضايق مُقَدِّمِي

وهذا تضمين أنت ترى كيف هو ، وأنشد لآخر :

عَوَّدَ لَمَّا بَتُّ ضَيْفًا لَهُ أَقْرَاصَهُ مَنِيَّ بِيَّاسِينَ  
فَبَتُّ وَالْأَرْضُ فِرَاشِي وَقَدْ غَدَّتْ «قَفَانِيكَ» مَصَارِيئِي

ومن التضمين ما يحيل الشاعر فيه إحالة ، ويشير به إشارة ، فيأتي به كأنه نظم الأخبار أو شبيهه به ، وذلك نحو قول بعضهم في معنى قول ابن المعتز \* كما قال عباس وأنتى راغم \* إنه لم يرد الأبيات المقدم ذكرها ، وإنما أراد قوله للرشيد حين هجرته ماردة :

لا بد للعاشق من وقفةٍ تكونُ بين الوصلِ والصرم  
حتى إذا الهجرُ تمادى به راجعَ من يهوى على رغم  
فهذا النوع أبعد التضمينات كلها ، وأقلها وجوداً ، وذلك يجوز قول أبي تمام :  
لعمرو مع الرّمضاء والنارُ تلتظي أرقُ وأحَى منك في ساعة الكرب  
أراد البيتَ المضروبَ به المثلُ :  
المستجِيرُ بعمرو عند كُرْبَتِهِ كالمستجِيرِ من الرّمضاء بالنارِ  
وقد صنعتُ أنا في معنى الهجاء :

عِرسُهُ من غير ضيرٍ عرسُ زيد بن عمير  
أبدأُ تزني فإن حاضتْ تَقْدُ حُبًّا لأير  
ولها رجلان من نا قة كعب بن زهير  
هكذا تبني المعالي ليس إلا كل خير

« زيد بن عمير » هو الذي يقول في زوجته :

تَقُودُ إِذَا حَاضَتْ ، وَإِنْ طَهَّرْتَ زَنْتُ فَهِيَ أبدأُ يُزْنِي بِهَا وَتَقُودُ

و « كعب بن زهير » يقول في وصف ناقته :

تهوى على يسرات وهي لاهية ذوابل وقمهن الأرض تحليل

فكانت هذه المرأة في حالها لاتقع رجلاها بالأرض : إما لكثرة مباضمة

أوشدة مشى في فساد .



ومن أنواع التضمين تعليق القافية بأول البيت الذي بعدها ، وقد تقدم ذكره .

وأما الإجازة فإنها بناء الشاعر بيتاً أو قسماً يزيد على ما قبله ، وربما أجاز بيتاً أو قسماً بأبيات كثيرة ، فأما ما أجز فيه قسم بقسم فقول بعضهم لأبي العتاهية : أجز :

\* رَدَّ لِلْمَاءِ وَطَابَا \*

فقال :

\* حَبَّذَا الْمَاءَ شَرَابَا \*

وأما ما أجز فيه بيت بيت فقول حسان بن ثابت وقد أرق ذات ليله

فقال :

مَتَارِيكَ أَذْنَابِ الْأُمُورِ إِذَا اعْتَرَتْ أَخَذْنَا الْفُرُوعَ وَاجْتَنَبْنَا أَصُولَهَا  
وَأَحْبَلْ ، فقالت ابنته : يا أبت ، ألا أجز عنك ، فقال : أو عندك ذلك ؟  
قالت : بلى ، قال : فافعلی ، فقالت :

مَقَاوِيلَ لِلْمَعْرُوفِ خُرْسٌ عَنِ الْخَلْفَا كِرَامٌ يَعَاطُونَ الْعَشِيرَةَ سُوْهُمَا  
قال : فحى الشيخ عند ذلك ، فقال .

وقافية مثل السنانِ ردفتها تناولتُ من جوِّ السماءِ نَزُوهَا

فقالت ابنته :

بَرَاهَا الَّذِي لَا يَنْطِقُ الشَّعْرُ عِنْدَهُ وَيَعْجُزُ عَنْ أَمْثَالِهَا أَنْ يَقُولَهَا  
وذكر أن العباس بن الأحنف دخل على الدلفاء فقال : أجزى عنى

هذا البيت :

أهدى له أخطابهُ أترجةً فبكى وأشفق من عيافة زاجرٍ

فقالت غير مفكرة :

خافَ التَّوَنَ إِذْ أَتتهَ لِأَنهَآ لُونَانٌ بِأَطْنَهَآ خِلَافُ الظَّاهِرِ  
فخف لها بكل الأيمان ، وكانت تعزه ، اثن ظهر البيت إن دخلت منزلكم  
أبدأ ، وأضافه إلى بيته .

وأما ما أجزى فيه قسيم بيت بيت ونصف قول الرشيد للشراء : أجزوا :

\* الْمَلِكُ لِلَّهِ وَحْدَهُ \*

[ ف ] قال الجواز :

\* وَاللَّخِيْفَةُ بَعْدَهُ \*

وَاللُّحْبُ إِذَا مَا حَبِيْبُهُ بَاتِ عِنْدَهُ

واستجاز سيف الدولة أبا الطيب قول عباس بن الأحنف :

أَمِيَّتِي تَخَافُ انْتِشَارَ الْحَدِيثِ وَحَطَّيْتُ فِي سَآئِرِهِ أَوْفَرَ؟

فصنع القصيدة المشهورة :

هَوَاكَ هَوَايَ الَّذِي أَضْمَرُ وَسِرِّكَ سِرِّي فَاظْهَرُ

إلا أنه خرج فيها عن المقصد .

والإجازة في هذا الموضع مشتقة المعنى من الإجازة في السقي ، يقال : أجاز

فلان فلانا ، إذا سقى له أو سقاه ، الشك منى ، وأما اللفظة فصحيحة فصيحة .

وقال ابن السكيت : يقال للذي يَرِدُ عَلَى أَهْلِ الْمَاءِ فَيَسْتَقِي : مُسْتَجِيزٌ ،

قال القطامي :

وَقَالُوا قُفِّمُ قِيمِ الْمَاءِ فَاسْتَجَزَ عِبَادَةٌ ؛ إِنَّ الْمُسْتَجِيزَ عَلَى قُفْرِ (١)

(١) قال شارح ديوانه : استجزر : اطلب أن تسقى إبلك ، يقال : أجزنا ، أى

اسقنا ، ونجزك : نسقيك . والجواز : الذى تشربه من ماء قوم ثم تمر . وعلى قتر :

أى على خوف ، ويقال : على خطر وحذر من ألا يسقى .

اشتقاق  
الإجازة

ويجوز أن يكون من « أجزت عن فلان الكأس » إذا تركته وسقيت غيره ، فجازت عنه دون أن يشربها ، قال أبو نؤاس :

وقلتُ لساقينا أجزنا فلم أكن ليأبى أمير المؤمنين وأشربا  
فجوزها عنى عقاراً ترى لها إلى الشرف الأعلى شعاعاً مطمئنا  
وقد تقدم ذكر الإجازة التي فيها عيوب القوافي ، وذكرت اشتقاقها .

التلميط

ومن هذا الباب نوع يسمى التلميط ، وهو أن يتساجل الشاعران فيصنع هذا قسيما وهذا قسيما لينظر أيهما ينقطع قبل صاحبه ، وفي الحكاية أن امرأ القيس<sup>(١)</sup> قال للتوأم اليشكري : إن كنت شاعراً كما تقول فلط أنصاف ما أقول فأجزها ، قال : نعم ، قال امرؤ القيس :

\* أَحَارِ تَرَى بُرَيْقًا هَبَّ وَهَنَا \*

فقال التوأم : \* كَنَارِ مَجُوسَ تَسْتَعْرِ اسْتَعَارَا \*

فقال امرؤ القيس : \* أَرَقْتَ لَهُ وَنَامَ أَبُو شَرِيحَ \*

فقال التوأم : \* إِذَا مَا قَلْتَ قَدْ هَذَا اسْتَطَارَا \*

ولا يزالان هكذا ، يصنع هذا قسيما وهذا قسيما إلى آخر الأبيات .

وقد تقدم<sup>(١)</sup> إنشادها في باب أدب الشاعر من هذا الكتاب .

وربما ملط الأبيات شعراء جماعة ، كما يحكى أن أبا نواس والعباس بن الأحنف والحسين بن الضحاك الخليلع ومسلم بن الوليد الصريح خرجوا في متنزه لهم ومعهم يحيى بن المعلی ، فقام يصلى بهم ، فنسى الحمد وقرأ ( قل هو الله أحد ) فأرتج عليه في نصفها ، فقال أبو نواس : أجزوا :

أكثر يحيى غلطاً في قل هو الله أحد

(١) انظر الجزء الأول (ص ٢٠٢) .

فقال عباس :

قام طويلاً ساهياً حتى إذا أغميا سجداً

فقال مسلم بن الوليد :

يَزْحَرُ فِي مَحْرَابِهِ زَحِيرَ حُبْلَى بَوْلَدٍ

فقال الخليلع :

كَأَنَّهَا لِسَانُهُ شُدَّ بِحَبْلِ مِنْ مَسَدٍ

وأشدني بعض أصحابنا هذه الأبيات على طريق الاستملاح لها والاستطراف بها ، وقال : هذا الذي يعجز الناس عنه ، فقلت : فما بال عباس وأبي نواس لم يقولوا بعد البيت الأول :

وَنَسِيَ الْحَمْدَ فَمَا مَرَّتْ لَهُ عَلَى خَلْدٍ

ولا سيما وقد كان ذلك حقيقة ، وكذلك جرت الحكاية ، فقال : ولئن البيت ؟ فقلت : لابن وقته .

واشتقاق التمليط من أحد شيئين : أولهما أن يكون من الملائطين ، وهما جانباً

اشتقاق  
التمليط

السنام في مرد الكتفين ، قال جرير :

ظَلَّانَ حَوَالَى خِدْرِ أَسْمَاءَ ، وَاتَّحَى بِأَسْمَاءَ مَوَارِ الْمَلَّاطِينَ أَرْوَحُ

فكان كل قسيم ملاط ، أي : جانب من البيت ، وهما عند ابن السكيت العضدان . والآخر - وهو الأجود - أن يكون اشتقاقه من الملائط وهو الطين يدخل في البناء يملط به الحائط مَلَطًا ، أي : يدخل بين اللبن حتى يصير شيئاً واحداً . وأما الللط - وهو الذي لا يبالي ما صنع - والأملط الذي لا شعرَ عليه في جسده ؛ فليس لاشتقاقه منهما وجه .

## (٦٧) - باب الاتساع

وذلك أن يقول الشاعر بيتاً يتسع فيه التأويل ؛ فيأتى كل واحد بمعنى ، حد الاتساع  
 وإنما يقع ذلك لاحتمال اللفظ ، وقوته ، واتساع المعنى .  
 من ذلك قول امرئ القيس :  
 وسيله  
 أمثله

مِكَرٌّ مِفْرَةٌ مُقْبِلٌ مُدْبِرٌ مَعَا كَجَلُودٍ صَخْرٍ حَطُّهُ السَّيْلُ مِنْ عِلِّ  
 فأما أراد أنه يصلح للسكر والفر ، ويحسدن مقبلاً مدبراً ، ثم قال « معاً »  
 أى : جميع ذلك فيه ، وشبهه في سرعته وشدة جريه بجلود صخر حطه السيل  
 من أعلى الجبل ؛ فإذا انحط من عال كان شديد السرعة ، فكيف إذا أعانته  
 قوة السيل من ورائه ؟ ؟

وذهب قوم - منهم عبد الكريم - إلى أن معنى قوله \* كجلود صخر  
 حطه السيل من عِلِّ \* إنما هو الصلابة ؛ لأن الصخر عندم كلما كان أظهر  
 للشمس والريح كان أصلب .

وقال بعض من فسره من المحدثين : إنما أراد الإفراط ، فزعم أنه يرى مقبلاً  
 ومدبراً في حال واحدة عند السكر والفر لشدة سرعته ، واعترض على نفسه ، واحتج  
 بما يوجد عياناً ؛ فمثله بالجلود المنحدر من قننة الجبل ، فإنك ترى ظهره في النصبه  
 على الحال التي ترى فيها بطنه وهو مقبل إليك ، ولعل هذا ما مر قط بيال  
 امرئ القيس ، ولا خطر في وهمه ، ولا وقع في خَلده ، ولا رُوعه .  
 ومثله قول أبي نواس :

\* أَلَا فَاسَقِنِي خَمْرًا وَقُلْ لِي هِيَ الْخَمْرُ \*

فزعم من فسره أنه إنما قال « قل لي هي الخمر » ليلتذ السمع بذكرها كما  
 التذت العين برويتها ، والأنف بشمها ، واليد بلمسها ، والفم بذوقها ،  
 وأبو نواس ما أظنه ذهب هذا المذهب ، ولا سلك هذا الشعب ، ولا أراه

أراد إلا الخلالة والعبث الذي بنى عليه القصيدة ، ودليل ذلك أنه قال في تمام البيت :

\* وَلَا تَسْقِنِي سِرًّا إِذَا أَمَكْنَ الْجَهْرُ \*

ويروى « فقد أمكن الجهر » فذهب إلى المجاهرة ، وقلة المبالاة بالناس ، والمداراة لهم في شرب الخمر بعينها التي لا اختلاف بين المسلمين فيها .

وقد ثبت أن المأمون ذم أخاه الأمين على المنابر ، وذكر في مذامه أنه صحب شاعراً من أمره ومن قصته أنه يجاهر بالمعاصي ، ويقول في قصيدة أولها كذا وأنشد البيت :

فَبِتْنًا يَرَانَا اللَّهُ شَرًّا عَصَابَةٍ نَجْرٍ<sup>(١)</sup> بِأَذْيَالِ الْفَسُوقِ وَلَا فَخْرُ

ومثل ذلك قول المفضل الضبي بين يدي الرشيد والكسائي حاضر في معنى قول الفرزدق :

أَخَذْنَا بِأَفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيْنَاكُمْ لَنَا قَمَرَاهَا وَالتُّجُومُ الطَّوَالِعُ

وقد سأل الأمين والمأمون : ما معناه ؟ فقالا : معناه في قوله « قمرها » تغليب المستعمل عندهم ؛ لأن القمر أكثر استعمالاً عند العرب من الشمس ، وكذلك قولهم « العمران » لما كان عمر أطول أياماً وأكثر تأثيراً ، فقال الرشيد : هكذا أخبرنا هذا الشيخ ، وأشار إلى الكسائي ، فقال المفضل : بن مراده بالقمرين جدّك إبراهيم ومحمد صلى الله عليهما ، وبالنجوم الطوالع أنت وآبائك الطيبون ، فأعجب الرشيد بذلك ووصّله ، والفرزدق ما قصد إلى شيء من ذلك [ و ] لا أراداه ، ولا علم أن الرشيد بعده يكون أمير المؤمنين ، وإنما أراد أن كل مشهورٍ فاضلٍ فهو لنا عليكم ، ومنا لا منكم ، فنحن أشرف

(١) يروى \* نجرر أذيال . . . . .

بيتا ، وأظهر فضلا ، وأبعد صوتاً ، إلا أن التي جاء بها المفضل مُلحَنة أفادت مالا .

و يتعلق بهذا قول أبي الطيب يذكر الروم :

وَقَدْ رَدَّتْ فَوْقَ اللَّقَانِ دِمَاؤُهُمْ      ونحن أناسٌ نُنْبَعُ البارد السخنا<sup>(١)</sup>

أراد أنا نُنْبَعُ البارد من الدماء سخنا ، كأنه يتوعدهم بقتل آخر ، فيكون قد أخذه من قول سُويِّد بن كراع - وهي أمة - يصف كلاباً وثوراً :

فَهَزَّ عَلَيْهِ الموتُ وَلِلموتِ دُبُونَهُ      على رَوْقِهِ مِنْهُ مُذَابٌ وَجَامِدٌ<sup>(٢)</sup>

وقال الأصمعي : يعنى بالمذاب الحار ، وبالجامد البارد ، ويجوز أن يكون أبو الطيب أراد: ونحن أناس نتبع البارد من الطعام سخنا ، وكذلك أيضاً عادتنا في الدماء ؛ فيكون قد فرع .

وزعم قوم في قوله يشفع ليني كلاب إلى سيف الدولة :

وَمَلَكَ أَنْفَسَ الثَّقَلَيْنِ طَرَأُ      فكيف تحوز أنفُسها كلاب

أنه لم يرد القبيلة ، وإنما أراد أن يجعلهم كلاباً على باب التحقير لقدومهم ، والتلطف لهم ، كما جعلهم في البيت الأول ذئاباً سُرَّاقاً ، ولا أظن ذلك ، بل لا أحققه ؛ لأن في القصيدة :

وَلَوْ غَيْرُ الأَمِيرِ غَزَا كِلَاباً      ثَنَاهُ عَنْ شَمُوسِهِمْ ضَبَابُ

(١) اللقان : موضع ببلاد الروم . يريد أن دماء الروم التي أسالها سيف الدولة باللقان قد بردت ، وأراد بهذا الكناية عن تقادم عهده بغزومهم ، ثم ذكر أن عادته إتباع البارد من الدماء بالساختن

(٢) روقه : قرنه .

ولاقى دونَ ثأبيهم طمأننا مُبِلَاقِي عِنْدَهَا الذُّمَّ بِالنُّرَابِ (١)

إلا أن يحملوا على الشاعر التناقض ، وينسبوه إلى قلة التحصيل ؛ فذلك إليهم ، على أن هذه القصيدة قليلة النظير في شعره : تناسباً ، وطبعاً ، وصنعة ، ومثلها الرائية في وزنها وذكر القصة بعينها .

### (٦٨) - باب الاشتراك

أنواع الاشتراك وهو أنواع : منها ما يكون في اللفظ ، ومنها ما يكون في المعنى ؛ فالذي يكون في اللفظ ثلاثة أشياء : فأحدها : أن يكون اللفظان راجعين إلى حد واحد أو مأخوذين من حد واحد ، فذلك اشتراك محمود ، وهو التجنيس ، وقد تقدم القول فيه ، والنوع الثاني : أن يكون اللفظ يحتمل تأويلين أحدهما يلائم المعنى الذي أنت فيه والآخر لا يلائمه ولا دليل فيه على المراد ، كقول الفرزدق :

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مُمْلِكًا أَبُو أُمِّهِ حَتَّىٰ أَبُوهُ يُقَارِبُهُ

فقوله « حتى » يحتمل القبيلة ، ويحتمل الواحد الحى ، وهذا الاشتراك مذموم قبيح ، والمليح [ الذى ] يحفظ لكثير في قوله يشبب :

لعمري لقد حببت كل قصيرة إلى ، وما تدرى بذاك القصائر

(١) الثأى : جمع ثأية ، كراى وراية ، وهى حجارة تجعل حول البيوت يأوى إليها الراعى ليلا وفيها مبارك الإبل ومرايض الغنم . يقول : لو غزا كلابا غير الأمير لثناه ضباب عن شموسهم ، وكأنه يريد وصفهم بالقوة وشدة الدود عن حياضهم ، ولوجد دون وصوله إلى بيوتهم حربا عوانا يتفانى فيها جيشه حتى يجتمع على جثت صرعا الوحوش وهى المراد بالذئب والطيور وهى المعبر عنها بالقراب ؛ فأما الوحوش فتأكل عظامهم وأما الطيور فتأكل لحومهم كما قال عنترة :

لى النفوس ، وللطيور اللحوم ، وللوحش العظام ، وللخيلة السلب



عَنَيْتُ قَصِيرَاتِ الْحِجَالِ وَلَمْ أَرِدْ قِصَارَ الْخَطَا؛ نَسْرُ النِّسَاءِ الْبِحَاثِرُ  
فَأَنْتَ تَرَى فِطْنَتَهُ لَمَّا أَحْسَسَ بِاشْتِرَاكِ كَيْفَ نَفَاهُ ، وَأَعْرَبَ عَنْ مَعْنَاهُ الَّذِي  
نَحَا إِلَيْهِ .

ومن نوع قول الفرزدق قول كشاجم يذكر الميدان :

عَمْرَتُهُ بِفَتِيَّةٍ صَبَّاحٍ سُمِّحَ ، بِأَعْرَاضِهِمْ شِحَاحٍ

فنحن نعلم أنه أراد سمح شحاح بأعراضهم ، ولكن فيه من اللبس ما هو  
أولى من التأويل .

والنوع الثالث ليس من هذا في شيء ، وهو سائر الألفاظ المبتدلة للكلم  
بها ، لا يسمى تناولها سرقة ، ولا تداولها اتباعاً ؛ لأنها مشتركة لا أحد من الناس  
أولى بها من الآخر ، فهي مباحة غير محظورة ، إلا أن تدخلها استعارة ، أو  
تصحبها قرينة تُحَدِّثُ فِيهَا مَعْنَى ، أو تقييد فائدة ، فهناك يتميز الناس ، ويسقط  
اسم الاشتراك الذي يقوم به العذر ، ولو غيرت اللفظة وأتى بما يقوم مقامها كقول  
ابن أحرر :

بِمَقْلَصِ دَرَكِ الطَّرِيدَةِ ، مَتَّنُهُ كَصَفَا الْخَلِيقَةِ بِالْفَضَاءِ الْمَلْبَدِ<sup>(١)</sup>

فقوله « دَرَكِ الطَّرِيدَةِ » وقول الأسود بن يَغْفَرُ :

بِمَقْلَصِ عَتِدِ جَبْهِي شَدَّهُ قَيْدِ الْأَوَابِدِ وَالرَّهَانَ جَوَادِ<sup>(١)</sup>

(١) قال في اللسان : « وصحرة حلقاء بينه الخلق : ليس فيها وسم ولا كسر

وأنشد البيت « ٥١ » .

(٢) فرس عتد - بكسر التاء المشاة أو فتحها - شديد تام الخلق سريع الوثبة

معد للجرى ليس فيه اضطراب ولا رخاوة .

جميعاً كقول امرئ القيس :

\* بمجرد قيد الأوابد هيكلي \*

وكذلك قول أبي الطيب :

\* أجل الظلم وربقة السرحان \*

فأما ما ناسب قول الأبيرد اليربوعي يرثي أخاه :

وَقَدْ كُنْتُ أَسْتَعْفِي الْإِلَهَ إِذَا اشْتَكَى مِنْ الْأَجْرِ لِي فِيهِ ، وَإِنْ عَظُمَ الْأَجْرُ

وقول أبي نواس في صفة الحجر :

تَرَى الْعَيْنَ تَسْتَعْفِيكَ مِنَ لِمَعَانِهَا وَتَحْسِرُ حَتَّى مَا تُقَلُّ جُفُونَهَا

فهو من المشترك الذي لا يعد سرقة .

وقد نص عليه القاضى الجرجاني أنه من المنقول المتداول المبتذل .

وأما الاشتراك في المعاني فنوعان : أحدهما : أن يشترك المعنيان وتختلف

الاشترك في المعاني وأنواعه

العبارة عنهما ، فيقواعد اللفظان ، وذلك هو الجيد المستحسن ، نحو قول

امرئ القيس :

كِبْرُ اللَّقَانَةِ الْبَيَاضِ بِصُفْرَةٍ غِذَاهَا تَمِيرُ الْمَاءَ غَيْرَ مَحْلٍ<sup>(١)</sup>

وقول غيلان ذى الرمة :

نَجْلَاهُ فِي بَرَجٍ صَفْرَاهُ فِي نَعَجٍ كَأَنَّهَا فِضَّةٌ قَدْ مَسَّهَا ذَهَبٌ<sup>(٢)</sup>

فوصفا<sup>(٣)</sup> جميعاً لونا بعينه : فشبهه الأول بلون بيضة النعام ، وشبهه الثاني بلون

(١) البكر : أول بيض النعامة ، والقناة : المخالطة ، يقال : مايقانيني خلق

فلان ، أى : ما يشاكل خلقى ويخالط نفسى ، والبياض : مفعول للقناة ، ونائب الفاعل - وهو المفعول الأول - ضمير مستتر ، والنير من الماء : الذى ينضح فى الشاربة وإن لم يكن عذبا ، وغير محلل : لم يحلل عليه فيكدر .

(٢) رواية الديوان « كحلاء فى دعج » وقد سبقت للمؤلف « كحلاء فى برج »

وذلك فى ( ص ٢٩ ) من هذا الجزء .

(٣) فى المطبوعتين « فوصفها » وليس بشئ .

الفضة قد خالطها الذهب يسيراً ولذلك قال «قد مسها»

ونحو قول عبدة بن الطيب يصف ثوراً وحشياً :

مُجْتَابٌ نِصْعٌ جَدِيدٌ فَوْقَ نَقْبَتِهِ      وَفِي الْقَوَائِمِ مِنْ خَالِ سَرَائِلِ (١)

وقال الطرماح يصف ظلياً :

مُجْتَابٌ شَمَلَةٌ بَرْجُودٍ لِسَرَاتِهِ      قَدْرًا فَأَسْلَمَ مَا سِوَاهُ الْبَرْجُودِ (٢)

فوصف الأول بياض الثور وسواد قوائمه وتخطيطها فشبه ظهره كأن عليه نصعاً جديداً ، وهو الثوب الأبيض ، وشبه ما في قوائمه من السواد والتخطيط بسراويل من الخلال ، وهو ضرب من الوشي .

وقال الثاني : إنه مجتاب شملة برجد ، يريد ماعلى الظلم من قرونه ، والبرجد : كساء أسود مخمّل ، وجعل الشملة قدراً لسرّاته دون رجليه وعنقه ؛ فدل على بياضهن

وقال عنتره :

صَعْلٌ يَعُودُ بِذِي الْعَشِيرَةِ بَيْضَهُ      كَأَلْتَبْدِ ذِي الْقَرَوِ الطَّوِيلِ الْأَصْلَمِ (٣)

(١) نصع - بكسر فسكون - ضرب من الثياب شديد البياض ، وعم بعضهم به كل جلد أبيض أو ثوب أبيض ، قاله في اللسان .

(٢) انظر (ج ١ ص ٢٩١ و ٢٩٨) من هذا الكتاب ، وقول المؤلف « وجعل الشملة قدراً لسرّاته » يدل على أنه بالراء المهمله من المقدار ، وقد فسرناه هناك على أنه قدد بدالين ، وهذا الذي ذكرناه هناك رواية الأغاني ، وهي أولى .

(٣) الصعل : الصغير الرأس الدقيق العنق ، يعود : يأتي إلى بيضه ، كما تقول : عدت المريض . وذو العشيرة : موضع ، والأصل : المقطوع الأذنين ، والظلمان كلها لا آذان لها ، قاله الخطيب ؛ وانظره مع كلام المؤلف .

فشبهه بعبد طويل عليه فرو أصل ، أى : قصير الذبول ، وإنما خص القرو لأنهم كانوا يلبسونه مقلوباً ، وجعله عبداً لبياض ساقيه وعنقه وإشراجهما المحررة يعنى صفات الروم ، ولم تكن العبيد فى ذلك الوقت إلا بيضاً ؛ فهذا اشتراك فى وصف الظهر والقوائم واختلاف فى اللفظ والعبارة .

والنوع الثانى على ضربين : أحدهما : ما يوجد فى الطباع من تشبيه الجاهل بالثور والحمار ، والحسن بالشمس والقمر ، والشجاع بالأسد وما شابهه ، والسخى بالغيث والبحر ، والعزيمة بالسيف والسيول ، ونحو ذلك ؛ لأن الناس كلهم - الفصيح والأعجم والناطق والأبكم - فيه سواء ؛ لأننا نجد مراكبا فى الخليفة أولاً .

والآخر ضرب كان مخترعاً ، ثم كثرت حتى استوى فيه الناس ، وتواطأ عليه الشعراء آخرأ عن أول ، نحو قولهم فى صفة الخلد « كالورد » وفى القد « كالنصن » وفى العين « كعين المهامة من الوحش » وفى العنق « كعنق الطي » وكأبريق الفضة أو الذهب « فهذا النوع وما ناسبه قد كان مخترعاً ، ثم تساوى الناس فيه ، إلا أن يولد أحد منهم فيه زيادة ، أو يخصه بقرينة ؛ فيستوجب بها الانفراد من بينهم ، ومثل ذلك تشبيه العزم بهبوب الريح ، والذكاء بشواظ النار ، وسيرد عليك من قواى باب السرقات وما ناسبها كثير ، إن شاء الله تعالى .

### (٦٩) - باب التباير

وهو أن يتضاد المذهبان فى المعنى حتى يتقاوما ، ثم يصحاحا جميعاً ، وذلك من افتتان الشعراء وتصرفهم وغوص أفكارهم .  
 حد التباير وسببه  
 أمثلة من التباير  
 من ذلك قول بعض العرب المتقدمين يذكر قوماً بأنهم لا يأخذون إلا القود دون الدية :

لَا يَشْرَبُونَ دِمَاءَهُمْ بِأَكْفِهِمْ إِنَّ الدَّمَاءَ الشَّافِيَاتِ تُكَلِّئُ

وقال آخر وقد أخذ بثأره إلا أنه فيما زعم قتل دون من قتل له ، ويروى لامرأة حارثية :

فيقتل خير بامرئ لم يكن له بواء ، ولكن لا تكأيل بالدم  
ويروى « في فتى لم يكن له وفاة » فالأول يقول : لا أخذ بالدم لبناً ، لكن  
أخذ بما بقدره ، فكان ذلك مكايلة ، والثاني يزعم أن قتيله قليل المثل والنظير ،  
فتى لم يقتل به إلا نظيره بعد انتقامه ، وعسر إدراكه الثأر فقال : إن الدماء  
ليست مما يكابيل به في الحقيقة ، وقيل : إنما يعنى بذلك أن الإسلام لما جاء أزال  
المكايلة بالدم ؛ فكانوا لا يقتلون بالرئيس إلا رئيساً مثله .

ومن هذا الباب قول أبي تمام في التكرم يفضله على الكرم المطبوع :

قَدْ بَلَوْنَا أبا سَعِيدٍ حَدِيثًا وَبَلَوْنَا أبا سَعِيدٍ قَدِيمًا  
وَوَرَدَنَاهُ سَائِحًا وَقَلْبِيًا وَرَعَيْنَاهُ بَارِضًا وَجَمِيًّا<sup>(١)</sup>  
فَعَلَمْنَا أَنْ لَيْسَ إِلَّا بِشِقِّ النَّفْسِ صَارَ الْكَرِيمُ يُدْعَى كَرِيمًا

وقال أبو الطيب في خلافه :

لَوْ كَفَرَ الْعَالَمُونَ نِعْمَتَهُ لَمَّا عَدَّتْ نَفْسُهُ سَجَايَاهَا  
كَالشَّمْسِ لَا تَبْتَغِي بِمَا صَنَعَتْ تَكْرِمَةً عِنْدَهُمْ وَلَا جَاهًا

وإلى هذا المذهب نحا السيد أبو الحسن في قوله :

جَبْرُ الْكَسِيرِ إِذَا يُهَاضُ جَنَاحُهُ لِحَا الْمَطَرِ دِ مُسْتَعَاثُ الْمُمْلِقِ

(١) أراد بالسائح : النهر ، والقلبي : البئر . والبارض : أول ما يظهر من نبت الأرض ، وقيل : هو أول ما يعرف من النبات وتساوله النعم ، وقال الأصمعي : أول ما يظهر من البهي بارض ؛ فإذا تحرك قليلاً فهو نحيم .

جَمَعَ الفُضائلَ والحَمائدَ والعَلامَ خُلقٌ لَعمرُ أيبكَ غَيرُ تَحَلُّقِ  
وأصلُ معنى قول أبي الطيب من قول بشار :  
لَيسَ يُعْطِيكَ لِلرَّجاءِ وَاللَّخوُ فِ وَلَكنَ يَلدُّ طَعمَ العَطاءِ  
وقال البحرى فى نحو ذلك :

لا يَتَعَبُ النَّائِلُ المُبذولُ هِمَّتَهُ وَكَيْفَ يَتَعَبُ عَيْنَ النَّاطِرِ النَّظَرُ !؟  
وكان أبو الطيب لقدرتة واتساعه فى المعانى كثيراً ما يخالف الشعراء ويغايير  
مذاهبهم ، ألا ترى إلى قول على بن العباس النوبختى - وهو فى رواية الجرجانى  
لابن الرومى - يصف القلم ويفضله على السيف ، وكتب بذلك إلى على بن مقلة  
فى قصيدة :

إن يَخدُمَ القَلمُ السيفَ الَّذى خَصَمَتْ لَهُ الرقابُ وَدانتَ خَوفَهُ الأُممُ  
كذأ قَضَى اللهُ للأقلامِ مَذْبُورِيتَ أنَّ السُّيوفَ لها مُذْ أُرهِقَتْ خَدَمُ  
فالموتُ - والموتُ لا شىءُ يُعادِلُهُ - ما زالَ يَتَّبِعُ ما يَجْرِى بِهِ القَلمُ  
وهذا كلام مُتَقَنِ البنية ، صحيح المعنى ، لا مَطْمَئِنَ فيه ، فجاء أبو الطيب  
فخالفه وذهب مذهباً آخر يشهد بصحته العيانُ ، ويصححه البرهان ، فقال :

حَتَّى رَجَعْتُ وَأَقلامِي قَوائِلُ لى : المجدُ للسيفِ لَيسَ المجدُ للقَلمِ  
اكتبَ بذا أبدأ قبلَ الكتابِ بها<sup>(١)</sup> فإِما نَحْنُ للأسيافِ كالخدَمِ  
ومن التغاير قول الفرزدق يصف إبله ويفخر :

ألم تَسَمَّعَا يا بُنى حَكيمٍ حَينَئِها إلى السِّيفِ تَسْتَبْكِي إذا لم تَعْمُرْ

(١) بدا : اسم الإشارة عائد إلى السيف ، بها : الضمير عائد إلى الأقلام .  
ورواية الديوان \* اكتب بنا أبدأ بعد الكتاب به \* وهى التى تتفق مع البيت  
السابق ( انظر الديوان : ج ٢ ص ٤١٣ ) .

فجعلها إذا لم تعقر حنت إلى السيف واستبكت ؛ لكثرة عاداتها ، وهذا غلومُفْرِط ، وكان في مكان آخر يصفها بالجزع إذا رأت الضيف لعلها أنها تنحرف له :

تَرَى النَّيْبَ مِنْ ضَيْفِي إِذَا مَا رَأَيْتَهُ ضُمُورًا عَلَى جِرَاتِهَا مَا تُجِيزُهَا  
فزعم أنها تخفى حسنها حتى إنها لا تجتر خوفًا من النحر ، وهذا المعنى مأخوذ من بيتين مُدح بهما النبي صلى الله عليه وسلم ، وهما :

وَأَيْبِكَ حَقًّا إِنْ لَابَلَ مُحَمَّدٍ عَزَلُ نَوَاحٍ أَنْ تَهَبَّ شِمَالُ  
وَإِذَا رَأَيْتَ لَدَى الْفِنَاءِ غَرِيبَةً فَدُمُوعُهُنَّ عَلَى الْخُدُودِ سَجَالُ<sup>(١)</sup>

يقول : إذا هبت الشمالُ - وهى من رياح الشتاء ، وعلامات المخل - أيقن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ينحرف للضيفان والجيران ؛ فهى نوايح لذلك ، وقوله \* وإذا رأيت لدى الفناء غريبة \* أى : يعرفن بذلك أنها ناقة ضيف فتندرى كل واحدة دمعها ، لاتندرى هل هى المنحورة ، وهذا من مليح الشعر ولضيف المدح ، وَقَلَّ كَلِّ مَدِيحٍ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
ومن مليح التغاير قولُ أبي الشَّيْصِ :

أَجْدُ اللَّامَةِ فِي هَوَاكِ لَدِيدَةً حُبًّا لِدِكْرِكَ ؛ فَلَيْلُمْنِي اللَّوْمُ  
وقول أبي الطيب فى عكس هذا :

أَحِبُّهُ وَأَحِبُّ فِيهِ مَلَامَةً ؟ إِنْ اللَّامَةَ فِيهِ مِنْ أَعْدَائِهِ

وهذا عند الجرجاني هو النظر والملاحظة ، وهو يعده فى باب السرقات ، قال :  
وأصله من قول أبي نُوَاس :

إِذَا غَادَيْتَنِي بِصَبُوحِ عَذْلِ فَمَمْرُوجًا بِتَسْمِيَةِ الْحَيْبِ

ولأبي العلاء المعرى مثله من غير التزام :

(١) غريبة : أراد ناقة غريبة كما قال المؤلف ، أو طائفة ، أو نسمة ، أو ما أشبه ذلك.

لم يَبْقَ غَيْرُ العَذْلِ من أسبابهم فَأَحَبُّ من يدنو إلى عَدْوُلٍ  
يغدو فلا مُسْتَحْبِرٌ عن حالهم غَيْرِي ، ولا مُسْتَحْبِرٌ مُسْتَوْلٍ

(٧٠) — باب في التصرف ، ونقد الشعر

يجب للشاعر أن يكون متصرفاً في أنواع الشعر : من جد وهزل ، وحلو  
وجزّل ، وأن لا يكون في النسيب أربع منه في الرثاء ، ولا في المديح أنفذ منه في  
الهجاء ، ولا في الافتخار أبلغ منه في الاعتذار ، ولا في واحد مما ذكرت أبعد منه  
صوتاً في سائرهما ؛ فإنه متى كان كذلك حكم له بالتقدم ، وحاز قَصَبَ السَّبْقِ ، كما  
حازها بشار بن برد ، وأبو نواس بعده .

متى يحوز  
الشاعر قصب  
السبق ؟

حكى الصحاب بن عباد في صدر رسالة صنعها على أبي الطيب ، قال : حدثني  
محمد بن يوسف الحمادي ، قال : حضرت بمجلس عبيد الله بن عبد الله بن طاهر  
وقد حضره البحتري ، فقال : يا أبا عُبَادَةَ ، أمسلم أشعر أم أبو نَواَس ؟ فقال :  
بل أبو نَواَس ؛ لأنه يتصرف في كل طريق ، ويبرع في كل مذهب : إن شاء جد ،  
وإن شاء هزّل ، ومسلم يلزم طريقاً واحداً لا يتعداه ، ويتحقق بمذهب لا يتخطاه  
فقال له عبيد الله : إن أحمد بن يحيى ثعلباً لا يوافقك على هذا ، فقال : أيها الأمير ،  
ليس هذا من علم ثعلب وأضرابه ممن يحفظ الشعر ولا يقوله ؛ وإنما يعرف الشعر  
من دفع إلى مضايقه ، فقال : وَرَيْتُ بك زِنَادِي يا أبا عُبَادَةَ ، إن حكك في  
عميك أبي نَواَس ومسلم وافق حكم أبي نَواَس في عمية جرير والفرزدق ؛ فإنه سئل  
عنهما ففضل جريراً ، فقيل : إن أبا عبيدة لا يوافقك على هذا ، فقال : ليس هذا  
من علم أبي عبيدة ؛ وإنما يعرفه من دفع إلى مضايق الشعر ، وقد خالف البحتري  
أبا نَواَس في الحكم بين جرير والفرزدق ، فقدم الفرزدق ، قيل له : كيف تقدمه  
وجرير أشبه طبعاً بك منه ؟ فقال : إنما يزعم هذا من لا علم له بالشعر ، جرير

موازنة بين  
مسلم وأبي  
نَواَس

وبين جرير  
والفرزدق



لا يمدو في هجائه الفرزدقَ ذِكرَ التين وجعثن وقتل الزبير، والفرزدق يرميه في كل قصيدة بأبدة، حكى ذلك غير واحد من المؤلفين .  
 فإذا كان هذا فقد حكم له بالتصرف، وبهذا أقول أنا، وإياه أعتقد فيهما،  
 وإذا لم يكن شعر الشاعر نطقاً واحداً لم يمله السامع، حتى إن حبيباً ادعى ذلك  
 لنفسه في القصيدة الواحدة فقال :

الجِدُّ والهزلُ في تَوْشِيحِ لِحْمَتِهَا  
 والنبلُ والسخفُ، والأشجانُ والطربُ<sup>(١)</sup>

وقد قال إسماعيل بن القاسم أبو العتاهية :

لَا يُصْلِحُ النَّفْسَ إِذْ كَانَتْ مُصْرَفَةً إِلَّا التَّصَرُّفُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ  
 وأنشد صاحب لأبي أحمد يحيى بن علي المنجم في نقد الشعر :

رُبَّ شِعْرِ نَقَدْتَهُ مِثْلَ مَا يَنْقَدُ رَأْسُ الصِّيَارِفِ الدِّيَنَارَا  
 ثم أرسلته فكانت معانيه وألفاظه معاً أبكارا  
 لو تَأْتَى لِقَالَةَ الشَّعْرِ مَا أَسْقَطُ مِنْهُ حَلْوَا بِهِ الْأَشْمَارَا  
 إنَّ خَيْرَ الْكَلَامِ مَا يَسْتَعِيرُ النَّاسُ مِنْهُ وَلَمْ يَكُنْ مُسْتَعَارَا

ليحي المنجم في  
 نقد الشعر

من عنده علم  
 الشعر

وقال الجاحظ : ظلمت علم الشعر عند الأصمعي فوجدته لا يحسن إلا غريبه  
 فرجعت إلى الأخفش فوجدته لا يتقن إلا إعرابه ، فمظفت على أبي عبيدة  
 فوجدته لا ينقل إلا ما اتصل بالأخبار، وتعلق بالأيام والأنساب ، فلم أظفر بما  
 أردت إلا عند أدباء الكتاب : كالحسن بن وهب، ومحمد بن عبد الملك الزيات .  
 قال صاحب على أثر هذه الحكاية : فله أبو عثمان ، فلقد غاص على سر  
 الشعر ، واستخرج أرق من السحر .

(١) قال الآدمي : قوله « الجد والهزل في توشيح لحمتها » بيت في غاية الحق ،  
 ومن يمدح وزيراً ، فلم يضمن قصيدته الهزل والسخف ؟ وإن كان هناك ما يدل على  
 هذا فلم نبه عليه واعترف به ؟ اهـ ، والتوشيح : من قولهم « وشمت البرد » إذا  
 جعلت فيه ألواناً وطرائق .

وسأذكر بعد هذا الباب قطعة من أشعار الكتاب يظهر فيها سرماهم ،  
ويستدل بها على مغزاهم ، ويعرف حسن اختيار الجاحظ فيما ذهب إليه من  
تفضيلهم ، ويشهد لي بجودة المنز ، وفرط التثبت والإنصاف ، إن شاء  
الله تعالى .

### (٧١) - باب في أشعار الكتاب

والكتاب أرق الناس في الشعر طبعاً ، وأملحهم تصنيماً ، وأحلاهم ألفاظاً ،  
وأظنهم معاني ، وأقدرهم على تصرف ، وأبعدهم من تكلف .

وقد قيل : الكتاب دَهَائِقُ الْكَلَامِ<sup>(١)</sup> ، وما نزيدك على قول إبراهيم  
ابن العباس الصولي بين يدي المتوكل حين أحضر لناظرته أحمد بن المدبر  
من شعر إبراهيم الصولي  
فقال ارتجالاً :

صَدَّ عَنِّي وَصَدَّقَ الْأَقْوَالَ      وَأَطَاعَ الْوُشَاةَ وَالْعُدَالَ  
أُتْرَاهُ يَكُونُ شَهْرَ صُدُودٍ      وَعَلَى وَجْهِهِ رَأَيْتُ الْهَلَالَ

فطرب له المتوكل واهتز ووصله ، وخلق عليه وحمله ، وجدد له ولاية . وقيل  
له في التلطف والاستعطاف أكثر من هذا ، وأي مدح أروع وأبدع من قوله في  
الفضل بن سهل :

لَفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ يَدٌ      تَقَاصَرَ عَنْهَا الْمَثَلُ  
فَبَاغَتْهَا لِلنَّسَبِ      وَظَاهَرُهَا لِلْقَبْلِ  
\* وَنَائِلَهَا لِلغَى      وَسَطْوَتُهَا لِلْأَجْلِ

أليس هذا الماء الزلال ، والسحر الحلال ؟؟

ولقد أجاد ابن الرومي في تناوله هذا المعنى حين قال :

مُقْبِلُ ظَهْرِ الْكُفِّ ، وَهَابُ بطنِهَا      لَهُ رَاحَةٌ فِيهَا الْحَطِيمُ وَزَمْرَمُ

(١) الدهاقين : جمع دهقان - بكسر فسكون - وهو التاجر البارع ، وقال الشاعر :

إِنَّمَا الدَّفَاءُ يَاقوتَةُ      أَخْرَجَتْ مِنْ كَيْسِ دَهْقَانِ

فظاهرُها للناس رُكْنٌ مُقْبَلٌ وباطنها عَيْنٌ من الجود عَيْلٌ<sup>(١)</sup>  
 إلا أن الأول أخف وزناً ، وأرشق لفظاً ومعنى . وهذان البيتان - وإن  
 كانت فيهما زيادة - فإنما هما بإزاء البيت الأوسط من أبيات إبراهيم فقط . .  
 ومن تغزل إبراهيم قوله :

أراك فلا أَرُدُّ الطرفَ كَيْلًا يكون حجابَ رؤيتك الجفونُ  
 ولو أنى نظرتُ بكل عينٍ لما استتقصت محاسنك العيونُ  
 فهذا وأبيك البيان ، والخبر الذي كأنه العيان .

وما أجد كل حلاوة وحسن طلاوة ، إلا دون قول [ ٤ ] :  
 ابتداءً بالتجني وأقتضاه بالتعطف  
 واشتقاه بتجنيك لأعدائك مني  
 بأنى قل لى لكى أغلم لم أعرضت عنى  
 قد تمنى ذلك أعداى ، فقد نالوا التمنى

وأما الهجاء فقد بلغ فيه أبعاد الغايات بقوله فى محمد بن عبد الملك الزيات :  
 فكُن كيف شئت وقل ما تشاء وأرعدُ يميناً وأبرقُ شمالاً  
 نجابك لؤمك منجى الذباب حتمته مقاذيره أن ينالا<sup>(٢)</sup>

ومن شعر محمد بن عبد الملك الزيات قوله لأحمد بن أبى دؤاد ، وقد أمر  
 من شعر ابن الزيات الوائق أن يقوم جميع الناس لابن الزيات ، ولم يجعل فى ذلك رخصة لأحد ،  
 وكان ابن أبى دؤاد يشتغل بصلاة الضحى إذا أحسَّ بقدومه أنفة من القيام إليه  
 فى دار السلطان ، وامثالاً للأمر ، فصنع ابن الزيات :

صلى الضحى لما استفاد عداوتى وأراه ينسكُ بعدها ويصومُ  
 لاتعد من عداوة مشثومة تركتك تقعد تارة وتقومُ  
 ومن تغزله قوله ، وهو فى غاية العذوبة :

(١) عيلم - بفتح العين المهملة وسكون الياء المثناة - أصله البحر والماء  
 الكثير ، والبر الكثير الماء .

(٢) فى كثير من الأصول « حتمته مقاذيره أن ينالا » بدون ياء .

قام بقلبي وقعدُ لما نقي عني الجلدُ  
يا صاحب القصر الذي أمهرَ عيني ورقدُ  
واعطشني إلى فمٍ يُمجُّ حَمْرًا من بردُ  
إن قُسمَ الناسُ فحَسبي بك من كل أحدُ

وقال يرثي جاريته سلوانة ، وهي أم ولده عمر الأصغر :

يقول لي الخلانُ : لوزرت قبرها فقلتُ : وهل غير الفؤاد لها قبرُ؟  
على حين لم أحدث فأجهل قدرها ولم أبلغ السنَّ التي معها الضبرُ  
وقال أيضاً وأحسن ما شاء :

مالي إذا غبت لم أذكر بواحدة وإن مرضت فطال الشقم لم أعدِ  
ما أعجب الشيء ترجوه فتخرمه قد كنت أحسب أني قد ملأت يدي  
ومن شعره في هذا الباب مقطعات متفرقة تغني عن الإكثار منه ههنا .  
وأما الحسن بن وهب فمن قوله :

لم تنم مُقلتي لطول يكأها ولما جال فوقها من قذآها  
فالتذي كلها إلى أن ترى وجة سليبي، وكيف لي أن تراها؟!  
أستعدت مُقلتي بإدمانها الدمع وهجرانها الكرى مقلتاها  
فلعمري في كلِّ حينٍ دُموعٌ إماماً تستدرُّها عيناها  
وقدمٌ إليه كانون ، ومسه قينة كان يهواها ، فأمرت بإبعاد الكانون ، فصنع :  
بأبي كرهت النار حتى أبعدتُ فمرفت ما ممتناك في إبعادها  
هي ضرة لك بالتماع شعاعها وبحسن صورتها لدى إيقادها  
وأرى صديمك بالقلوب صديمها بأراكها وسيالها وعراها  
شركتك في كل الجهات بحسنها وصيائها وصلاحتها وفسادها  
ومن مליح الشعر قوله يمدح محمد بن عبد الله بن طاهر غيب مطر :

هطلت لنا السماء هطلاً دراكاً جاوز الزرمان فيه السماكا

من شعر  
الحسن بن  
وهب

قلتُ للبرقِ إذ تَأَلَّقَ فِيهِ : يَا زِنَادَ السَّمَاءِ مِنْ أَوْزَاكَ (١)  
 أَحِبِّيكَ أَحِبَّتَهُ خَفَاكَ؟ فَعَسَى دَاكُ أَنْ يَعُودَ كَذَاكَ  
 أَمْ تَشَبَّهْتَ بِالْأَمِيرِ أَبِي الْعَبَّاسِ فِي جُودِهِ؟ فَلَسْتُ هُنَاكَ  
 وهذا هو الكلام الكتائبى ، السهل ، المرسل ، الحسن الطلاوة ، والظاهر  
 الحلاوة .

ومن قوله يرئى حبيباً الطائى ، وكان صديقاً له جداً :  
 سقى بالموصلِ القبرَ الغريباً سحائبُ يَنْتَحِزِينَ بِهِ نَحِيْبَا  
 إِذَا أَظْلَنَهُ أَطْلَقَنَ فِيهِ شَعِيبَ الْمَرْبِ يُتْبِعُهَا شَعِيبَا  
 وَلَطَمَتِ الْبُرُوقُ لَهُ خُدُودَا وَشَقَّقَتِ الرَّعُودُ لَهُ جِيُوبَا  
 فَإِنَّ تَرَابَ ذَاكَ الْقَبْرِ يَحْوِي حَبِيبَا كَانَ يَدْعَى لِي حَبِيبَا  
 وهى قصيدة كاملة أتيت بهذا منها معرضاً .

ومن شعراء الكتائب سعيد بن حميد الكاتب ، وهو القائل فى طول الليل :  
 يَا لَيْلُ ، بَلْ يَا أَبَدُ أَنَا نَمُّ عَنْكَ غَدُ؟  
 يَا لَيْلُ ، لَوْ تَلَقَى الَّذِي أَلْقَى هَا أَوْ أَجِدُ  
 قَصَرَ مِنْ طَوْلِكَ أَوْ أُضْعِفَ مِنْكَ الْجَدُّ  
 حميد الكاتب

ورواه قوم \* أنحل منك الجسد \* والأول عندى أصوب ، وعلى كل حال  
 فنه أخذ أبو الطيب قوله :

ألم يرَ هذا الليلُ عَيْذِيكَ رُؤْيِي فَتَظْهَرُ فِيهِ رَقَّةٌ وَمَحْوُلُ  
 وليس يلزم الكتائب أن يجارى الشاعر فى إحكام صنعة الشعر ؛ لرغبة  
 الكتائب فى حلاوة الألفاظ وطيرانها ، وقلة الكفاية ، والإتيان بما يخف على  
 (١) تألق : لمع ، وزناد السماء : شبه به الرق ، وأوراك : من قولهم « أورى  
 الزند » إذا قدحه ليحرج ناراً .

ملا يلزم  
 الكتائب

النفس منها ؛ وأيضا فإن أكثر أشعارهم إنما يأتي نظرفا ، لا عن رغبة ولا رهبة ، فهم مطلقون مُخَلَّوْنَ في شهواتهم ، مساحون في مذهبهم ؛ إذ كانوا إنما يصنعون الشعر تخيرا واستظرافا ، كما قال كشاجم الكاتب :

ولئن شعرتُ فما تعدت الهجاء ولا المديحة  
لكن رأيتُ الشعرَ للآدابِ ترجمةً فصيحته

وعلى هذا النمط يجري الحكم في أشعار الخلفاء ، والأمراء ، والمترفين من أهل الأقدار : لا يحاسبون فيها محاسبة الشاعر المبرز الذي الشعرُ صناعته ، والمديح بضاعته .

وقد أعرب أبو الفتح بن العميد وأغرب في قوله :

فإن كانَ مَرَضِيًّا فَقُلْ : شعر كاتبٍ وإن كان مسخوطاً فقل : شعر كاتب (١)  
ولو حاولتُ أن أذكر مَنْ علمت من شعراء الكتاب - سوى من ذكرت -  
لبعدَ الأمد ، وطالت الشقة ، واحتجت إلى أن أقيم لهذا الفن ديواناً مفرداً ؛  
لكنني عوّلت على ابن الزيات ، وابن وهب ؛ لإحالة الجاحظ في الفضل  
عليهما ، وأنستهما بائنين ليسا بدونهما ، ولو لم آت بهذا الباب إلا بما بينته  
عليه من ذكر أشعار السيد الرئيس أبي الحسن أيده الله لكان ذلك فوق الرضا  
والكفاية .

فن ذلك قوله :

بَاكَرِ الرَّاحِ وَدَعَّ عَنْكَ التَّدَانَ      وَاسْتَحْ فِي الصَّحَّةِ مِنْ قَبْلِ الْعِلَانِ  
وَاعْتَنِمِ لِنَةِ يَوْمِ زَائِلِ      فَاَلْمُنَايَا ضَاكِحَاتٌ بِالْأَمَلِ  
مَا تَرَى السَّاقِي كَشَمْسٍ طَلَعَتْ      تَحْمَلُ الْمَرْيَخُ فِي بُرُوجِ الْحَمَلِ  
مَائِسًا كَالْعَصَنِ فِي دِعْصِ نَقَا      فَاتِنِ الْمَقْلَةِ زِينَتُ بِالْكَحَلِ

من شعر  
أبي الحسن

(١) انظر (ج ١ ص ٣٣٥) تجد للمؤلف تعليقا على هذا البيت .

وقوله أيضا يتغزل :

مَرَّ بِنَايَهْتَرُ فِي مَشِيهِ      مثل اهْتَزَّازِ الْعُصْنِ الرَّطْبِ  
فمقلتي ترتعُ في حُسْنِهِ      ومقلتهَا أَحْرَقَتْ قَلْبِي  
قوله « أحرقت » وهما مقلتان كقول بعضهم ، وأنشده أبو الجراح في طبقات الشعراء :

أشركت عيناه ظلمة في دمي يا عظيم ما جنت  
فقال « ظلمة » وقال « جنت » لأن التثنية جمع في الحقيقة ، والجماعة تخبر عنها كما تخبر عن الواحد : لمكان التأنيث ، والشاهد من قول القدماء قول أحدهم :

لِمَنْ زُحْلُوقَةٌ زَلُّ      بِهَا الْعَيْنَانِ تَنْهَلُ  
فقال « تنهل » وكان حقه أن يقول « تنهلان » لكن العلة ما قدمت .  
ومن الموعظة الحسنة البالغة قوله :

أَمِنُ الزَّمَانُ زَمَانَةَ الْعَقْلِ      فَاخْشَ الْآلَاهُ وَحُلَّ عَنِ الْجَهْلِ  
وَأَعْلَمُ بِأَنَّكَ فِي الْحَسَابِ غَدًا      تُجْزَى بِمَا قَدَّمْتَ مِنْ فَعْلٍ

ومن تشكى أحوال الناس وقلة ثقتهم وإنصافهم قوله :

أيارب ، إن الناس لا يَنْصِفُونِي      وَلَمْ يُحْسِنُوا قَرَضِي عَلَى حَسَنَاتِي  
إِذَا مَدَارَأُونِي فِي رَحَاءِ تَرَدُّدُوا      إِلَى ، وَأَعْدَائِي لَدَى الْأَزْمَاتِ  
وَمَهْمًا أَكُنْ فِي نِعْمَةٍ حَزِنُوا لَهَا      ذُوو أَنْفُسٍ فِي شِدَّةِ جَذَلَاتِ  
نَقَاتِي مَا دَامَتْ صِلَاتِي لِيهِمْ      وَإِنْ عَنْهُمْ أَخْرَجْتُهَا فِعْدَاتِي  
سَأَمْنَعُ قَلْبِي أَنْ يَجِنَّ إِلَيْهِمْ      وَأَصْرَفَ عَنْهُمْ قَالِيَا لِحَطَّاتِي  
وَأُلْزِمُ نَفْسِي الصَّبْرَ دَأْبًا لَعَلِّي      أَعَايِنُ مَا أَمَلْتُ قَبْلَ مَمَاتِي  
أَلَا إِمَّا الدُّنْيَا كَغَافٍ وَصِحَّةٌ      وَأَمِنُ ، ثَلَاثُ هُنَّ طِيبُ حَيَاتِي

قوله « ثلاث » يعني ثلاث خصال أو ثلاث أحوال ، كما قال طرفة :

\* فَلَولًا ثَلَاثُ هُنَّ مِنْ لَدَّةِ الْفَتَى (١) \*

ثم فسرهن فقال :

\* فَنهن سَبَقُ العَاذِلَاتِ شَرِبَةً (٢) \*

\* وَكَرَّرَى إِذَا نَادَى المِضَافَ مُجَنَّبًا (٣) \*

\* وَتَقصِيرِ يَوْمِ الدَّجْنِ (٤) \*

والسبق والتقشير والسكر كلها مذكرة ، لكن أراد ما قدمت .

ومن أحسن الأشعار قوله :

خَلِيلِي ، إِن لَّمْ تُسْعِدَانِي فَأَقْصِرَا      فَلَيْسَ يُدَاوِي بِالعِتَابِ المَتَّيْمُ  
تَرِيدَانِ مِنِّي النُّسُكَ فِي غَيْرِ حِينِهِ      وَعُصْنِي رِيَانٌ وَرَأْسِي أَسْحَمُ  
وقوله في قصيدة طويلة :

غَرَاهُ وَاضِحَةٌ يَنْوَسُ بِقُرْطِهَا      جِيدٌ حَكْمِي جِيدَ النِّزَالِ الأعْنَقِ  
صَدَّتْ فَأَعْرَتِ بِالسُّجُومِ مَدَامِي      وَالعَيْنَ تَذْرِفُ بِالدَّمْعِ الشُّبْقِ  
تَشْكُو العِبَادَ إِذَا بَعْدَتْ تَصَبُّرًا      وَإِنِ ارْتَجَعْتَ إِلَى الزِّيَارَةِ تَفَرَّقِ  
وَلَقَدْ بَيَّتَ أَخُو المِودَةِ لِأُمِّي      فِي جِهَابِ لُومِ الشَّفِيقِ المَشْفِقِ  
حَتَّى إِذَا طَلَعَتْ فَأَبْصَرَ شَخْصَهَا      أَخْزَى جِهَالَةَ لِأُمِّي المَسْتَحْمِقِ  
كَمْ قَدْ قَطَعْتَ بِوَصْلِهَا مِنْ لَيْلَةٍ      وَشَرِبَ صَافِيَةَ كَالُونِ الزُّبُقِ

(١) تمامه \* وجدك لم أحفل متى قام عودي \*

(٢) تمامه \* كميت متى ماتعل بالماء تزيد \* ويروي « سبق العاذلات »

(٣) مجنبا - بالجيم الموحدة - هكذا هو في رواية ضعيفة ، والرواية الموثوق

بصحتها « مجنبا » بالحاء المهملة ، وتمام البيت \* كسيد الغضا نهته التورود \*

(٤) البيت بتمامه هكذا :

وتقصير يوم الدجن والدجن معجب      بهيكنة تحت الحباء المعمد



يسعى بها كالبدنير، ليلة تمه سحار الخاظ رخي المنطق  
آليت أتركك ذا وتلك وهذه حتى يفارقني سواد المفرق  
فله سلامة هذا الطبع واندفاعه ، وقرب هذا اللفظ واتساعه ، والله رقة معانيه  
وإرهاقه ، وظهورها مع ذلك وانكشافها ، ولطف مواعفها من القلوب ، وسرعة  
تأثيرها في النفوس ، وسيرد من شعره فيما بعد ما لاق بالمواضع التي يذكر فيها ،  
إن شاء الله تعالى .

### (٧٢) - باب في أغراض الشعر وصنوفه

وهو بسط لما بعده من الأبواب ، وقد فرط البسط له ، وفرغ من مقدمته  
في باب حد الشعر وتبينه ، وأنا إذا ذكر هنا ما لا بد منه .

للناشئ في  
صناعة الشعر

تكلم قوم في الشعر عند أبي الصقر إسماعيل بن بليل من حيث لا يعلمون .  
فكتب إليه أبو العباس الناشئ :

أمن الله صنعة الشعر ، ماذا من صنوف الجهال فيها لقينا؟  
يؤثرون الغريب منه على ما كان سهلاً للسامعين مئينا  
ويرون الحال شيئاً صحيحاً وخسيس المقال شيئاً ثميناً  
يجهلون الصواب منه ، ولا يدرون للجهل أنهم يجهلونا  
فهم عند من سوانا يلامون ، وفي الحق عندنا يعذروننا  
إنما الشعر ما تناسب في النظم ، وإن كان في الصفات فنونا  
فأتى بعضه بشاكل بعضاً قد أقامت له الصدور المتونا  
كل معنى أتاك منه على ما تمنى لو لم يكن أن يكونا  
فتناهى عن البيان إلى أن كاد حسناً يبين لناظرينا  
فكان الألفاظ فيه وجوه والمعاني ركبنا فيه عيوننا

فأثا في المرام حَسَبَ الأمانى فيجلى بحسنه المُنْشِدِينا  
 فإذا ما مدحتَ بالشعر جِرا رمتَ فيه مذاهبَ المسهبينا  
 فجعلتَ النسيبَ سهلاً قريباً وجعلتَ المديحَ صِدْقاً ميينا  
 وتكبتَ ما تهجنَ في السمعِ ، وإن كان لفظه موزوناً  
 وإذا ما قرَضْتَهُ بهجاءَ عِفتَ فيه مذاهبَ الرفثينا  
 فجعلتَ التصريحَ منه دواءً وجعلتَ التعريضَ داءً دفيناً  
 وإذا ما بكيتَ فيه على الغاءِ دينَ يوماً للبين والظاعنينا  
 حُلَّتْ دون الأسي وذلتَ ما كان من الدمعِ في العيون مَصُوناً  
 ثم إن كنتَ عاتبا شبتَ في الوعدِ وعيدا وبالصعوبة لينا  
 ففكرتَ الذي عَتَبْتَ عليه حذراً آمناً ، عزيزاً مهيناً  
 وأصحَّ القريضَ ما فاتَ في النظمِ ، وإن كان واضحاً مستبيناً  
 وإذا قيلَ أطعمَ الناسَ طراً وإذا ريمَ أعجزَ المعجزينا

قال أبو عبادة الوليد بن عبيد البحرى : كنت في حدائق أروم الشعر ،  
 وكنت أرحم فيه إلى طبع ، ولم أكن أقف على تسهيل مأخذه ، ووجوه اقتضائه ،  
 حتى قصدت أبا تمام ؛ فانقطعت فيه إليه ، واتكلت في تعريفه عليه ، فكان  
 أول ما قال لى : يا أبا عبادة ، تخير الأوقات وأنت قليل الموم ، حيفر من النجوم ،  
 واعلم أن العادة في الأوقات أن يقصد الإنسان لتأليف شيء أو حفظه في وقت  
 السحر ، وذلك أن النفس قد أخذت حظها من الراحة وقسطها من النوم ، فإن  
 أردت النسيب فاجعل اللفظ رقيقاً ، والمعنى رشيقاً ، وأكثر فيه من بيان الصبابة ،  
 وتوجع السكابة ، وقلق الأشواق ، ولوعة الفراق ، وإذا أخذت في مدح سيد  
 ذى أياذ فأشهر مناقبه ، وأظهر مناسبه ، وأبين معاملة ، وشرف مقامه ، وتقاض  
 المعاني ، واحذر المجهول منها ، وإياك أن تشين شرك بالألفاظ الزرية ، وكن

وصية  
 أبي تمام  
 للبحرى

كأنك خياط يقطع الثياب على مقادير الأجسام ، وإذا عارضك الضجر فأرخِ نفسك ، ولا تعمل إلا وأنت فارغ القلب ، واجعل شهوتك لقول الشعر الذريعة إلى حسن نظمه ؛ فإن الشهوة نعم المعين ، وجملة الحال أن تعتبر شعرك بما سلف من شعر الماصين : فما استحسنته العلماء فاقصده ، وما تركوه فاجتنبه ، ترشد إن شاء الله تعالى .

قال صاحب الكتاب : قد كنت أردت ذكر هذا الفصل فيما تقدم من باب عمل الشعر وشحذ القرينة له ، فلم أثق بحفظي فيه ، حتى صححته فأثبتته بمكانه من هذا الباب<sup>(١)</sup> .

للناشيء أيضاً  
في الشعر

ومن قول الناشيء في معنى شعره الأول :

الشعر ما قومتم زينغ صدره	وشدذت بالتهذيب أمر متونه
ورأبت بالإطناب <sup>(٢)</sup> شغب صدوعه	وتجت بالإيجاز عور عيونه
وجعت بين قريبه وبعيده	ووصلت بين مجمه ومعينه
فإذا بكيت به الديار وأهلها	أجريت للمحزون ماء شؤونه
وإذا مدحت به جواداً ماجداً	وقيته بالشكر حق ديونه
أصفينه بنفيسه ورصينه	وخصصته بخطيره وثمينه
فيكون جزلاً في أنساق صنوفه	ويكون سهلاً في اتفاق فنونه
فإذا أردت كفاية عن رتبة	بايئت بين ظهوره وبعولونه
فجعلت سامعه يشوب شكوكه	بيانه وظنونه بييقينه
وإذا عتبت على أخ في زلة	أذجت شدته له في لينه
فترسته مستأنساً بدمائة	مستئسماً لوعونه وحزونه

(١) انظر ج ١ ص ٢٠٨ من هذا الكتاب .

(٢) يقال « رأب الشغب » و « رأب الصدع » في معنى أصلح الفاسد .

وإذا نبذت إلى التي عُلِّقَتْهَا • إِنَّ صَارَ مَتَكَ بِفَاتِنَاتِ شُؤُونِهِ  
تَهَمَّتْهَا • بلطفه ودقيقه وشغفتها بحبيبه — وكينه  
وإذا اعتذرت إلى أخ من زلته واشكت بين محيله ومبينه  
وهذا حين أبدأ بالكلام على هذه الأغراض والصنوف واحداً فواحداً ،  
إن شاء الله سبحانه وتعالى .

### (٧٣) — باب النسيب

حق النسيب أن يكون حلوا الألفاظ رسلها ، قريب المعاني سهلها ،  
غير كرت ولا غامض ، وأن يُخْتَارَ له من الكلام ما كان ظاهر المعنى ، لين الإيثار<sup>(٢)</sup> ،  
رطب المكسر ، شفاف الجوهر ، يُطْرَبُ الحزين ، ويستخف الرصين .  
روى أبو علي إسماعيل بن القاسم ، عن ابن دريد ، عن أبي حاتم ، عن  
الأصمعي ، عن أبي عمرو بن العلاء ، عن راوية كثير<sup>(٣)</sup> قال : كنت مع جرير  
— وهو يريد الشام — فطرب ، وقال : أنشدني لأخي بنى مليح — يعني كثيراً —  
فأنشدته حتى انتهيت إلى قوله :

وَأَدَّتْنِي حَتَّى إِذَا مَا سَبَيْتَنِي<sup>(٤)</sup> بِقَوْلِ مُجِلِّ الْمُصَمِّ سَهْلِ الْأَبَاطِحِ

(١) انظر قد الشعر لقدماء ٤٢ الآستانة .

(٢) ربما قرئت « لين الأبخار » .

(٣) في جميع أصول هذا الكتاب « عن رواه عن كثير » وهو خطأ ،  
وما أثبتناه عن الأمامي ( ج ٢ ٢٢٨ ) وقد اعترضه البكري في التنبيه ، قال « هذا  
الشعر لمجنون بنى عامر ، لا لكثير ، ولا أعلم أحدا رواه له ، وقد وقع لي في ديوانه  
وبعد البيتين :

فما حب ليلى بالوشيك انقطاعه ولا بالمؤدى يوم رد النائح  
(٤) في الأمامي « إذا ما استميتني » والذي في الأصل موافق لرواية البكري  
في التنبيه .

تَجَافَيْتِ عَنِّي حِينَ لَالِي حَيْلَةَ<sup>(١)</sup> وَخَلَقْتَ مَا خَلَقْتَ<sup>(٢)</sup> بَيْنَ الْجَوَاحِحِ  
 فقال : لولا أنه لا يحسن بشيخ مثلي النخير لَنَخَرْتُ حَتَّى يَسْمَعَ هِشَامُ  
 عَلَى سَرِيرِهِ . . .

وقيل لأبي السائب الخزومي : أترى أحداً لا يشتهي النسيب ؟ فقال : أما  
 مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا .

والنسيب والتغزل والتشبيب كلها بمعنى واحد . . . وأما الغزل فهو إلف النساء،  
 والتخلق بما يوافقهن ، وليس مما ذكرته في شيء ؛ فمن جعله بمعنى التغزل فقد  
 أخطأ ، وقد نبه على ذلك قدامة وأوضحه في كتابه نقد الشعر<sup>(٣)</sup>

الفرق  
 بين الغزل  
 والنسيب

وقال الخاتمي : من حكم النسيب الذي يفتتح به الشاعر كلامه أن يكون  
 ممزوجاً بما بعده من مدح أو ذم ، متصلاً به ، غير منفصل منه ، فإن القصيدة مثلها  
 مثل خلق الإنسان في اتصال بعض أعضائه ببعض ، فحق انفصل واحد عن الآخر  
 وباينه في صحة التركيب غادر بالجسم عاهة تَتَخَوَّنُ<sup>(٤)</sup> محاسنه ، وتُعَقِّ مَعَالِمَ جَمَالِهِ ،  
 ووجدت حُذَاقَ الشعراء وأرباب الصناعة من المحدثين يحترسون من مثل هذه  
 الحال احتراساً يحميهم من شوائب النقصان ، ويقف بهم على مَحَجَّةِ الإحسان .  
 ومن مختار<sup>(٥)</sup> ما قيل في النسيب قول المرار العدوي .

من  
 مختار نسيب  
 التميميين

- (١) في الأملی « حين لالی مذهب » وكذلك في التنييه ( ص ١١٨ )  
 (٢) في التنييه « وغادرت ما غادرت » والذي في الأصل موافق لما في الأملی  
 (٣) انظر نقد الشعر ص ٤٢ .  
 (٤) تتخون محاسنه : أي تنقصها .  
 (٥) هذه الأبيات من قصيدة للمرار احتارها أبو العباس الفضل الضي في  
 « المفضليات » وفي رواية المفضليات أبيات بين بعض هذه الأبيات وبعض ؛ فلعل  
 المؤلف لم يقصد إلى اختيار قطعة كاملة من القصيدة يقفو بعض أبياتها بعضاً .

وَهِيَ هَيْفَاءٌ هَضِيمٌ كَشْحُهَا      فَخَمَّةٌ حَيْثُ يُشَدُّ الْمُؤْتَرَزُ  
 صَمَلَتَةٌ اخْدُ طَوِيلٌ جِيدُهَا      ضَخَمَةُ الثَّدْيِ (١) وَلَمَّا يَنْكَسِرُ  
 يُضْرَبُ السَّبْعُونَ فِي خَلْجَاهَا      فَإِذَا مَا أَكْرَهْتَهُ يَنْكَسِرُ  
 لَا تَمَسُّ الْأَرْضَ إِلَّا دُونَهَا      عَنِ بِلَاطِ الْأَرْضِ تَوْتُبُ مَنْعَفَرُ  
 تَطَأُ الْخَزَّ وَلَا تُكْرِمُهُ      وَتُطِيلُ الذَّيْلَ مِنْهُ وَتَجْرُ  
 ثُمَّ تَنْهَدُ عَلَى أَعْمَاطِهَا      مِثْلَ مَا مَالَ كَثِيبُ مَنْعَفَرُ  
 عَبَقُ الْعَنْبَرِ وَالْمَسْكِ بِهَا      فَهِيَ صَفْرَاءُ كَعْرَجُونَ الْعَمْرُ  
 أَمْلَحُ النَّاسِ إِذَا جَرَّدَتْهَا      غَيْرَ سَمَطَيْنِ عَلَيْهَا وَسُورُ

قال عبد الكريم : هذه أملح وأشرف ما وقع فيه الوصف ، وهي أشبه  
بنساء الملوك .

وأشده لغيره :

قَلِيلَةٌ لَحْمِ النَّاطِرِينَ يَزِينُهَا      شَبَابٌ وَمَخْفُوضٌ مِنَ الْعَيْشِ بَارِدُ  
 أَرَادَتْ لَتَنْتَاشِ الرِّوَاقِ فَلَمْ أَقْمِ      إِلَيْهِ ، وَلَكِنْ طَاطَأَتَهُ الْوَلَائِدُ  
 تَنَاهَى إِلَى لَهْوِ الْحَدِيثِ كَأَنَّهَا      أَخُو سَقَطَةٍ قَدْ أَسْلَمَتْهُ الْعَوَائِدُ

وأنواع النسب كثيرة ، وهذا الذي أنشدته أفضلها في مذاهب المتقدمين ،  
والمحدثين طريق غير هذه كثيرة الأنواع أيضا :

فما أختار من ذلك ماناسب قول أبي نواس :

حَلَّتْ سَعَادٌ وَأَهْلُهَا سَرَفًا      قَوْمًا عِدَى وَمَحَلَّةً قُدْفًا  
 وَكَأَنَّ سَعْدِي إِذْ تَوَدَّعْنَا      وَقَدْ اشْرَأَبَ الدَّمْعُ أَنْ يَكْفَا  
 رَشًا تَوَاصِينَ الْقِيَانُ بِهِ      حَتَّى عَقَدَنْ بِأُذُنِهِ شَفَا

مما يختار  
 من نسب  
 المحدثين

(١) رواية الفضليات « ناهد الثدي » .

لمسلم بن  
الوليد

فإن هذا في غاية الجودة ونهاية الإحسان ، وما ناسب قول مسلم بن الوليد :  
 أَحِبُّ التي صَدَّتْ وَقالت لِيَزْها : دَعِيه ، الثَّرْيَا مِنْه أَقْرَبُ مِنْ وَصَلِي  
 أَماتتُ وَأُخِيَتُ مُنْجَتِي فَهَيَ عِنْدَها مُعَلَّقَةٌ بَيْنَ المَواعيدِ وَاللَّطْلِ  
 وَمَا نِلْتُ مِنْها نائِلاً غَيرَ أَنِّي بَشَجَوِ الحَمِيمِ الأَلَى سَلَفُوا قَبْلِي  
 بلى ، رَمما وَكَلَّمْتُ عَينِي بِنَظْرَةٍ إِلَيا تَزِيدُ القَلبَ حَبِلاً عَلَى حَبْلِ

للبحترى

ومن الجيد قول الوليد بن عبيد البحترى :

رَدَدَنْ ما خَفَّفَتْ مِنْه الخِصَورُ إلى ما فِي المَازِرِ فَاسْتَقْلَنْ أَرْدافا  
 إذا نَصَّيْنَ شُفُوفَ الرِّهيطِ آوَنَةً قَشَرْنَ عَن لَوائِئِ البَحْرِ بِنِ أَصْدافا  
 والبعهرى أرق الناس نسيبا ، وأما حهم طريقة ، ألا تسمع قوله :

إلى وإن جانبت بعض بطالتي وتوهم الواشون أنى مقصير  
 لَيْشُوقِي سِخْرُ العِيونِ المِجْتَلِي وَيروقِي وَرَدُ الخِلدودِ الأَحْمَرُ

وشعره من هذا النمط ، لا سيما إن ذكر الطيف ؛ فإنه الباب الذى شهر به ،  
 ولم يكن لأبى تمام حلاوة توجب له حسن النزول ، وإنما يقع له من ذلك التافه  
 لأبى تمام

اليسير فى خلال القصائد ، مثل قوله :

بِتْ أَرعى الخِلدودِ حَتى إذا ما فارقونى بَقِيت أَرعى النُجُوما  
 وقوله أول قصيدة :

أَرامَةٌ ، كَنتِ ما لَفَ كلِّ رِيمٍ لو اسْتَمْتَعْتُ بِالأنْسِ المَقِيمِ  
 أَدارَ البُؤسِ ، حَسَنَكِ التَّصابِي إلى فَصَرْتِ جَناتِ النَعيمِ  
 وَمَا ضَرَمَ البُرْحاءُ أُنّى شَكوتُ فِما شَكوتُ إلى رَحمِ

لعمري

وأما أبو الطيب فمن مליح ما سمعت له قوله :

كثيباً توقانى العواذِلُ فى الهوى كما يَتَوَقَّى رَبِضَ الخِليلِ حازِمُهُ

قَفِي تَعْرَمُ الْأُولَى مِنَ الْإِحْظِ مُهْجَتِي      بِنَانِيَّةٍ ، وَالْمُتَلِفُ الشَّيْءَ غَارْمُهُ  
سَقَاكَ وَحَيَانَا بِكَ اللَّهُ ، إِنَّمَا      عَلَى الْعَيْسِ نَوْرٌ وَالْخُدُورُ كَأَمَّةٌ  
قَدْ جَاءَ بِأَمْلَحِ شَيْءٍ وَأَوْفَاهُ مِنَ الظَّرَافَةِ وَالغَرَابَةِ .  
وقوله يذ كر رَبَّعَ أَحْبَابِهِ :

نَزَلْنَا عَنِ الْأَكْوَارِ نَمَشِي كَرَامَةً      لِمَنْ بَانَ عَنْهُ أَنْ نُنَلِّمَ بِهِ رَكْبًا  
نَدَمُ السَّحَابِ الْغُرِّ فِي فَعْلِهَا بِهِ      وَتُعْرِضُ عَنْهَا كُلَّمَا طَلَعَتْ عَتَبًا  
وقال في ذكر الديار أيضاً :

وَدُسْنَا بِأَخْفَافِ الْمَطِيِّ تَرَابَهَا      فَلَا زِلْتُ أُسْتَشْفَى بِلَثْمِ الْمَنَاسِمِ  
دِيَارُ اللُّوَاتِي دَارُهُنَّ عَزِيزَةٌ      بِسُمْرِ الْقَنَا يُحْمَظْنَ لَا بِالْمَنَامِ  
حَسَانُ التَّثَنَى يَنْقُشُ الْوَشْيُ مِثْلَهُ      إِذَا مِشْنَ فِي أَجْسَامِهِنَّ النُّوَاعِمِ  
وَيَبْسِمَنَّ عَنْ دُرِّ تَقْلَدَنَّ مِثْلَهُ      كَأَنَّ التَّرَاقِي وَشَجَّتْ بِالْمَلْبَاسِمِ

ورد جماعة من الكتاب على العتابي ، وهو بحلب ، وفي يده رقعة ، وقد  
أطال فيها النظر والتأمل ، فقال : أرايتم الرقعة التي كانت في يدي ؟ قالوا : نعم ،  
قال : لقد سلك صاحبها واديا ما سلكه غيره ، فله دره ، وكان في الرقعة قول  
أبي نواس :

رَسَمُ الْبَكْرَى بَيْنَ الْجَفُونِ مُحِيلٌ      عَفَى عَلَيْهِ بُسْكِي عَلَيْكَ طَوِيلٌ  
يَا نَاطِرًا مَا أَقْلَعْتُ لِحَظَاتِهِ      حَتَّى تَشَحَّطَ بَيْنَهُنَّ قَتِيلٌ  
رَوَى [الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال : أغزل بيت  
قول عمر بن أبي ربيعة :

فَتَضَاحَكُنَّ وَقَدْ قَلَنْ لَهَا :      حَسَنٌ فِي كُلِّ عَيْنٍ مِنْ تَوَدِّ

وكان الأصمعي يقول : أغزل بيت قالته العرب قول امرئ القيس :  
وما ذرقت عينك إلا لتضربي      نسهميك في أعشار قلب مقتيل

لأبي نواس  
أيضا  
أغزل بيت  
لابن أبي  
ربيعة

لامرئ القيس



وحكى عن الوليد بن يزيد بن عبد الملك أنه قال : لم تقل العرب بيتاً أغزل

لجميل

من قول جميل بن معمر :

لكلِّ حديثٍ بينهمُ بشاشةٌ وكلُّ قتيلٍ عندهنَّ شهيدُ  
وفَضَلته بهذا البيتِ سَكينة بنتِ الحسينِ بنِ عليٍّ رضوانُ الله عليهم ، وأما بته  
به دون جماعة من حضر من الشعراء .

للأحوص

وقال بعضهم : الأحوص من أغزل الناس بقوله :

إذا قلتُ إني مُشْتَفٍ بِلِقَائِهَا وَحُمُّ التَّلَاقِ بَيْنَنَا زَادَنِي سُقْمًا  
وقال غيره : بل جميل بقوله :

لجميل أيضا

يَمُوتُ الهوى منى إذا ما لقيتها وَيَحْيَا إذا فارقَتْهَا فيعودُ

لجرير

وقال آخر : بل جرير بقوله :

فلمَّا التقي الحَيَّانِ أَلْقَيْتِ العصى ومات الهوى لما أصيبت مقاتله

والأحوص عندهم أغزلهم في هذه الأبيات الثلاثة ؛ لزيادته سقماً إذا

التقى بالحبوب .

لأبي صخر

وقال الخاتمي : أغزل ما قالته العرب قول أبي صخر :

فِيَا حُبِّهَا زِدْنِي جَوَى كُلِّ نَيْلَةٍ وَيَا سَلْوَةَ الأيَامِ مَوْعِدِكَ الحُشْرُ

لأبي نواس

وقال أبو عبيدة : ما حفظت شعراً لحدث ، إلا قول أبي نواس :

كَأَنَّ ثِيَابَهُ أَطْلَعَنَ من أزراره قَمَرًا

يزيدُكَ وَجْهُهُ حَسَنًا إذا ما زِدْتَهُ نَظْرًا

بعينِ خَالَطَ التفتيرُ من أجفانها الخورًا

وخذتْ سارِيَّ لو نَصَوْبَ ماؤه قطرًا

الأسماء التي

بتغزل الشعراء

فيها

وللشعراء أسماء تخفف على ألسنتهم وتحلو في أفواههم ، فهم كثيراً ما يأتون

بها زوراً نحو: ليلي ، وهند ، وسلمى ، ودعد ، ولبنى ، وعفراء ، وأزوى ،  
وريا ، وفاطمة ، ومية ، وعلوة ، وعائشة ، والرباب ، وجمل ، وزينب ،  
ونعم ، وأشباههم .

ولذلك قال مالك بن زغبة الباهلي ، أنشده الأصمعي :

وما كان طيبي حُبباً غير أنه يُقامُ بسلمى للقوافي صدورها<sup>(١)</sup>

وأما عزة و بئينة فقد حاما كثيرا وجميل ، حتى كأنما حرما على الشعراء . .  
وربما أتى الشعراء بالأسماء السكثيرة في القصيدة؛ إقامة للوزن، وتحلية للنسب ،  
كما قال جرير:

أجد رواح القوم؟ بل لات رَوْحوا      نعم كل من يُعنى بجمل مبرح  
ثم قال بعد بيت واحد :

إذا سارت أسماء يوماً ظمناً      فأسماء من تلك الطعائن أملح<sup>(١)</sup>  
ظلمن حوالى خدر أسماء فانتحى      بأسماء موارى الملاطين أروح  
تحمى القلب عن أسماء قد برحت به      وما كان يلتقى من تماضر أبرح  
وأما قول السيد الحميرى :

ولقد تكون بها أوانس كالمى      هند وعبيدة والرباب وبوزع  
فإنه ثقيل من أجل بوزع .

وأنكر هذه اللفظة عبد الملك بن مروان على جرير ، فإظنك بالسيد الحميرى؟  
وكما كانت اللفظة أخلى كان ذكرها في الشعر أشهى ، اللهم إلا أن يكون الشاعر لم  
يُوزر الأسم ، وإنما قصد الحقيقة لا إقامة الوزن؛ فينشد لاملامة عليه، مالم يجد في  
الكنية مندوحة . .

وقال يزيد بن أم الحكم :

(١) الطب : العادة والسجية ، وقال الشاعر :

وما إن طبناجين ، ولكن منايانا ودولة      آخرينا

(٢) يروى \* . . . طعية . . . من تلك الطعينة . . .

أَمْسَى بِأَسْمَاءِ هَذَا الْقَلْبِ مَعْمُودًا إِذَا أَقُولُ صَحًّا يَمْتَنَاهُ عَيْدًا  
 كَانَ أَحْوَرَ مِنْ غِرِّ لَانَ ذِي بَقْرِ أَهْدَى لِمَانِشَةِ الْعَيْنَيْنِ وَالْجَيْدِ  
 عَلَى أَنْ بَعْضُهُمْ رَوَاهُ « أَهْدَى لَهَا شَبَهَ الْعَيْنَيْنِ » وَهُوَ أَجُودٌ لَا مَحَالَةَ ، وَمِثْلُ  
 هَذَا كَثِيرٌ فِي أَشْعَارِ الْقَدَمَاءِ ، وَلَسْتُ أَرَى مِثْلَهُ مِنْ عَمَلِ الْمُحَدِّثِينَ صَوَابًا ،  
 وَلَا عَلِمْتَهُ وَقَعَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ ، إِلَّا مَا نَاسَبَ قَوْلَ السَّيِّدِ الْمُتَقَدِّمِ آتِفًا ، وَقَوْلَ أَبِي  
 تَمَّامِ الطَّائِي :

وَإِنْ رَحَلْتُمْ فِي ظَعْنِهِمْ وَحُدُوجِهِمْ زَيَانِبٌ مِنْ أَحِبَابِنَا وَعَوَاتِكُ

من عيوب  
هذا الباب

وَمِنْ عَيْبِ هَذَا الْبَابِ أَنْ يَكْثُرَ التَّنْزِيلُ وَيَقِلُّ الْمَدِيحُ ، كَمَا يَحْكِي عَنْ شَاعِرٍ  
 أَتَى نَصْرَ بَنِ سَيَّارٍ بِأَرْجُوزَةٍ فِيهَا مِائَةٌ بَيْتٍ نَسَبِيًّا وَعِشْرَةٌ أَيْبَاتٍ مَدِيحًا ، فَقَالَ  
 لَهُ نَصْرٌ : وَاللَّهِ مَا أَبْقَيْتَ كَلِمَةً عَذْبَةً وَلَا مَعْنَى لَطِيفًا إِلَّا وَقَدْ شَغَلْتَهُ عَنْ مَدِيحِي  
 بِنَسَبِيكِ ، فَإِنْ أَرَدْتَ مَدِيحِي فَاقْتَصِدْ فِي النَّسَبِ ، فَقَدْأَ عَلَيْهِ فَأَنْشُدْهُ :

هَلْ تَعْرِفُ الدَّارَ لِأُمَّ عَمْرٍو ؟ دَعُ ذَا وَحَبْرٍ مَدْحَةً فِي نَصْرِ

فَقَالَ نَصْرٌ : لَا هَذَا وَلَا ذَاكَ ، وَلَكِنْ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ .

فَأَمَّا مَذْهَبُهُ الْأَوَّلُ فِي طَوْلِ النَّسَبِ وَقَصْرِ الْمَدِيحِ فَإِنْ نَصَبِيًّا اتَّبَعَهُ فِيهِ ، وَلَكِنْ  
 ذَاكَ مِنْهُ إِذَا كَانَ عَلَى اقْتِرَاحِ فِي الْقَصِيدَةِ الَّتِي مَدَحَ بِهَا بَنِي جَبْرِيلَ ، وَأَمَّا الْمَذْهَبُ  
 الثَّانِي فَاتَّحَلَّهُ أَبُو الطَّيِّبِ فِي قَوْلِهِ :

وَاحْرَ قَلْبَاهُ مِمَّنْ قَلْبُهُ شَبِيهُ وَمِنْ مَحْسَمِي وَحَالِي عِنْدَهُ سَقَمٌ

ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَدْحِ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي .

وَيَعَابُ عَلَى الشَّاعِرِ أَنْ يَفْتَنَخِرَ أَوْ يَتَعَاطَى [ فَوْقَ ] قَدْرِهِ ، كَمَا أَخَذَ عَلَى

عَبَّاسٍ قَوْلَهُ :

إِنْ تَقْتُلُونِي لَا تَفُوتُوا مَهْجَتِي مَصَالِمَتَ قَوْمِي مِنْ حَنِيفَةٍ أَوْ عَجَلٍ

وَعَيْبُ عَلَى الْفَرَزْدَقِ وَهُوَ صَحِيمٌ بِي تَمِيمٍ قَوْلَهُ :

يَأخُذُ نَاجِيَةَ بِنِ سَامَةَ إِنِّي أَخْشَى عَلَيْكَ بَنِيَّ إِنْ طَلَبُوا دِمِي  
اللهم إلا أن يكون النسب الذي يصنع مجازاً كالذي في بسط القصائد ،  
فإن ذلك لا بأس به ، ولا مكروه فيه .

وسمع ابن أبي عتيق قول ابن أبي ربيعة الخزومي :

بِئْسَ مَا بَيْنَ عَيْنَيْي أَبْصَرَ نِي دُونَ قَيْدِ اللَّيْلِ يَعْذُوبِي الْأَعْرَى  
قالت الكبرى : أتعرفن الفتى ؟ قالت الوُسْطَى : نعم ، هذا عمر  
قالت الصغرى وقد تيممتها : قد عرفناه ، وهل يخفى القمر ! ؟  
فقال له : أنت لم تنسب بهن ، وإنما نسنت بنفسك ، وإنما كان ينبغي لك  
أن تقول : قالت لي فقلت لها ، فوضعت خدي فوطئت عليه .  
وكذلك قال له كثيراً سمع قوله :

قَالَتْ لَهَا أَخْتَهَا تَعَاتِبُهَا : لَا تُفْسِدَنَّ الطَّوَافَ فِي عُمَرَى  
قومي تصدقني له لأبصره ثم اغزبه يا أختي في خفر  
قالت لها : قد اغزته فأبي ثم اشبطرت تشد في أري

أهكذا يقال للمرأة ؟ ؟ إنما توصف بأنها مطلوبة ممنوعة .

قال بعضهم - أظنه عبد الكريم - : العادة عند العرب أن الشاعر هو  
المتغزل التماوت ، وعادة العجم أن يجعلوا المرأة هي الطالبة والراغبة المخاطبة ، وهنادليل  
كرم النجيزة في العرب وغيرها على الحرم .  
وعاب كثيراً على نصيب قوله :

أهيمُ بدعدٍ ما حبيت ، فإن أمت فيأليت شعري من يهيم بها بعدى  
حتى إنه قال له : كألك اغتممت لمن يفعل بها بعدك ، وهو لا يكنى . .  
ومثل هذه الحكاية ما قاله بعض الكتاب - وقد دخل على بن عبد الله بن  
جعفر بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وهو

محبوس - فقال: أين هذا الجعفرى الذى يتدبث في شعره؟ قال على: فعلت أنه يريدنى لقولى:

ولما ندأ لى أنها لا تحبى وأن هواها ليس عنى بمنجلى  
تمنيت أن تهوى سواى، لعلها تذوق صبايات الهوى فترق لى  
فما كان إلا عن قليل وأشغفت محب غزال أدعج الطرف أ كحل  
وعذبها حتى أذاب فؤادها وذوقها طعم الهوى والتذلل  
فقلت لها: هذا بهذا، فأطرت حياء، وقالت: كل من عايب ابنتى  
فقلت: أنا هو جعلت فداك، وأنا الذى أقول فى الغيرة:

ربما سرى صدورك عنى وطلا بيك وامتناعك منى  
حذراً أن أكون مفتاح غيرى فإذا ما خلوت كنت التمنى

ويعاب ماناسب قول الآخر، وهو جميل:

فلو تركت عقلى معى ما طلبتها ولكن طلا بيها لما فات من عقلى  
لأن الصواب قول عباس، أو مسلم:

أبكى وقد ذهب الفؤاد، وإنما أبكى لفقده لا لفقده الذاهب

طرد الخيال  
الشعراء، ورواه رواة: منهم طرفة، وليبيد، ثم جرير، ثم جميل، فقال طرفة، وهو أول من طرده:

فقل خيال الحنظلية ينقلب إليها، فأبى وأصل حبل من وصل

وقال ليبيد فى مثل ذلك:

فاقطع لبانة من تعرض وصله وأشر وأصل حلة صرامها

يقول: اقطع المزار من تعرض وصله للقطيعة - ويقال: تعرض التىء،

إذا فسد، حكاة الخليل - فإن شر من وصلك من قطعك بلا ذنب، يريد

الذى تعرض وصله ، ومن الناس من رواه \* وتخير واصل خلة صرامها \*  
يقول : إن خير من وصل الخلة من قطعها باستحقاق ، يعنى نفسه . .

وقال جرير

طَرَقْتِكَ صَائِدَةَ الْقُلُوبِ ، وَلَيْسَ ذَا      وَقَتَ الزِّيَارَةِ ، فَأَرْجِي بِسَلَامٍ  
على أن قوما زعموا أنه كان مُحْرِمًا ، فلذلك طرد الخيال ، كأنه تخرج وليس  
طرد عتب .

وقال جميل :

وَلَسْتُ - وَإِنْ عَزَّتْ عَلَى - بِقَائِلٍ      لَهَا بَعْدَ صَرِيمٍ : يَا بُثَيْنُ صَلِيْبِي  
وجرى على سَنَنِ هَوْلَاءِ جِيعَةٍ مِنَ الْمَوْلِدِينَ ، واعتقدوا هذا المذهب قولاً  
وفعلًا ، حتى تعداه بعضهم إلى القتل ، مثل عبد السلام بن رغبان ، ونصر  
الخبز أَرَزُّ (١) ومن شا كلهما من الشطار ، إلا أن أصل هذا المذهب عند  
قدامة فاسد ، وعاب على نابغة بنى تغلب - واسمه الحارث بن عدوان ، أحد بنى  
زيد بن عمرو بن غنم بن تغلب - قوله :

بَخِلْنَا لِبَخْلِكَ لَوْ تَعْمَلِينَ      وَكَيْفَ يَعْيبُ بِخَيْلٍ بِخَيْلًا ؟  
لأن الواجب عنده فى النزول أن يكون على خلاف هذا ، وكل ما لا يليق  
بالحبيب فهو مكروه فى باب النسيب .

قالت عزة لكثير يوماً - ويقال بثينة - ما أردت بنا حين قلت :  
وَدِدْتُ وَبَيْتَ اللَّهِ أَنْكَ بَكْرَةٌ      وَأَيُّ هِجَانٍ مُصَمَّبٌ مِمَّ نَهْرُبُ  
كلانا به عرٌّ فَمَنْ يَرَانَا يَقُلْ      على حُسْنِهَا جَرَبَاءُ تُعْدِي وَأَجْرَبُ  
نَسْكُونُ لَدَى مَالٍ كَثِيرٍ مُغْفَلٍ      فلا هو يرعانا ولا نحن نُظَلَبُ

من الأماي  
غير المقبولة

إذا ما وردنا منهنلاً صَاحَ أَهْلُهُ عَلَيْنَا ، فَلَا نَنْفَكُ تُرْمَى وَنُضْرَبُ  
لقد أردت بنا الشقاء ، أما وجدت أمنية أوطأ من هذه ؟ ! فخرج من  
عندها خجلاً

وإنما اقتدى بالفردق حيث يقول ، وهذا من سوء الاتباع :

أَلَا لَيْتِنَا كُنَّا بَعِيرِينَ لَا نَرِدُ عَلَى حَاضِرٍ إِلَّا نَشَلُ وَنُقَدِّفُ  
كَلَانَا بِهِ عَرٌّ يُخَافُ قِرَافَهُ عَلَى النَّاسِ مَطْلَى الْأَشَاعِرِ أَخْشَفُ  
بَأَرْضٍ خِلَاءَ وَحَدَانَا وَثِيَابُنَا مِنَ الرِّبْطِ وَالِدِيَابِجِ دِرْعٍ وَمَلْحَفُ  
وَلَا زَادَ إِلَّا فَضْلَتَانِ : سُلَافَةٌ وَأَبْيَضُ مِنْ مَاءِ النَّمَامَةِ قَرَقَفُ  
وَأَشْلَاهُ لَحْمٍ مِنْ حُبَارَى يَصِيدُهَا إِذَا نَحْنُ سُدْنَا صَاحِبٌ مُتَأَلَّفُ  
لَنَا مَا نَمْتَنِينَا مِنَ الْعَيْشِ مَادَعَا هَدِيلاً بِنَعَانٍ حَمَائِمِ هُتَفُ

وإذا كان بعيراً فما هذه الأمنية التي كلها للحيوان الناطق ؟ لولا أنه ردها إلى  
نفسه حقيقة ، وإلا فما أملح الجملَ نَشْوَانِ يَصِيدُ الْحُبَارَى بِالْبَازَى .  
وبعاب هذا الباب كثيرة ، وفيما قدمت منها دليل على باقيها .

اشتقاق  
التشبيب

واشتقاق التشبيب يجوز أن يكون من ذكر الشبيبة ، وأصله الارتفاع ، كأن  
الشباب ارتفع عن حال الطفولية ، أو رفع صاحبه ، ويقال : شَبَّ الفرسُ ، إذا  
رفع يديه وقام على رجليه .

قال الحافظ : يقال شَبَّتِ النارُ شَبْوَبًا ، وشَبَّ الفرسُ بيديه فهو يشب  
شبيبًا ، ويقال : مالكٌ عَضَاضٌ وَلَا شَبَابَ ، انقضى كلامه .

وجوز أن يكون من الجلاء ، يقال : شَبَّ الْحَمَارُ وَجْهَ الْجَارِيَةِ ، إذا جَلَّاهُ  
ووصف ما تحته من محاسنه ؛ فكأن هذا الشاعر قد أبرز هذه الجارية في صفته  
إياها وجَلَّاهَا للعيون ، ومنه الشب الذي يجتلى به وجوه الدنانير ، ويستخرج  
غشها ، ومنها : شَبِيت النارُ ، إذا رفعت سَنَاهَا وزدتها ضياءً .

وأشد الأصمعي لكاشة بن أبي مسعدة :

\* يَدْفَعُ عَنْهَا كُلَّ مَشْبُوبٍ أَعْرَ \*

قال : المشبوب الذي إذا رأيتَه فَرَعْتَ لحسنه . . قال ابن دريد : شببت في الشعر شيبياً، مثل نسبت نسيباً ، والنسيب أكثر ما يستعمل في الشعر .

### (٧٤) - باب في المدح

وسيل الشاعر - إذا مدح ملكاً - أن يسلك طريقة الإيضاح والإشادة بذكره للمدوح ، وأن يجعل معانيه جزلة ، وألفاظه نقيية ، غير مبتذلة سوقية ، ويجنب - مع ذلك - التقصير والتجاوز والتطويل ؛ فإن للملك سامة وضجراً ، ربما عاب من أجلها ما لا يعاب ، وحرّم من لا يريد حرمانه ، ورأيت عمل البحتری - إذا مدح الخليفة - كيف يُقَلُّ الأبيات ، ويبرز وجوه المعاني ، فإذا مدح الكتاب عمل طاقته ، وبلغ مراده .

وقد حكى عن عمارة أن جدّه جريراً قال : يا بَنِيَّ ، إذا مدحتم فلا تطيلوا المادحة ؛ فإنه ينسى أولها ، ولا يحفظ آخرها ، وإذا هجوتم فخالقوا .

قال عبد الكريم : وهذا ضد قول عقيل بن عُلفَةَ المرادي ، وحكى غيره قال : دخل الفرزدق على عبد الرحمن بن أم الحكم ، فقال له عبد الرحمن : أبا فراس ، دعني من شعرك الذي ليس يأتي آخره حتى يُنسى أوله ، وقال : قل في بيتين يعلقان بالرواة ، وأنا أعطيك عطية لم يعطكها أحد قط قبلي ، فغدا عليه وهو يقول :

وأنت ابن بطحائوي قرئسي ، وإن تشأ

تكن من ثقيف سئل ذي خدرٍ غمري<sup>(١)</sup>

(١) في الديوان « تل من ثقيف سيل ذي خدر غمري » .



وأنت ابنُ سوارِ الـيدين إلى العـلى  
تـكـفـت بك الشـمسُ المـضيئةُ للبـدرِ<sup>(١)</sup>  
قـال : أحـسـنت ، وأمر له بعـشـرة آـلاف درـم .

وإذا كان المدوح ملكاً لم يبالي الشاعر كيف قال فيه ، ولا كيف كيف يمدح  
أطنب ، وذلك محمود ، وسواء المذموم ، وإن كان سوقة فأياك والتجاوز به  
خطئه ؛ فإنه متى تجاوز به خطئه ؛ كان كمن نقصه منها ، وكذلك لا يجب أن  
يقصر عما يستحق ، ولا أن يعطيه صفة غيره ؛ فيصف الكتاب بالشجاعة  
والتفاضى بالحمية والمهابة ، وكثيراً ما يقع هذا لشعراء وقتنا ، وهو خطأ ، إلا أن  
تصحبه قرينة تدل على صواب الرأي فيه ، وكذلك لا يجب أن يمدح الملك  
ببعض ما يتجه في غيره من الرؤساء ، وإن كان فضيلة .

وذلك مثل قول البحترى يمدح المعتز بالله :

لا العـذلُ يرَدُّعُه ولا التـعـنـيفُ عن كـرمِ يـصـدُّه  
فإنه مما أنكره عليه أبو العباس أحمد بن عبد الله ، وقال : من ذا يعنف  
الخليفة على الكرم أو يصدده ؟ هذا بالهجاء أولى منه بالمدح .  
وعيب على الأخطل قوله في عبد الملك بن مروان :

وقـد جـعلَ اللهُ الخـلـافَةَ منـهمُ لأبيـض لا عارى الخـيـوان ولا جـدب  
وقالوا : لو مدح بها حراً سيئاً لعبد الملك لكان قد قصر به .

قلت أنا : وإن كان فلا بد من ذكر الضيافة والقرى ، كقول

ابن قيس الرقيات لمصعب بن الزبير :

يلبسُ الجـيشَ بالجـيـوشِ ويسقى لبـنَ البـُخـتِ في عـسـاسِ الخـلـنـجِ  
لأن هذا - وإن لم يعدد به مادحة العرب في سقى اللبن - فقد زاده رتبة عرف  
بها أنه ملك . وأجود منه في معناه قولُ حسان في آل جفنة :

(١) في الديوان :

وأنت ابن فرع ماجد لعقيلة تلقت له الشمس المضيئة بالبدر  
(٩ - العمدة ٢)

يَسْتَقُونُ مَنْ وَرَدَ الْبَرِيصَ عَلَيْهِمْ بَرَدَى يُصَفَّقُ بِالرَّحِيقِ السَّلْسُلِ

ويروى « مسكا » .

وعابوا على الأحوص قوله للملك :

وأراك تفعل ما تقول ، وبعضهم مَذِقُ الْحَدِيثِ يَقُولُ مَا لَا يَفْعَلُ

فقالوا : إن الملوك لا تمدح بما يازمها ففعله كما تمدح العامة ، وإيما تمدح بالإغراق والتفضيل بما لا يتسع غيرهم لبذله .

ومن هذا النوع قول كثير :

رَأَيْتُ ابْنَ لَيْلَى يَعْتَرِي صَلْبَ مَالِهِ مَسَائِلُ شَتَّى مِنْ غَنَى وَمُضْرِمِ

مَسَائِلُ إِنْ تَوَجَّدَ لَدَيْكَ تَجَدُّ بِهَا يِدَاكَ ، وَإِنْ تُظَلِّمَ بِهَا تَتَّظَلَّمُ

لأن هذا إنما يقع لمن دون الخليفة والملك ، وإنما أخذه من قول زهير في هريم ابن سنان ، وليس بملك ، ولذلك حسن قوله :

هُوَ الْجَوَادُ الَّذِي يَعْطِيكَ نَائِلَهُ عَفْوًا ، وَيُظَلِّمُ أَحْيَانًا فَظَلْمًا

يريد أنه يُسأل أحياناً ما ليس قبله فيحتمله ، هذا ، وقد قال الصولي في

شرح قول<sup>(١)</sup> حبيب :

لَوْ يَفَاجَى رُكْنَ الْمَدِيحِ كَثِيرًا بِمَعَانِيهِ خَالِهِنَ سَبَابًا<sup>(٢)</sup>

طَابَ فِيهِ الْمَدِيحُ وَالْتَدَّ ، حَتَّى فَاقَ وَصْفَ الْدِيَارِ وَالتَّشْيِيْبَا

سألت عون بن محمد الكندي : لم خص كثيراً؟ فقال : سمعته يقول : أمدح

الناس زهير والأعشى ، ثم الأخطل وكثير .

(١) البيتان في الديوان ( ص ٢٦ ) بتقديم الثاني على الأول من قصيدة يمدح

بها أبا سعيد محمد بن يوسف الثعري .

(٢) رواية الديوان \* لوفادي ذكر المديح كثيراً \* وكان في الأصول

كلها « بمعانين » وهو خطأ ، وبه ينكسر وزن البيت .

وحكى غير الصولى أن مروان بن أبى حفصة كان يقدم كثيراً فى اللدح على جرير والفرزدق .

ومما قدم به زهير قوله :

لو كان يقعد فوق النجم من كرم قوم بأولهم أو مجدم قعدوا  
 قوم سنان أبوم حين تنسبهم طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا  
 إنس إذا أمنوا ، حين إذا فزعوا ، مرزأون بهاليل إذا جهدوا  
 محسدون على ما كان من نعم لا ينزع الله عنهم ماله حسدوا

ويروى \* غر بهاليل فى أعناقهم صيد \* وقدّمه قدامة بن جعفر الكاتب فقال فى كتابه نقد الشعر : لما كانت فضائل الناس من حيث هم ناس ، لا من طريق ما هم مشتركون فيه مع سائر الحيوانات ، على ما عليه أهل الألباب من الاتفاق فى ذلك ؛ إنما هى العقل والعفة والعدل والشجاعة ؛ كان القاصد لللدح بهذه الأربعة مصيبا ، وبما سواها مخطئاً .

فقال زهير :

أخى ثقة لا يهلك الخمر ماله وَلَكِنَّهُ قَدْ يُهْلِكُ الْمَالَ نَائِلُهُ  
 لأنه قد وصفه بالعفة لقلّة إمعانه فى اللذات وأنه لا ينفد فيها ماله ، وبالسخاء لإهلاكه ماله فى النوال وانحرافه إلى ذلك عن اللذات ، وذلك هو العقل ، ثم قال :

تراه إذا ما جثته مهللاً كأنك تعطيه الذى أنت سائله

أراد أن فرحه بما يعطى أكثر من فرحه بما يأخذ ، فزاد فى وصف السخاء منه : بأن جملة يهش ، ولا يلحقه مضمض ، ولا تسكره لفعله . .

ثم قال :

فمن مثل حصن فى الحروب ومثله لإنكار ضيم أو لخصم يجادله

فأتى في هذا البيت بالوصف من جهة الشجاعة والعقل ، فاستوفى ضروب المدح الأربعة . التي هي فضائل الإنسان على الحقيقة ، وزادها ما هو وإن كان داخلا في الأربعة فكثير من الناس من لا يعرف وجه دخوله فيها حيث قال « أخى ثقة » فوصفه بالوفاء ، والوفاء داخل في هذه الفضائل التي قدمنا ، وقد تفنن الشعراء فيعدون أنواع الفضائل الأربع وأقسامها وكل داخل في جملتها مثل أن يذكروا ثقابة المعرفة ، والحياء ، والبيان ، والسياسة ، والصدع بالحجة ، والعلم ، والحلم عن سفاهة الجهالة ، وغير ذلك مما يجرى هذا الجرى ، وهي من أقسام العقل ؛ وكذكركم القناعة ، وقلة الشهوة ، وطهارة الإزار ، وغير ذلك ، وهي من أقسام العفة ؛ وكذكركم الحماية ، والأخذ بالثأر ، والدفع عن الجار ، والنكاية في العدو ، وقتل الأقران ، والمهابة ، والسير في المهامه والتفغار الموحشة ، وما شاكل هذا ، وهو من أقسام الشجاعة ؛ وكذكركم الساحة ، والتغابن ، والانظلام ، والتبرع بالنائل ، والإجابة للسائل ، وقري الأضياف ، وما جاس هذه الأشياء ، وهي من أقسام العدل .

وأما تركيب بعضها من بعض فيحدث منها ستة أقسام : يحدث من تركيب العقل مع الشجاعة الصبر على اللدات ونوازل الخطوب ، والوفاء بالإيماد ؛ وعن تركيب العقل مع السخاء البر ، وإنجاز الوعد ، وما أشبه ذلك ؛ وعن تركيب العقل مع العفة التنزه ، والرغبة عن المسألة ، والاقتصار على أدنى معيشة ، وما أشبه ذلك ؛ وعن تركيب الشجاعة مع السخاء الإلتلاف ، والإخلاف ، وما جانس ذلك ؛ وعن تركيب الشجاعة مع العفة إنكار الفواحش ، والغيرة على الحرم ؛ وعن تركيب السخاء مع العفة الإسعاف بالقوت ، والإيثار على النفس ، وما شاكل ذلك .

قال : وكل واحدة من هذه الفضائل الأربع المتقدم ذكرها وسَطُّ بين طرفين مذومين .

مدح أبو العتاهية عمر بن العلاء<sup>(١)</sup> فأعطاه سبعين ألفاً وخلع عليه حتى لم يستطع أن يقوم ، فغار الشعراء لذلك ، فجمعهم ثم قال : عجبا لكم معشر الشعراء ما أشد حسد بعضكم لبعض ، إن أحدكم يأتينا ليمدحنا فينسب في قصيدته بصديقتته بخمسين بيتا فما يبلغنا حتى تذهب لذاذة مدحه ورونق شعره ، وقد أتى أبو العتاهية فنسب في أبيات يسيرة . ثم قال :

إني أمنتُ من الزمانِ ورَبِّهِ      لما عَلِمْتُ منَ الأميرِ حِبَالاً  
لو يستطيعُ الناسُ من إجلاله      لَحَدَّوْا له حُرّاً الخلدودِ نِعَالاً  
إن المطايا تشتكيك ؛ لأنها      قَطَعَتْ إِلَيْكَ سَبَاسِيَا وَرِمَالاً  
فإذا وَرَدْنَ بنا وَرَدْنَ خَفَانِقَا      وإذ صَدَرْنَ بنا صَدَرْنَ نِقَالاً<sup>(٢)</sup>  
ومن مליح ما لأبي العتاهية في اللدح قوله :

فتى ما استفاد المال إلا أفاده      سواء كأن الملك في كفه حلم  
إذا ابتسم المهديُّ نادى يمينه :      ألا من أتانا زأراً فله الحكم  
وله أيضاً في معنى بيتي الفرزدق اللذين سنعهما لعبد الرحمن بن أم الحكم<sup>(٣)</sup> :

(١) كان عمر بن العلاء مولى عمرو بن حريث صاحب المهدي بمدحا ، ومدحه أبو العتاهية فأمر له بسبعين ألف درهم ، فأنكر ذلك بعض الشعراء ؛ وقال : كيف فعل هذا بهذا السكوفي ؟ وأي شيء مقدار شعره ؟ ! فبلغه ذلك ، فأحضر الرجل وقال : إن الواحد منكم ليدور على المعنى فلا يصيبه ، ويتعاطاه فلا يحسنه ، حتى يشبب بخمسين بيتا ، ثم يمدحنا ببعضها ، وهذا كأن المعاني يجمع له ، مدحني فقصر التشبيب ، ثم قال . . . وذكر الأبيات التي أنشدها المؤلف ، هذه رواية الأغاني هذا ، وقد انفقت نسخة الأغاني في ترجمة أبي العتاهية ( ٣ / ١٤٤ ) و ترجمة بشار ( ٣ / ٤٦ ) على أنه « عمرو » بفتح العين وبالواو ، مع ذكر أبيات لبشار فيه ستأتي في ص ١٨٤ من هذا الجزء ولا تستقيم إلا بقراءته بضم العين وفتح الميم .  
(٢) في الأغاني ( ٣ / ١٤٤ بولاق ) « فإذا وردن بنا وردن مخمة » وقال :  
أخذ هذا المعنى من قول نصيب :

فعاجوا فأثنوا بالذي أنت أهله      ولو سكتوا أثنت عليك الحقايب

(٣) انظر ص ١٢٨ و ١٢٩ من هذا الجزء .

فلا مثلُ بَيْتَيْهِ فِي الْعَالَمِينَ      أَعَزُّ بِنَاءٌ وَلَا أَرْفَعُ  
فَبَيْتُ بِنَاءٍ لَهُ هَاشِمٌ      وَبَيْتٌ بِنَاءٍ لَهُ تَبِيعُ  
وَلَوْ حَاوَلَ الدَّهْرُ مَا فِي يَدَيْهِ      لَعَادَ وَعِرْنَيْتُهُ أُجْدَعُ

ومن المدح المخصوص عليه قول زهير :

وفيهم مقاماتٌ حِسانٌ وُجُوهُهَا      وَأَنْدِيَّةٌ يَنْتَابُهَا الْقَوْلُ وَالْفِعْلُ  
وإن جتتم ألفتٌ حولَ بِيوتِهِمْ      مَجَالِسَ قَدْ يُشْفَى بِأَحْلَامِهَا الْجَهْلُ  
عَلَى مُكْثَرِهِمْ حَقٌّ مَنْ يَغْتَرِبُهُمْ      وَعِنْدَ الْمُتَلَيِّنِ السَّمَاةُ وَالْبَذْلُ  
سَعَى بَعْدَهُمْ قَوْمٌ لِسَكِّي يَذْرُكُوهُمْ      قَلَمٌ يَفْعَلُوا وَلَمْ يَلِيمُوا وَلَمْ يَالُوا  
فَمَا كَانَ مِنْ خَيْرٍ أَنْوَهُ فَإِنَّمَا      تَوَارَتْهُ آبَاهُ آبَاءُهُمْ قَبْلُ  
وَهَلْ يُنْبِتُ الْخَطَى إِلَّا وَشِيجُهُ      وَتُغْرَسُ إِلَّا فِي هَمَاتِبِهَا النَّخْلُ  
وكذلك أيضاً قوله :

مَنْ يَلْقَى يَوْمًا عَلَى عِلَاتِهِ هَرِمًا      يَلْقَى السَّمَاةَ مِنْهُ وَالنَّدى خُلُقًا  
لَيْتُ بَعَثُ بِصَطَادِ الرَّجَالِ إِذَا      مَا كَذَبَ اللَّيْثُ عَنْ أَقْرَانِهِ صَدَقًا  
يَطْعَنُهُمْ مَا ارْتَمَوْا حَتَّى إِذَا طَعَنُوا      ضَارَبَ حَتَّى إِذَا مَا ضَارَبُوا اعْتَنَقَا  
فَضَلَ الْجَوَادِ عَلَى الْخَيْلِ الْبِطَاءِ فَلَا      يُعْطَى بِذَلِكَ مَمْنُونًا وَلَا نَزِقًا  
هَذَا وَلَيْسَ كُنَّ يَغِيًا بِخَطْبَتِهِ      وَسَطَ النَّدى إِذَا مَا نَاطِقٌ نَطَقَا  
لَوْ نَالَ حَتَّى مِنْ الدُّنْيَا مَكْرَمَةٌ      أَفْقَ السَّمَاءِ لَنَأَتْ كَفَهُ الْأَفْقَا

وينبغي أن يكون قصد الشاعر في مدح السكاتب والوزير ما اختاره قدامة وغيره ، وكذلك ما ناسب حسن الروية ، وسرعة الخاطر بالصواب ، وشدة الحزم ، وقلة الغفلة ، وجودة النظر للحليفة ، والنيابة عنه في الأعضاء بالرأى أو بالذات ، كما قال أبو نواس :

إِذَا نَابَهُ أَمْرٌ فَإِنَّمَا كَفَيْتَهُ      وَإِنَّمَا عَلَيْهِ بِالْكَفِيِّ تَشِيرُ

ما يمدح به  
السكاتب  
والوزير

وبأنه محمود السيرة ، حسن السياسة ، لطيف الحس ، فإن أضاف إلى ذلك البلاغة ، والخط ، والتفنن في العلم ؛ كان غاية .

وأفضل ما مدح به القائد : الجود ، والشجاعة ، وما تفرع منهما ، نحو ما يمدح به القائد التخرق في الهيئات ، والإفراط في النجدة ، وسرعة البطش ، وما شاكل ذلك .  
ويمدح القاضي بما ناسب العدل والإنصاف ، وتقريب البعيد في الحق ، وتباعد القريب ، والأخذ للضعيف من القوي ، والمساواة بين الفقير والغني ، وانسباط الوجه ، ولين الجانب ، وقلة المبالاة في إقامة الحدود واستخراج الحقوق ، فإن زاد إلى ذلك ذكر الورع ، والتخرج ، وما شاكلهما ، فقد بلغ النهاية .

ما يمدح به  
القاضي

وصفات القاضي كلها لائقة بصاحب المظالم ، ومن كان دون هذه الثلاث<sup>(١)</sup> الطبقات سوى طبقة الملك فلا أرى لمدحه وجها ، فإن دعت إلى ذلك ضرورة مدح كل إنسان بالفضل في صناعته ، والمعرفة بطريقته التي هو فيها ، وأكثر ما يعول على الفضائل النفسية التي ذكرها قدامة ، فإن أضيف إليها فضائل عرضية أو جسمية : كالجمال ، والأبهة ، وبسطة الخلق ، وسعة الدنيا ، وكثرة العشرة ؛ كان ذلك جيداً ، إلا أن قدامة قد أبى منه ، وأنكره جملة ، وليس ذلك صواباً ، وإنما الواجب عليه أن يقول : إن المدح بالفضائل النفسية أشرف وأصح ، فأما إسكار ما سواها كرهة واحدة فما أظن أحداً يساعده فيه ، ولا يوافقه عليه .

وقد كره الخذاق أن تمدح الملوك بما ناسب قول موسى شهوات وروى لغيره :

(١) هذا استعمال كوفي ، وقد قال عنه الزمخشري : إنه « بمعزل عن الصواب » والصحيح عند البصريين أن يقال « ثلاث الطبقات » فيعرف الحدود ويضيف إليه العدد .

لَيْسَ فِيهَا بَدَأَ لَنَا مِنْكَ عَيْبٌ عَابَهُ النَّاسُ غَيْرَ أَنْكَ فَاثِي (١)  
أَنْتَ نَعْمَ الْمَتَاعُ لَوْ كُنْتَ تَبْقَى غَيْرَ أَنْ لَابْقَاءَ لِلنَّاسِ

وذكر عن سليمان بن عبد الملك أنه خرج من الحمام ، وهو الخليفة ، يريد الصلاة ، ونظر في المرأة فأعجبه جماله ، وكان حسن الوجه ، فقال : أما الملك الشاب ، ويروي « القتي » فتلقته إحدى حظاياها ، فقال لها : كيف ترينني ؟ فتمثلت بالبيتين المتقدم ذكرهما ، فتطير بهما ورجع ، فخم فما بات إلا ميتاً تلك الليلة

سليمان بن  
عبد الملك  
يعجبه جماله

وروي عن بعض الملوك أنه قال : ما لهؤلاء الشعراء قاتلهم الله ، ربما ذكرونا شيئاً نحن أكثر ذكراً له منهم فينقصون به علينا أوقات لذتنا !! ؟ يعني بذلك الموت .

ومن أشنع ما في ذلك قول أبي تمام :

عما يعاب على  
أبي تمام

فَلْيَطَّلْ عَمْرَهُ فِلَومَاتٍ فِي طَوْ سٍ مَقِيماً لَمَاتَ فِيهَا غَرِيْباً  
فما الذي دعاه إلى ذكر الموت ههنا إلا التأكيد والنفاسة ؟

أجمع الناس على تقديم قول كعب بن زهير يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم :

عما يقدم قول  
كعب بن زهير  
في الرسول

تَحْمَلُهُ النَّاقَةُ الْأَذْمَاءَ مُعْتَجِراً بِالْبُرْدِ كَالْبَدْرِ جَلِيٍّ لَيْلَةَ الظُّلَمِ  
وَفِي عِطَافَيْهِ أَوْ أُنْثَاءَ رَبِطَتِهِ مَا يَعْلَمُ اللَّهُ مِنْ دِينٍ وَمِنْ كَرَمِ  
والجهال يروون البيت الأول لأبي دهبـل الجحى ، ويناسبه قول

العجاج :

يَحْمِلُنَ كُلَّ سُودِدٍ وَفَخْرٍ يَحْمِلُنَ مَا نَدْرِي وَمَا لَا نَدْرِي  
قال الأصمعي : وأصله قول الحارث بن حازمة :

(١) البيتان في الأغاني ( ٣ / ١٤٢ بولاق ) منسوبين لموسى شهبوات ، يقولهما في عبد الله بن عمرو بن عثمان ، وكان موسى قد سأل بعض آل الزبير حاجة فدفعه عنها ، وقضاها له عبد الله بن عمرو بن عثمان من غير مسألة منه .



وفعلنا بهم<sup>(١)</sup> كما علم الله وما إن للحائنين دماء  
قال : ولم يقل قطُّ شاعر « كما يعلم » أحسن من هذه الثلاثة المعاني<sup>(٢)</sup>  
قال أبو العباس المبرد : من الشعراء من يجمل المدح ، فيكون ذلك وجهاً  
حسناً ؛ لبلوغه الإرادة مع خلوه من الإطالة ، وبعده من الإكثار ، ودخوله  
في الاختصار .

وذلك نحو قول الخطيب<sup>(٣)</sup> :

للخطيب

تُزورُ فتيَّ يُعطيُّ على الحمدِ مالهُ      وَمَنْ يُعْطِ أَمَانَ الْمَكَارِمِ يُحْمَدُ  
تُزورُ فتيَّ يُعطيُّ على الحمدِ مالهُ      وَيَعْلَمُ أَنَّ الْمَرْءَ غَيْرُ مُحَمَّدٍ  
يَرَى الْبُخْلَ لَا يَبْقَى عَلَى الْمَرْءِ مَالَهُ      وَيَعْلَمُ أَنَّ الْمَرْءَ غَيْرُ مُحَمَّدٍ  
ورواه غيره \* أن المال غير محمد \* .

كُتِبَ وَمُتَلَفٌ إِذَا مَا سَأَلْتَهُ      تَهَلَّلَ وَاهْتَرَزَ أَهْتَرَزَ الْمُهَنْدِ  
مَتَى تَأْتِهِ تَعْتَشُوهُ إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ      نَجِدُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مَوْقِدِ

(١) سقط لفظ « بهم » من المصريتين ، وهو كما ترى ، وورد الشطر الثاني  
فيهما \* وما إن للحائنين ذماء \* على أن الحائنين بالخاء المعجمة جمع حائن ؛  
وذماء بالذال معجمة أيضاً ، والصواب أن الحائنين بالخاء مهملة جمع حائن وهو  
المهالك وفعله حان يحين حيناً ، ودماء بكسر الدال مهملة ، والمعنى وفعلنا بهم فعلاً  
بليغاً لا يحيط به إلا علم الله تعالى ، ولا دماء للمتعرضين للهلاك ، أى : لم يطلب  
بشارهم ودمائهم .

(٢) سبق ( في ص ١٣٥ ) الاعتراض على هذا التعبير .

(٣) هكذا وردت رواية الأبيات في أصول هذا الكتاب ، والبيت الثاني  
منها لا وجود له في الديوان ( ص ٢٤ ) ولا معنى لبقائه قط ؛ لأنه من زيادات النسخ  
لا غير إذ هو عبارة عن تكرير صدر الأول وعجز الثالث .

تصرف في أبياته هذه في أصناف المديح ، وأتى بجماع الوصف وجملة المدح على سبيل الاختصار في البيت الأخير .

ومثله قول الشماخ :

رَأَيْتُ عَرَابَةَ الْأَوْسِيِّ يَسْمُو إِلَى الْعَلِيَاءِ <sup>(١)</sup> مَنقَطِعَ الْقَرِينِ  
إِذَا مَارَايَةٌ رُفِعَتْ يَلْجُدُ تَلْقَاهَا عَرَابَةٌ بِالْمِينِ  
انتهى كلامه .

لشماخ

ومن أفضل ما مدح به الملوك وأكثره إصابة للعرض ما ناسب قول ابن هرمة للمنصور :

لَه لِحَظَاتٌ عَنْ حِفَافِي سَرِيرِهِ <sup>(٢)</sup> إِذَا كَرَّرَهَا فِيهَا عِقَابٌ وَنَائِلٌ  
فَأُمُّ الَّذِي أَمْنَتَ أَمْنَةَ الرَّدَى وَأُمُّ الَّذِي أُوْعِدْتَ بِالشُّكْلِ ثَاكِلٌ <sup>(٣)</sup>  
وقول أبي العتاهية في مدح المهدي :

أفضل  
مامدح به  
الملوك

يَضْطَرِبُ الخَوْفُ وَالرَّجَاءُ إِذَا حَرَّكَ مُوسَى التَّقْضِيبَ أَوْ فِكْرًا  
وكذلك قول الخزيم بن السكفاني في عبد الله بن عبد الملك بن مروان ، وقد  
وقدَّ عليه بمصر ، ويروى للفرزدق في علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي  
الله عنهم ، وقيل : بل قاله لاهية العين المنقري ، وقيل : بل الأبيات لداود بن سلم <sup>(٤)</sup>  
في قَسَمَ بن العباس بن عبد الله بن العباس :

فِي كَفِّهِ خَيْزُرَانٌ رِيحُهُ عَيْقُ مِنْ كَفِّ أَرْوَعٍ فِي عِرْنِينِهِ شَمَمٌ  
يُقْضَى حَيَاءٌ وَيُقْضَى مِنْ مَهَابَتِهِ فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَلْتَمِسُ  
اجتمع الشعراء بباب المعتصم فبعث إليهم : من كان منكم يحسن أن يقول  
مثل قول منصور النخيري في أمير المؤمنين الرشيد :

الشعراء  
بباب المعتصم

(١) في الديوان (ص ٩٦) « إلى الخيرات » .

(٢) المصريتين « خفافي » وهو تصحيف .

(٣) في المصريتين « فأما . . وأما » وهو تحريف .

(٤) في سائر الأصول « داود بن مسلم » تحريف ، وانظر ج ٢ ص ٢٥ من

إِن المكارم والمعروف أوديةٌ      أَحَلَّكَ اللهُ مِنْهَا حَيْثُ تَجَبَّهَسُ  
إِذَا رَفَعْتَ امراً فَاللهُ رافعهُ      ومن وضعت من الأقوام مُتَضَع  
مَنْ لم يكن بأَمِينِ اللهُ معتصماً      فليس بالصلواتِ الخمسِ يبتضع  
إِن أَخْلَفَ الغيثُ لم تُخْلِفْ أَناملهُ      أو ضاقَ أمرُ ذكْرناه فَيَتَسَع

فليدخل ، فقال محمد بن وهب : فينا من يقول خيراً منه ، وأنشد :

ثلاثة تُشْرِقُ الدنيا ببهجتهم      شمسُ الضحى وأبو إسحاق والقمر<sup>(١)</sup>  
يُحْكِي أفاعيلهُ في كل نائلةٍ      الغيثُ والليثُ والصمصامة الذكرُ  
فأمر بادخاله وأحسن صلته .

قالوا : لما حضرت الخطيبية الوفاة قال<sup>(٢)</sup> : أبلغوا الأنصار أن أخام أمدح

بيت

الناس حيث يقول :

يُغَشُونَ حَتَّى ماتهم كلابهم      لا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ المَقْبِلِ

قال ثعلب : بل قول الأعشى :

فَتَى لَوِيبَارِي الشَّمْسِ أَتَقَتْ قِنَاعَهَا      أَوْ القَمَرِ السَّارِي لِأَثْقَى المَقَالِدَا

أمدحُ منه .

وقال أبو عمرو بن العلاء : بل بيت جرير :

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايَا      وَأُنْدَى العَالَمِينَ بَطُونَ رَاحِ

أشدُّ ما قيل في المدح وأسهله .

وقال غيره : بل قول الأخطل :

شُمْسُ العداوةِ حَتَّى يُسْتَمَادَ لَهُمْ      وَأَعْظَمُ الناسِ أحلاماً إِذَا قَدَرُوا

وقال دعبل : بل قول أبي الطَّمَحَانَ القَيْنِي :

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم      دُجِيَ اللَّيْلُ حَتَّى نَظَمَ العِقْدَ ثاقِبَهُ<sup>(٣)</sup>

(١) حفظي «تشرق الدنيا بطلعتهم» (٢) في المصريتين «قالوا» وليس بشيء .

(٣) حفظي \* ... حتى نظم الجزع ثاقبه \*

قال : وقد تنازع في هذا البيت - يعني بيت أبي الطمحان - قوم ، وفي بيت حسان في آل جفنة ، وبيت النابغة :

فإنك شمسٌ والملوك كواكبُ إذا طلعت لم يبدُ منهنَّ كوكبُ  
وبيتُ أبي الطمَّحان أشعرُها .

قال الحاتمي : بل بيت زهير :

تراه إذا ماجتْهُ مُتَهَلِّلاً كأنك تُعطيهِ الذي أنتَ سائله

وحكى على بن هارون عن أبيه أنه قال : أجمع أهل العلم على أن بيتي أبي نُوَاس أجود ما للمولدين في المدح ، وهما قوله :

أنتَ الذي تأخذ الأيدي بِجُجْرَتِهِ إذا الزمان على أنائه كَلَحَا  
وكَلَّتْ بالدهرِ عَيْناً غَيْرَ غَافِلَةٍ من جُودِ كَفِكَ تَأْسُوكُلِّ مَاجِرَ حَا

روى الحاتمي عن محمد بن عبد الواحد عن أحمد بن يحيى قال : سمعت ابن الأعرابي يقول : أمدح بيت قاله مولدٌ قول أبي نواس :

تَفَطَّيْتُ من دَهْرِي بظِلِّ جَنَاحِهِ فعيى ترى دهرى وليس يرانى  
فلو تسأل الأحداثُ عنيَ ما دَرَّتْ وأين مكاني ما عرفن مكاني

قال صاحب الكتاب : نحن إلى الإنصاف أحوج منا إلى المكابرة والخلاف ، أبو نواس ذهب مذهباً لطيفاً يخرج له فيه العذر والتأويل ، وإلا فإني صفة الخمول أشد مما وصف ، لا سيما على رواية من روى :

\* فلو تسأل الأيام عني \*

ومن جيد ما سمعته لمحدثٍ - وأظنه لابن الرومي في عبيد الله بن سليمان ابن وهب ، ورأيت من يرويه لأبي الحسين أحمد بن محمد الكاتب - :

إذا أبو قاسمٍ جَادَتْ لنا يَدُهُ لم يحمد الأجدان : البَحْرُ والمَطَرُ  
ولو أضاءت لنا أنوارُ غُرَّتِهِ تضاءل النيران : الشمسُ والقمر

وإن مضى رأيه أو حَدَّ عزمته تأخر الماضيان : السيفُ والقدر  
 من لم يبت حَدِرًا من خوفِ سَطْوَتِهِ لم يدر ما المزحجان : الخوف والحذر  
 ينال بالظنِّ ما يَعمياً العيانُ به والشاهدان عليه العَيْنُ والأثر  
 كأنه وزمامُ الدهرِ في يده يرى عواقب ما يأتي وما يَدْرُ  
 وقال خلف الأحمر : أغلب المدح أكثره مَلَمًا كقول زهير :

تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلاً كأنك تُعْطيه الذي أنت سائلُهُ  
 أَخُو نِقَّةٍ لَا يُهْلِكُ الْحُمْرُ مَالَهُ ولكن قد يهلك المالُ نَائِلُهُ  
 غَدَوْتُ عَلَيْهِ غَدَوَةٌ فَوَجِدْتَهُ قعوداً لديه بالصَّرِيمِ عَوَاذِلُهُ  
 يُفَدِّينَهُ طَوْرًا ، وَطَوْرًا يَلْمَنَهُ وأعيى فإ يدرين أين سَخَانِلُهُ  
 فَأَعْرَضَنِي مِنْهُ عَنْ كَرِيمٍ مُرَرًا عَزُومٍ عَلَى الْأَمْرِ الَّذِي هُوَ فَاعِلُهُ  
 وقال طفيلُ الغنوي :

جزى الله عنا جعفرًا حين أزلت بنا نملنا في الواطئين فزلت  
 أبوا أن يملونا ولو أن أمنا تلاقى الذي لا قوه منا ملت  
 وقال الأصمعي : أخلب الشعر قول حمزة بن بيض :

تقولُ لي وَالْعَمِيونُ هاجمة : أقم علينا يوماً ، فلم أقم  
 أي الوجوه انتجعت ؟ قلت لها : لا أي وجه إلا إلى الحكم  
 متى يقل حاجباً سُرَادِقِهِ هذا ابنُ بيضٍ بالباب بيتسِمِ  
 قد كنتُ أسلمتُ فيك مُقْتَبِلاً فهاتِ إذ حلَّ أعطى سَمِي

وسأل الرشيد المفضل الضبي : أي بيت قالته العرب أمدح ؟ فقال :

أغرُّه أبلجُ تائمُ الهداةُ به كأنه علمٌ في رأسه نارُ  
 هكذا روايته فيه .

قال شرحبيل بن معن بن زائدة : كنت أسير تحت قبة يحيى  
 ابن خالد ، وقد حج مع الرشيد ، وعديله أبو يوسف القاضي ، إذ

أتاه أعرابي من بني أسد كان يلقاه إذا حج فيمدحه ، فأنشده شعراً أنكر يحيى  
منه بيتاً فقال : يا أخا بني أسد ، ألم أنك عن مثل هذا الشعر ؟ ألا قلت كما  
قال الشاعر :

بَنُو مَطَرٍ يَوْمَ اللِّقَاءِ كَأَنَّهُمْ      أَسُودٌ لَهَا فِي غَيْلِ خَفَانٍ أَشْبَلُ  
هُمْ يَمْنَعُونَ الْجَارَ حَتَّى كَأَنَّمَا      لِحَارِهِمْ بَيْنَ السَّمَائِينَ مَنْزِلُ  
بَهَائِلٍ فِي الإِسْلَامِ سَادُوا وَلَمْ يَكُنْ      كَأَرْهَمِ فِي الجَاهِلِيَّةِ أَوَّلُ  
هُمْ الْقَوْمُ إِنْ قَالُوا أَصَابُوا ، وَإِنْ دَعَا      أَجَابُوا ، وَإِنْ أَعْطُوا أَطَابُوا وَأَجْزَلُوا  
وَلَا يَسْتَطِيعُ الْفَاعِلُونَ فَعَالَهُمْ      وَإِنْ أَحْسَنُوا فِي النَّائِبَاتِ وَأَجَلُوا

فقال أبو يوسف : لمن هذا الشعر أصلحك الله فاسمعت أحسن منه ؟ فقال  
يحيى : يقوله ابن أبي حفصة في أبي هذا الفتى ، وأوماً إلى ، فكان قوله أسر  
للى من جليل الفوائد ، ثم التفت إلى وقال : يا شرحبيل ، أنشدني أجود ما قاله  
ابن أبي حفصة في أبيك ، فأنشدته :

نِعْمَ المَنَاخُ لِرَاغِبٍ وَرَاهِبٍ      مِمَّنْ تَصِيبُ جَوَاحِجِ الأَزْمَانِ  
مَعْنُ بِنُ زَائِدَةَ الذِي زِيدَتْ بِهِ      شَرَفًا عَلَى شَرَفِ بَنُو شَيْبَانَ  
إِنْ عُدَّ أَيَّامُ اللِّقَاءِ فَإِنَّمَا      يَوْمَاهُ يَوْمٌ نَدَى وَيَوْمَ طِعْمَانَ  
يَكْسُو الأَمِيرَةَ وَالمَنَابِرَ بِهَجَّةٍ      وَيَزِينُهَا بِمَجَاهِرَةِ وَبَيَانَ  
تَمَضَى أَسِنَّتَهُ وَيُسْفِرُ وَجْهَهُ      فِي الحَرْبِ عِنْدَ تَغْيِيرِ الأَلْوَانِ  
نَفْسِي فَذَاكَ أبا الوليدِ إِذَا بَدَا      رَهَجُ السَّنَابِكِ وَالمِرَاحِ دَوَانِي

فقال يحيى : أنت لا تدري جيد ما مدح به أبوك ، أجود من هذا قوله :

تَشَابَهَ يَوْمَاهُ عَلَيْنَا فَأَشْكَلا      فَلَا نَحْنُ نَدْرِي أَيُّ يَوْمِيهِ أَفْضَلُ  
أَيُّومُ نَدَاةِ العَمْرِ ، أَمْ يَوْمُ بَأْسِهِ ؟      وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا أَعْرُ مُجَجَّلُ

بما عيب  
في المدح

ومما أخذ على الكميت قوله يمدح النبي صلى الله عليه وسلم :  
فاعتتب القول من فؤادى والشعر إلى من إليه مُعْتَبَب  
إلى السراج المنير أحمد لا يَغْدِلْنِي رَغْبَةً وَلَا رَهَبَ  
حَنَهُ إِلَى غَيْرِهِ وَلَوْ رَفَعَ النَّاسُ إِلَى الْعِيُونَ وَارْتَبَعُوا  
وَقِيلَ : أَفْرَطْتُ ، بَلْ قَصَدْتُ ، وَلَوْ عَنَّفَنِي الْقَاتِلُونَ أَوْ تَلَبَّأُوا  
إِلَيْكَ يَا خَيْرَ مَنْ تَضَمَّنَتِ السَّارِضُ وَلَوْ عَابَ قَوْلِي الْعُيُوبُ  
لَجَّ بِتَفْضِيلِكَ اللِّسَانُ وَلَوْ أَكْثَرَ فِيكَ الضَّجْجَاجَ وَالصَّخْبَ  
قَالُوا : مَنْ هَذَا الَّذِي يَقُولُ فِي مَدْحِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْرَطْتُ ، أَوْ  
يَعْنَفُهُ ، أَوْ يَتَلَبَّهُ ، أَوْ يَعْيِيهِ ، حَتَّى يَكْثُرَ الضَّجْجَاجُ وَالصَّخْبُ !! ؟ وَهَذَا كُلُّهُ خَطَأٌ  
مِنْهُ ، وَجَهْلٌ بِمَوَاقِعِ الْمَدْحِ ، وَقَالَ مَنْ احْتَجَجَ لَهُ : لَمْ يَرِدِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،  
وَإِنَّمَا أَرَادَ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَوَرَّى عَنْهُ بِذِكْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَوْفًا  
مِنْ بَنِي أُمِيَّةَ .

ومن الشعراء من ينقل المدح عن رجل إلى رجل ، وكان ذلك دأب البحثري ،  
وفعله أبو تمام في قصائد معدودة ؛ منها :

\* قَدْ كَ أْتَيْتُ أَرْبَيْتَ فِي الْعُلُوءِ \*

نقلها عن يحيى بن ثابت إلى محمد بن حسان ، فأما الذي قال : « هُنَّ بِنِيَاتِي  
أُنْكَحَهُنَّ مِنْ شَتَّى » فهو معذور إن لم يُثَبِّ ، فأما إن أُنْثِبَ فذلك منه قلة  
وفاء ، وفِرَاطُ خِيَانَةٍ .

### (٧٥) - باب الافتخار

يقال فيه  
ما يقال في  
المدح

والافتخار هو المدح نفسه ، إلا أن الشاعر يخصص به نفسه وقومه ، وكل  
ما حسن في المدح حسن في الافتخار ، وكل ما قبيح فيه قبيح في الافتخار ؛ فن  
أبيات الافتخار قول الفرزدق :

أفخر بيت  
قاله شاعر

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتًا دَعَامُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ  
قال أحمد بن يحيى : أفخرُ بيت قالته العرب قول امرئ القيس<sup>(١)</sup> :  
ما ينكرُ الناسُ مُنَّاحِينَ مَلِكِهِمْ كَانُوا عَيْبِدَاءُ وَكُنَّا نَحْنُ أُرْبَابًا ؟  
وقال دعبل بن علي : أفر الشعر قول كعب بن مالك :

و بئيرِ بدرٍ إذ يرَدُّ وجوهَهُم جبريل تحتَ لوائنا ومحمد  
وقال الحاتمي : قول الفرزدق :

تَرَى النَّاسَ إِنْ سِرْنَا يَسِيرُونَ خَلْفَنَا وَإِنْ نَحْنُ أَوْ مَأْنَا إِلَى النَّاسِ وَقَفُوا  
قال : ويتلوه قول جرير :

إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ حَسِبْتَ النَّاسَ كُلَّهُمُ غَضَابًا  
وقال آخرون : بل بيت الفرزدق :

وَمَنْ إِذَا عَدَّتْ مَعَدُّ قَدِيمِهَا مَكَانُ النَّوَاصِي مِنْ وُجُوهِ السَّوَابِقِ  
وقال غيرهم : بل قوله لجرير :

وَإِذَا نَظَرْتَ رَأَيْتَ قَوْقَكَ دَارِمًا وَالشَّمْسُ حَيْثُ تُقَطِّعُ الْأَبْصَارَا  
وقيل : بل قول ابن ميادة - واسمه الرماح بن أبرد - :

وَلَوْ أَنَّ قَيْسًا قَيْسَ عَيْلَانَ أَقْسَمْتُ عَلَى الشَّمْسِ لَمْ يَطْلُعْ عَلَيْكَ حِجَابُهَا  
وأخر بيت صنعه مُحَدِّثٌ عِنْدَهُمْ بِشَار :

إِذَا مَا غَضِبْنَا غَضِبَةً مُضْرِبَةً هَتَكْنَا حِجَابَ الشَّمْسِ أَوْ قَطَرَتْ دَمًا

إِذَا مَا أَعْرَنَّا سَيْدًا مِنْ قَبِيلَةٍ ذَرَا مِنْبَرٍ صَلَّى عَلَيْنَا وَسَلَّمَا

ويروى

\* هتكنا سماء الله أو مطرت دما \*

(١) لم أجد هذا البيت في ديوانه ، ولا عثرت عليه فيما نحله امرؤ القيس .



ومن جيد الافتخار قول بكر بن النطاح الحنفي :

وَمَنْ يَفْتَقِرُ مَنَا بَعِشْ يُسَامِهِ      ومن يفتقر من سائر الناس يسأل  
ونحنُ وصِفْنَا دونَ كلِّ قبيلةٍ      ببأسٍ شديدٍ في الكتاب المنزَّلِ  
وإِنَّا لنلهو بالحروب كما لَهتْ      فتاةٌ بعقدٍ أو سخابٍ قرَنُفَلِ

يعنى قول الله عز وجل : ( قلْ للْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ ) فدعوا في خلافة أبي بكر إلى قتال أهل الردة من بني حنيفة ، وبسبب هذا الشعر وأشباهه طلبه الرشيد أشد طلب ، وقال : كيف يفتخر على مُضَرٍّ ومنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خير البشر ؟ فهذا افتخار بالشجاعة خاصة .

ومن افتخر بالكثرة أوس ابن مخرم قال :

ما تطلعُ الشمسُ إلَّا عند أولنا      ولا تَغيبُ إلَّا عند آخرانا

وقد أنكر قدامة أن يمدح الإنسان بآبائه دون أن يكون ممدوحاً بنفسه ؛  
لأن كثيراً من الناس لا يكونون كأبائهم ، والذي ذهب إليه حسن .

وأنكر الجرجاني على أبي الطيب قوله :

ما بقوى شرفُ بلْ شَرُفُوا نِي      وبنفسى فخرتُ لا بِجُدُودِي

مما أنكره  
الجرجاني

وإما أخذه من قول علي بن جبلة حيث يقول :

وما سَوَدَتْ عِجَالاً مَا تُرُّ غَيْرُهُمْ      ولكن بهم سادت على غيرهم عجلُ

قال : وهذا معنى سوء يقصر بالمدوح ، ويقض من حسبه ، ويحقر من شأن سلفه ، وإما طريقة للمدح أن يجعل المدوح يشرف بآبائه ، والآباء تزداد شرفاً به ؛ فجعل لكل واحد منهم حظاً في الفخر وفي المدح نصيباً ، وإذا حصلت الحقائق كان النصيبان مقسومين ، بل كان الكل خالصاً لكل فريق منهم ؛ لأن شرف الوالد جزء من ميراثه ، ومنتقل إلى ولده كانتقال ماله ، فإن رعى وحرس ثبت

وازداد ، وإن أهمل وضئع هلك وناد . وكذلك شرف الوالد يعم القبيلة ، وللولد منه القسم الأوفر ، والحظ الأكبر .

قال صاحب الكتاب : والذي يقع عليه الاختيار عندي ما ناسب قول المتوكل الليثي :

من المختار  
في الفخر

إنا وإن أحسابنا كَرَمَتْ      لَسْنَا عَلَى الْأَحْسَابِ تَشَكَّلُ (١)  
نَبِيِّي كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا      تَبْنِي وَنَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا

وقول عامر بن الطفيل الجعفرى :

فإني وإن كنت ابن سيدٍ عامر      وفارِسَهَا المشهور في كل موكب  
فَمَا سَوَّدَتْنِي عَامِرٌ عَنْ وِرَاثَةٍ      أَبِي اللَّهِ أَنْ أَسْمُو بِأُمَّ وَلَا أَبِ  
ومن أفخر ما قال المولدون قول إبراهيم الموصلى يفتخر بولائه من خزيمة بن

حازم النمشلى :

إِذَا مُضِرُّ الْحِرَاءِ كَانَتْ أُرُومَتِي      وَقَامَ بِمَجْدِي حَازِمٌ وَابْنُ حَازِمِ  
عَطَسْتُ بِأَنْفِي شَائِحًا وَتَنَاوَلْتُ      بَدَايَ الثَّرِيًّا قَاعِدًا غَيْرَ قَائِمِ

ومن قول السيد أبي الحسن يفتخر بقومه بنى شيبان :

يَا آلَ شَيْبَانَ لَا غَارَتْ نُجُومُكُمْ      وَلَا خَبَّتْ نَارُكُمْ مِنْ بَعْدِ تَوْقِيدِ  
أَنْتُمْ دَعَائِمُ هَذَا الْمَلِكِ مَذْرُوعَةٌ      قَبْلُ الْخِيُولِ لِإِبْرَامِ وَتَوْكِيدِ  
الْمَعْمُونِ إِذَا مَا أَزَمَةَ أَرْبَعَتْ      وَالْوَاهِبُونَ عَيْتِقَاتِ الْمَزَاوِيدِ  
سَيُوفِكُمْ أَنْقَدَتْ كَسْرِي تَرَازِبُهُ      فِي يَوْمِ ذِي قَارٍ إِذْ جَاءُوا الْمَوْعُودِ

وهذا هو الفخر الحلال غير المدعى فيه ولا المنتحل .

وعما عابه الأصمعي وغيره قول عامر بن معشر بن أسحم يصف أسيراً أسروه :

من شعر  
أبي الحسن  
في الفخر

عما عابه  
الأصمعي

(١) في نسخة « لسنا وإن أحسابنا كرمت . . . يوماً » .

فَظَلْ يَخَالِسُ الْمَذْفَاتِ فِينَا يُقَادُ كَأَنَّهُ جَمَلٌ رَيْبِقُ

وذلك بأنه وصف أسيرهم بأنه جائع يخالس القليل الممدوق من اللبن ، وإنما ذلك من الجهد .

ومن أجود قصيدة افتخر فيها شاعر قصيدة السموأل بن عادياء اليهودي<sup>(١)</sup> فإنها جمعت ضروب المادح وأنواع المفاخر ، وهي مشهورة .

### (٧٦) - باب الرثاء

وليس بين الرثاء والمدح فرق ؛ إلا أنه يخلط بالرثاء شيء يدل على أن المقصود به ميت مثل « كان » أو « عدنا به كيت وكيت » وما يشاكل هذا وليعلم أنه ميت .

وسبيل الرثاء أن يكون ظاهر التمجع ، بين الحسرة ، مخلوطاً بالتهلف والأسف والاستعظام ، إن كان الميت ملكاً أو رئيساً كبيراً ، كما قال النابغة في حصن بن حذيفة بن بدر:

يَقُولُونَ حِصْنَ ثُمَّ تَأْبَى نَفْسُهُمْ      وَكَيْفَ بِحِصْنِ الْجِبَالِ جُنُوحُ  
ولم تلفظ الموتى القبور ، ولم تزل      نجوم السماء ، والأديم صحیح  
فعمًا قليلاً ثم جاء نعيه      فظل ندي الحى وهو ينوح

فهذا وما شاكله رثاء الملوك والرؤساء الجلية ، وإلى هذا المعنى ذهب أبو العتاهية حين قال :

\* مَاتَ التَّحْلِيفَةُ أَيُّهَا النَّفْلَانِ \*

(١) التي أولها :

إذا المرء لم يدنس من اللوم عرضه فكل رداء يرتديه جميل

فرقع الناس رؤوسهم ، وفتحوا عيونهم ، وقالوا : نَعَاهُ إلى الجن والإنس ،  
ثم أدركه اللين والفترة فقال :

\* فكأنتى أفطرت في رَمَضانِ \*

يريد : إلى بجاهرتي بهذا القول كأنما جاهرت بالإفطار في رمضان نهارا  
وكل أحد يفكر ذلك على ، ويستعظمه من فعلى ، وهذا معنى جيد غريب في  
لفظ ردىء غير مُعَرَّب عما في النفس .

ومن أفضل الرثاء قول حسين بن مطير يرثى معن بن زائدة ، ويروى لابن  
أبي حفصة : الختار من  
جيد الرثاء

فَيَا قَبْرَ مَعْنٍ ، كُنتِ أَوَّلَ حُفْرَةٍ      من الأَرْضِ حُطَّتْ لِلسَّامِحَةِ مَضْجَعًا  
وياقبر معن ، كيف واريت جوده ؟      وقد كان منه الهب والبحرُ مُتْرَعًا  
بلى قد وسعت الجودَ والجودُ ميت      ولو كان حيًّا ضِيقَتْ حتى تَصَدَّعَا  
فتى عيشَ في معروفه بعد موته      كما كان بعد السيل مجراه مَرْتَعَا  
وما قصر أبو تمام في رثائه محمد بن حميد بالقصيدة التي يقول فيها :

أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ عَطَلَتْ لَهُ      فِجَاجِ سَبِيلِ الثَّغْرِ وَالثَّغْرِ الثَّغْرُ  
فتى كلما فاضتْ عيونُ قبيلة      دَمَا ضَحِكَتْ عَنْهُ الأَحَادِيثُ وَالنَّشْرُ  
وما مات حتى مات مضرب سيفه      من الضَّرْبِ وَأَعْتَلَّتْ عَلَيْهِ القَنَا الشَّمْرُ  
فتى مات بين الطعن والضرب ميمتةً      تقوم مقام النصر إذ فاته النصرُ  
وقد كان فوتُ الموتِ سهلا فردةً      إليه الحفاظُ المرءُ وَأُلْحِقُ الوَرُ  
وَنَفْسٌ تَخَافُ العَارَ حَتَّى كَأَنَّمَا      هُوَ الكُفْرُ يَوْمَ الرُّوعِ أَوْ دُونَهُ الكُفْرُ  
فَأَثَبَتْ فِي مَسْتَنَمَعِ المَوْتِ رِجْلَهُ (١)

وقد أجاد أيضا في القصيدة التي رثى بها إدريس بن بدر السامى يقول فيها :

(١) في نسخة « في مستنمع الموت رحله » .

ولم أنس سعى الجود خلف سريره      بأكسف بالٍ يستقل ويطلع  
وتكبيره خمسا عليه معالفا      وإن كان تكبير المصلين أربعا  
وما كنت أدري - يعلم الله - قبلها      بأن الندى في أهله يتشيع

وليس في ابتداءات المراني المولدة مثل قوله :

أصم بك الناعي وإن كان أئمتما      وأصبح معنى الجود بعدك بلقما  
يرثي بها محمد بن حميد ، وجعل خاتمتها :

فإن أترم عن عمر تداني به المدى      فخانك حتى لم تجد عنه منزعا  
فاكنت إلا السيف لاقى ضريبة      فقطتها ثم انثني وبتقطعا

وأبو تمام من المعدودين في إجادة الرثاء ، ومثله عبد السلام بن رغبان ديك  
الجن ، وهو أشهر في هذا من حبيب ، وله فيه طريق انفرد بها ، وذلك أنه قتل  
جاريته واتهم بها أخاه ، ثم قال يرثيها :

يامهجة جثم الحمام عليها      وجنى لها ثمر الردى بيديها  
رويت من دمها التراب ، وربما      روى الهوى شقى من شفتيها  
حكمت سيفي في مجال خناقها      ومدامعي تجرى على خديها  
فوحق نعلها لما وطىء الحصى      شىء أعز علي من نعلها  
ما كان قتليها لأنى لم أكن      أخشى إذا سقط الغبار عليها  
لكن بخلت على الأنام بحسنها      وأنفت من نظر العيون إليها

وقال أيضا فيها على بعض الروايات :

أشفقت أن يرد الزمان بعدد      أو أبتلى بعد الوصال هجره  
فقتلته ، وله على كرامة      ملء الحشا ، وله الفؤاد بأسره  
قرر أنا أستخرجته من دجنه      لبليتي وزفتته من خدره  
عهدى به ميثا كأحسن نائم      والحزن ينجر دمعتي في بحره

الذى أعرِف « ينحَر مقلتي » وهو أصح استعارة .  
لو كان يدرى الميْتُ ماذا بعده بالحيِّ مِنْهُ بِنَكِي لهُ في قَبْرِهِ  
غُصَصُ تَكَادُ تَفِيضُ مِنْهَا نَفْسُهُ وَيَكَادُ يَخْرُجُ قَلْبُهُ مِنْ صَدْرِهِ  
والرواية الأخرى أن المتهم بالجارية غلام كان يهواه قتله أيضاً ، فصنع فيه  
هذه الأبيات ، فصنعت فيه أخت الغلام :

يا ويح ديك الجن ، بل تَبًّا له ماذا تَصَمَّنْ صَدْرُهُ مِنْ غَدْرِهِ  
قتل الذى يهوى ومُحَرَّرَ بعده يارَبِّ لا تَمُدُّدْ له في عُمرِهِ  
ويكون الرثاء مجملاً كالمذبح المحمل فيقع موقعاً حسناً لطيفاً : كقول ابن المعتز  
في المعتضد :

يكون الرثاء  
مجملاً

قَضَوْا مَا قَضَوْا مِنْ أَمْرِهِ ثُمَّ قَدَّمُوا إِمَامًا إِمَامًا الْخَيْرِ بَيْنَ يَدَيْهِ  
وَصَلُّوا عَلَيْهِ خَاشِعِينَ كَأَسْمِهِ صُفُوفٌ قِيَامٌ لِلسَّلَامِ عَلَيْهِ  
وقال في عبيد الله بن سليمان بن وهب :

قَدِ اسْتَمَى النَّاسُ وَمَاتَ الْإِسْكَالُ وَصَاحَ صَرْفُ الدَّهْرِ : أَيْنَ الرِّجَالُ !  
هَذَا أَبُو الْعَبَّاسِ فِي نَعْشِهِ قَوْمُوا انظُرُوا كَيْفَ تَسِيرُ الْجِبَالُ  
يَا نَاصِرَ الْمَلِكِ بَارَأْتَهُ بَعْدَكَ لِلْمَلِكِ لَيْسَالٍ طَوَالَ  
وذكر غير واحد أن أرتى بيت قيل :

أَرَادُوا لِيُخْفُوا قَبْرَهُ عَنْ عَدُوِّهِ فَطَيَّبُوا تُرَابَ الْقَبْرِ دَلَّ عَلَى الْقَبْرِ

أرتى  
بيت

ومن عادة القدماء أن يضربوا الأمثال في المراني بالملوك الأعزة ، والأمم  
السالفة ، والوعول الممتعة في قلال الجبال ، والأسود الخادرة في الغياض ، وبحجر  
الوحش المتصرفة بين الففار ، والنسور ، والعقبان ، والحيات ؛ أبأسها وطول  
أعمارها ، وذلك في أشعارهم كثير موجود لا يكاد يخلو منه شعير .

من عادة  
القدماء في  
الرثاء

قال أبو علي : فأما المحدثون فهم إلى غير هذه الطريقة أميل ، ومذهبهم في الرثاء أمثل ، في وقتنا هذا وقبله ، ورهما جرّوا على سنن من قبلهم اقتداء بهم وأخذاً بستمهم كالذي صنع أبو أيوب في رثائه أبا البيداء الأعرابي وخلف بن حيان الأحر ومرائيه فيهما فائتان وقافية مشهورات : إحداهن قوله :

لَا تَبْلُغِ الْمُعْصِمُ فِي الْمَضَابِ وَلَا شَعْوَاهُ تَقْدُوقَ فَرْخَيْنِ فِي لُجْفِ

والثانية قوله : \* لو كان حَيٌّ وَاثِلًا مِنَ التَّلْفِ \*

والثالثة قوله في أبي البيداء :

هَلْ مَخْطِي ؛ يَوْمَهُ عَفْرٌ بِشَاهِقَةٍ تَرَعَى بِأَخْيَارِهَا شِمًا وَطَبَاقًا

وكا صنع ابن المعتز يرثى أمه بالقصيدة اللامية المقيدة في الرمل :

رُبَّ حَتْفٍ بَيْنَ أَثْنَاءِ الْأَمْلِ وَحَيَاةِ الْمَرْءِ ظِلٌّ مُنْتَقِلٌ

وهي أيضاً معروفة ، ولولا اشتها هذه القصائد ، ووجودها ، وخيفة التطويل بها ؛ لأثبتها في هذا الموضع .

وليس من عادة الشعراء أن يقدموا قبل الرثاء نسباً كما يصنعون ذلك في المدح والهجاء ، وقال ابن الكلبي — وكان علامة — : لا أعلم مرثية أولها نسب إلا قصيدة دريد بن الصمة :

أرثَ جَدِيدُ الْحَبْلِ مِنْ أُمِّ مَعْبِدٍ بِعَافِيَةٍ وَأَخْلَفَتْ كُلَّ مَوْعِدِ ؟

وعن علي بن سليمان ، عن أبي العباس الأحول ، أن القصيدة التي لأبي قحافة أعشى باهلة ، إنما هي لابنة المنتشر ، واسمها الدجاء .

قال : وقال علي بن سليمان : حدثني أبي أن أولها .

هَاجَ الْفَوَادِ قَلِي عِرْفَانِهِ الذِّكْرُ وَذَكَرَ خَوْدِ عَلَى الْأَيَّامِ مَا يَدَّرُ

قَدْ كُنْتُ أَذْكَرُهَا وَالِدَارِ جَامِعَةٌ وَالدهرفيه هَالِكُ النَّاسِ وَالشَّجَرُ

هكذا أنشده النحاس والذي أعرف « وذ كرميت » وأعرف أيضاً «والدهم  
فيه هلاك الناس والغير » كذلك أنشدنيه الموصلي في الأغاني ، ثم عطف النحاس  
فقال : هذان البيتان لا يُعرفان في أول هذه القصيدة ؛ وما يزيد الاسترابة بهما أن  
المتعارف عند أهل اللغة أنه ليس للعرب في الجاهلية مرثية أولها تشييب إلا قصيدة  
دريد ، وأنا أقول : إنه الواجب في الجاهلية والإسلام ، وإلى وقتنا هذا ، ومن  
بعده ؛ لأن الآخذ في الرثاء يجب أن يكون مشغولاً عن التشييب بما هو فيه من  
الحسرة والاهتمام بالمصيبة ؛ وإنما تنزل دريد بعد قتل أخيه بسنة ، وحين أخذ  
ثأره ، وأدرك طلبته . وربما قال الشاعر في مقدمة الرثاء « تركت كذا » أو « كبرت  
عن كذا » و « شغلت عن كذا » وهو في ذلك كله يتغزل ويصف أحوال النساء ،  
وكان الكميت ركاباً لهذه الطريقة في أكثر شعره ؛ فأما ابن مقبل فن جَمَاء  
أعرايته أنه رثى عثمان بن عفان رضى الله عنه بقصيدة حسنة أتى فيها على ما في النفس ،  
ثم عطف وقال :

فَدَعْ ذَا ، وَلَكِنْ عَلِقَتْ حَبِلَ عَاشِقٍ      لِإِحْدَى شَعَابِ الْحَيْنِ وَالْقَتْلِ أَرِيْبٍ  
وَلَمْ تُدْسِنِي قَتْلِي قَرِيْشٍ ظِعْمَانًا      تَحْمَلْنَ حَتَّى كَادَتْ الشَّمْسُ تُغْرِبُ  
يَطْفَنَ بَغْرِيْدٍ يِعْلُلُ ذَا الصَّبَا      إِذَا رَامَ أَرْكُوبَ الْغَوَايَةِ أَرْكَبُ  
مِنَ الْهَيْفِ مَبْدَانَ تَرَى نَطْفَاتَهَا      بِمَهْلِكَةِ أَحْرَاصِهِنَّ تَذْبُذِبُ

والنسيب في أول القصيدة على مذهب دريد خير ما ختم به هذا الجلف، على  
تقدمه في الصناعة ، إلا أن تكون الرواية «ظعمائن» بالرفع .

ومما عيب به الكميت في الرثاء قوله في ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
وَبُورِكَ قَبْرُ أَنْتَ فِيهِ ، وَبُورَكَتْ      بِهِ - وَهُ أَهْلٌ - بِذَلِكَ يَثْرِبُ  
لَقَدْ غَيَّبُوا بَرًّا وَحَزَمًا وَنَائِلًا      عَشِيَّةً وَارَاهُ الضَّرِيحُ الْمَنْصِبُ

مما عيب في  
الرثاء



حكاه الجاحظ وغيره ، وأظن أن المراد بما عيب الثاني من هذين البيتين ، فأما الأول مجيد .

ومن العجب أن يقول عبدة بن الطيب في تأبين قيس بن عاصم :  
 عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ      وَرَحْمَتُهُ مَا شَاءَ أَنْ يَتَرَخَّهَا  
 نَحْمَةُ مَنْ أَلْبَسَتْهُ مِنْكَ نِعْمَةً      إِذَا زَارَ عَنْ شَحْطِ بِلَادِكَ سَلَمًا  
 فَمَا كَانَ قَيْسٌ هُلْكُهُ هُلْكَ وَاحِدٍ      وَلَكِنَّهُ بُنْيَانُ قَوْمٍ تَهْدَمَا  
 ويقول الكميت في تأبين رسول الله صلى الله عليه وسلم. هذا القول ، فهلا  
 قال مثل قول فاطمة رضى الله عنها :

أَغْبَرَ آفَاقُ السَّمَاءِ وَتَوَرَّتْ      شَمْسُ النَّهَارِ وَأُظْلِمَ الْعَصْرَانِ  
 فَلْأَرْضُ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّ كَثِيبَةٌ      أَسْفًا عَلَيْهِ كَثِيرَةُ الرَّجْفَانِ  
 فليبيكه شَرْقُ الْبِلَادِ وَغَرْبُهَا      وَلَيْبِيكِهِ مُضَرٌّ وَكُلُّ يَمَانِي  
 وَلَيْبِيكِهِ الطَّوْدُ الْمُعْظَمُ جَوْهُ      وَالْبَيْتُ ذُو الْأَسْتَارِ وَالْأَرْكَانِ  
 يَا خَاتِمَ الرُّسُلِ الْمُبَارِكِ صَنُوهُ      صَلَّى عَلَيْكَ مُنْزَلُ الْقُرْآنِ  
 صلى الله عليه وسلم ، ورحم وكرم وعظم .

والنساء أشجى الناس قلوباً عند المصيبة ، وأشدهم جزعاً على هالك ؛ لما رُكِبَ  
 الله عز وجل في طبعهن من الخورِ وضعف العزيمة .

على الجزع  
 بيني الرثاء

وعلى شدة الجزع يبني الرثاء ، كما قال أبو تمام :  
 لَوْلَا التَّمَجُّعُ لَادَعَى هَضْبُ الْحَى      وَصَفَا الْمُشَقَّرِ أَنَّهُ مَحْزُونٌ  
 فانظر إلى قول جلييلة بنت مرة ترى زوجها كليلياً ، حين قتله أخوها جساس ،  
 ما أشجى لفظها ، وأظهر الفجاعة فيه !! وكيف يثير كوامن الأشجان ، ويقدم  
 شررَ النيران ، وذلك :

يَا ابْنَةَ الْأَقْوَامِ إِنْ لُمْتِ فَلَا      تَعَجَّلِي بِاللَّوْمِ حَتَّى تَسْأَلِي

فإذا أتت تبينت التي      عندها اللومُ ولومي وأعذلي  
 إن تكن أختُ امرئٍ لميتٍ على      جزعٍ منها عليه فافسلي  
 فعلُ جَسَّاسٍ على ضئيِّ بهِ      قاطعٌ ظهري ومُدنٍ أجلي  
 لو بعينٍ فُدَيْتُ عيني سِوَى      أختها وانفقاتٍ لم أحفلِ  
 تحملُ العينُ قَدَى العينِ كما      تحملُ الأمُّ قَدَى ما نفتلي  
 إنني قاتلةٌ مقتولة      ففعل الله أن يرتاح لي  
 يا قتيلاً قَوْضَ الدهرُ بهِ      سَقَفَ بَيْتِيَّ جميعاً من عِلِ  
 ورماني قَدَهُ من كَتَبِ      رَمِيَةَ المُصَمِّي بهِ المُستأصِلِ  
 هدمَ البيتَ الذي استحدثتهُ      وسعى في هدمِ بيتي الأولِ  
 مَسْنِي قَدُّ كَلَيْبِ بِلَظْنِي      مِن وَرَائِي وَلَظِي مُسْتَقْبِلِي  
 لَيْسَ من يَبْكِي لِيومَيْنِ كَن      إنما يَبْكِي لِيومٍ ينجلي  
 دَرَكُ النَّارِ شَافِيهِ (١) وَفِي      دركي تُأرَى تَكَلُّ الشَّكْلِ  
 لَيْتَهُ كَانَ دَمِي فَاحْتَلَبُوا      دِرَّراً مِنْهُ دَمِي مِنْ أَكْحَلِي

ومن أشد الرثاء صعوبة على الشاعر أن يرثى طفلاً أو امرأة؛ لضيق الكلام عليه فيهما، وقلة الصفات، ألا ترى ما صنعوا بأبي الطيب - وهو فحل مجود إذا ذكر المحدثون - في قوله يذكر أم سيف الدولة:

صلاة الله خالقنا حنوطاً على الوجه المسكف بالجمال

فقالوا: ماله ولهذا العجوز يصف جاهلها؟ وقال الصاحب بن عباد: استعارة حداد في عرس، فإن كان أراد الصاحب بالاستعارة الحنوط فقد والله ظلم وتمسك، وإن كان أراد استعارة الكفن بجمال العجوز فقد اعترض في موضع اعتراض إلى

(١) يروي \* يشتمى المدرك بالتأر . . \* ويروي أيضا \* درك الثأر

لشافيه . . \*

أشد الرثاء  
صعوبة

مواضع كثيرة في هذه القصيدة ، على أن فيها ما يمحو كل رآة ، ويعنى على كل إساءة  
قال صاحب بن عباد : واقد مررت على مريثة له في أم سيف الدولة تدل  
مع فساد الحس على سوء أدب النفس ، وما ظنك بمن يخاطب ملكا في  
أمه بقوله :

رَوَاتُ العزِّ فَوْقَكَ مُسَبِّطٌ وَمُلْكُ عَالِيٍّ ابْنِكَ فِي كَالِ

ولعل لفظه الاسطراري في مرأى النساء من الخذلان الصفيق الرقيق ، وأنا  
أقول : إن أشد ما هجَّن هذه اللفظة وجعلها مقام قصيدة هجاء أنه قرنها فوقك ؛  
فجاء عملا تاما لم يبق فيه الافضاء .

ومن صعب الرئاء أيضا جمع تعزية وتهنئة في موضع ، قالوا : لما مات معاوية .  
اجتمع بين التهنئة والتعزية  
اجتمع بين التهنئة والتعزية  
أجتمع الناس بباب يزيد ، فلم يقدر أحد على الجمع بين التهنئة والتعزية ، حتى  
أتى عبيد الله بن همام السأولى فدحل فقال : يا أمير المؤمنين ، أجرك الله على الرزية ،  
و بارك لك في العطية ، وأعانك على الرعية ، فقد رزيت عظيما ، وأعطيت جسيما ،  
فاشكر الله على ما أعطيت ، واصبر على ما رزيت ، فقد قدت خليفة الله ،  
وأعطيت خلافة الله ، ففارقت جليلا ، ووهبت جزيلا ؛ إذ قضى معاوية محبة ،  
ووليت الرياسة ، وأعطيت السياسة ، فأورده الله موارد السرور ، ووفقك  
لصالح الأمور .

فاصبر يزيدُ فقد فارقتَ ذا فِئَةٍ      واشكُرْ حِبَاءَ الَّذِي بِالْمَلِكِ أَصْفَا كَا  
لَارزءُ أصبحَ في الأَقْوَامِ بَعْلَمُهُ      كَاررُنتَ وَلَا عُقْبِي كَعُقْبِيَا كَا  
أصْبَحْتَ وَالِيَّ أَمْرِ النَّاسِ كُلِّهِمْ      فَأَنْتَ تَرَعَامُ وَاللَّهُ يَرَعَا كَا  
وفي معاويةَ الباقي لنا خَلْفٌ      إِذَا بَعِيتَ وَلَا تَسْمَعُ بِنَعْمَا كَا<sup>(١)</sup>

فتفتح للناس باب القول .

(١) في عامة الأصول «إذا بعيت ولا تسمع بمنعنا ك» وهو تحريف ولا يتم مع معنى

وعلى هذا السنن جرى الشعراء بعده ؛ فقال أبو نواس يعزى الفضل بن الربيع  
عن الرشيد ، ويهنته بالأمين :

تَعَزَّ أبا العباس عن خَيْرِ هَالِكٍ      بِأَكْرَمِ حَيٍّ كَانَ أَوْ هُوَ كَائِنُ  
حَوَادِثُ أَيَّامٍ تَدُورُ صَرُوفُهَا      لَهْنٌ مَسَاوِي مَرَّةً وَتَحْسِينُ  
وَفِي الْحَى بِالْمَيْتِ الَّذِي غَيْبَ التَّرَى      فَلَا الْمَلِكُ مَعْبُودٌ وَلَا الْمَوْتُ غَابِنُ

ويروى : \* فلا أنت مغبون \*

واتبعه أبو تمام بالقصيدة التي أولها :

\* مَا لِلدُّمُوعِ تَرُومٌ كُلِّ مَرَامِ \*

يقولها للوائق بعد موت المعتصم ، صرَّفَ الكلام فيها كيف شاء ، وأظن  
كما أراد ، واحتج فيها فأسهب ، وتقدم فيها على كل من سلك هذه الناحية من  
الشعراء ، وأراد ابن الزيات مجازاته فعلم من نفسه التقصير فاقصر على قوله :

قَدِ قَلْتُ إِذْ غَيَّبُوكَ وَاصْطَفَقْتَ      عَلَيْكَ أَيْدٍ بِالْتَرَبِ وَالطَّيْنِ  
أَذْهَبَ فَنِعْمَ الْمُعِينُ كَفَتَ عَلَى الدُّ      نِيَا وَنِعْمَ الظَّهِيرُ لِلدِّينِ  
لَنْ يَجْزِبَ اللَّهُ أُمَّةً فَقَدْتُ      مِثْلَكَ إِلَّا بِمِثْلِ هَارُونَ

عمارثي به النساء      ومن جيد مارئى به النساء وأشجاء وأشدّه تأثيراً في القلب وإثارة للحزن قول  
محمد بن عبد الملك هذا في أم ولده :

أَلَا مَنْ رَأَى الطِّفْلَ الْمُفَارِقَ أُمَّهُ      بُعَيْدَ الْكُرَى عَيْنَاهُ تَبْتَدِرَانِ  
رَأَى كُلَّ أُمٍَّّ وَأَبْنَاهَا غَيْرَ أُمَّهُ      بَيْتَانِ تَحْتَ اللَّيْلِ يَنْتَجِيَانِ<sup>(١)</sup>  
وَبَاتَ وَحِيداً فِي الْفِرَاشِ تَحْتَهُ      نَلَالُ قَلْبٍ دَائِمٍ الْخَلْفَقَانِ

(١) في الأصول « ينتجبان » وهو تصحيف

يقول فيها بعد أبيات :

ألا إن سَجَلًا واجدا قد يَأْرِقْتُهُ      من الدمع أو سَجَلَيْنِ قد شَفِيَانِي  
فلا تَلْحَيَانِي إن بكيت ؛ فإِنَّمَا      أداوى بهذا الدمع ما تَرِيَانِي  
وإن مكاناً في الثرى حُطَّ لَحْدُهُ      لمن كان في قلبي بكل مكان  
أحقُّ مكانٍ بالزيارة والهوى      فهل أنتما إن عَجَبْتُمُنْتَظِرَانِي

ومن أشجى الشعر رثاء قوله في هذه القصيدة :

فهبني عَزَمْتُ الصَّبْرَ عَنْهَا لَأَنْتِي      جَلِيدٌ ، فَمَنْ بِالصَّبْرِ لِأَبْنِ ثَمَانَ ؟؟  
ضَعِيفِ الثَّقْوَى لا يعرف الأجر حِسْبَةَ      ولا يَأْتِسِي بالناس في الحدَثَانِ  
الأمِنِ أَمْنِيهِ المني فَأَعُدُّهُ      لعِثْرَةَ أَيامِي وَصَرَفِ زَمَانِي  
الأمِنِ إِذَا مَا جِئْتُ أَكْرَمَ مَجْلِسِي      وإن غِيَبْتُ عَنْهُ حَاطِنِي وَرَعَانِي  
فلم أُرْ كَالْأَنْدَارِ كَيْفَ تَصِيْبِنِي      ولا مِثْلَ هَذَا الدَّهْرِ كَيْفَ رَمَانِي

فهذه الطريق هي الغاية التي يجرى حُذَاقُ الشعراء إليها ، ويعتمدون في الرثاء عليها ، ما لم تكن المرثية من ساء الملوك ، وبنات الأشراف ، وغير ذوات محارم الشاعر ؛ فإنه يتجافى عن هذه الطريقة إلى أرفع منها ، نحو قول أبي الطيب :

وَلَوْ أَنَّ النِّسَاءَ كَمَنْ فَقَدْنَا (١)

لَفُضِّلَتِ النِّسَاءُ عَلَى الرِّجَالِ

وقوله في هذه القصيدة :

مَشَى الأَمْرَاءُ حَوْلَ لَيْهَا حُفَاةً      كَأَنَّ العُرْوَةَ مِنْ زِفِّ الرِّثَالِ

ونحو قوله لأخت سيف الدولة :

يَا أُخْتَ خَيْرِ أَخٍ ، يَابِتْ خَيْرَ أَبٍ      كِنْيَاةً بِهِمَا عَنْ أَشْرَفِ النِّسْبِ  
أَجَلٌ قَدْرَكَ أَنْ تُدْعَى مُؤَنَّثَةً      وَمَنْ يَصِفُكَ فَقَدْ سَمَّاكَ لِلْعَرَبِ

ورثاء الأطفال أن يذكر مخايلهم ، وما كانت الفراسة تُعطيهم فيهم ، مع  
تَحْزَنُ لمصابهم ، وتفجع بهم ، كالذي صنع أبو تمام في ابني عبد الله بن طاهر .

### ٧٧ - باب الاقتضاء والاستنجاز

ما يستوجبه  
الاقتضاء  
حسب الشاعر أن يكون مدحه شريفاً ، واقتضاؤه لطيفاً ، وهجاؤه إن هجا  
عفيفاً ؛ فإن الاقتضاء الخشن ربما كان سبب المنع والحرمان ، وداعية القطيعة  
والهجران ، وقوم يدرجون العتاب في الاقتضاء ، والاقتضاء في العتاب ، وأنا  
أرى غير هذا المذهب أصوب ؛ فالأقتضاء طلب حاجة ، وباب التلطيف فيه  
أجود ؛ فإن بلغ الأمر العتاب فإنما هو طلب الإبقاء على المودة والمراعاة ، وفيه  
توبيخ ومعارضة لا يجوز معها بعد الاقتضاء ، إلا أن الناس خلطوا هذين البابين ،  
وساوا بينهما .

أحسن المختار  
في الاقتضاء  
من أحسن الاقتضاء - على ما تخيرته ، ونحوت إليه - قول أمية بن  
أبي الصلت لعبد الله بن جدعان :

أذكر حاجتي أم قد كفاني  
وعلمتك بالحقوق وأنت قرع  
خليل لا يفيره صباح  
فأرضك كل مكرمة بلنتها  
إذا أتني عليك المرء يوماً  
تُبَارِي الریح مكرمةً وجوداً  
حياؤك ؟ إن شيمتك الحياة  
لك الحسب الهذب والسناء  
عن الخلق الجميل ولا مساء  
بنو تيم وأنت لها أسماء  
كفاه من تعرّضه الثناء  
إذا ما الكلب أبحره الشتاء  
فأنت ترى هذا الاقتضاء كيف يُلبِن الصخر ، ويستنزل القطر ، ويحط

العُصم إلى السهل ؟ ؟

ومثله قول الآخر :

لأشكرنك معروفاً هممت به إن اهتمامك بالمعروف معروف

ولا أومك إن لم يُبْضِه قَدْرٌ فالشيءُ بالقَدْرِ المحْتومِ مَصْرُوفٌ  
وأما ما ناسب قول محمد بن يزيد الأموي لعيسى بن فرخان شاه؛ إذ يقول  
له مستبطنًا :

أبا موسى ، سقى أرضك دَانٍ مُسْبِلِ القَطْرِ  
وزادَ الله في قَدْرِ كَ ما أَخْلَتَ من قَدْرِي  
لقد كُنْتُ أَرْجِيكَ لما أَخشى من الدهر  
فقد أصبحتَ من أَوْكَدِ أسبابِي إلى الفقر  
أترضى لِي بأن أرضي بتقصيرك في أمرِي؟  
وقد أفنيت ما أفنيتُ في شُكْرِكَ من عمري  
مواعيد كما أخبت سراب المهمةِ القفرِ  
فمن يوم إلى يوم ومن شهر إلى شهر  
فلم أخْصُلْ على قيمة ما قَلَّمت من ظفري  
لعلَّ الله أن يصنع لي من حيث لا أدري  
فألقاك بلا شكر وتلقاني بلا عذر  
ولا أرجوك في الحالين لا العسر ولا اليسر

فهذا هو العتاب المِضُّ ، والتوبيخ الذي دونه الجَلْدُ بالسوط ، بل

بالسيف !

ومما صنعته في العتاب على هذا الشكل بعد اليأس المستحکم على ما شرطته :

رَجَوْتُكَ للأمرِ المهِمِّ وفي يدي بَقَايا أُمَّتِي النَّفْسَ فيها الأمانيا  
فساوتَ بي الأيام حتى إذا انقضت أواخر ما عندي قطعتَ رجائيا  
وكنْتُ كَأَنِّي نازفُ البئرِ طالبا لإجماعها أو يَرْجِعَ الماء طافيا  
فلا هو أبقي ما أصاب لنفسه ولا هي أعطته الذي كان راجيا

ومن أملح ما رأيت في الاقتضاء والاستبطاء قول أبي العتاهية لعمر بن العلاء<sup>(١)</sup>  
وابن المعتز يسمى هذا النوع مزحاً يراد به الجد ، وهو :

أصابتُ علينا جودك العين يا عمرُ      فنحن لها نبغى التمامَ والنشرُ  
سنزقك بالأشعار حتى تملها      فإن لم تُفق منها رقيقاً بالسورُ  
وكنت أنا صنعت في استبطاء :

أحسنتَ في تأخيرها مئةً      لو لم تُؤخرَ لم تكنَ كامله  
وكيفَ لا يحسن تأخيرها      بعد يقيني أنها حاصله؟؟  
وجنة الفردوس يدعى بها      آجلةً للمرء لا عاجله  
لكما أضعف من همي      أيام عمرٍ دونها زائله

والعتاب أوسع حداً من الاقتضاء ؛ لأنه يكون مثله بسبب الحاجات ، وقد  
يكون بسبب غيرها كثيراً ، والاقتضاء لا يكون إلا في حاجة .

#### ٧٨ - باب العتاب

عتابي العتاب - وإن كان حياة المودة ، وشاهد الوفاء - فإنه باب من أبواب  
الخدعة ، يسرع إلى الهجاء ، وسبب وكيد من أسباب القطيعة والجرء ، فإذا  
قل كان داعية الألفة ، وقيد الصحبة ، وإذا كثر خشن جانبه ، وثقل صاحبه

للعتاب طرائق وللعتاب طرائق كثيرة ، وللناس فيه ضروب مختلفة ؛ فنه ما يمازجه  
الاستعطف والاستتلاف ، ومنه ما يدخله الاحتجاج والانتصاف ، وقد يعرض  
فيه المن والإجحاف ، مثل ما يشركه الاعتذار والاعتراف .

وأحسن الناس طريقاً في عتاب الأشراف شيخ الصناعة وسيد الجماعة  
أبو عبادة البحتري الذي يقول :

يُرَبِّئِي الشَّيْءُ تَأْتِي بِهِ وَأَكْبَرُ قَدْرِكَ أَنْ أُسْتَرِيَا

(١) انظر ص ١٣٣ السابقة ثم انظر ص ١٨٤ الآتية .



وأكره أن أتمادي على سبيل اغترار فألقى شعوباً  
 أكذب ظني بأن قد سخطت وما كنت أعهد ظني كذباً  
 ولو لم تكن ساخطاً لم أكن أذم الزمان وأشكو الخطوباً  
 ولا بد من لومة أنتحي عليك بها خطئاً أو مصيباً  
 أبيض وزدي في ساحتك طرفاً ومرعياً مخلاً جديباً!  
 أبيع الأحبية ببيع السوام وآسى عليهم حيباً حيباً  
 ففي كل يوم لنا موقف يشق فيه الوداع الجيوباً  
 وما كان سخطك إلا الفراق أفاض الدموع وأشجى القلوباً  
 ولو كنت أعلم ذنباً لمآ تخالجنى الشك في أن أتوباً  
 سأصبر حتى ألقى رضا ك إما بعيداً وإما قريباً  
 أراقب رأيك حتى يصح وأنظر عطفك حتى يؤوباً<sup>(١)</sup>  
 والذي يقول أيضاً :

للبحري في  
 العتاب أيضاً

وأصيد إن نازعته الحظ رده  
 ثناه المدى عني فأصبح معرضاً  
 وقد كان سهلاً واضحاً فتوَعَّرت  
 أمخذ عندي الإساءة محسن  
 ومكتسب في الملامة ما جدد  
 يخوفني من سوء رأيك معشر  
 أعيدك أن أخشاك من غير حادث  
 ألت الموالى فيك غر قوائد  
 ثناء كأن الروض فيه منور  
 كليلاً، وإن راجعته القول جمعباً  
 وأوهمه الواشون حتى توهماً  
 رباه وطلقاً ضاحكاً فتجهماً  
 ومنتقم مني امرؤ كان منعباً ؟  
 يرى الحمد غنماً والملامة مفراً  
 ولا خوف إلا أن تجور وتظلماً  
 تبين أو جرم إليك تقدماً  
 هي الأبحم اقتادت مع الليل أنجماً  
 ضحاً، وكان الوشي فيه مئمنماً

(١) في الديوان « حتى يثوباً » والمعنى واحد .

ولو أننى وقررت شعرى وقارَهُ  
 لأكبرت أن أومى إليك بأصبع  
 وكان الذى يأتى به الدهر هيناً  
 ولكننى أعلى محلى أن أرى  
 وأجالت مدحى فيك أن يتهمهما  
 تضرع أو أدنى لمذرة فما  
 على ولو كان الحماة المقدماً  
 مدلاً وأستحييك أن أتعلما  
 فهذا عتاب كما قال :

عتابٌ بأطراف القوافى كأنه  
 طعانٌ بأطراف القنا المتكسر

وقد نحوت أنا هذا النحو فى كلمة عاتب بها القاضى جعفر بن عبد الله  
 الكوفى قلت فيها :

للؤلف فى  
 العتاب

وقد كنت لا آتى إليك مخاتلاً  
 ولكن رأيت المدح فيك فريضة  
 فممت بما لم يخف عنك مكانه  
 ولو غيرك الموسوم عنى بريية  
 فلا تتخالجك الظنون فإنها  
 فوالله ما طوأت باللوم فيكم  
 ولا ملت عنكم بالوداد ، ولا انطوت  
 بلى ربما أكرمت نفسى فلم تهن  
 ولم أرض بالحظ الزهيد ، ولم أكن  
 فباينت لأن العداوة باينت  
 أودُ بأكتاب الرجاء ، وأتقى  
 لديك ، ولا أتى عليك تصنعاً  
 على إذا كان المديح تطوعاً  
 من القول حتى ضاق مما توسعا  
 لأعطيت منها مدعى القول ما ادعى  
 ما أتم ، وأترك فى اللصنم موضعاً  
 لساناً ، ولا عرضت للدم مسمماً  
 حبالى ، ولا ولى ثنائى ، مودعا  
 وأجلتها عن أن تذلل وتخضعا  
 ثقيلاً على الإخوان كلاً مدفعا  
 وقاطعت لا أن الوفاء تقطعا  
 شمات العدا ، إن لم أجد فيك مطعماً

ومن معاتبات أبى تمام قوله لابن عبد الملك الزيات :

لئن همى أوجدتني فى تقلى  
 وإن رمت أمراً مديراً الوجه إنى  
 ما لا لقد أقدنى منك مؤثلاً  
 لأترك حظاً فى فنائك مثبلاً

لأبى تمام فى  
 العتاب

وإن كنتُ أخطو ساحة المحل إني  
كذلك لا يُلقى المسافرُ رَحْلَهُ  
ولا صاحبُ التطوافِ يَعْمُرُ منها  
ومن ذا يداني أو ينأى؟ وهل قتي  
فَمَرَّني بِأَمْرِ أَخِي وَذِي  
فإني

أرى الناس قد أُرُوا وأصبحتُ مُرْمِلاً  
فسيانٍ عندي صادفوا لي مَطْعِناً  
ومن قصيدة أخرى لأبي تمام :

تَقَطَّعتِ الأسبابُ إن لم تُفرِّها  
سوى مُطَلِّبٍ يُنضِي الرجاءَ بطولِهِ  
وقد تألفُ العينُ الدجى وهو قَيْدُهَا  
ولي عِدَّةٌ تَمْضِي العُصورَ وإنها  
سِنُونٌ قَطَعْنَا هُنَّ عَشْرًا كَأَنَّ مَا  
وإنَّ جزيلات الصنائع لأمريء  
وإنَّ المعالي يُسْتَرَمُّ بناؤها  
ولو حاردت شَوْلٌ عذرتُ لِقاحها  
منحتكها أشفى الجوى وهو لَأَعِجُّ  
تردُّ قوافيها إذا هي أرسلتُ،  
وكيف إذا حَلَّتْهَا بِجِلْدِيهَا  
أَكَا بَرْنَا ، عطفًا علينا ؛ فإننا

وقال ابن الرومي لأبي الصقر إسماعيل بن بلبل يعاتبه في قصيدة جيدة مختارة :

(١) في الديوان (٢٥٩) « ولي همة تضيء العصور . . . لحامل » .

(٢) أي : كأن الذي قطعناه مراحل .

لأبي تمام في  
العتاب أيضا

قَوِي أو يصلها من يمينك واصلُ  
وتخلقُ إخلاق الجفون الوسائلُ  
ويُرَجِي شِفَاءَ السَّمِّ والسَّمُّ قَاتِلُ  
كعهدك من أيامِ مِضَرَ كَلَّائِلُ<sup>(١)</sup>  
قطعنا لقرب العهد منها مراحلُ<sup>(٢)</sup>  
إذا ما الليالي نا كَرَّتْهُ مَعَا قِلُ  
سريعاً ، كما قد تسترم المنازلُ  
ولكن حُرِّمَتْ الدَّرَّ والضَّرْعُ حَافِلُ  
وتبعث أشجان الفتى وهو ذَاهِلُ  
هوَامِلٌ مَجْدِ القومِ وهى هوَامِلُ  
تكون وهذا أَحْسَنُها وهي عَاطِلُ<sup>١؟</sup>  
بنا ظمًا بَرَحٌ وأتم مَنَاهِلُ

لابن الرومي  
يعاتب إسماعيل  
ابن ببل

«بَعْقِيلَ الندى ، أطلق مدائحَ جمة  
وَكُنْتَ متى تُنشِدُ مديحاً ظلمته  
عذرتك لو كانت سماءَ تَقَشَّتْ  
ولكنها سقياً حُرِمْتَ رَوِيهَا  
وأكلأُ معروف حميت مَرِيَعَهَا  
فيالك بجرأ لم أجد فيه مَشْرَبَا  
مديحي عصاً موسى ، وذلك لأنني  
فياليت شعري إن ضَرَبْتُ به الصَّعَا  
كتلك التي أبدت تری البحر يا بسا  
سأندحُ بعض الباخرين لَعَلَّهُ  
خواسي حَسْرَى قد أبت أن نسرَّحَا  
يكن لك أهجى كلما كان أمدحا  
سحائبها أو كان روضُ تَصَوَّحَا  
وعارضها مُلقٍ كلال كل جُنُوحَا  
وقد عاد منها الخزنُ والسَّهل مَسْرَحَا  
وإن كان غيري واجداً فيه مَسْبَحَا  
صَرَبْتُ به بحر الندى فَتَضَخَّحَا  
أبجدت لي فيه جَدَاوِلَ سِيَّحَا  
وَشَقْتُ عُيُونًا في الحجارة سَفَّحَا  
إذا أطرَدَ القياسُ أن يَتَسَمَّحَا

فهذا هو الذي لا يبلغ جودة ، ولا يجارى سببًا ، على أن البحتری قد تقدم

إلى بعض المعنى في قوله للفتح بن خاقان :

غَمَامٌ خَطَّانِي صَوْبُهُ وَهُوَ مُسْبِلٌ  
وبجره عَدَانِي قَيْضُهُ وَهُوَ مُنْعَمٌ  
وبدُرُ أضاء الأرض شَرْقًا ومَغْرِبًا  
ومَوْضِع رَحْلِي مِنْهُ أَسْوَدُ مَظْلَمٌ  
وَمَا بَجَلِ الْفَتْحُ بن خاقان بالندی  
ولكنها الأقدارُ تُنْقِطِي وتَحْرِمُ

وأما أبو الطيب فكان في طبعه غلظة ، وفي عتابه شدة ، وكان كثير

التحامل ، ظاهر الكبر والأنفة ، وما ظنك بمن يقول لسيف الدولة :

يا أعدل الناسِ إلا في معاملتي  
فِيكَ الخِصَامُ وَأَنْتِ الخِصَمُ وَالْحَكَمُ  
أَعِيدُهَا نَظَرَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةٌ  
أَنْ تَحْسَبَ الشَّحْمَ فَيَمَنْ شَحْمُهُ وَرَمُ  
وما انتفاع أخى الدنيا بناظره  
إِذَا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الأَنْوَارُ وَالظُّلْمُ  
أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي  
وَأَسْمَعَتْ كَلَامِي مَنْ بِهِ صَمَمُ

للمتنبى يعاتب  
سيف الدولة

أَنَامُ مِلءُ جُفُونِي عَنْ شَوَارِدِهَا وَيَسْمَهُرُ النَّاسُ جِرَاهَا وَيَخْتَصِمُ  
وَجَاهِلٍ مَدَّةً فِي جِهَلِهِ ضَحِكِي حَتَّى أَتَتْهُ يَدُ فِرَاسَةٍ وَقَمُّ  
إِذَا رَأَيْتَ نُيُوبَ اللَّيْثِ بَارِزَةً فَلَا تَظُنِّيَنَّ أَنَّ اللَّيْثَ يَبْتَسِمُ

فهذا الكلام في ذاته في نهاية الجودة ، غير أنه من جهة الواجب والسياسة  
غاية في التمعن والرداءة ، وإما عرضَ يقوم كانوا ينتقصونه عند سيف الدولة  
ويعارضونه في أشعاره ، والإشارة كلها إلى سيف الدولة ، ثم قال بعد أبيات :

يَا مَنْ يَعْزُؤُ عَلَيْنَا أَنْ نَفَارِقَهُمْ وَجَدَانَنَا كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَكُمْ عَدَمُ  
مَا كَانَ أَخْلَقْنَا مِنْكُمْ بِتَكْرِمَةٍ لَوْ أَنَّ أَمْرَكُمْ مِنْ أَمْرِنَا أَمَمُ  
إِنْ كَانَ سَرَّكُمْ مَا قَالَ حَاسِدُنَا فَمَا يُجْرِحُ إِذَا أَرْضَاكُمْ أَلْمُ  
وَبَيْنَا لَوْ رَعَيْتُمْ ذَلِكَ مَعْرِفَةٌ إِنْ الْمَعَارِفِ فِي أَهْلِ النَّهْيِ ذِمَمُ  
كَمْ تَطْلُبُونَ لَنَا عَيْبًا فَيُعْجِزُكُمْ وَيَكْرَهُ اللَّهُ مَا تَأْتُونَ وَالْكَرَمُ!؟  
مَا بَعْدَ الْعَيْبِ وَالنَّقْصَانِ مَنْ شَرَفِي أَنَا الثَّرِيَا وَذَانِ الشَّيْبِ وَالْهَرَمُ  
لَيْتَ الْغَمَّ الَّذِي عِنْدِي صَوَاعِقُهُ يُزِيلُهُنَّ إِلَى مَنْ عِنْدَهُ الدِّيمُ  
أَرَى النَّوَى يَتَّقِضِينِي كُلَّ مَرَّحَلَةٍ لَا تَسْتَقِلُّ بِهَا الْوَحَادَةُ الرَّسْمُ  
لَنْ تَرُكْنَ ضَمِيرًا عَنِ مِيَامِنَا لِيَحْدِثَنَّ لِمَنْ وَدَعْتَهُمْ نَدَمُ

وإما قال أولا \* ليحدثن لسيف الدولة الندم \* ثم بدله ، وليس هذا عتابا ،  
لكنه سباب ، وبسبب هذه القصيدة كاد يقتل عند انصرافه من مجلس إنشادها ،  
وهذا الغرور بعينه .

فأما عتاب الأكفاء ، وأهل المودات ، والمتعشقين من الظرفاء ، فبآية أخرى  
جارية على طريقتها .

قال إبراهيم بن العباس الصولي يعاتب محمد بن عبد الملك الزيات ، وقد تغير  
عليه لما وازر :

عتاب  
الأكفاء

للسولي يعاتب  
ابن الزيات

وَكُنْتَ أَخِي يَاخَاهُ الزَّيْمَانَ فَلَمَّا نَبَا صِرْتَ حَرَبًا عَوَانَا  
وَكُنْتُ أَدْمُ إِلَيْكَ الزَّيْمَانَ فَأَصْبَحْتُ فِيكَ أَدْمُ الزَّيْمَانَ  
وَكُنْتُ أَعْدُكَ لِلنَّائِبَاتِ فَهَا أَنَا أَطْلُبُ مِنْكَ الْأَمَانَ  
وهذا عندي من أشد العتاب وأوجبه .

لأبي الحسن

ومن أكرم العتاب قولُ السيد أبي الحسن أدام الله سيادته وسعادته :  
وإني لأطرى كلَّ خِلِّ صَحِيْبَتِهِ وَأَنْتَ تَرَى شَتْمِي بِغَيْرِ حِيَاءِ  
ستعلم يوماً ما أسأت لصاحبِ تَكْرُؤِ أَخْلَاقِي وَحُسْنِ وَقَائِي  
ومن مליح ما سمعتُ قولُ سعيد بن حميد يعاتب صديقاً له :

لسعيد بن حميد

أَقْلِيلُ عِتَابِكَ فَالْبَقَاءُ قَلِيلُ وَالذَّهْرُ يَعْذِلُ تَارَةً وَيَمِيلُ  
لَمْ أَبْكُ مِنْ زَمَنِ ذَمَّتْ صُرُوفُهُ إِلَّا بِكَيْتٍ عَلَيْهِ حِينَ يَزُولُ  
ولسلك نائبة أَلَمْتُ مُدَّةً وَلسلك حال أقبلتُ تحوِيلُ  
فالتنتمونَ إلى الإخاءِ عصابة إن حُصِّلُوا أَفْنَاهُمُ التَّحْصِيلُ  
ولعل أحداثَ اللنيةِ والردي يوماً ستصدع بيننا وتحوّل  
ولئن سبقتُ لتبكينَ بحسرةٍ وليسكنرنَ كلِّيَ منك عويلُ  
ولتفجعنَ بمخلصٍ لك وإمقي حبلُ الوفاءِ بمحبّلهِ مَوْضُولُ  
ولئن سبقتُ، ولا سبقتُ، ليمضينَ مَنْ لَا بُشَا كَلَهُ لَدَيْ خَلِيلُ  
وليدهبينَ بهاءِ كلِّ مروءةٍ ولتفقدنَ جمالها المأهولُ  
وأراك تكلف بالعتابِ ووُدُّنا صافي، عليه من الوفاءِ دليلُ  
ووُدُّنا لِدَوِي الإخاءِ جماله وبَدَتْ عليه بهجةٌ وقبولُ  
ولعلَّ أيامَ الحياةِ قصيرةٌ فعلامُ يكثر عتبتنا ويطولُ  
إلى ههنا أو ما أبو الطيب بقوله :

ذَرِ النَّفْسَ تَأْخُذُ وَسُعْمَهَا قَبْلَ بَيْنِهَا فَمَفْتَرِقُ جَارَانِ دَارُهُمَا الْعُمْرُ

وأشار إليه أيضا بقوله ، وأردتُ البيتَ الأخير :

زَوِّدِينَا بِحَسَنِ وَجْهِكَ مَلَدًا مَ فَحَسَنُ الْوَجْهِ حَالٌ تَحْوُلُ  
وَصَلِينَا نَصْلِكَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْقَامَ فِيهَا قَلِيلٌ  
والجميع من قول الأول :

ولقد علمتَ فلا تكن متجنبا أن الصدود هو الفراق الأول  
حَسَبُ الْأَحْبَةِ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَهُمْ رَيْبُ الْمُنُونِ فَمَا لَنَا نَسْتَعْجِلُ

إلا أن ابن حميد قد فنن و بين ، وشرح ما أجمل غيره بقوله « لئن سبقتُ  
أنا » « ولئن سبقتَ أنت ، ولا سبقتَ أنت » فله بذلك فضل بين، ورجحان ظاهر.  
وما أحسن إيجاز الذي قال :

العمر أقصر مُدَّةً مِنْ أَنْ يُمَحِّقَ بِالْعَتَابِ

لبشار بن برد

وقال أبو المحدثين بشار :

إذا كنت في كل الأمور معاتبا صديقتَ لم تلقَ الذي لا تعاتبه  
فَعِشْ وَاحِدًا أَوْ صِلْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ مُقَارَفٌ ذَنْبٍ مَرَّةً وَجَانِبُهُ  
إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ظلمتَ ، وأى الناس تصفو ومشاربُهُ

## ٧٩ — باب الوعيد والإنذار

كان العقلاء من الشعراء وذوو الحزم يتوعدون بالهجاء ، ويحذرون من سوء  
الأخذِ وثمة ، ولا يُضنون القول إلا للضرورة لا يحسن السكوت معها .

لابن مقبل

قال ابن مقبل :

بني عامر ، ما تأمرون بشاعر تخير آيات الكتاب هجانياً؟  
أأعفو كما يعفو الكريم فإنني أرى الشغبَ فما بيننا متدانيا

أَمْ أَعْضُ بَيْنَ الْجِلْدِ وَاللَّحْمِ غَمْضَةٌ      بمبرد روى يَقْطُ النُّوَاصِيَا  
فَأَمَّا سِرَاقَلْتُ الْمَهْجَاءَ فَإِنَّهَا      كلام تهاداه اللثام تهاديا  
أَمْ أُخِيطُ خَيْطَ الْفَيْلِ هَامَةً رَأْسَهُ      بجرّد فلا يُبْقِي من العظم باقياً  
وعندى الدهيم لو أحلّ عقابها      فتصبح لم تعدم من الجن حاديا  
شبه لسانه بمبرد روى لمضائه ، وشبه القصيدة التي لو شاء هجّام بها بالدهيم  
وهي الداهية ، وأصل ذلك أن الدهيم ناقة عمرو بن زبّان الذّهلي التي حملت رءوس  
بنيه معلقة في عنقها ، فجاءت بها الحى ، فضرب بها المثل للداهية .

لجرير

وقال جرير رابى حنيفة ، وكان ميلهم مع الفرزدق عليه :  
أَبْنَى حَنِيفَةَ أَحْكِمُوا سَفَهَاءَكُمْ      إني أخاف عليكم أن أغضبا  
أَبْنَى حَنِيفَةَ إِنْ نَى أَهْجَكُمْ      أدع اليمامة لا توارى أربا  
« أحكموا » كفوا ، من حكمة اللجّام .

وقال أيضا لثيم الرباب رهط عمر بن لجأ :

يَا تَيْمٌ تَيْمٌ عَدِيَّ لَأَبَا لَكُمْ      لا يلقىنكم في سؤأة عمر  
وكان على بن سليمان الأخفش في صباه يعيث بابن الرومي لما يعلم من طيرته ،  
فيجعل من يقرع الباب عليه بكرة ويتسمى له بأقبح الأسماء ، فيمنعه ذلك من  
التصرف ، فقال يتوعده :

لابن الرومي

قُولُوا لِنَحْوِيْنَا أَبِي حَسَنٍ      إِنْ حَسَامِي مَتَى ضَرَبْتُ مَضَى  
وَإِنْ تَبَلِي مَتَى هَمَمْتُ بِأَنْ      أَرْمِي نَصَلْتُهَا بِمِجْرٍ غَضَى  
لَا تَحْسَبَنَّ الْمَهْجَاءَ يَحْفَلُ بِالرَّفْعِ      وَلَا خَفْضِ خَافِضٍ خَفْضَا  
وَلَا تَحَلَّ عَوْدَتِي كَكَبَادَتِي      سَأَسْعَطُ السَّمَّ مِنْ عَصَى الْحَضَا  
أَعْرِفُ فِي الْأَشْقِيَاءِ لِي رَجُلًا      لَا يَنْتَهَى أَوْ يَصِيرَ لِي غَرَضًا  
يُليحُ لِي صَفْحَةَ السَّلَامَةِ وَالسَّلَامِ      ، وَيُنْحَى فِي قَلْبِهِ الرِّضَا



يضحى مَغِيظًا عَلَى أَنْ غَضِبَا لَلَّهِ عَلَيْهِ وَنَلْتُ مِنْهُ رِضَا  
 وَلَيْسَ مُجْدِي عَلَيْهِ مَوْعِظِي إِنْ قَدَّرَ اللَّهُ حَيْثَنُ قَقَصَى  
 كَأَنِّي بِالشَّيْءِ مُعْتَدِرًا إِذَا الْقَوَانِي أذَقْنُهُ مَضَضًا  
 يَنْشُدُنِي الْعَهْدَ يَوْمَ ذَلِكَ وَالسَّهْمُ خِفَارٌ إِذَا لَهُ قَبِضَا  
 لَا يَأْمَنُ السَّفِيهُ بِادْرَتِي فَإِنِّي عَارِضٌ لِمَنْ عَرِضَا  
 عِنْدِي لَهُ السُّوْطُ إِنْ تَلَوَّمْ فِي السَّيْرِ وَعِنْدِي الْجَامُ إِنْ رَكِضَا  
 أَسْمَعْتُ أَنْبَاءَ صِيتِي أَبَا حَسَنِ وَالنَّصِيحَ لِأَشْكَ نَصِيحَ مَنْ نَحَضَا  
 وَهُوَ مُعَانِي مِنَ السَّهَادِ فَلَا يَجْهَلُ فَيَشْرِي فِرَاشَهُ قَضَضَا  
 أَقْسَمْتُ بِاللَّهِ لَا غَفْرَتُ لَهُ إِنْ وَاحِدٌ مِنْ عُرُوقِهِ نَبَضَا  
 وَكَذَلِكَ قَدْ فَعَلَ ، وَقَدْ مَرَقَهُ بِالْهَجَاءِ كُلِّ مَمْرَقٍ ، وَجَعَلَهُ مُثَلَّةً بَيْنَ أَصْحَابِهِ ،  
 عَلَى أَنْ الْأَخْفَشَ كَانَ يَتَجَلَدُ عَلَيْهِ ، وَيُظْهِرُ قَلَّةَ اللَّبَالَةِ بِهِ ، وَهِيَاهُ ! وَقَدْ وَسَمَهُ  
 سَمَةَ الدَّهْرِ ، وَسَامَهُ سُومَ الْخُسْفِ وَالْقَهْرِ . وَمَا قَلْتُهُ فِي هَذَا الْبَابِ :

للمؤلف في  
الوعيد

يَا مُوجِعِي شَتْمًا عَلَى أَنَّهُ لَوْفَرَكَ الْبَرْغُوثَ مَا أَوْجَمَا  
 كُلُّهُ لَه مِنْ نَفْسِهِ آفَةٌ وَأَافَةُ النُّحْلَةِ أَنْ تَلْسَعَا

وقلت من قصيدة خاطبت بها بعض بني مناد :

مِنْ بَصْحَبِ النَّاسِ مَطْوِيًّا عَلَى دَخَلٍ لَا يَصْحَبِيهِ ؛ فَخَلُّوا كُلَّ تَدْخِيرٍ  
 لَا تَسْتَطِيلُوا عَلَى ضَمْعِي بِقَوْتِكُمْ إِنْ الْبَعُوضَةَ قَدْ تَعَدَّوْا عَلَى الْفَيْلِ  
 وَجَانِبُوا الْمَرْحَ ؛ إِنْ الْجَدِيدُ يَتَّبِعُهُ وَرُبَّ مُوجِعَةٍ فِي إِثْرِ تَقْبِيلِ

ومنها بعد أبيات لا تليق بللوضع خوف الحشو :

يَا قَوْمَ لَا يَلْقَيْنِي مِنْكُمْ أَحَدٌ فِي الْمَهْلَكَاتِ ؛ فَإِنِّي غَيْرُ مَغْلُولِ  
 لَا تَدْخُلُوا بِالرِّضَا مِنْكُمْ عَلَى غَرَرٍ فَتُخْرِجُوا اللَّيْثَ غَضَبَانًا مِنَ الْغَيْلِ  
 إِلَّا تَكُنْ حَمَلَتْ حَايِرًا ضَامِرَكُمْ أَكُنْ تَأَبَّطُ شَرًّا نَاكِحَ الْغَوْلِ

## (٨٠) — باب الهجاء

خير الهجاء

يروى عن أبي عمرو بن القلاء أنه قال : خَيْرُ الهِجَاءِ ما تَنشُدُه العِذْرَاءُ في خَدْرِها فلا يَقْبَحُ بِمِثْلِها ، نحو قول أوس :

إذا ناقةٌ شُدَّتْ بِرِجْلِ وِغْمَرٍ      إلى حَيْسِكُمْ بَعْدِي فَضْلٌ ضَالٌ لها  
واختار أبو العباس قول جرير :

لو أن تغلبَ جَمَعَتْ أَحْسَابَها      يومَ التَّفَاخِرِ لم تَزِنْ مِثْقَالَ  
ومثل قوله :

فَغَضَّ الطَّرْفَ إِناكَ من نَمِيرٍ      فلا كَعْبًا بَلَغْتَ ولا كِلاَبًا

الهجاء  
المقذع

وبين الاختيارين تناسب في عفة المذهب ، غير أن بيت جرير الثاني أشد هجاء لما فيه من التفضيل ، فقد حكى محمد بن سلام الجُمَحِيُّ عن يونس بن حبيب أنه قال : أشد الهجاء الهجاء بالتفضيل ، وهو الإقذاع عندهم .

عقوبة الهجاء  
في الإسلام

قال النبي صلى الله عليه وسلم « من قال في الإسلام هجاء مقذعا فلسانه هَدْرٌ » ولما أطلق عمر بن الخطاب رضى الله عنه الخطيئة من حبسه إياه بسبب هجائه الزبرقان بن بدر قال له : إياك والهجاء المقذع ، قال : وما المقذع يا أمير المؤمنين ؟ قال : المقذع أن تقول هؤلاء أفضل من هؤلاء وأشرف ، وتبني شعراً على مدح لقوم وذم لمن تعاديتهم ، فقال : أنت والله يا أمير المؤمنين أعلم مني بمذاهب الشعر ، ولكن حبانى هؤلاء فمدحتهم وحرمتى هؤلاء فذكرت حرمانهم ولم أنل من أعراضهم شيئاً ، وصرفت مدحى إلى من أراده ورغبت به عن كرهه وزهد فيه ، يريد بذلك قصيدته المهموزة التي يقول فيها :

وَأَينَتْ العِشاءُ إلى سُهَيْلٍ      أو الشُّعْرَى فطال بي الإناء

وهي أحبث ما صنع . وفيها أوز من أجلها قال خلف الأحمر : أشد الهجاء أبلغ الهجاء أعفه وأصدقه ، وقال مرة أخرى : ما عَفَ لفظه وصدق معناه ، ومن كلام صاحب الوساطة : فأما الهجو فأبلغه ما خرج مخرج التهزل والتهافت ، وما اعترض بين التصريح والتعريض ، وما قربت معانيه ، وسهل حفظه ، وأسرع علوقه بالقلب ولصوقه بالنفس ، فأما القذف والإفحاش فسياب محض ، وليس للشاعر فيه إلا إقامة الوزن .

ومما يدل على صححة ما قاله صاحب الوساطة وحسن ما ذهب إليه إعجابُ الحدائق من العلماء وفرسان الكلام بقول زهير في تشككه وتهزله وتجاهله فيما يعلم :

وما أدري وسوف إخال أدري      أقوم آل حصن أم نساء  
فإن تكن النساء محبتاتٍ      فحق لكل محضنة هداء

وإن هذا عندهم من أشد الهجاء وأمضه .

ولما قدم النابغة بعد وقعة حسبي سأل بنى ذبيان : ما قلت لعامر بن الطقييل وما قال لكم؟ فأنشده ، فقال : أحشتم على الرجل وهو شريف لا يقال له مثل ذلك ، ولكني سأقول ، ثم قال :

فإن يك عامرٌ قد قال جهلاً      فإن مَطِيَّةَ الجهل<sup>(١)</sup> السَّبَابُ  
فكن كأييك أو كأبي براء      تصادفك الحكومة والصواب<sup>(٢)</sup>  
فلا يذهب بلبك طائشات<sup>(٣)</sup>      من الخيلاء ليس لهن باب

(١) في إحدى روايات الديوان \* فإن مطية الجهل . . . وفيه « الشباب »

(٢) في الديوان \* توافقك الحكومة . . . .

(٣) في الديوان \* فلانذهب بلبك طاميات \* والطاميات : المرتفعات ، والخيلاء : التكبر والاختيال ، وقوله « ليس لهن باب » معناه لا ينكشفن عنه ولا مفرج له منهن .

فإنك سوف تحلمُ أو تنأهى<sup>(١)</sup> إذا ما شبت أو شاب الغرابُ  
فإن تكن الفوارس يوم حسي أصابوا من لقائك ما أصابوا  
فما إن كان من سبب بعيد<sup>(٢)</sup> ولكن أدركوك وهم غضابُ

فلما بلغ عامراً ما قال النابغة شقَّ عليه ، وقال : ما هجاني أحد حتى هجاني  
النابغة ، جعلني القوم رئيساً ، وجعلني النابغة سفيهاً جاهلاً وتهكم بي !

وروى أن شاعراً مدح الحسين بن علي رضي الله عنهما ، فأحسن عطيته ،  
فعبت علي ذلك ، فقال : أترون [ أي ] خفت أن يقول إني لست ابن فاطمة  
بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ابن علي بن أبي طالب ؟ ولكن  
خفت أن يقول : لست كرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولست كهلي ، فيصدق  
ويحمل عنه ، ويبقى مخلداً في الكتب ، ومحفوظاً على ألسنة الرواة ، فقال الشاعر :  
أنت والله يا ابن رسول الله أعلم بالمدح والذم مني ، وقد وقع الحسن بن زيد بن  
الحسين بن علي في بعض ما قال جدّه ، قال فيه ابن عاصم المديني ، واسمه محمد بن  
حمزة الأسلمي :

له حقٌ ، وليس عليه حقٌ ومهما قال فالحسنُ الجميل  
وقد كان الرسول يرى حقوقاً عليه لأهلها وهو الرسول

وجميع الشعراء يرون قصر الهجاء أجود ، وترك الفحش فيه أصوب ،  
إلا حريراً فإنه قال لبيبه : إذا مدحتهم فلا تظيلوا المادحة ، وإذا هجوتهم فخالقوا ، وقال  
أيضا : إذا هجوت فأضحك . وسلك طريقته في الهجاء سواء علي بن العباس  
ابن الرومي ، فإنه كان يظيل ويُفحش ، وأنا أرى أن التعريض أهجى من التصريح ؛

مذاهب  
الشعراء في  
الهجاء

(١) في الأصول . . سوف تحكم . . والتصويب عن الديوان .

(٢) في الديوان \* فما إن كان من نسب بعيد \*

لاتساع الظن في التعريض ، وشدة تعقّب النفس به ، والبحث عن معرفته ، وطلب حقيقته ، فإذا كان الهجاء تصرّيحاً أحاطت به النفس علماً ، وقبلته يقيناً في أول وهلة ، فكان كل يوم في نقصان لسيان أو مَلَل يعرض ، هذا هو المذهب الصحيح ، على أن يكون المهجو ذا قدر في نفسه وحسبه ؛ فأما إن كان لا يوقظه التلويح ، ولا يؤلّه إلا التصريح ؛ فذلك ، ولهذا العلة اختلف هجاء أبي نواس ، وكذلك هجاء أي الطيب فيه اختلاف ؛ لاختلاف مراتب المهجوين .

لربيعة الرقي في  
الهجاء

فن التفضيل في الهجاء قول ربيعة بن عبد الرحمن الرقي :

لشتان ما بينَ اليزيديين في الندى      يزيدِ سليم والأغرُّ ابنِ حاتمِ-  
فهمُ الفتى الأزديُّ إتلافُ مالهِ      وهمُ الفتى القيسيُّ جمعُ الدراهمِ  
فلا يحسبُ التمامُ أَى هَجَوْتَهُ      ولكنني فَضَّلْتُ أهلَ المكارمِ

زياد الأعجم

ومن الاستحقار والاستخفاف قولُ زياد الأعجم :

قَمُّ صاغراً يا شَيْخَ جَرَمٍ فأبما      يقال لشَيْخِ الصّدقِ : قَمٌ غيرَ صاغِرِ  
فمن أتمُّ ؟ إنا نسبنا من أتمُّ      وريحكم من أَى رِيحِ الأعاصِرِ !!  
أأنتم أولى جِثَّتُمْ مع النملِ والدِّبَابِ      فطارَ ، وهذا شَيْخكم غيرُ طائرِ  
قضى اللهُ خَلقَ الناسِ ثمَّ خَلِقْتُمْ      بَقِيَّةَ خَلقِ اللهِ آخِرَ آخِرِ  
فَلَمَّ تسمعوا إلا من كان قبلكم      ولم تدركوا إلا مدقِ الحوافِرِ

للطرماح

وأخذ الطرماح منه هذا المعنى فقال :

وما خُلِقْتَ تَيْمٌ وَعَبْدٌ مَنّاها      وصَبَّهَ إلا بَعْدَ خَلقِ القَبائِلِ

لجرب

ومن الاحتقار أيضاً قولُ جرير في التيم :

ويُقضى الأمرُ حينَ تَغيبُ تَيْمٌ      ولا يُسْتَأذَنونَ وَهُمْ شُهودُ  
فإبكَ لو رأيتَ عبيدَ تيم      وتَيْمًا قاتَ : أَيْهِمُ العبيدُ ؟

لأبي هفان في  
التهم

ومن ملبح التهم والاستخاف قول أبي هفان :

سَلِيمَانُ مَيْمُونُ النَّقِيْبَةُ حَازِمٌ      وَلَكِنَّهُ وَقَفَ عَلَيْهِ الْمَزَائِمُ  
الْأَعْوَدُوهُ مِنْ تَوَالِي فَتُوْحِهِ      عَسَاهُ تَرُدُّ الْعَيْنَ عَنْهُ التَّمَائِمُ

وفيه يقول ابن الرومي :

قِرْنُ سَلِيْمَانٍ قَدْ أَضْرَبَ بِهِ      شَوْقٌ إِلَى وَجْهِهِ سَيْتَلَفُهُ  
كَمْ يَبْعُدُ الْقِرْنَ بِاللِقَاءِ ؟ وَكَمْ      يَكْذِبُ فِي وَعْدِهِ وَيُخْلَفُهُ ؟  
لَا يَعْرِفُ الْقِرْنَ وَجْهَهُ ، وَبَرَى      قَفَاهُ مِنْ فَرَسَخٍ فَيَعْرِفُهُ

أخذ معنى البيت الأخير من قول الخارجي وقد قال له المنصور : أى أحمأى كان أشد إقداماً فى مبارزتك ؟ فقال : ما أعرف وجوههم ، ولكن أعرف أقباءهم ، فقل لهم يدبروا لأعرف .

أجود المهجاء

وأجود ما فى المهجاء أن يسلب الإنسان الفضائل النفسية وما تركب من بعضها مع بعض ، فأما ما كان فى الخلقة الجسمية من العايب فالمهجاء به دون ما تقدم ، وقدامة لا يراه هجوا البتة ، وكذلك ما جاء من قبل الآباء والأمهات من النقص والفساد لا يراه عيباً ، ولا يعد المهجوبه صواباً ، والناس - إلا من لا يُعَدُّ قِلَّةً - على خلاف رأيه ، وكذلك يوجد فى الطباع [ وقد جاء ] ما أكد ذلك من أحكام الشريعة .

وقد جمع السيد أبو الحسن أنواع الفضائل وسلبها بعض من رأى ذلك فيه صواباً ، فقال :

لأبي الحسن  
فى المهجاء

وَخَلَّ لَا سَبِيلَ لَصَرْمِ حَبْلِهِ      تَعَرَّضَ لِي مَحْتَفٍ فَزَطَّ جِهْلَهُ  
رَدِيُّ الظَّنِّ لَا يَأْوِي نَلْقَ      وَلَا يُؤْوِي إِلَيْهِ لِسُوءِ فَعْلُهُ  
يُصَدِّقُ هَاجِسًا يَغْرَى ، وَيُغْرَى      بِتَكْذِيبِ الْعِيَانِ لضعفِ عَقْلِهِ  
وَيَشْنَأُ كُلَّ ذِي دِينٍ وَعِلْمٍ      وَأَصْلُ ثَابِتِ لفسادِ أَصْلِهِ

وكان السيد أبو الحسن في هذا الباب الذي سلكه من الهجاء كما قال وليُّ  
إحسانه :

إذا لم تجد بداً من القولِ فاتصفِ      بجد لسان كالحسام المهندِ  
فقد يدفع الإنسانُ عن نفسه الأذى      بمقوِّله ، إن لم يدافعهُ باليدِ  
ويقال : إن أهبجى بيت قاله شاعر قول الأخطل في بنى يربوع رهط أهبجى بيت  
جرير :

قوم إذا استنبح الأضيافُ كَلَبَهُمْ      قالوا لأهمهم : بُولِي على النارِ  
لأنه قد جمع فيه ضروباً من الهجاء : فنسبهم إلى البخل بوقود النار لثلا  
يهتدى بها الضيفان ، ثم البخل بإيقادها إلى السائرين والسابلة ، ورماهم بالبخل  
بالحطب ، وأخبر عن قلتها وأن بَوْلَةً تطفئها ، وجعلها بولة عجوز ، وهى أقل من  
بولة الشابة ، ووصفهم بامتهان أهمهم وابتذالها في مثل هذا الحال ، يدل بذلك على  
المقوق والاستخفاف ، وعلى أن لا خادم لهم ، وأخبر في أضعاف ذلك ببخلهم  
بالماء ، وقال محمد بن الحسين بن عبد الله الأنصارى : إنه رماهم في هذا البيت  
بالمجوسية ؛ لأن المجوس لا ترى إطفاء النار بالماء ، ولا أدرى أنا كيف هذا والبول  
ماء غير أنه ماء بحس قدر ؟

وقيل لبني كليب : ما أشد ما هُجِيتُمْ به ؟ قالوا : قول البيهت :

أَلَسْتَ كَلِيبِيًّا إِذَا سِيمَ خَطَةً      أقر كآقرارِ الخليفةِ للبعلِ  
وكلّ كَلِيبِيٍّ صَحِيفَةٌ وَجْهَهُ      أذل لأقدام الرجالِ من النعلِ

وكان النابغة الجعدي يقول : إني وأوسا لنبتدر باباً من الهجاء ، فن سبق  
منا إليه غلب صاحبه ، فلما قال أوس بن مغراء :

لعمركَ ما تَبَلَى سَرَابِيلُ عَاصِرٍ      من اللومِ مادامت عليها جلودُها  
قال النابغة : هذا والله البيت الذي كنا نبتدره . والذي أراه أنا على كل

حال أن أشد المهجاء ما أضراب الغرض ، ووقع على النكتة ، وهو الذى قال  
خلف الأحمر بعينه .

### ( ٨١ ) باب الاعتذار

وينبى للشاعر أن لا يقول شيئاً يحتاج أن يعتذر منه ، فإن اضطره المقدار  
إلى ذلك ، وأوقعه فيه القضاء ؛ فليذهب مذهباً لطيفاً ، وليقصد مقصداً عجيباً ،  
وليعرف كيف يأخذ بقلب المعتذر إليه ، وكيف يسبح أعطافه ، ويستجلب رضاه ،  
فإن إتيان المعتذر من باب الاحتجاج وإقامة الدليل خطأ ، لا سيما مع الملوك وذوى  
السلطان ، وحقه أن يلطف برهانه مدججا في التصريح والدخول تحت عفو الملك ،  
وإعادة النظر في الكشف عن كذب الناقل ، ولا يعترف بما لم يجنه خوف تكذيب  
سلطانه أو رئيسه ، ويُحِيلُ الكذب على الناقل والحاسد ، فأما مع الإخوان  
فتلك طريقة أخرى

وقد أحسن محمد بن علي الأصهباني حيث يقول:

العتذرُ يلحقه التحريف والكذب      وليس في غير ما يرضيك لى أرب  
وقد أسأتُ فبالنعمى التى سَلَفَتْ      إلا مَنَنْتَ بعفوِ ماله سَبَبُ

وقال إبراهيم بن المهدي للمأمون في أبيات يعتذر إليه :

اللهُ يعلمُ ما أقولُ فيها      جهد الألية من مُقرِّ خاضع  
ما إن عصيتك والغواة تمدنى      أسبابها إلا بِنِيَّةٍ طائع

وقد سلك أبو علي البصير مذهب الحجة وإقامة الدليل بمد إنكار الجناية ،

فقال :

لم أجنِ ذنباً فإن زَعَمْتَ بأن      جَنَيْتُ ذنباً ففيرُ معتمدِ  
قد تطرفُ الكفُّ عينَ صاحبها      ولا يرى قطعها من الرشدِ

ونحوت أنا هذا النحو فقلت :

للأصبهاني في  
الاعتذار

لإبراهيم بن  
المهدي

لأبي علي البصير

للمؤلف



لَا يُبْعِدُ اللَّهُ أَبَا جَعْفَرٍ دَعَابَةَ بَتٍّ عَلَى نَارِهَا  
وَأِنْ تَأَذِيتُ فَيَا رَبِّمَا تَأَذَّتِ الْعَيْنُ بِأَشْفَارِهَا

وأجل ما وقع في الاعتذار من مشهورات العرب قصائد النابغة الثالث :  
اعتذارات النابغة الديراني إحداهن :

\* يادار مَيَّةَ بِالْعَلْيَاءِ فَالسَّنْدِ (١) \*

يقول فيها :

فلا لعمري الذي مَسَّحَتْ كَعْبَتَهُ وَمَاهُرِيْقَ عَلَى الْأَنْصَابِ مِنْ جَسَدِ  
والمؤمنِ العائذاتِ الطَّيْرَ تَمَسَّحُهَا رَكْبَانُ مَكَّةَ بَيْنَ الْغَيْلِ وَالسَّنْدِ  
ما قلت من سَيِّءٍ مما أتيتَ به إِذَا فَلَا رَفَعْتَ سَوْطِي إِلَى يَدِي  
إِذَا فَعَاقَبَنِي رَبِّي مُعَاقَبَةً قَرَّتْ بِهَاعَيْنُ مِنْ يَأْتِيكَ بِالْحَسَدِ (٢)  
إلا مقالة أقوام شقيتُ بها (٣) كانت مقاتلهم قرعاً على الكبدِ  
نُبِّئْتُ أَنَّ أَبَا قَابُوسَ أَوْعَدَنِي وَلَا قَرَارَ عَلَى زَارٍ مِنَ الْأَسَدِ  
والثانية :

\* أَرْسَمًا جَدِيدًا مِنْ سَعَادٍ تَجَنَّبُ (٤) \*

(١) عجزه \* أقوت وطال عليها سالف الأمد \*

(٢) في الديوان « بالفند » وهو بفتحين : الكذب.

(٣) في الديوان . . . . شقيت بهم . . . . قرعاً على كبدى .

(٤) لم أقف على هذا المطلع في نسخ الديوان التي بين يدي ، ولا في غيرها من  
المراجع ، وكل ما وقفت على قوله أن بعض الرواة يذكر هذه الأبيات من كلمة أولها :

أَتَانِي - أبيت اللعن - أنك لمتني وتلك التي أهتم منها وأنصب

فبت كان العائذات فرشن لي هراساً به يعلى فراشى ويقشب

(١٢ - العمدة ٢)

يقول فيها معتذراً من مدح آل جفنة ومحتجاً بإحسانهم إليه :  
 حلفتُ فلم أتركْ لنفسك رِيبةً      وليس وراء الله للمرء مذهب  
 لئن كنتَ قد بُلغْتَ عَنِّي خِيَانَةً      لمبلغك الواشي أغشُ وأكذب  
 ولكنني كمنتُ امرأً لى جَانِبُ      من الأرض فيه مُستَرَادٌ ومهرب  
 ملوك وإخوان إذا ما لقيتهم      أَحَكَمُ في أموالهم وَأَقْرَبُ  
 كفعلك في قوم أراك اصطنعهم      فلم تَرَهُمْ في شكرهم لك أذنبوا  
 فلا تَتْرُكْنِي بالوعيد كأنني      إلى الناس مَطْلِيٌّ به القار أجرب  
 وذلك أن الله أعطاك سَوْرَةَ      ترى كل ملكٍ دونها يتذبذب  
 فإنك شمسٌ والملوك كواكبٌ      إذا طلعتْ لم يَبْدُ منهم كوكب  
 والثالثة :

\* عفا ذو حسي من فرتنا فالقوارع<sup>(١)</sup> \*

يقول فيها بعد قسم قدّمه على عاداته :  
 لَسَكَلَفْتَنِي ذَنْبَ امْرِئٍ بَوْتَرَكْتَهُ      كذى العرّ يُكوى غيره وهورانع  
 فإن كنتَ لاذوا الضغن عني مُكَذَّبٌ      ولا حَلِيفِي على البراءة نافع  
 ولا أنا مأمون بقول أقوله      وأنت بأمري لا محالة واقع  
 فإنك كالليل الذي هو مدركي      وإن خِلْتُ أن المتأى عنك واسع  
 وقد تعلق بهذا المعنى جماعة من الشعراء : قال سلم الخاسرُ يعتذر إلى  
 المهدي :

إني أعوذ بخير الناس كلهم      وأنت ذاك بما نأى ومجنب  
 وأنت كالدهر مَبْثُوثًا حَبَا ثَلَّةُ      والدهرُ لا مَلْجَأَ منه ولا هربُ  
 ولو ملكتُ عِنانَ الرِّيحِ أَصْرِفُهُ      في كل ناحية ما فاتك الطلبُ

لسلم  
الخاسر

(١) عامه \* فشطاً أريك فالتلاع الدوافع \*

فليسَ إلا أنْتَظاري مِنكَ عارِفَةً      فيهما مِنَ الخَوْفِ مَنجاةٌ وَمُنْقَلَبُ

وقال عبيدالله بن عبدالله بن طاهر :

وإني وإن حَدَّثْتُ نَفْسِي بِأَنِّي      أَفُوتُكَ إِنِّ الرَّأْيَ مِنِّي لَعَارِبُ  
لأنَّكَ لي مِثْلُ المِكانِ المُحِيطِ بي      مِنَ الأَرْضِ أُنِي اسْتَنْهَضْتَنِي المِذاهِبُ

وإلى هذه الناحية أشار أبو الطيب بقوله :

ولكنكَ الدُّنيا إلىَّ حَبِيبَةٌ      فما عَنكَ لي إلا إِلَيْكَ ذَهَابُ  
إلا أَنه حَرَّفَ الكَلِمَ عن مواضعه .

وأختار العلماء لهذا الشبان قول علي بن جبلة :

وما لِمَ امرِي بِحَاوِلَتِهِ عَنكَ مَهْرَبُ      ولو رَفَعْتَهُ في السَّماءِ المِطالِعُ  
بلي هارِبُ لا يَهْتَدِي لِمِكانِهِ      ظِلَامٌ ولا ضِوءٌ مِنَ الصَّبِيحِ ساطِعُ  
لأنه قد أجاد مع معارضته النابغة ، وزاد عليه ذكر الصبح ، وأظنه اقتدى بقول الأصبغى في بيت النابغة : ليس الليل أولى بهذا المثل من النهار وفي هذا الاعتراض كلام يأتي في موضعه من هذا الكتاب ، إن شاء الله تعالى .

وأفضل من هذا كله قول الله تعالى : ( يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمواتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لا تَنْفُذُونَ إِلا بِسُلْطانٍ ) .

لأبي الهول  
الحميري

ووجد الفضل بن يحيى على أبي الهول الحميري فدخل إليه فأنشده :

كسأني وَعِيدُ الفَضْلِ نوبًا مِنَ البلي      وإيعاده المِوتُ الَّذِي مالُهُ رَدُّ  
ومالِي إلى الفَضْلِ بنِ يحيى بن خالِد      مِنَ الجِرمِ ما يَحْشَى على مِثْلِهِ الحَقْدُ  
فَجِدُ بِالرِّضا لا أَبْتغِي مِنَكَ غَيْرَهُ      ورأَيْكَ فيما كُنْتَ عَوَّدْتَنِي بَعْدُ

فقال له الفضل على مذهب الكتاب في تحرير الخطاب : لا أحتمل والله قولك : « ورأيك فيما كنت عودتني » فقال أبو الهول : لا تنظر أعزك الله إلى قصر باعى ، وقلة تمييزي ، وافعل بي ما أنت أهله ، فأمر له بجال جسيم ، ورضى عنه ، وقرَّبه .

اشتقاق  
الاعتذار

وفي اشتقاق الاعتذار ثلاثة أقوال : أحدها أن يكون من المحو ، كأنك محوت آثار الموجدة ، من قولهم : اعتذرت المنازل ، إذا دَرَسَتْ ، وأنشدوا قول ابن أحرر :

أَمْ كُنْتَ تَعْرِفُ آيَاتِ فَقْدٍ جَعَلَتْ  
أَطْلَالَ إِنْكَ بِالْوَدَّكَ تَعْتَذِرُ (١)

والثاني : أن يكون من الألقاع ، كأنك قطعت الرجل عما أمسك في قلبه من الموجدة ، ويقولون « اعتذرت المياه » إذا انقطعت . وأنشدوا للبيد :  
شُهُورُ الصَّيْفِ وَاعْتَذَرْتُ إِلَيْهِ نَطَاقُ الشَّيْطَانِ مِنَ السَّمَاءِ  
والقول الثالث : أن يكون من الحَجْرِ والمنع . . . قال أبو جعفر : يقال « عذرت الدابة » أي جعلت لها عذاراً يحجزها من (٢) الشَّرَادِ ، فعني « اعتذر الرجل » احتجز ، وعذرتة : جعلت له بقبول ذلك منه حاجزاً بينه وبين العقوبة والعَنْبِ عَلَيْهِ ، ومنه « تَعَذَّرَ الأمر » احتجز أن يُقْفَى ، ومنه « جارية عَذْرَاءٌ » .

(١) قبل هذا البيت قوله :

بان الشباب وأفنى ضعفه العمر لله درك أي العيش تنتظر؟  
هل أنت طالب شيء لست مدركه؟ أم هل لقلبك عن ألفه وطر؟

(٢) العذار - بوزن الكتاب - اللجام ، ويحجزها : يمنعها ، والشراد - بكسر الشين - النفار والجراح .

## (٨٢) - باب سيورة الشعر ، والحظوة في المدح

كان الأعشى أشيرَ الناسِ شعراً ، وأعظمهم فيه حظاً ، حتى كاد يُنسبِ الناسَ أصحابه المذكورين معه ؛ ومثله زهير ، والنابغة ، وامرؤ القيس ؛ وكان جرير نابغة الشعر مظفراً ، قال الأخطل للفرزدق : أنا والله أشعر من جرير ، غير أنه رزق من سيورة الشعر مالم أرزقه ، وقد قلت بيتاً لا أحسب أن أحداً قال أهجى منه ، وهو :

قَوْمٌ إِذَا اسْتَنْبَحَ الْأَصْيَافَ كَلْبُهُمْ قَالُوا لِأَمَمٍ : بُولِي عَلَى النَّارِ

وقال هو :

والتَّغَابَى إِذَا نَنَحَّحَ لِلْقَرَى حَاكَ أَسْتَهُ وَتَمَثَّلَ الْأَمْثَلَا

فلم يبق سقاء ولا أمة حتى روته . قال الأصمعي : فحكا له بسيورة الشعر قال الحسين بن الضحاك الخليع : أنشدت أبا نواس قولي :

وشاطريّ اللسان مختلق التسكرية شاب المَجُونِ بِالنُّسْكِ  
إلى أن بلغت إلى قولي :

كأنا نُصَّبُ كَأَسِه قَرُّ يَكْرَعُ فِي بَعْصِ أَلْجَمِ الْمَلِكِ

فنفر نفرة منكرة ، قلت : مالك فقد أفزعني ؟ !! فقال : هذا معنى مليح

وأنا أحقُّ به ، وسترى لمن يروى ، ثم أنشدني بعد أيام :

إِذَا عَبَّ فِيهَا شَارِبُ الْقَوْمِ خَلْمُهُ يَقْبَلُ فِي دَاغٍ مِنَ اللَّيْلِ كَوَكْبَا

قلت : هذه مصالتهياً بأعلى ، فقال : أتظن أنه يروى لك معنى مليح وأما في الحياة ؟ !!

وأنت ترى سيورة بيت أي نواس كيف نُسِبَ معها بيت الخليع ، على أن

له فضل السبق ، وفيه زيادة ذكر القمر ، وقد أربى ابن الرومي عليهما جميعاً بقوله :

الدين  
سار شعرم  
في الجاهلية  
وفي الإسلام

بين الخليع  
وأبي نواس

أَبْصَرْتَهُ وَالسَّكَّاسُ بَيْنَ فَمٍ مِنْهُ وَبَيْنَ أَنْأَمِلِ خَمْسٍ  
 وَكَأَنَّهَا وَكَأَنَّ شَارِبَهَا قَمَرٌ يُقَبَّلُ عَارِضَ الشَّمْسِ  
 ولكن بيت أبي نواس أملاً للغم والسمع ، وأعظم هيبة في النفس والصدر  
 ولذلك كأن أسير .

وفي زمانها أقوم يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون .  
 وليس في العرب قبيلة إلا وقد نيل منها ، وهجيت ، وعيرت ؛ فخط الشعر بعضاً  
 منهم موافقة الحقيقة ، ومضى صفحاً عن الآخرين لما لم يوافق الحقيقة ، ولا صادف  
 موضع الرمية .

فن الذين لم يحك فيهم هجاء إلا قليلاً على كثرة ما قيل فيهم : تميم بن مرة ،  
 وبكر بن وائل ، وأسدي بن خزيمية ، ونظراؤهم من قبائل اليمن .

ومن الذين شقوا بالهجاء ، ومزقوا كل ممزقٍ على تقدمهم في الشجاعة والفضل  
 أحياء من قيس : نحو غني وباهلة ابني أعصر بن سعد بن قيس عيلان ، واسم غني  
 عمرة ، وكانوا موالى عامر بن صعصعة : يحملون عنهم الديات والنواب ، ونحو محارب  
 ابن خصفة بن قيس عيلان ، وجسر بن محارب<sup>(١)</sup> حالفوا بني عامر بن ربيعة بن عامر  
 ابن صعصعة على لوم الخلف ، ومن ولد طابخة بن إلياس بن مضر : تميم وعكبل ابنا  
 عبد مناة بن أد ، صادف الشعر سباء كان وقع عليهم في الجاهلية ، فاستهانت العرب  
 بهم ، وانطبع الهجاء فيهم ، وعدى بن عبد مناة ، كانوا قطينا لحاجب بن زُرارة ،  
 وأراد أن يستملكهم ملك رق بسجل من قبل المنذر ، والخبطات ، وهم ولد الحارث  
 ابن عمرو بن تميم ، وسمى الحارث الخبيط لعظم بطنه ، شبهوه بالجل الحبط ،  
 وهو الذي انتفخ بطنه مما رعى اتللاً ؛ فأما سألوق فقد قال فيهم أبو زياد

قبائل  
 لم يحك هجاؤهم  
 إلا قليلاً  
 قبائل شقيت  
 بالهجاء

(١) في الأصول « حسي بن مخالف » وجسر بن محارب : ابن خصفة بن قيس

الكلابي : كرام من كرام من صعصعة ، لم يحالفوا ، ولم يدخلوا في صفار ، وإنما كلمة عامر بن الطفيل التي حدثت هي التي شأمتهم ، يريد قوله « أَعْدَّة كنفدة البعير وموت في بيت سلوية » قلت : أما عامر فقد قال هذه الكلمة حين دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، فما يصنع بقول السموأل بن عاديا :

ونحن أناسٌ لا نَرَى القتل سُبَّةً إذا ما رأتهُ عامرٌ وسلول  
والسموأل في زمان امرئ القيس ، وبين امرئ القيس ومببث رسول الله  
صلى الله عليه وسلم مائة وأربع وخمسون سنة

قال الجاحظ : لم تمدح قبيلة قط في الجاهلية من قريش كما مدحت مخزوم الذين حظوا  
قال : وكان عبد العزيز بن مروان أحظى في الشعر من كثير من خلفائهم ، بالمدح  
قال : ولم يكن من أصحابنا وخلفائنا أحظى في الشعر من الرشيد ، وقد كان  
يزيد بن مزيد وعمه معن بن زائدة ممن أحظاه الشعر ، ولا أعلم في الأرض  
نعمة بعد ولاية الله تعالى أعظم من أن يكون الرجل ممدوحاً .  
قلت أنا : أما هذه النعمة فقد أحلها الله مضاعفة عند السيد أبي الحسن ،  
وقرنتها منه بالاستحقاق ، فقرت مقرها ، ونزلت منزلها المختار لها ، وأحيا الله  
لبنى شيبان حمداً لم يشبهُ ذم ، وجوداً لم يعقبه فدم ، مما زاد على يزيد ، ولم يدغ  
لمن معنى في الجود .

وقال غيره : كان عمر <sup>(١)</sup> بن الهلاء ممدوحاً ، وفيه يقول بشار بن مرد :

(١) هذا الاسم قد وقع في ترجمة أبي العتاهية من الأغاني (٣ / ١٤٤ بولاق)  
مع الأبيات السابق ذكرها في ص ١٣٣ من هذا الجزء « عمرو بن العلاء » بفتح  
العين وسكون اليم وبالواو الفارقة ، وكذلك وقع في ترجمة بشار بن مرد من الأغاني  
(٣ / ٤٦) مع ثلث هذه الأبيات وبيتين من أبيات أبي العتاهية ، وكذلك  
في مهذب الأغاني (٨ / ٤٨) والسكن أبيات بشار لا تستقيم إلا على قراءته بضم  
العين وفتح اليم وبدون واو ، وهو الصواب . وانظر - مع ذلك - ص ١٨٤ الآتية

قل للخليفة إن جثته نصيحا ولاخير في التهم  
 إذا يقظتلك حروب العدا فنبه لها عمراً ثم نم  
 فتى لا يبيت على دمنة ولا يشرب الماء إلا بدم  
 دعاني إلى عمرٍ جوده وقول العشيبة بجرٍ خضم  
 ولولا الذي زعموا لم أكن لأمدح ريحانة قبل شم

وله يقول أبو العتاهية :

إن الطايا تشتكيك لأنها قطعت إليك سباسباً ورملاً

وقد مرت الأبيات فيما مضى من هذا الكتاب (٢) .

قال أبو عبيدة : لم يمدح أحد قط بنى كليب غير الخطيئة بقوله :

لعمرك ما المجاور في كليب بمقصي الجوار ولا مضاع  
 هم صنعوا لجارهم وليست يد الخرقاء مثل يد الصنّاع  
 ويحرم سرّ جارهم عليهم ويأكل جارهم أنف القصاع

مفاخر  
 تميم

كانت قيس تفتخر على تميم ؛ لأن شعراءهم تضرب المثل بقبائل قيس ورجالها

فأقامت تميم دهرأ لا ترفع رءوسها حتى قال لبيد :

أبني كليب كيف تنقي جعفرٌ وبنو ضبينة حاضرو الأجياب  
 قتلتوا ابن عروة ثم لطفوا دونه حتى يحاكمهم إلى جواب  
 يرعون منخرق اللديد كأنهم في العزاسرة حاجب وشهاب  
 متظاهري حلق الحديد عليهم كبنى زُرارة أو بنى عتاب  
 قوم لهم عرفت معدّ فضلها والفضل يعرفه ذوو الألباب

وقال زبان بن منصور الفزاري :

فجأهوا بجمعٍ مخزّلٍ كأنهم بنو دارم إذ كان في الناس دارم

(١) في (ص ١٣٣) من هذا الجزء .



فتكلمت تميم وافتخرت ؛ لمكان هذين الشاعرين للعظيمى القدر فى قيس ،  
فدل هذا على أن قيساً أحظى بالمدح من تميم .

الأوابد  
من الشعر

والأوابد من الشعر الأبيات السائرة كالأمثال ، وأكثر ما تستعمل الأوابد  
فى الهجاء ، يقال : رماها بأبدة ، فتكون الأبدة هنا الداهية ، قال الجاحظ :  
الأوابد الدواهي ، ومنه أوابد الشعر ، حكاه عن أبى زيد ، وحكى :  
الأوابد الإبل التى تتوحشُ فلا يُقدر عليها [إلا] بالعتق ، والأوابد الطير التى  
تقيم صيفاً وشتاء ، والأوابد الوحش ؛ فإذا حملت أبيات الشعر على ما قال  
الجاحظ كانت المعانى السائرة كالإبل الشاردة المتوحشة ، وإن شئت  
المقيمة على من قيلت فيه لا تفارقه كاقامة الطير التى ليست بقواطع ، وإن  
شئت قلت : إنها فى بدها من الشعراء وامتناعها عليهم كالوحش فى نفارها  
من الناس .

المجدودون  
فى التكسب  
بالشعر

وأما المجدودون فى التكسب بالشعر والحظوة عند الملوك فمنهم : سلم الخاسر  
مات عن مائة ألف دينار ، ولم يترك وارثاً ، وأبو العتاهية صنع :

تعالى الله يا سلمُ بنَ عمرو أذلَّ الحرصُ أعتاقَ الرجالِ

وكان صديقه جداً ، فقال سلم : ويلى من ابن الفاعلة ، جمع القناطير من  
الذهب ونسبني إلى ماترون من الحرص ، ولم يرد ذلك أبو العتاهية ، لكن  
دعاه يعجبه كما يفعل الصديق مع صديقه ، ومروان بن أبى حفصة : أعطى  
مائة ألف دينار غير مرات ، وكان لا يقابل إلا بالكثير ، وهو لعمرى من  
ذوى البيوتات ، والمعرفين فى التكسب بالشعر ، وكان أبو نواس محظوظاً  
لا يدرى ما وصل إليه ، لكنه كان مثلاً فاشمجاً ، وكان يتساجل فى الإنفاق  
هو وعباس بن الأحنف وصرريح الغوانى ، وكان البحتري ملبياً قد فاض  
كسبه من الشعر ، وكان يركب فى موكب من عبده ، وأبو تمام فما وفى

حقه مع كثرة ما صار إليه من الأموال ؛ لأنه تبذل ، وجاب الأرض ، وكذلك أبو الطيب .

### (١٨٣) — باب ما أشكل من المدح والهجاء

أنشدنا أبو عبد الله محمد بن جعفر النحوى ، عن أبي على الحسين بن إبراهيم الآمدى ، لرجل من بنى عبد شمس بن سعد بن تميم :

لرجل  
سعدى

تَضَيَّفَنِي وَهَنَا ، فَقُلْتُ : أَسَابِقِي إِلَى الزَادِ؟ سَلَّتْ مِنْ يَدَيَّ الْأَصَابِعِ  
وَلَمْ تَلْقَ لِلسَّعْدِيِّ ضَيْفًا بِقَفْرَةٍ مِنَ الْأَرْضِ إِلَّا وَهَوَ عُرْيَانُ جَائِعٍ  
لَمْ يردْ أَنَّهُ يَسْبِقُ ضَيْفَهُ إِلَى الزَادِ فَيَكُونُ قَدْ هَجَا نَفْسَهُ ، وَلَكِنَّهُ وَصَفَ ذُنْبًا  
لِقِيهِ لَيْلًا ، فَقَالَ : أَتَسْبِقُنِي أَنْتَ إِلَى الْأَكْلِ ؟ أَيْ : تَأْكُلُنِي ، سَلَّتْ إِذْنُ أَصَابِعِي  
إِنْ لَمْ أُرْمَكْ فَأَقْتَلِكْ فَأَكُلْ مِنْ لَحْمِكَ !! ثُمَّ قَالَ عَلَى جِهَةِ الْمَثَلِ : لَمْ تَلْقَ  
لِلسَّعْدِيِّ — يَعْنِي نَفْسَهُ — ضَيْفًا بِقَفْرَةٍ لَا مَسْتَعْتَبَ فِيهَا — يَعْنِي الذُّنْبَ — إِلَّا وَهَوَ جَائِعٌ ،  
يَقُولُ : فَهوَ لَا يَبْقَى عَلَيَّ لِأَنِّي بِغَيْتِهِ .

كما أنشدوه

ومن أناشيدهم :

أَبُوكَ الَّذِي نُبِّدْتُ يُحْبِسُ خَيْلَهُ غَدَاةَ النَّدى حَتَّى يَجِيفَ لَهَا الْبَقْلُ  
قَالُوا : إِذَا أَخَذَ مَطَرُ الصَّيْفِ الْأَرْضَ أَنْبَتَتْ بَقْلًا فِي أَصُولِ بَقْلِ قَدِ بَيَسَ  
فَذَلِكَ الْأَخْضَرُ هُوَ النَّشْرُ ، وَهُوَ الْغَمِيرُ ، فَتَأْكُلُهُ الْإِبِلُ ، فَيَأْخُذُهَا الشُّهَامُ ، وَلَا  
سُهَامَ فِي الْخَيْلِ ؛ فَعَابَهُ بِالْجَهْلِ بِالْخَيْلِ .

وقال الأصمعي : هذا القول خطأ ، بل مدحه بمعرفة الخليل ؛ لأن النشر مؤنث  
لكل من يأكله وإن لم يكن ثم سُهَامٌ .

وقال سليمان بن قنفة في رثاء الحسين بن على رضى الله عنهما ، وذكر آل  
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويروى للقرزوق :

لسليمان  
ابن قنفة

أُولَئِكَ قَوْمٌ لَمْ يَشِيمُوا سَيُوفَهُمْ وَلَمْ تَكْثُرِ الْقَتْلَى بِهَا حِينَ سُئِلَتْ  
أَرَادَ لَمْ يَضْمَدُوا سَيُوفَهُمْ إِلَّا بَعْدَ أَنْ كَثُرَتْ بِهَا الْقَتْلَى ، كَمَا تَقُولُ : لَمْ أَضْرِبْكَ  
وَلَمْ تَجْنِ عَلَيَّ إِلَّا بَعْدَ أَنْ جَنَيْتَ عَلَيَّ ؛ وَقَالَ آخَرُونَ : أَرَادَ لَمْ يَسَاوَا سَيُوفَهُمْ  
إِلَّا وَقَدْ كَثُرَتْ بِهَا الْقَتْلَى ، كَمَا تَقُولُ : لَمْ أَلْقُكَ وَلَمْ أَحْسَنْ إِلَيْكَ إِلَّا وَقَدْ  
أَحْسَنْتَ إِلَيْكَ ، وَالْقَوْلَانِ جَمِيعًا صَحِيحَانِ ؛ لِأَنَّهُ مِنَ الْأَضْدَادِ .

كعم الكلب

وينشدون قول الآخر :

هَجَمْنَا عَلَيْهِ وَهُوَ يَكْمُ كَلْبُهُ دَعِ الْكَلْبَ يَنْبِجُ إِمَّا الْكَلْبُ نَابِجٌ

ويروى :

دُفِعْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَخْنُقُ كَلْبَهُ أَلَا كَلْبُ كَلْبٍ - لَا أَبَالَكَ - نَابِجٌ  
قَالُوا : فَاللدح أن يكون إِمَّا يَكْمُهُ لثَلَا يَعْقِرُ الضيُوفَ ، وَالذم أن يكون  
ذَلِكَ لثَلَا يَنْبِجُ فَيَدُلُّ عَلَيْهِ الضيف ، وَأَنَا أَعْرِفُ هَذَا الْبَيْتَ فِي هِجَاءِ مَحْضٍ لِلرَاعِي  
هَجَا بِهِ الْخَطِيئَةَ ، وَهُوَ :

أَلَا قَبِحَ اللَّهُ الْخَطِيئَةَ ؛ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ مَنْ وَافَى مِنَ النَّاسِ سَالِحٌ

ويروى : \* عَلَى كُلِّ ضَيْفٍ ضَافَهُ فَهُوَ سَالِحٌ \*

هَجَمْنَا عَلَيْهِ وَهُوَ يَكْمُ كَلْبُهُ دَعِ الْكَلْبَ يَنْبِجُ إِمَّا الْكَلْبُ نَابِجٌ  
بَكَيْتَ عَلَى مَذْقِ خَبِيثِ قَرَيْتِهِ أَلَا كَلَّ عَنِّي عَلَى الزَّادِ نَابِجٌ

وَأَنشَدْنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ :

تجنّب  
الجيش

تَجَنَّبُكَ الْجِيُوشُ أبا خَبِيبٍ وَجَادَ عَلَى مَنَازِلِكَ السَّحَابُ

ويروى : \* أبا ربيب \* قال : إن دعا له فإنما أراد أن يعافى من الجيوش ،  
وأن يجوده السحاب فتخصب أرضه ، وإن دعا عليه قال : لا بقى لك خير تطمع  
فيه الجيوش ، فهي تتجنّب ديارك لهمهم بقلة الخير عندك ، ويدعو على  
محلته بأن تدرسها الأمطار .

وقال غيره : معناه جاد على محلتك السحاب فأخصبت ولا ماشية لك ، فذلك أشد لهمك وغمك ، ويكون المعنى حينئذ كقول الآخر :

وَخَيْفَاءَ أَلْتَمَى الْغَيْثُ فِيهَا ذِرَاعَهُ فُسِّرَتْ وَسَاءَتْ كُلُّ مَاشٍ وَمَصْرَمٍ

أى : فسرت كل ماشية ، وساءت كل فقير .

وأشده [ أبو عبد الله ] أيضا :

إِنِّي عَلَى كُلِّ إِسَارٍ وَمَعْسِرَةٍ أَدْعُو حَبِيشًا كَمَا تَدْعُو ابْنَةُ الْجَبَلِ

وروى المبرد : \* أَدْعُو حَنِيفًا \*

ابنة  
الجبل

يريد أنه يجيب بسرعة كالصَّدى ، وهو ابنة الجبل ، وقيل : ابنة الجبل

الصخرة المنحدرة من أعلاه ، وزاد أبو زيد في روايته بيتا ، وهو :

إِنْ تَدْعُهُ مَوْهِنًا يَعْجَلُ بِجَابَتِهِ عَارِي الْأَشَاجِعِ يَسْمَعِي غَيْرَ مُسْتَعِيلِ

فهذا مدح لا محالة ، ومنهم من حمله على قول الآخر :

كَأَنِّي إِذْ دَعَوْتُ بَنِي حَنِيفٍ دَعَوْتُ بِدَعْوَتِي لَهُمُ الْجِبَالَا

ورواه قوم : \* بَنِي سَلِيمِ \*

فمن مدح جماله كالأول في سرعة الإجابة ، ومن ذمَّ نسبهم إلى الثقل عن

إجابته مثل الجبال .

ومن الدعاء الذى يدخل فى هذا الباب قول الآخر :

تَفَرَّقَتْ غَنَمِي يَوْمًا فَقُلْتُ لَهَا : يَا رَبِّ سَلِّطْ عَلَيْهَا الذَّنْبَ وَالضَّبِيبَا

قيل : لإنهما إذا اجتمعا لم يؤذيا ، وشغل كل واحد منهما الآخر ، وإذا

تفرقا آذيا ، وقيل : إن معناه فى الدعاء عليها قتل الذئب الأحياء عثما ، وأكل

الضبع الأموات ، فلم يبق منها بقية .

ومن لطيف ما وقع فى هذا الباب قول النابغة الذبياني :

يَصُدُّ الشَّاعِرَ النَّذِيانُ عَنِّي صُدُودَ الْبَكْرِ عَنْ قَوْمِ هَجَانَ

الذبيان

لم يرد أنه يغلب الثنيان ولا يغلب الفعل ، لكن أراد التصغير بالذي هاجاه ،  
فجعله ثانياً ، وقال الآخر :

وَمَنْ يَفْخَرُ بِمَثَلِ أَبِي وَجَدَى يَجِيءُ قَبْلَ السَّوَابِقِ وَهُوَ ثَانِي  
أراد وهو ثان من عنانه ؛ لأنه يسبق متمهلاً .

ذو فجرات

وقال ابن مقبل :

إِذَا الرَّفَاقُ أَنْحَا حَوْلَ مَنْزِلِهِ حَلُّوا بَنِي فَجَرَاتٍ زَنْدُهُ وَارِي  
قال ابن السكيت « بنى فجرات » أى : يتفجر بالسخاء والعتاء ، ويدل

على ما قال ابن السكيت أن لصيق هذا البيت :

جَمُّ الْمَخَارِجِ ، أَخْلَاقُ الْكَرِيمِ لَهُ ، صَلَّتِ الْجَبِينِ ، كَرِيمِ انْخَالِ مِفْوَارِ  
ومما يمدح به ويذم قولهم « هو بيضة البلد » فن مدح أراد بها أصل الطائر ،  
ومن ذم أراد أنها لأصل لها ، قالت أخت عمرو بن عبدود فى على بن أبى طالب  
رضى الله عنه لما قتل أخاها :

لَوْ كَانَ قَاتِلُ عَمْرٍو غَيْرَ قَاتِلِهِ لَقَدْ بَكَيتُ عَلَيْهِ آخِرَ الْأَبْدِ  
لَكِنَّ قَاتِلَهُ مِنْ لَا يُعَابُ بِهِ وَكَانَ يُدْعَى قَدِيمًا بَيْضَةَ الْبَلَدِ  
فهذا مدح كما تراه .

وقال الراعى النيمرى يهجو عدى بن الرقاع العاملى :

لَوْ كُنْتُ مِنْ أَحَدٍ يُهْجَى هَجَوْتُكُمْ يَا أَبْنَ الرَّقَاعِ ، وَلَكِنْ لَسْتُ مِنْ أَحَدٍ  
تَابَى قُضَاعَةٌ أَنْ تَرْضَى لَكُمْ نَسَبًا وَابْنَا نَزَارٍ ؛ فَأَنْتُمْ بَيْضَةُ الْبَلَدِ

وأشده بعض العلماء :

وَإِنِّي لَطَلَامٌ لِأَشْمَثَ بَائِسٍ عَرَانَا ، وَمَقْرُورٍ بَرَى مَالَهُ الدَّهْرُ  
وَجَارٍ قَرِيبِ الدَّارِ ، أَوْ ذَى جِنَايَةِ غَرِيبٍ بَعِيدِ الدَّارِ لَيْسَ لَهُ وَفْرُ

يفظه السامع هجا نفسه بظلم هؤلاء الذين ذكر ، وإنما مدحها بأنه يظلم

الناقة فينحر فصيلها من غير علة ولا داء ، إلا لضيافة هذا الأشعث ، والجار ،  
وأشباههما .

### (٨٤) - باب في أصول النسب ويوتات العرب

أول النسب بعد آدم صلى الله عليه وسلم من نوح عليه السلام ؛ لأن جميع  
من كان قبله قد هلك ، وإنما بقي من ولده سام ، وحام ، ويافت ؛ فولد يافت  
الصقالية وبرجان والأشبان ، وكانت منازلهم أرض الروم ، من قبل أن تكون  
الروم ، ومن ولده الترك ، والخزر ، ويأجوج ومأجوج ؛ وولد حام كوش  
وكنعان وقوط ؛ فأما قوط فنزل أرض الهند والهند فأهلها من ولده ، وأما  
كوش وكنعان فأجناس السودان ، والنوبة ، والزنج ، والزعارة ، والحبشة ،  
والقبط ، وبربر من أولادها ؛ وولد سام إرم ، وإرخشذ ، فماد بن عوص بن  
إرم ، وطشم وجديس ابنا لاوذ بن إرم ، ومنهم العماليق ، ومنهم فراعنة مصر ،  
والجبابرة ، ومنهم ملوك فارس ، وأجناس الفرس كلها ولده ، وثمود بن عابر بن  
سام ، وماش بن إرم نزل بابل ، و [ من ] ولده نمرود الذي فرق الله الألسنة في  
زمانه ، وهو الذي بنى الصرح ببابل ، ويقال : إن النبط من ولد ماش ؛ ويقال  
أيضاً : إنهم من ولد شاروخ بن فالغ بن إرخشذ ، والأنبياء كلها عربيها ومجميها ،  
والعرب كلها يمنيها ونزاريها من ولد سام بن نوح ، حكى جميع ذلك ابن قتيبة ،  
ومن ولد إرخشذ قحطان بن عابر بن صالح بن إرخشذ ، وكان مسكن قحطان  
اليمين ، فكل يمان من ولده ، فهم من العرب العاربة . ويقطن بن عابر ، وهو  
أبو جرم ، وكانت مساكن جرم اليمين ، ثم نزلوا مكة فسكنوا بها ، وتزوج  
إسماعيل صلى الله عليه وسلم امرأة منهم ؛ فهم أخوال العرب المستعربة .

أصل  
الأنساب

قال الزبير بن بكار : العرب ست طبقات : شعب ، وقبيلة ، وعمارة ،

طبقات  
العرب

وبطن ، وفخذ ، وفصيلة : فمضر شعب ، وربيعة شعب ، ومدحج شعب ، وحدير شعب ، وأشباههم ، وإنما سميت الشعوب لأن القبائل تشعبت منها ، وسميت القبائل لأن العائر تقابلت عليها : أسد قبيلة ، ودودان بن أسد عمارة ، والشعب يجمع القبائل ، والقبيلة تجمع العائر ، والعمارة تجمع البطون ، والبطون تجمع الأخخاذ ، والأخخاذ تجمع الفصائل : كنانة قبيلة ، وقريش عمارة ، وقصى بطن ، وهاشم فخذ ، والعباس فصيلة .

أصل تسمية  
الطبقات

وزعم أبو أسامة — فيما رأيت بخطه ، وقد عاصرته ، وكان علامة باللغة — أن تأليف هذه الطبقات على تأليف خلق الإنسان الأرفع فالأرفع ؛ فالشعب أعظمها ، مشتق من شعب الرأس ، ثم القبيلة من قبلته ، ثم العمارة ، قال : والعمارة الصدر ، ثم البطن ، ثم الفخذ ، ثم الفصيلة ، قال : وهى الساق ، أو قال : المفصل ، الشك منى أنا ، قال : والحق أعظم من الجميع ؛ لاشتغال هذا الاسم على جملة الإنسان .

وأما أبو عبيدة فجعل بعد الفخذ العشيرة ، قال : وهم رهط الرجل دنيا<sup>(١)</sup> ثم الفصيلة ، قال : دون ذلك بمنزلة المفصل من الجسد ، وهم أهل بيت الرجل ، فأما البيوتات فكل يدعى لنفسه سابقة ، ويمتث بفصيلة ، غير أن الصحيح ما اتفق عليه العلماء ، وتداوله الرواة .

قال ابن الكلبي : كان أبى يقول : العدد من تميم فى بنى سعد ، والبيت فى بنى دارم ، والفرسان فى بنى يربوع ، والبيت من قيس فى غطفان ، ثم فى بنى فزارة ، والعدد فى بنى عامر ، والفرسان فى بنى سليم ، والعدد من ربيعة [ فى بكر ] والبيت والفرسان فى شيبان .

(١) فى الأصول « دنيا » بتقديم الياء على النون ، والصواب العكس كما أثبتناه

مفاخر  
القبائل

قال ابن سلام الجمحي : كان يقال : إذا كنت من تميم ففاخر بمَنْظَلَة ،  
وكأثر بسعد ، وحارب بعمرو ، وإذا كنت من قيس ففاخر بِنَفْطَانَ ، وكأثر  
بهوازن ، وحارب بسُلَيْم ، وإذا كنت من بكر ففاخر بشيبان ، وكأثر بشيبان ،  
وحارب بشيبان .

فرسان  
العرب

قال أبو عبيدة : ليس في العرب أربعة إخوة أنجب ولا أعد ولا أكثر  
فرساناً من بني ثعلبة بن عُكَّابَة ، وكان يقال له : الأغر والحصن ، وبنوه شيبان ،  
وذُهل ، وقَيْس ، وتَمِيم الله . قال : ففارس غطفان الربيع بن زياد العبسي ، وفاتكها  
الحارث بن ظالم ، وحاكمها هَرَمُ بن قطبة<sup>(١)</sup> ، وجوادها هرم بن سنان المري ،  
وشاعرها النابتة الديباني ، وفارس بني تميم عتيب<sup>(٢)</sup> بن الحارث بن شهاب أحد  
بني يربوع ، وفارس عمرو بن تميم طريف بن تميم العبدي ، وفارس دارم عمرو  
ابن عمرو بن عُدُس ، وفارس سعد فدَكِيُّ بن أعبد المنقري<sup>(٣)</sup> ، وفارس الرباب  
زيد التوارس بن حصن الضبي ، وفارس قيس عامر بن الطَّفَيْل ، وفارس ربيعة  
بِسْطَام بن قيس .

بيوتات  
العرب

قال أبو عبيدة : بيوت العرب ثلاثة : فبيت قيس في الجاهلية بنو فزارة  
ومركزه بنو بدر ، وبيت ربيعة بنو شيبان ، ومركزه ذو الجدين ، وبيت تميم  
بنو عبد الله بن دارم ، ومركزه بنو زُرَّارَة .

وقال أبو عمرو بن العلاء : بيت بني سعد اليوم إلى الزُّبُرْقَانِ بن بدر من  
بني يَهْدَلَةَ بن عوف بن كعب بن سعد ، وبيت بني ضبة بنو ضرار بن

(١) ويقال « قطنة » انظر ( ج ١ ص ٥٣ ) .

(٢) هكذا في النسخ ، والمخفوظ « عتية » وشاهده قول الشاعر :

إن يقتلوك فقد ثلثت عمرو شهيم بعتية بن الحارث بن شهاب

(٣) هو جد عمرو بن الأهم لأمه ؛ فإن أم عمرو ميا بنت فدكي بن أعبد .



عمرو<sup>(١)</sup> الرديم ، وبيت بنى عدى بن عبد مناة آل شهاب من بنى ملكان ،  
و بيت التميم آل النعمان بن جساس .

قال : وليس فى العرب جساس غيره .

قال الجحى : فارس الين فى بنى زبيد عمرو بن معدى كرب ، وشاعرها  
امرو القيس ، وبيتها فى كندة الأشعث بن قيس ، لا يختلف فى هذا ، وإنما  
اختلف فى نزار .

قال : وأما الشرف [ ف ] ما كان قبل النبى صلى الله عليه وسلم إلى عهد النبى  
واتصل فى الإسلام .

قال أبو إياس البصرى : كان بيت قيس فى آل عمرو بن ظرب العدوانى ،  
ثم فى غنى فى آل عمرو بن يربوع : ثم تحول إلى بنى بدر ، فجاء الإسلام  
وهو فيهم .

وقال الأخفش على بن سليمان : فرعا قريش هاشم وعبد شمس ، وفرعا غطفان  
بدر بن عمرو بن لوزان وسيار بن عمرو بن جابر ، وفرعا حنظلة رياح وعلبة ابنا  
يربوع ، وفرعا ربيعة بن عامر بن صعصعة جعفر وبكر ابنا كلاب ، وفرعا قضاة  
عذرة والحارث بن سعد .

### (٨٥) - باب مما يتعلق بالأنساب

قال أبو عبيدة : قريش البطاح قبائل : كعب بن لؤى بن عبد مناف قريش البطاح  
وبنو عبد الدار وعبد العزى ابنا قصى ، وبنو زهرة بن كلاب ، وبنو مخزوم  
ابن يقظة ، وبنو تميم بن مرة ، وبنو جح وسهم ابنا هصيص بن كعب ، وبعض  
بنى عامر بن لؤى .

(١) قال المجد فى القاموس : « والرديم كأمير : لقب فارس منهم » هـ .

قريش الظواهر : قريش  
الظواهر  
ابن فهر ، وعمامة بنى عامر بن لؤى، وغيره .

القاب لبعض القبائل  
كان يقال : مازن غسان أرباب الملوك ، وحمير أرباب العرب ، وكندة كنفدة الملك ، ومذحج مذحج الطعان ، وهمدان أحلاس الخليل ، والأزد أسد البأس ، والذهلان : أحدهما ذهل بن شيبان بن ثعلبة ويشكر ، والآخر ضبيعة وذهل بن ثعلبة ، والهمزتان : إحداهما عجل وتيم اللات ، والأخرى قيس بن ثعلبة وعنزة ، وكلهم من بكر بن وائل ، إلا عنزة بن أسد بن ربيعة .

الأحباش : الأحباش

قال ابن قتيبة : هم بنو المصطلق ، والحيا بن سعد بن عمرو وبنو الهون بن خزيمية : اجتمعوا بذنب حُبشئ - وهو جبل بأسفل مكة - فتحالفوا بالله إنا ليدٌ على غيرنا ما سَجَا ليلٌ وأوضح نهار، وما أرسى حبشئ مكانه<sup>(١)</sup> .  
وقال حماد الراوية : إنما سُموا بذلك لاجتماعهم ، والتحابس : هو التجمع في كلام العرب .

الطيون : الطييون : عبد مناف ، وزهرة ، وأسد بن عبد العزى ، وتيم ، والحارث ابن فهر ، وعبد قصى .

الأحلاف : نخزوم ، وعدى ، وسهم ، وجحج ، وعبد الدار .

سموا أولئك المطييين لخلوق صنعته لهم أم حكيم فغمسوا أيديهم فيه ، وسموا الآخرون أحلافاً لجزور نحره ، فدانوا دمه في جفنة فسوه بأيديهم ولعقوا منه ، وسموا «الأحلاف» و«لعنة الدم» .

الأراقم : الأراقم : جشم ، ومالك ، وعمرو بن ثعلبة ، ومعاوية ، والحارث ، بنو بكر ابن حبيب بن غنم بن تغلب بن وائل ، قال أبو علي : ليس في العرب نصراني غيره .

(١) في القاموس « ووضح نهار ، ومارسا - إلخ » .

- البراجم** : خمسة بطون من بني حنظلة : قيس ، وغالب ، وعمرو ، وكلفة ، والظليم ، وهو مرة ؛ تبرجموا على إخوتهم يربوع وربيعه ومالك ، وكلهم أبوهم حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مرة .
- الثعلبات** : ثعلبة بن سعد بن ضبة ، وثعلبة بن سعد بن ذبيان ، وثعلبة بن عدى بن فزارة ، وأضاف إليهم قوم ثعلبة بن يربوع .
- الرياب** والرياب : هم ضبة بن أد بن طابخة ، وتيم ، وعدى ، وعوف . وهو عُكَلٌ - وثور ، وكل هؤلاء بنو عبد مناة بن أد بن طابخة<sup>(١)</sup> :
- الأجارب** : خمس قبائل من بني سعد : وهم ربيعة ، ومالك ، والحارث - وهو الأعرج - وعبد العزى ، وبنو حمار .
- الحرام** والحرام : بنو كعب بن سعد بن زيد مناة .
- الضباب** الضباب : هم أربعة بطون من بني كلاب : ضب ، وضبيد ، وحسبل ، وحسبل ، بنو معاوية بن كلاب ، كذا زعم ابن قتيبة وغيره .
- وقال أبو زيد الكلبي ، وهو أعلم بقومه : هم بنو عمرو بن معاوية بن كلاب ، وإنما سموا ضباباً لأنه سمي فيهم ضبا وحسلا وحسيلا ، فقال له الرجل وسمعه يهتف بهم : والله ما بنوك هؤلاء إلا الضباب ، فسمو الضباب إلى اليوم ؛ قال : ومن ولد عمرو بن معاوية بن كلاب : ضب ، وحسل ، وحسيل ، وحصن ، وحصين ، وخالد ، وعبد الله ، وقاسط ، والأعراف ، وتولب ، وشقيق ، وخزيم ، والوليد ، وزهير ؛ فهؤلاء أربعة عشر لم تدرج منهم قبيلة ، وهم الضباب جميعاً .

(١) قال المرتضى : « والرياب أحياء ضبة ، وهم تيم وعدى وعكَلٌ ، وقيل : تيم وعدى وعوف وثور وأشيب ، وضبة عمهم . مما بذلك لتفرقهم ؛ لأن الربة الفرقة ولذلك إذا نسبت إلى الرياب قلت ربي ، فترده إلى واحد » هـ .

الأكابِر

الأكابِر : شيبان ، وعامر ، وجليحة ، والحارث بن ثعلبة بن عكّابة بن صعب  
ابن علي بن بكر بن وائل .

بنو أم البنين

بنو أم البنين : عامر ، والطفيل ، وربيعة ، وعبيدة ، ومعاوية ، بنو مالك  
ابن جعفر بن كلاب ، هكذا عند أكثر الناس ، فالوا : وإنما اضطرت<sup>(١)</sup> القافية  
ليبيد فجعلهم أربعة وهم خمسة .

وقال أبو زيد الكلابي ، وهو أعلم بقومه : إن بني أم البنين أربعة ،  
كما قال ليبيد : ابتكرت عامراً ملاعب الأسنه ، وثنت بالطفيل ، ثم تزوج عليها  
مالك سلامة السلميَّة ، فغارت أم البنين وأسقطت له ثلاثة ذكورا ، وجاءت السلميَّة  
بثلاثة ، وهم : سلمى ، وعبيدة ، وعتبة ، فأدار مالك الحيلة على أم البنين وأخياها  
زهير بن خِداش بن زهير ، حتى أخذ عليها حكماً بأن لا تسقط ولداً وكانت حاملاً  
فولدت معاوية مَعُوذَ الحِمْيَرِ<sup>(٢)</sup> ، ثم ثنّت بربيعة أبي ليبيد ، وزعم بعض شيوخه  
الذين أخذ عنهم أنه سمي معوذ الحِمْيَرِ<sup>(٣)</sup> من أجل أنه تولى حكماً عن زهير بن  
عمرو على أخيه ، وروى أبيات معاوية التي من أجلها سمي معوذ الحِمْيَرِ<sup>(٣)</sup>

(١) في قوله أمام العمان بن المنذر :

نحن بني أم البنين الأربعة ونحن خير عامر بن صعصعه  
وانظر هذا الكتاب ( ج ١ ص ٥١ ) .

(٢) معوذ الحِمْيَرِ - بالدال المعجمة كما في اللسان عن ابن بري - والذي في  
القاموس وشرحه « معوذ الحِمْيَرِ » بالدال مهملة ، ومنهم من يلقبه « معوذ  
الحِمْيَرِ » جمع حلیم - باللام - ومنهم من يلقبه « معوذ الحِمْيَرِ » والذي في القاموس  
أولى ، قال : « ومعوذ الحِمْيَرِ لقب معاوية بن مالك بن جعفر بن كلاب لقوله :

أعود مثلها الحِمْيَرِ بعدى إذا ما الحق في الأشياخ نابا

ونابا : عمرا ، ويروى في مكانه « بابا » أي ظهر ، ويروى في مكان الشطر الثاني

\* إذا ما معضل الحدثن نابا » اهـ ، مع زيادات من الشرح ، وفيه بعض تصرف  
وانظر ص ٢٢١ الآتية

زيد الخليل ، غير أنه لم ينشد البيت ، وزعم أنه ناقض بها طُغْيلاً  
الغَنَوِيَّ .

قال : وأم البنين بنت عمرو بن عامر فارس الضحيا .

الكلمة : بنو زياد العبسيون ، وهم : أنس الحفاظ ، ويقال له أيضاً : أنس  
الفوارس ، وعمارة الوهَّاب ، وربيع الكامل ، وقيس الجواد ، هكذا روينا  
عن النحاس .

قال المبرد وغيره : ربيع الحفاظ ، وعمارة الوهاب ، وأنس الفوارس ، أمهم  
فاطمة بنت الخُرشُب الأُمّارية .

الحمس : هم قریش ، وكفانة ، ومن دَانَ بدينهم من بنى عامر بن صعصعة .  
قال أبو عمرو بن العلاء : الحمس من بنى عامر : كلاب ، وكعب ، وعامر ،  
بنوربيعة بن عامر بن صعصعة ، وأمهم مجد بنت التيم الأدرم بن غالب بن فيهر  
ابن مالك ، وكانوا في الجاهلية يتحمسون في أديانهم ، أى : يتشددون ، لا يستظلون  
أيام منى ، ولا يدخلون البيوت من أبوابها ، وقيل : سمو أحمساً لشدة بأسهم ، ويعدون  
في الحمس خزاعة .

العنابس : حرب ، وأبو حرب ، وسفيان ، وأبو سفيان ، وعمرو ، وأبو عمرو ،  
بنو أمية بن عبد شمس .

والأعياص : العاص ، وأبو العاص ، والعيص ، وأبو العيص ، وبنوه أيضاً  
أم القبائل : هند بنت تميم بن مر ، ولدت لعمرو بن قاسط تيم الله ، وأوس  
الله ، وعائذ الله ؛ وولدت لوائل بن قاسط بكراً ، وتغلب ، وعزنا ، وقيل :  
هو عز بن وائل ؛ وولدت لعبد القيس بن قصي اللبوك بن عبد القيس ، وبعضهم  
يقول : اللبوء - بالهمز وبضم الباء - وفيه اختلاف بين العلماء .

الجمرات : جمرات العرب : ضبة ، وعبس ، والحارث بن كعب ؛ سمو بذلك  
الجمرات

لأن أمهم الخشبية بنت مرة — فيما يقال — رأت في المنام كأن ثلاث جمرات خرجت منها ، قال أبو عبيدة : فطفئت من الجمرات اثنتان : الحارث بن كعب حالقت في غطفان ، وضبة حالقت الرباب وسعداً ، وبقيت عبس لم تطفأ ؛ لأنها لم تحالف ، وأما الجاحظ فجعلها عبسا وضبة ونميراً . وأشار إلى أن في تميم جماراً أيضاً ، وصرح بذلك المفضل ، فقال : هم بنو يربوع ، وزعم الفرزدق أنهم بنو العَدَوِيَّة ، نسبوا إلى أمهم ، وهم زيد ، وصدى ، وجشيش ، بنو مالك بن حنظلة ، وزعم آخرون أنهم بنو مالك بن خزيمه بن تميم بن جل بن عبد مناة بن أد ، غير أنهم جعلوا مكان جشيش يربوعاً ، ومن الجمرات التي لم تطفأ عند بعضهم نمير ابن عامر بن صعصعة ؛ لأنهم لم يحالفوا أحداً من العرب .

قال الجاحظ : إنما قيل لكل واحد منها جمره ؛ لأنهم تجسسوا حتى قوا على عدوهم واشتدوا ، قال : ويجوز أن يكون اشتقاقه من تجبير المرأة شعرها ، وإذا صفرتة قيل : قد جمرته ؛ وقال غيره : ومنه « خف جمر » إذا كان مجتمعاً شديداً .

بنو طيبة طهية بنت عبشمس بن سعد ولدت لمالك بن حنظلة عوفا ، وأبا سود ، وربيعه ، وآخر لم يعرفه ابن الكلبي ، فعرف أولادها بها .

للولي والموالي ثلاثة : مولى اليمين الحالف ، ومولى الدار المجاور ، ومولى النسب ابن العم والقراية . قال الشاعر :

نبئت حياً على نعمان أفردهم مولى اليمين ومولى الدار والنسب

### (٨٤) - باب ذكر الوقائع والأيام

قد أُبئت في هذا الباب ما تأدى إلى من أيام العرب ووقائعهم ، مستخرجة من التفاضل وغيرها ، ولم أشرط استقصاءها ، ولا ترتيبها ؛ إذ كان في أقل مما

جئتُ به غِنَى وَمَقْنَعٌ ، ولأن أبا عبيدة ونظراءه قد فرغوا مما ذكرتُ ؛ فإنما هذه القطعة تذكِرة للعالم ، وذريعة للتعلم ، وزينة لهذا الكتاب ، ووفاء لشرطه ، وزيادة لحسنه ؛ إذ كان الشاعر كثيراً ما يؤتى عليه في هذا الباب ، وأنا أذكر ما علمته من ذلك في أقرب ما أقدر عليه من الاختصار إن شاء الله تعالى ، بعد أن أقدم في صدره أيامَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ووقائعه مع المشركين ؛ لأنه أولى بالتقديم ، وأحق بالتمظيم ، ولما أرجوه من بركة اسمه ، وافتتاح القصص بذكره .

مغازي  
الرسول

غزارسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة «وَدَّانَ» على رأس الحول من الهجرة ، ثم غزا عيرا قریش بعد شهر وثلاثة أيام ، ثم غزا في طلب كرز بن حفص حتى بلغ بدرأ بعد عشرين يوماً ، ووجهت القبلة إلى الكعبة ، ثم غزا «بدرأ» فكان يوم بدر ستة عشر يوماً خلت من شهر رمضان من سنة اثنتين ، وكان المشركون يومئذ تسعمائة وخمسين رجلاً ، والمسلمون ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً ، فقتل من المشركين خمسون رجلاً ، وأسرا أربعة وأربعون ، واستشهد من المسلمين أربعة عشر رجلاً .

يوم أحد : كان في شوال من سنة ثلاث . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعمائة ، وقریش في ثلاثة آلاف ، وفي هذه الغزوة استشهد حمزة رضی الله عنه .

يوم الخندق : كان في سنة أربع

يوم بني المصطلق وبنی نَحْيَانَ : في شعبان سنة خمس

يوم خيبر : في سنة ست

وكان يوم «مؤتة» في سنة ثمان ، واستشهد فيه زيد بن حارثة أمير الجيش ، وجعفر بن أبي طالب أمير الجيش أيضاً بعده ، وعبد الله بن رواحة

أمير الجيش بعدهما ، وقام بأمر الناس خالد بن الوليد ، وكانوا في ثلاثة آلاف .

وكان فتح مكة في شهر رمضان سنة ثمان ، وبعده بخمس عشرة ليلة سار إلى « حُنَيْن » في شوال ، ولقي رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع هَوَازِن في شوال للنصف منه ، فانهمز المسلمون ، وكان الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم : علي بن أبي طالب ، والعباس بن عبد المطلب ، والفضل بن العباس بن عبد المطلب ، وأبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وابنه ، وأمين بن عبد الله ، وهو ابن أم أيمن ، واستشهد ذلك اليوم ، وربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وأسامة بن زيد بن حارثة ، وفي رواية أخرى أبو بكر ، وعمر ، وعلي ، والعباس ، وابنه ، وأبو سفيان بن الحارث ، وربيعة بن الحارث ، وأمين ، وأسامة ، ثم رجع الناس من وقتهم ، وانهمز المشركون ، وكانت الكفرة عليهم الله ورسوله .

ثم سار بعد حنين إلى « الطائف » فحاصرها شهراً ، ولم يفتتحها ، وغزا بلد الروم في رجب من [ سنة ] ثمان ؛ فبلغ تبوك وبنى بها مسجداً ، وهو بها إلى اليوم وفتح الله عليه في سفره ذلك « دومة الجندل » على يدي خالد بن الوليد ، وكل هذا مختصر من كتاب ابن قتبية ، وإياه قلت فيما رأيت من هذه الطريقة ، والله المستعان ، وعليه توكلت

يوم إراب وهذه أيام العرب : يوم « إراب » <sup>(١)</sup> لبني ثعلبة بن بكر : رئيسهم الهذيل بن حسان ، علي بن رباح بن يربوع ، وكان الهذيل سبي نساء بني

(١) إراب - بكسر الهمزة و آخره باء موحدة - قال ياقوت : بخط اليزيدي في شرحه « إراب ماء لبني رباح بن يربوع بالحزن » ا هـ .



رياح ، والتقى بهم على إراب ، وقد سبقه بنو رياح إليه لينموهم الماء ، حتى يرد السبي ، فأقسم الهذيل : لئن رددتم إلينا ماء فارغاً لأتيناكم فيه برأس إنسان تعرفونه فاشترؤا منه بعض السبي ، وأطلق البعض .

يوم نغف فشاوة ، « نغف فشاوة » لبسطام بن قيس رئيس بني شيبان ، على بني يربوع ، قتل فيه بجيراً ، وأسر أباه أبا مليل ، ثم من عليه من وقته ، وترك له مليلاً ولده ، وكان أسيراً عنده بعد أن كساه وحمله .

يوم نجران ، « نجران » للأقرع بن حابس في قومه بني تميم ، على اليمن ، هزمهم وكانوا أخلاطاً ، وفيهم الأشعث بن قيس ، وأخوه ، وفيهم ابن باكور الكلاعي الذي أعتق في زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أربعة آلاف أهل بيت في الجاهلية أسروا .

يوم الصمد ، وهو يوم « طلح » ويوم « بلقا » ويوم « أود » ويوم « ذى طلوح » كلها يوم واحد ، لبني يربوع على بني شيبان ورئيسهم الخوقزان ، ورئيس الهازم أبجر بن بيجر<sup>(٢)</sup> العجلي .

يوم طخفة<sup>(٣)</sup> وهو أيضاً يوم « ذات كهف » ويوم « خزاز » في قول بعضهم لبني يربوع والبراجم على المنذر بن ماء<sup>(٤)</sup> السماء ، أسروا فيه أخاه حسان ، وابنه قابوس ، وجزّت ناصية قابوس ، وكان ذلك بسبب إزالة الرذافة عن عوف بن عتاب الرياحي

(١) الصمد - بفتح فسكون - أصله الصلب من الأرض .

(٢) الذي في ياقوت « أبجر بن جابر العجلي » .

(٣) طخفة - بكسر الطاء ويروى بفتحها مع سكون الحاء - موضع بعد النجاج وبعد إمرة ، في طريق البصرة إلى مكة ، وقال الأصمعي : جبل أحمر طويل حذاء بئر ومنهل .

(٤) في ياقوت « على قابوس بن المنذر بن ماء السماء » .

يوم المروت «<sup>(١)</sup>» : وهو يوم « إرم الكلبة » نقًا قريب من النجاج ،  
لبني حنظلة و بنى عمرو بن تميم ، على بنى قُشَيْر بن كعب بن ربيعة بن عامر بن  
صعصعة ، وكان الذكر فيه لبني يربوع ، وإنما أغارت قُشَيْر على بنى العنبر فاستنقذ  
بنو يربوع أموال بنى العنبر وسببهم من بنى عامر

يوم مليحة «<sup>(٢)</sup>» : لبني شيبان على بنى يربوع ، رئيسهم <sup>(٣)</sup> بَسْطَام بن  
قيس ، وقتل ذلك اليوم عصمة بن النجار ، فلما رآه بسطام قال : ما قتل هذا  
إلا لتشكّل رجلا أمه ، فقتل به يوم العظالي قاتله الهبش بن المقعاس

يوم اللوى «<sup>(٤)</sup>» : لفزارة على هوازن ، وفيه قتل عبد الله بن الصمة ، وأنخن  
أخوه ذرَيْد

يوم الصليفاء «<sup>(٥)</sup>» : لهوازن على فزارة وعَبْس وأشَجَع ، وفيه قتل دريد  
بأخيه ذؤاب بن أسماء .

يوم الهباءة «<sup>(٥)</sup>» : وهو « يوم الجفر » لبس على ذيبان ، وفيه قتل حذيفة

(١) المروت - بفتح الليم وتشديد الراء مضمومة وبعد الواو تاء مثناة - اسم  
نهر ، وقيل : واد بالعالية كانت فيه الوقعة .

(٢) مليحة - على زنة المصغر - اسم جبل في غربي سلمي أحد جبلي طيء ، وبه  
آبار كثيرة وملح ، وقيل : مليحة موضع في بلاد تميم .

(٣) هو رئيس بنى شيبان .

(٤) كذا هو في الأصول ، وليس صحيحا ، وإنما الصحيح « الصلعاء » بالعين  
للمهلة بعد السلام . قال أبو محمد الأسود : أغار دريد بن الصمة على أشجع بالصلعاء  
وهى بين حاجر والنقرة « اه من ياقوت ، والصلفاء : يوم غير هذا .

(٥) الهباءة : هى أرض يبلاد غطفان كانت فيها الوقعة ، وجفر الهباءة :  
مستنقع فى هذه الأرض .

ابن بدر وأخوه سَحل سيدا بنى فزارة ، وكان يقال لحذيفة «رب معدة» .  
يوم «عراير»<sup>(١)</sup> : لعنّبس على كلب وذبيان ، وفيه قتل مسعود بن مصاد يوم عراير الكلبى ، وكان شريفاً .

يوم «الفروق»<sup>(٢)</sup> : بين عبس وبنى سعد بن زيد مناة ، قاتلوهم فمئمت يوم الفرق عبس أنفسهم وحرّيمها ، وخابت غارة بنى سعد ، وقيل لقيس بن زهير - ويقال عنتره - : كم كنتم يوم الفرق ؟ قال : مائة فارس كالذهب ، لم نكثر فنفسل ولم نقل فنذل .

يوم «شعب جبلة»<sup>(٣)</sup> : قال أبو عبيدة : كانت عظام أيام العرب ثلاثة : يوم كلاب ربيعة ، ويوم شعب جبلة ، ويوم ذى قار ، وكان يوم الشعب لبنى عامر ابن صعصعة وعبس حلفائهم على الحليفيين أسد وذبيان ، ورئيسهم حصن بن حذيفة يطلب عبساً بدم أبيه ، وتطلب عبس بن بغيض بدم أبيهم ، ومعهم معاوية بن الجون السكندى فى جمع من كندة ، وعلى بنى حنظلة بن مالك والر باب رئيسهم يقيط بن زُرارة يطلب بدم مَعْبَد أخيه ، ويثربى بن عدس ومعهم حسان بن الجون أخو معاوية - وقيل : بل عمرو بن الجون - وحسان بن مرة الكلبى أخوالانعمان ابن المنذر لأمه .

وقال غير أبى عبيدة : كان مع أسد وذبيان معاوية بن شرحبيل بن الحارث

(١) عراير - بضم العين المهملة الأولى وكسر الثانية - ماء لـكلب بناحية الشام .  
(٢) الفرق - بفتح الفاء - عقبة دون هجر إلى نجد بين هجر ومهب الشام .  
(٣) قال ياقوت : « جبلة - بالتحريك - اسم لعدة مواضع : منها جبلة - ويقال : شعب جبلة - الموضع الذى كانت فيه الموقعة المشهورة بين بنى عامر وتميم وعبس وذبيان وفزارة . وجبلة هذه هضبة حمراء بنجد بين الشريف - مصغرا - والشرف . والشريف : ما . لبنى نمير . والشرف : ماء لبنى كلاب .

ابن عمرو بن آكل المزَار ، ومع بنى حنظلة والرَّبَاب حسان بن عمرو بن الجون في جموع من كندة وغيرهم ، فأقبلوا إليهم بوضائع كانت تكون مع الملوك بالحيرة وغيرها ، وهم الرابطة ، وجاءت بنو تميم فيهم لقيط وحاجب وعمرو بن عمرو ، ولم يتخلف منهم إلا بنو سعد ؛ لزعمهم أن صمصعة هو ابن سعد ، ولم يتخلف من بنى عامر إلا هلال بن عامر وعامر بن ربيعة بن عامر ، وشهدت غني وباهلة وناس من بنى سعد بن بكر وقبائل بجيلة إلا قشيراً ، وشهدت بنو عيس بن رفاعة ابن بهثة بن سليم عليهم مرداس بن أبي عامر أبو العباس بن مرداس صاحب النبي صلى الله عليه وسلم ، وشهد معهم نفر من عُكَل ، فاتمى جميع أهل الشعب يومئذ ثلاثين ألفاً .

وجاء الآخرون في عدد لا يعلمه إلا الله عز وجل ، ولم يجتمع قط في الجاهلية جمع مثله ، فانهزمت تميم وذبيان وأسد وكندة ومن لَفَّ لَقَمَهُم ، وقتل لقيط بن زرارة ، طعنه شريح بن الأحوص ، فحمل مرتثاً مات بعد يوم أو يومين ، وأسر حسان بن الجون ، أسره طفيل بن مالك ، وأسر معاوية بن الحارث بن الجون ، أسره عوف بن الأحوص ، وجَزَّ ناصيته وأطلقه على الثواب ، ولقيه قيس بن زهير فقتله ، وأسر حاجب بن زرارة ، أسره ذو الرقيبة مالك بن سلمة بن قشير ، وأسر عمرو بن عمرو بن عدس ، أسره قيس بن المنتفق ، فجز ناصيته وأطلقه على الثواب ، وكان يوم جَبَلَة قبل الإسلام بسبع وخمسين سنة ، وقبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم بسبع عشرة سنة ، وفي يوم الشعب ولد عامر ابن الطَّقِيلِ ، هكذا روى محمد بن حبيب عن أبي عبيدة ، وروى عنه غيره خلاف ذلك .

يوم أقرن

يوم « أقرن » : لبي عيس على بنى تميم ، وبخاصة بنى مالك بن مالك بن حنظلة ، وفي هذا اليوم قتل عمرو بن عمرو بن عدس ، وابنه شَرِيح ، وأخوه ربي ، وكان عمرو بن عمرو خرج مراغماً للنعمان بن المنذر ، فسبي سبياً من

عبس ، وغنم مالا ، وابنتي بجارية من السبي ، فأدركنه عبس فسكان من أمره ما كان .

يوم زبالة

يوم « زُبَالَة » <sup>(١)</sup> : لبني بكر بن وائل ، وبخاصة بني شيبان وبني تميم الله ، رئيسهم بسطام ، على بني تميم ورئيسهم الأفرع بن حابس ، أسرفيه الأفرع وأخوه فراس ، واستنقذها بسطام بعد أن حكم عليه عمران بن مرة بمائة ناقة .

يوم جدود

يوم « جَدُود » <sup>(٢)</sup> : لبني سعد بن زيد مناة على بني شيبان ، وكانت بنو شيبان أغارت مع الحوفزان على سعد ، فأدركهم قيس بن عاصم المنقري فقتلهم واستنقذ ما كان في أيديهم ، وفاته الحوفزان لصلابة فرسه ، فلما يئس من أسره حفزه بالرمح في خزانة وركه فانتقضت عليه بعد حول فأت منها ، وسالت في هذا اليوم بنو يربوع الجيش على تمر أخذوه منهم وفضل ثياب ، فغيرتهم بذلك منقر .

يوم الكلاب  
الأول

يوم « الكلاب الأول » لسلمة بن الحارث بن عمرو لأقصور ، ومعه بنو تغلب والهر بن قاسط وسعد بن زيد مناة والصنائع ، على أخيه شرحبيل

(١) زبالة - بضم الزاي - قال ياقوت : « منزل معروف بطريق مكة من الكوفة ، وهي قرية عامرة بها أسواق بين واقصة والثعلبية ، وقال أبو عبيد السكوني : زبالة بعد القاع من الكوفة ، وقبل الشقوق ، فيها حصن وجامع لبني عاضرة من بني أسد . ويوم زبالة من أيام العرب ، قالوا : سميت زبالة بزبلها الماء أي بضبطها له ، وقال ابن السكبي : سميت زبالة باسم زبالة بنت مسعر امرأة من العمالة نزلها » اهـ .

(٢) جدود - بفتح الجيم - اسم موضع في أرض بني تميم قريب من حزن بني يربوع على سميت اليهامة . . . وكانت فيه وقتان مشهورتان عظيمتان من أعرف أيام العرب اهـ من ياقوت .

ابن الحارث بن عمرو ومعه بكر بن وائل بن حنظلة بن مالك وبنو أسد وطوائف من بني عمرو بن تميم بالرباب ، ولم يكونوا ذلك الوقت يدعون رباباً ، وإنما تَزَبُّوا بعد ذلك ، حكاه أبو عبيدة ، فُقُتِلَ شرحبيل : قتله أبو حنش عاصم ابن النعمان الجُشَمِي ، ويقال : بل قتله ذو النثية حبيب بن عتبة الجشمي ، وكانت له سن زائدة ، وهو أخو أبي حنَشٍ لأمه ، وهي سلمى بنت عدى بن ربيعة أخي مهمل ، هكذا أثبتوا في هذا الموضع أن عديا أخو مهمل ، ويسمى الكلاب الأول أيضاً .

يوم الشعبة (١) [ وهو ] يوم « الكلاب الثاني » لبني تميم وبني سعد والرباب رئيسهم قيس بن عاصم ، على قبائل مذحج في نحو اثني عشر ألفاً رئيسهم زيد بن المأمور ؛ وهو مذحج وهذان وكندة ، وفي هذا اليوم أسر عبد يَفُوثَ بن وقاص الحارثي وهُتَمَ فم سمي بن سنان ، بعد أن أسر رئيس كندة : هَتَمَه قيس بن عاصم بقوسه ، وانتزع عبد يَفُوثَ من يدي الأهتم بعد أن شرط للأسور لموصله إليه مائة ناقة من الإبل ، انتزعه التميم فقتلوه برئيسهم النعمان بن جساس ، وكان قد قتل ذلك اليوم ، وسمى الكلاب الثاني أيضاً .

يوم الشعبة  
( الكلاب  
الثاني )

يوم « حر الدوابر » قال أبو عبيدة : لم يشهد من تميم إلا الرباب وسعد حر الدوابر خاصة ، وكان الفناء من الرباب لتيمة ، ومن سعد لمقاعس يوم « ذى بيض » أغار الحوفزان على بني يربوع فسبى نسوة منهم ، فأصرختهم بنو مالك بن حنظلة ، واستنقذوا النسوة ، وأسروا الحوفزان : أسره حنظلة بن بشر بن عمرو ، وزعم قوم أن هذا اليوم يوم « الصمد » .

يوم  
ذى بيض

(١) شعبية - بضم ففتح - واد أعلاه من أرض كلاب ، ويصب في سد قناة ، وهو واد

يوم  
عاقل

يوم « عاقل » : لبني حنظلة على هوازن ، وفيه أسر الصمة بن الحارث ابن جشم ، وهزم جيشه ، وكان الذي أسره الجعد بن الشماخ أحد بني عدى ابن مالك بن حنظلة ، ثم أطلقه بعد سنة ، وجز ناصيته على أن يثيبه ، فأتاه على الثواب ف ضرب الصمة عنقه ، ثم غزا بني حنظلة ثانية فأسره الحارث ابن نبيه الجاشعي ، وأسر رجل من بني أسد - وكان نزيبا لعند ابن أخت له في بني يربوع - ابناً للصمة ، فافتدى الصمة نفسه ، ومضى مع ابن نبيه في فداء ابنه إلى الأسدي النازل في بني يربوع ، فطعنه أبو مرحب بالسيف فقتله ؛ لشيء كان بينهما عند حرب بن أمية ، فبنو مجاشع تمير بذلك .

يوم  
عينين

يوم « عَيْنَيْنِ <sup>(١)</sup> » : لبني نهشل على عبد القيس ، منعوا فيه بني منقر وقد خرجوا مُمْتَارِينَ من البحرين ، فعرضت لهم عبد القيس ، واستغاثوا ببني نهشل فحموهم واستنقدهم .

يوم  
قلبي

يوم « قَلْبِي <sup>(٢)</sup> » : منعت بنو ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن عبيس الماء وغلبتهم عليه بعد إصلاح فزارة ومرة ، حتى أخذوا دية عبد العزى بن حذار ومالك بن سبيع .

يوم  
بزاخة

يوم « بَزَاخَةَ » : لبني ضبة على محرّق الغساني وأخيه فارس مودود ، أغاروا

(١) عينين ، هذا هو صوابه على صورة مثني العين ، ووقع في الاصول خطأ « عينين » قال أبو عبيدة : عينان بهجر ، وكان بها بين بني منقر وعبد القيس وقعة وفيها يقول الفرزدق :

ونحن كففنا الحرب يوم ضرية ونحن منعنا يوم عينين منقرا

(٢) قلبي - بفتح القاف والسلام جميعا فيما ذكر سيويوه ، وذكر غيره أن

السلام ساكنة - وفيه وفي هذا اليوم يقول معقل بن عوف الثعلبي :

تظل دماؤهم ، والفضل فينا ، على قلبي ونحكهم ما تريد

على بنى ضبة ببزاخة في طوائف من العرب من إياد وتغلب وغيرها ، فأدركتهم بنو ضبة ، فأمرَ زيد الفوارس مُحَرِّقًا ، وأمر أخاه حنش بن الدلف ثم قتلاهما بعد أن هزمَ مَنْ كانَ معهما ، وقتل معهما عدة .

يوم إضم

يوم « إضم » : لبني عائذة بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة على الحارث ابن مُزَيْقِيَا المَلِكِ العَسَّائِي ، وهو عمرو بن عامر ، وفيهم كان ملك عسان بالشام في آل جَفْنَةَ ... علثة بن عمرو بن عامر قتل بني عائذة قتلا ذريعًا ، وفي ذلك اليوم قتل الرديم ، وحمل رجل من بني عائذة بن قيس يدعى عامر بن ضامر فقال : والله لأطعنن طعنة كمنخر الثور النعر ، ثم قصد ابن مُزَيْقِيَا فطعنه فقتله وانهمزم أصحابه هزيمة فاحشة ، وزعم قوم أن هذا اليوم هو يوم « بزاخة » .

وقال آخرون : بل كانت الواقعة مع عبد الحارث من ولد مزيقيا ، وزعم غيرهم أيضا أنها مع مزيقيا نفسه لا مع ولده ، والله أعلم .

يوم نقا الحسن

يوم « نقا الحسن <sup>(١)</sup> » : الحسن شجر ، سمي بذلك لحسنه ، وقيل : هو جبل ، وهذا اليوم لبني ثعلبة بن سعد بن ضبة على بكر بن وائل ، وفيه قتل بسطام بن قيس : قتله عاصم بن خليفة أخو بني صباح ، وكان رجلا أعسرَ فأصاب صدَّغَه الأيسر حتى نجم السنان من الصدغ الأيمن .

يوم أعيار

يوم « أعيار » : وهو أيضًا يوم « النقيعة » لبني ضبة على بنى عَبَس ، وفيه قتل عمارة الوهاب : قتله شرحاف بن المثلم بابن عم له يدعى مفضالا كان عمارة قد قتله وانطوى خبره ، ثم سمع شرحاف ذكره على شراب ، وكان حينئذ غلاما ، فحين شَبَّ أخذ بتأر ابن عمه يوم النقيعة ، واستنقذت بنو ضبة إبلها من عبس ، وقد كانوا أدركوهم في البراعى .

(١) في العقد الفريد (ج ٣ ص ٩٠) « بلقاء الحسن » .



يوم رحرحان الأول دارم بنى عامر بن صعصعة ، وعلى بنى عامر قريظ بن عبيد بن أبي بكر ، وقتل يثربي .

يوم رحرحان الثاني دارم ، وفى ذلك اليوم أسر معبد بن زُرارة : أسره عامر بن مالك وأخوه طفيل وشاركهما فى أسره رجل من غنى يقال له : أبو عميرة عصمة بن وهب وكان أخا طفيل من الرضاعة ، وفى أسره مات معبد ، شذوا عليه القيد وبعثوا به إلى الطائف خوفا من بنى تميم أن يستنقذوه ، كان هذا كله بسبب قتل الحارث بن ظالم المرى من مرة بن سعد بن ذبيان خالد بن جعفر غدرأ عند الأسود بن المذر — وقيل : عند النعمان — والتجأه إلى زرارة بن عدس ، فلما انقضت وقعة رَحْرَحَانَ جمع لَقِيظ بن زُرارة ابنى عامر وأبّ عليهم ، وكان بين يوم رحرحان وغزوة جَبَلَة سنة واحدة

يوم ضرية : اختلفت سعد والرباب على بنى حنظلة ، وكان بنو عمرو ابن تميم حالفوا بكر بن وائل ، فضاقت حنظلة بسعد والرباب ، فساروا إلى عمرو ابن تميم فردوهم وحالفوهم ، ثم جمعوا لسعد والرباب ورئيسهم يومئذ ناجية بن عقال ، ورئيس سعد والرباب قيس بن عاصم ، فقال ابن خفاف لسعد والرباب : مَنْ لعيالكم عمرو وحنظلة إن قتاتم مقاتلتهم ؟ قالوا : نحن ، قال : فمن لعيالكم إن قتلوا مقاتلتكم ؟ قالوا : هم ، قال : فدعوهم لعيالهم وليدعوكم لعيالكم ، وتكلم الأهم بمثل ذلك ورجال من أشرف سعد ، وساروا إلى عمرو وحنظلة إلى النصار من حمى ضرية ، فأجابهم ناجية بن عقال والقعقاع بن معبد بن زرارة وسنان بن علقمة بن زرارة إلى الصلح ، وأبى ذلك مالك بن نُؤيرة

يوم النِّسَار : وذلك أن عامر بن صعصعة ومن معهم من هوازن

انتجسوا بلاد سعد والرباب ، وهم يمتون إليهم برحم ؛ لأنهم يزعمون أن  
صمصعة أبا عامر هو ولد سعد بن زيد مناة بن تميم .

وقال آخرون : إنما غضبوا على سعد لما أنهب المعزى بعكاظ ، فلحق بيني أمه  
ولد معاوية بن بكر وهوازن ، وكان سعد قد فارقه بعد أن ولدت له صمصعة  
وتزوجها معاوية بن بكر فضمن سعد والرباب الأهم ، واسمه سنان بن سمي بن  
سنان ، وقيل : سمي بن سنان ، وضمن هوازن مرة بن هبيرة ، فسرق خيل لدى  
الرقبية ، ثم اعترفت بعد ذلك بيسير عند الحنيف بن المنتجب ، اعترف بها بعض  
القشيريين ، فضربه القشيري على ساعده ، وضربه الحنيف فقتله ، فأرادت  
هوازن التوّد من الرباب ، فطلبهم بذلك ضامن سعد ، فأبت الرباب إلا البدية ،  
ففارقتهم سعد ، وضافرت هوازن ، فاستمدت بنو ضبية أسداً وطيثاً والتقوا بالنسار ،  
فعبأت أسد لسعد والرباب لهوازن ، فانهزمت هوازن وسعد ، وكان حامى أدبار  
بنى عامر يومئذ قدامة بن عبد الله القشيري ، فرماه ربيعة بن أبي - وكان أرمي  
الناس - فقتله ، فلما رأت ذلك بنو عامر منه وسائر هوازن سألوا أن يؤخذ منهم  
شطور أموالهم وسلاحهم ، وقبل ذلك منهم ، وهذا يوم «المشاطرة» ويوم «النسار»  
وهو من مذكورات أيام العرب في الجاهلية ، وبنو ضبية تزعم أن هذا اليوم قبل  
يوم جبلة ، وأبو عبيدة لا يشك أنه بعده .

يوم الصرائم يوم «الصرائم»<sup>(١)</sup> وهو أيضاً يوم «الجرف» لبني رياح بن يربوع  
على بني عيس ، وفي هذا اليوم أسر الحكم بن مروان بن زنباع العبسي ، أبهره

(١) قال ياقوت : الصرائم : موضع كانت فيه وقعة بين تميم وعبس ، قال شميم

ابن زنباع :

وسائل بنا عيسا إذا ما لقيتها على أي حى بالصرائم دلت  
قتلنا بها صبورا شريحا وجابرا وقد نهلت منا الرماح وعلت

أسيد بن حياة السليطي ، وأسر بنو حمري بن رياح زنباعاً وفروة ابني مروان ابن زنباع ، واستنقذوا جميع ما أصابته عبس لربيعة بن مالك بن حنظلة وأسرفوا ذلك اليوم في قتل بني عبس

يوم « الغبيط »<sup>(١)</sup> : ابني يربوع على بني شيبان ، وكان الشيبانيون قد غزوهم متساندين على ثلاثة ألوية : الحوفزان بن شريك ، والأسود أخوه ، وبسطام بن قيس ، وفي هذا اليوم أسر الأسود بن الحوفزان وزيد بن الأسود ابن شريك ، وحمل بسطام آخر القوم حتى حسبوه قتل وأسر ، ورثاه بعضهم بمراثٍ عِدَّة ، وزعم سعد عن أبي عبيدة أن يوم الغبيط هو يوم « الأياد » ويوم « العظالي » سمي بذلك لأن بسطام بن قيس وهانيء بن قبيصة ومقرون ابن عمرو والحوفزان بن شريك تعاضلوا على الرياسة .

وقال مرة أخرى : لم يشهد الحوفزان يوم العظالي ، قال : وهو أيضاً يوم « الإفاقة » ويوم « أعشاش » ، ويوم « مليحة » .

يوم « ذى نَجَب »<sup>(٢)</sup> لبني يربوع على بني عامر ، وفيه قتل حسان بن يوم ذى نَجَب معاوية بن آكل المرار الملك ، قتله حشيش بن نمران من بني رياح بن يربوع ، وقيل : بل هو عمرو بن معاوية - أعني المقتول - وأما حسان فأمر ، أسره

(١) قال ياقوت : غبيط الفردوس : في ديار بني يربوع ، وفيه يوم لبني يربوع دون مجاشع ، وفيه يقول جرير :

ولا شهدت يوم الغبيط مجاشع ولا نفلان الحيل من قلتي نسر

(٢) قال ياقوت : نَجَب - بفتح أوله وثانيه - موضع كانت فيه وقعة لبني تميم على بني عامر بن صعصعة . . . وفيه يقول سحيم بن وثيل الرياحي :

ونحن ضربنا هامة ابن خويلد يزيد ، وضرنا عبيدة بالدم

بذى نَجَب إذ نحن دون حريمنا على كل جيش الأحارى مرجم

دريد بن اللندري ، وكانت بنو عامر أتت به تغزو بني حنظلة بن مالك بعد يوم  
جيلة بعام ، ففتح لهم بنو مالك بن عمرو بن عمرو بن عدس ، وتركوا في صدورهم  
بني يربوع ، فهزمت بنو عامر هزيمة عظيمة ، وأسر يومئذ يزيد بن الصعق ،  
وقتل بنو نَهْشَل خليف بن عبيد الله النميري ، وأسر يزيد بن ثعلبة المصان ،  
وهو عامر بن كعب بن أبي بكر بن كلاب ، وقتل خالد بن ربيعي النهشلي عمرو  
ابن الأحوص ، وكان رئيس بني عامر يومئذ .

يوم خزازي <sup>(١)</sup> : ويقال : « خزاز » واختلف فيه : فقال قوم : كان  
رئيس نزار فيه كليب بن ربيعة . وقال آخرون : رئيسهم زرار بن عدس ، وقال  
آخرون : بل ربيعة بن الأحوص ، وقد أنكر أبو عمرو بن العلاء جميع ذلك والذي ثبت  
عنده أنه قال : هو يوم نزار على ملك من ملوك اليمن قديم لا يعرف من هو منهم ،  
وأما ربيعة فيقول : لا شك أنه يوم « خزاز » لكليب بن ربيعة على مذحج  
وغيرهم من اليمن ، وكان بعقب يوم الشلان ، فجمع كليب جموع ربيعة ، فاقتلوا ،  
فانهزمت مذحج والذين معهم من اليمن .

يوم ملزق <sup>(١)</sup> « ملزق » وهو أيضاً يوم « الشوبان » كان لبني تميم على عبس

(١) قال ياقوت : ويوم خزاز كان بعقب السلان . وخزاز وكبير ومتالع :  
أجبال ثلاثة بطخفة ، ما بين البصرة إلى مكة : فتتالع عن يمين الطريق للذهاب  
إلى مكة ، وكبير عن شماله ، وخزاز بنحر الطريق ، إلا أنها لا يمر الناس  
عليها ثلاثها .

(٢) ملزق - الأكترون على كسر اليم وفتح الزاي وآخره قاف ، وفيه يقول  
أوس بن مضاء :

ونحن بملزق يوما أبرنا فوارس عامر لما لقونا

وعامر بعد أن قاتلث تميم جميع مَنْ أتى بلادها من القبائل ، وهم إياد ، وبلحارث بن كعب ، وکلب ، وطيء ، وبكر ، وتغلب ، وأسد ، كانوا يأتونهم حياً حياً فقتلهم تميم وتنفيهم عن البلد ، وآخر من أتاها بنو عبس وبنو عامر .

يوم « الوندة » وهي بالدهناء ، أغارت بنو هلال على نَعَمِ بنى نَهْشَل . يوم الوندة فأزلتهم بنو نهشل بالوندة - وهي بالدهناء - فما أفلت من بنى هلال إلا رجل واحد يقال له : فراس طواف ؛ وقيل أواب .

يوم « فيف »<sup>(١)</sup> الريح ، ورأيته بخط البصرى « فيفا » مقصوراً في يوم فيف الريح مواضع من كتاب نوادر أبي زياد الكلابي .

وأُشْد أبو زياد لعامر بن الطفيل :

وبالقيفاً من اليمين استنارت قبائل كان ألبيهم فخاروا

الفيفا : جبل طويل من جبال خثعم يقال له : فيفا الريح ، وكان الصبر فيه والشرف لبني عامر ، وقد اجتمعت كلها إلى عامر بن الطفيل على قبائل مَذْحِج ، وقد غزتهم مذحج في عدد عظيم من بنى الحارث بن كلب وج في وزبيد وقبائل سعد العشيرة ومراد وصدى ونهد ، ورئيسهم الحصين بن يزيد الحارثي ، واستغاثوا بختعم ، فجاءت شهران وناهس وأكلب عليهم أنس بن مدرك ، وأسرع القتل في الفريقين ، فافترقوا ، ولم تضم طائفة منهم طائفة ،

(١) فيف الريح - بفتح الفاء وسكون الياء - بأعلى نجد . قال ياقوت : وهو يوم من أيامهم ، قُتِلت فيه عين عامر بن الطفيل ، فقأها مسهر الحارثي بالرمح ، وفيه يقول عامر :

لعمرى ، وما عمري على بهين ، لقد شان حر الوجه طعمة مسهر

وفي هذا اليوم أصيبت عين عامر ، وزعم عبد الكريم وغيره أن يوم فيفا الرياح هو يوم « طلع »

يوم ذى بهدى يوم « ذى <sup>(١)</sup> بهدى » : لبني يربوع على تغلب ، أسروا فيه الهذيل ، قال جرير للأخطل يعيره بذلك :

هل تعرفون بنى بهدى فوارسنا يوم الهذيل بأيدى القوم مقتسر

يوم البشر يوم « البشر <sup>(٢)</sup> » لبني كلاب على الأرقام ، ورئيس قيس يومئذ الجحاف ابن حكيم الكلابي ، وكان سبب ذلك تعيير الأخطل إياه

يوم الرغام يوم « الرغام » لبني تغلب بن يربوع ، ورئيسهم عتيبة بن الحارث بن شهاب ، أغار فيه على بني كلاب فأطرد إبلهم ، وقتل يومئذ أخوه حنظلة ، قتله الحوثره ، وأسر الحوثره ذلك اليوم ، فدفع إلى عتيبة فقتله صبواً بأخيه ، وانهمز الكلابيون بعد أن أسرع فيهم القتل والأسر

(١) قال ياقوت : بهدى بوزن سكرى ، ويقال ذو بهدى : قرية ذات نخل بالجماعة ، وقيل : هما موضعان متقاربان ، ويوم ذى بهدى من أيامهم . قال ظالم بن البراء الفقيمي :

ونحن غداة يوم ذوات بهدى لدى الودعات إذ غشيت تميم  
ضربنا الخيل بالأبطال حق تولت وهي شاملها الكلوم  
بضرب يلحق الضبعان منه طروقتة ويلجئه الأروم

(٢) البشر - بكسر فسكون - اسم جبل يمتد إلى الفرات من أرض الشام ، وكانت بنو تغلب قد قتلت عمير بن الحباب السلمي ، فاتفق أن قدم الأخطل على عبد الملك بن مروان والجحاف بن حكيم جالس عنده ، فقال الأخطل :

ألسائل الجحاف هل هو نائر بقتلى أصيبت من سليم وعامر

فخرج الجحاف مغضبا يجر مطرفه ، فكانت الواقعة بسبب ذلك . انظر ياقوت .

يوم «المراميت»<sup>(١)</sup> للضبباب ، وهم معاوية بن كلاب ، على إخوته بنى جعفر يوم المراميت ابن كلاب ، وكان هذا اليوم في زمن عبد الملك بن مروان ، وكذلك يوم البشر

يوم «الوقية» كان في فتنة عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وهو يوم الوقية للهازم ، رئيسهم أنجر بن بُجَيْر ، على بنى مالك بن حَنْظَلَة ، فأما بنو عمرو بن تميم فأنذرهم ناشب بن بشامة العنبري ، فدخلوا الدهناء فنجوا ، وفي هذا اليوم أسر ضرار بن القمقاع بن معبد ، أسره القزير الشيباني ورجل من تميم اللات ، فجزت تميم اللات ناصيته ، وخطته تحت الليل مضارة للفرز ، ويسمى أيضا هذا اليوم يوم «الحنو»

يوم «جزع طلال» لفرزاة ورئيسهم عيينة بن حصن بن حذيفة بن يوم جزع طلال بدر ، على التميم وعكلى وثور أطحل بنى عبد مائة ، وأخذ يومئذ شريك ابن مالك بن حذيفة من التميم وعكلى أربعين امرأة ثم أطلقهن ، وأخذ خارجة ابن حصن نفرا من التميم فأطاقهم بغير فداء ، ثم أغارت فرزاة بعد ذلك عليهم ورئيسهم عيينة ، فقتلوا التميم قتلا ذريعا وأخذوا منهم مائة امرأة قسمهن عيينة في بدر ، وجعلهن مع أزواجهن الأسارى ينقلن الخرى هونا لهم ، ثم أطلق الجميع بعد ذلك بغير فداء ، وأغارت عليهم بعد ذلك بنو غيظ بن مرة ، ورئيسهم زيد ابن شيبان بن أبى حارثة ، فقتلوا التميم وعديا وسبوا سبييا كثيرا لم يردوا منه شيئا ، فنعى هذا كله عليهم جرير

يوم «أوارة» الأول : لتغلب والنمر بن قاسط مع المنذر بن ماء السماء ، يوم أوارة الأول

(١) قال ياقوت : هراميت آبار مجتمعة بناحية الدهناء ، كان بها يوم بين الضباب وجعفر ، زعموا أن لقمان بن عاد احتضرها ، وقال أبو أحمد : وكان القتال بسبب بئر أراد أحد أن يحتضرها .

على بكر بن وائل مع سلمة بن الحارث ، واسم سلمة معدى كرب ، وهو أيضاً الملقب ، بعد قتل أخيه شرحبيل ، والذي قتل سلمة الضفراء بن عمرو بن كلثوم ، عرفه حمل عليه حتى قنمه السيف ، وكان سبب هزيمة بكر بن وائل ، وحلف المنذر يومئذ ليقتلن بكراً على رأس أواره حتى يلحق الدم بالحضيض ، فشفع لهم مالك بن كعب العجلي ، وقال للمنذر : أنا أخرجك من يمينك ، فصب الماء على الدم فلحق الأرض ، وبر يمين المنذر ، فكف عن القتل ، وكان مالك هذا رضيع المنذر

يوم « أوراة » الأخير : كان لعمرو بن هند على بني دارم ، وذلك أن ابنا له كان مسترضعاً عند زرارة بن عدس اسمه أسعد ، وكان قد تبنتاه فعبث بناقاة لأحد بني دارم يقال له سويد ، فخرق ضرعها ، فشد عليه فقتله ، وأتى الخبر زرارة ، وهو عند عمرو ، وكان كالوزير له ، فلحق بقومه وأدركه الموت على عقب ذلك ، فغزا عمرو بن دارم ، وحلف ليقتلن منهم مائة ، فقتل منهم تسعة وتسعين ، وأتم المائة برجل من البراجيم ، وفي حكاية أخرى أنه أحرقتهم ، وبذلك تشهد مقصورة ابن دريد وشعر الطرماح ، وزعم أبو عبيدة أن من زعم أنه أحرقتهم فقد أخطأ ، وذُكر [ له ] شعر الطرماح ، فقال : لاعلم له بهذا ، واستشهد بقول جرير :

يوم أوراة  
الأخير

أين الذين بسيف عمرو قتلوا أم أين أسعد فيكم المسترضع

يوم « زرود » الأول : لشيبان مع الحوفزان ، على بنى عيس ، وأنحن ذلك اليوم عمارة الوهاب جراحاً ، غير أنه سلم فلم يمت منها

يوم زرود  
الأول

يوم « زرود » الآخر : أغار حزيمة بن طارق التغلبي على بنى يربوع ، فاستاق النعم ، فأدركوه ، فأسرهم أسيد بن حناء السليطي وأنيف بن جبلة الضبي وكان ثقيلا في بنى يربوع ، وردوا الغنيمة من أيدي التغلبيين

يوم زرود  
الآخر



- يوم «تثليث» غزت سُليم مع العباس بن مرداس مرادا ، فجمع لهم عمرو بن معدى كرب ، فالتقوا بتثليث ، فصبر الفريقان ولم تظفر طائفة منهم بالأخرى ، وفي ذلك اليوم صنع العباس قصيدته السينية ، وهي إحدى المنصفات .
- يوم «ذى علق» كان بين بني عامر وبني أسد ، وفي هذا اليوم قتل ربيعة أبو ليبيد .
- يوم العذيب : كان لبني سعد بن زيد مناة وعنزة ، على مذبح وحير ، وكان رأس اليمين الأصهب الجعفي ، بعث إليه النعمان ينكر عليه بلوغ سعد وعنزة العذيب ، فخذ لهم ولقيهم ، فقتلوه ، قتله الآخر بن جندل ، واهزمت اليمانية هزيمة شديدة ، وأخذ منهم مال كثير وسي
- يوم «الصفقة» : وهو أيضاً يوم «المشقر» كان على بني تميم بسبب غير كسرى التي كان يُجيزها هوزة بن علي السحيمي ، فلما سارت ببلاد بني حنظلة اقتطعوها برأى صمصمة بن ناجية جد الفرزدق ، فكتب كسرى إلى المكعبير عامله على هجر فاغتالهم ، وأرام أنه يعرضهم للمطاء ويصطنعهم ، فكان أحدهم يدخل من باب المشقر فينزع سلاحه ويخرج من الباب الآخر فيقتل ، إلى أن قطنوا ، وأصقق الباب على من حصل منهم ؛ فلذلك سميت الصفقة ، وشفع هوزة في مائة من أسارهم فتركوا له ، فكساهم وأطلقهم يوم الفصح وكان نصرانيا .
- يوم «ذى قار» : كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يوم ذى قار لبني بكر بن وائل وقادمة بني شيبان وبعدهم بنو عجل ، على الأعاجم جنود كسرى ومن معهم من العرب رئيسهم إيانس بن قبيصة الطائي ، وكان مكان النعمان بن النذر بعد قتل كسرى إياه ، وتحت يديه طيء وإياد وبهراء وقضاة

والعباد وتغلب والنمر بن قاسط ، قد رأس عليهم النعمان بن زرعة — أعنى النمر وتغلب — وكان سبب يوم « ذى قار » طلب كسرى تركة النعمان ابن للنذر، وكان النعمان قد تركها وترك ابنا له وبنتا عند هانيء بن قبيصة بن هانيء بن مسعود الشيباني ، ففجع رسول كسرى من الوصول إلى ما طلبه ؛ وكتب كسرى إلى قيس بن مسعود بن قيس بن خالد ، وكان عاملا له على الطف ، بأن يعين إياسا ، فأفخذ إلى قومه ليلا ، وحرّضهم على القتال ، وتواطأت العرب على المعجم ، فطارت إياد عن المعجم حين تشاجرت الرياح كأنهم مهزمون ، وقتل الهامرز بن خلا بزر عامل كسرى ، وأسر النعمان ابن زرعة التغلبي ، وبسبب ما صنع قيس بن مسعود استدرجه كسرى حتى أتاه قتلته .

يوم « الفجار » الأول : كان بين كنانة بن خزيمه وبين عجز هوازن ، بسوق عكاظ أول يوم من ذى القعدة ، وبذلك سمي فجارا ؛ لأنهم فجروا في الشهر الحرام ، وكان سبب ذلك أن بدر بن معسر الكناني كان يستطيل على من ورد عكاظ فيمد رجله ويقول : أنا أعز العرب ؛ فن كان أعز منها فليضربها بالسيف فضربها الأجر بن هوازن من بني نصر بن معاوية ، وكان بين القبيلتين تشاجر دون أن يقع بينهما دماء ، وليس هذا الفجار عند ابن قتيبة ، وقد ذكره أبو عبيدة .

يوم الفجار  
الأول

يوم « الفجار » الثاني : كان بسبب فتیان من غزيرة قريش وكنانة رأوا امرأة وضيئة من بني عامر بن صعصعة بسوق عكاظ ، فسألوها أن تُسفر لهم ، فأبت ، فحلّ أحدهم ذيلها إلى ظهر درعها بشوكة ، فلما قامت انكشفت ، فقالوا : منعتنا رؤية وجهك وأرئتنا درك !! فصاحت : يال عامر

يوم الفجار  
الثاني

قتها بجوا ، وجرت بين الفريقين دماء يسيرة ، حملها الحارث بن أمية ، وليس هذا الفجار أيضا عند ابن قتيبة ، وقد ذكره أبو عبيدة .

يوم  
الفجار  
الثالث

يوم « الفجار » الثالث : كان بسبب دَيْنٍ كان لأحد بني نصر على أحد [ بنى ] كنانة ، فأتى النصرى بقرذ فقال : من يبيعنى مثل هذا بمالى على فلان ؟ فر أحد بنى كنانة فقتل القرذ ، فتصايح التريقان ، ثم سكنوا ، وكان هذا سبب الأمر العظيم من قتل البرأض الكنانى عُرْوَةَ الرَّحْمَالِ بن عيينة بن جعفر بن كلاب واتبعت هوازن قريشا ، وكانوا قد أدر كورهم بنخلة ، حتى دخلوا الحرم ، وجنهم الليل ، ثم ألتقوا بعد حول فكانت الوقعة أيضا عليهم ، وهو يوم « شمطة » ثم التقوا أيضا بعد حول ، فكانت الكرة على هوازن وفى ذلك اليوم سموا بنى أمية العنابس لما فعل حرب وأبو حرب وسفيان وأبو سفيان من تقييدهم أنفسهم حتى يظفروا أو يُقتلوا ، هذ رواية أنى عبيدة ، وأما ابن قتيبة فجعل ماجرى بين النصرى والكنانى هو الفجار الأول ، وقال فى آخره : ولم يكن بينهم قتال ، إنما كان ذلك القتال فى الفجار الثانى ، وجعل سبب الفجار الثانى أن عيينة بن حصن ابن حذيفة أتى سوق عكاظ فرأى الناس يتبايعون ، فقال : أرى هؤلاء مجتمعين بلا عهد ولا عقد ، ولئن بقيت إلى قابل ليعلمن ، فغزاهم من قابل ، وأغار عليهم ، قال : فهذا الفجار الثانى ، والحرب فيه بين كنانة وقيس ، والدائرة على قيس عيلان

يوم  
الجفار  
يوم  
الصريف

يوم « الجفار » : للأحاليق فى ضبة وإخوتها الرباب وأسد وطى . ، على بنى تميم ، واستحر القتل يومئذ فى بنى عمرو بن تميم فقتلوا قتلا ذريعا .  
يوم « الصريف » : كانت هذه الوقعة فى أيام الرشيد ، وهى لبني ضبة على بنى حنظلة ، وفى ذلك يقول شاعرهم ، وأظنه من ولد جرير :

صَبَّرْتُ كَلْبَيْبُ اللَّطْعَانَ وَمَالِكُ  
يَوْمَ الصَّرِيفِ وَفَرَّتِ الْأَحْمَالُ

و « الأحمال » : بطون من بنى حنظلة .

وقد أوفيت بما عقدت به في صدر هذا الكتاب من إثبات ما انتهى إلى من أيام العرب ، مجتهداً في اختصارها ، بريثاً مما وقع فيها من الاختلاف ، وإنما عهدة ذلك على الرواة .

وسأذكر من مفاخر بني شيبان لمعاً أختم بها هذا الباب كما بدأت به ؛ لأنني لو قصّيت ذلك لأفريت العمر دون تقضى الجزء الذي لا يتجزأ منه قلة ، لكنني ذهبت فيهم وفي سيدهم أبي الحسن مذهب أبي الطيب في إخوتهم بني تغلب وفي سيدهم علي بن حمدان حيث يقول :

ليتَ اللدائح تستوفي مدائحهُ فما كليب وأهل الأعصرِ الأول  
حُذِّ ما تراه ودَعِّ شَيْثاً سمعتَ به في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحلِّ

قال أبو عبيدة : قدم على النعمان بن المنذر وفود ربيعة ومضر بن نزار ، وكان فيمن قدم عليه من وفود ربيعة بسطام بن قيس والحوفزان بن شريك البكريان ، وفيمن قدم عليه من وفد مصر من قيس عيلان عامر بن مالك وعامر بن الطفيل ، ومن تميم قيس بن عاصم والأقرع بن حابس ، فلما انتهوا إلى النعمان أكرمهم وحباهم ، وكان يتخذ للوفود عند انصرافهم مجلساً : يطعمون فيه معه ، ويشربون ، وكان إذا وضع الشراب سقى النعمان ، فن بدىء به على أثره فهو أفضل الوفد ، فلما شرب النعمان قامت القينة تنظر إلى النعمان من الذي يأمرها أن تسقيه وتفضله من الوفد ، فنظرت في وجهها ساعة ثم أطرق ثم رفع رأسه وهو يقول :

اسقى وفودك مما أنت ساقيتي فابدى بكاس ابن ذى الجدين بسطام  
أغرّ ينميهِ من شيبان ذو أنف حامى الدمارِ وعن أعراضها رامى  
قد كان قيس بن مسعودٍ ووالده تبتدا الملوك بهم أيام أياى  
فأرضوا بما فعل النعمان في مضرٍ وفي ربيعة من تعظيم أقوام  
هم الجاجم والأذنب وغيرهم فأرضوا بذلك أو بؤهوا بإرغام

مفاخر  
بني شيبان

وفود ربيعة  
عند النعمان  
ابن المنذر

قال عامر بن الطفيل :

كان التبايعُ في دهرٍ لهم سلفٌ \* وابن المرار وأملكٌ على الشام  
حتى انتهى الملك من نلم إلى ملك \* بادي السنان لمن لم يزمه رامي  
أنحى علينا بأظفار فطوّقنا \* طوّق الحمام بإتماس وإرغام  
إن يميكن الله من دهر نساء به \* نتركك وخذك تدعور هط بسطام  
فانظر إلى الصيد لم يحموك من مضر \* هل في ربيعة إن لم تدعنا حامى ؟؟  
فأجابه بسطام بن قيس فقال :

لعمرى لئن صبحت نيم وعامر \* لقد كنت يوماً في حلقهم شجبي  
أروى كسعود وقيس وخالد \* وعمرو وعبد الله ذى الباع والندي  
وكانوا على أفناء بكر بن وائل \* ريما إذا ماسال سائلهم جدى  
فسيرت على آثارهم غير تارك \* وصيتهم حتى انتهت إلى مدى

قال : وافتخر رجلان بباب معاوية بن أبي سفيان : أحدهما من بني شيبان ،  
والآخر من بني عامر بن صعصعة ، فقال العامري : أنا أعد عليك عشرة من  
بني عامر ، فعد على عشرة من بني شيبان ، فقال الشيباني : هات إذا شئت ،  
فقال (١) العامري : خذ عامر بن مالك مُلّاعب الأسنة ، والطفيل بن مالك قائد  
هوازن وفارس قرزل ، ومعاوية بن مالك معوذ الحكماء (٢) ، وربيعة بن مالك فارس  
ذى علق ، ونحامر بن الطفيل ، وعلقمة بن عُلائة ، وعتبة بن سنان ، ويزيد بن  
الصمق ، وأريد بن قيس ، وهو أربد الختوف ، فقال الشيباني : خذ قيس بن  
مسعود رهينة بكر بن وائل ، وبسطام بن قيس سيد فتيان ربيعة ، والحوفزان  
ابن شريك فارس بكر بن وائل ، وهانيء بن قبيصة أمين النعمان بن المنذر ،

مفاخرة  
عند معاوية  
بين عامري  
وشيباني

(١) لم يذكر العامري عشرة فيما ذكر المؤلف ، وإعماهم تسعة .

(٢) انظر ص ١٩٦ من هذا الجزء .

وقبيصة بن مسعود وافد المنذر ، ومفروق بن عمرو حاضن الأيتام ، وسنان بن مفروق ضامن الدمن ، والأصم عمرو بن قيس صاحب رءوس بني تميم ، وعمران ابن مرة الذي أسر يزيد بن الصعق مرتين ، وعمرو بن النعمان ، فتلاً حياً ، فخرج حاجب معاوية فصادفهما على تلك الحال ، فدخل على معاوية فأخبره بالقضية ، فدعا بهما ، فلما دخلا عليه نسبهما ، فانتسبا له ، فقال معاوية : عامر أفخر هوازن ، وشيبان أفخر بكر بن وائل ، وقد كفا كما الله المؤنة ، هذان رجلان من غير قومكما عندي يحكان بينكما : عدى بن حاتم ، وشريك بن الأعور الحارثي ، احكما بينهما ، ثم قال معاوية للشيباني : من يعبي لعامر بن مالك ؟ قال الأصم بن أبي ربيعة الذي قتل من تميم مائة رجل على دم ، فقال معاوية للرجلين : ما تقولان ؟ قال : رجح الأصم على عامر بن مالك ، قال معاوية : فن يعبي لعامر ابن الطفيل ؟ قال الشيباني : الحوفزان بن شريك ، قال الحكمان : رجح الحوفزان ، قال : فن يعبي لعقمة بن عُلَثة ؟ قال الشيباني : بسطام بن قيس ، فقال : رجح بسطام ، قال معاوية : فن يعبي لعتبة بن سنان ؟ قال الشيباني : مفروق بن عمرو ، فقال : رجح مفروق ، قال معاوية : فن يعبي للطفيل بن مالك ؟ فقال الشيباني : عمران بن مرة ، فقال : رجح عمران بن مرة ، فقال معاوية : فن يعبي لمعاوية بن مالك ؟ قال الشيباني : عوف بن النعمان ، فقال : رجح عوف بن النعمان ، قال معاوية : فن يعبي لعوف بن الأحوص ؟ قال الشيباني : قببيصة بن مسعود ، فقال : رجح قببيصة ، قال : فن يعبي لربيعة بن مالك ؟ قال : نعماني بن قببيصة ، فقال : رجح هاني بن قببيصة ، قال معاوية : فن يعبي ليزيد ابن الصعق ؟ قال : سنان بن مفروق ، فقال : رجح سنان بن مفروق ، قال : فن يعبي لأربد بن قيس ؟ قال : الأسود بن شريك ، فقال معاوية للشيباني : فأين نسيت قيس بن مسعود ؟ قال : أصاحبتك الله ! قيس ليس من هذه الثلاثة فاتهم

نسي بهما سلويلاً ، فقال الحارثي في ذلك :

أعدُّ إذا عدتُ أبا براء  
وكان الجعفرى أبو عليّ  
ووالده الذى حدّثت عنه  
وكان معودُ الحكم المبارى  
وقد أورت زنادُ أبى لبيدٍ  
وعلقمة بن أحوص كان كهفًا  
وعتبةُ والأغرُّ يزيدُ ، إى  
وعوفًا ثم أربدَ ذا المعالى  
أولئك من كلاب فى ذراها

فكان علا على الأروام فضلا  
إذا ما هاجت الميجاه علا  
طفيلٌ خيرنا بقعا وطفلا  
رياح الصيف أعلى القوم فعلا  
ربيعة يوم ذى علقى فأبلى  
كلايبا رحيب الباع ستهلا  
رأيتهما لكل الفخر أهلا  
كفى بهما عليك ندى وبذلا  
وخيزُ قروما حسبا ونبالا

فقال الشيبانى مجيباً له :

أعدُّ إذا عدتُ أباخفافٍ  
وهائتا الذى حدّثت عنه  
ومفروقاً وذا النجدات عوفاً  
وأسود كان خير بنى شريك  
أولئك من عكابة خير بكر  
وأفضل من ينص إلى المعالى  
وأكثر قومهم بالشرطوفاً ،

وعمران بن مرة والأصمى  
وكان قبيصة الأنف الأثمى  
وبسطاماً ووالده الخضمّ  
ولم يك قرنه كنبشا أجماً  
وأكرم من يليك أبا وأما  
إذا ما حصّلوا خالاً وعمّا  
وأبعد قومهم فى الخيرها

فقال معاوية للحكمين : ما تقولان ؟ قالوا : شيبان أكرم الحيين ، فقال معاوية :

وذاك قولى ، فأكرمهما وحبّأهما ، وفضل الشيبانى على العامرى .

حديث  
ذى الجدين

قال : وكان من حديث ذى الجدين أن الملك النعمان قال : لأعطين أفضل  
العرب مائة من الإبل ، فلما أصبح الناس اجتمعوا لذلك ، فلم يكن قيس بن مسعود  
فيهم ، وأراده قومه على أن ينطلق ، فقال : لئن كان يريد بها غيرى لأشهد ذلك

وإن كان يريدني بها لأعطينها ، فلما رأى النعمان اجتماع الناس قال لهم : ليس صاحبها شاهداً ، فلما كان من الغداة قال له قومه : انطلق ، فانطلق ، فدفعها إليه الملك ، فقال حاجب بن زرارة : أبيت الامن ، ما هو أحق بها مني ، فقال قيس ابن مسعود : أنافره عن أكرمنا قميدة ، وأحسننا أدب ناقة ، وأكرمنا لثيم قوم ، فبعث معهما النعمان من ينظر ذلك ، فلما انتهوا إلى بادية حاجب بن زرارة مروا على رجل من قومه ، فقال حاجب : هذا أأم قومي ، وهو فلان بن فلان ، والرجل عند حوضه ومورد إبله ، فأقبلوا إليه ، فقالوا : يا عبد الله ؛ دعنا نستقي ؛ فإننا قد هلكنا عطشاً وأهلكنا ظهورنا ، فتجهم وأبى عليهم ، فلما أعياهم قالوا للحاجب : اسفر ، فسفر فقال : أنا حاجب بن زرارة ، فدعنا فلنشرب ، قال : أنت ؟ فلا مرحباً بك ولا أهلاً ، فأتوا بيته ، فقالوا لامراته : هل من منزل يا أمة الله ؟ قالت : والله مارب المنزل شاهد ، وما عندنا من منزل ، وراودوها على ذلك فأبت ، ثم أتوا رجلاً من بكر بن وائل على ماء يورد ، قال قيس : هذا والله أأم قومي ، فلما وقفوا عليه قالوا له مثل ما قالوا للآخر فأبى عليهم ، وهم أن يضربهم ، فقال له قيس بن مسعود : ويالك أنا قيس بن مسعود ، فقال له : مرحباً وأهلاً ، أورد ، ثم أتوا بيته ، فوجدوا فيه امرأته وقد رها يثبط ، فلما رأت الركب من بعيد أنزلت القدر وبردت ، فلما انتهوا إليها قالوا : هل عندك يا أمة الله من منزل ؟ قالت : نعم أنزلوني في الرحب والسعة ، فلما نزلوا طعموا وارتملوا ، فأخذوا ناقتيهما ، فأناخوهما على قريتين للنمل ؛ فأما ناقة قيس بن مسعود فتضورت وتقلبت ثم لم تنز ، وأما ناقة حاجب فمكثت وثبتت ، حتى إذا قالوا قد اطمأنت طفقت هاربة ، فأتوا الملك فأخبروه بذلك ، فقال له : قد كنت يا قيس ذا جد ، فأنت اليوم ذو جدين فسمى بذلك ذا الجدين ، وقيل : إنما سمي بذلك لأسيرين أسرها مرتين ، وقيل : بل سبقَ سبقين ، هكذا جاءت الرواية .

والذي أعرف أنا أن ذا الجدين إنما هو عبد الله بن عمرو بن الحارث بن همام ،



سُمِّيَ بذلك لأنه اشترى كسب بن مائة من أيدي قوم من غزاة أسروه ، فكتم نفسه ، وعرفه عبدُ الله [ وأظهر ] أنه لم يشتره عن معرفة ، فوهبه كل ما لقي في طريقه من إبل أبيه بعبدانها ، وكانت سوداً وحمرًا وصُهبًا ، وبلغ به إلى أبيه فأجاز له ذلك ، وأعطاه قبته بما فيها ، فلما أتى الحيرة قال بعض من رآه لصاحبه : إنه لزوجدٍ ، قال الآخر : بل هو زوجدٍين ، فسمى بذلك .

### (٨٧) - باب في معرفة ملوك العرب

وأنا أذكر في هذا الباب من ملوك النواحي مَنْ أَخَذَهُ حِفْظِي ، وبلغته روايتي ، على شريطة الاختصار والتلخيص ، بحسب الطاقة والاجتهاد ، إن شاء الله تعالى .

ملوك اليمن : قال ابن قتيبة وغيره : أول من حُيِّيَ بتحية الملوك «أَبَيْتَ اللَّعْنَ» ملوك اليمن و«أَنعم صباحاً» يَعْرُبُ بْنُ قَحْطَانَ ، فولد له يشجب ، وولد ليشجب سبأ ، وقيل : إنه أول من سَبَى السَّبْيَ من ولد قحطان . واسمه عبد شمس ، وقيل : عامر ، وأول الملوك المتوجين من ولده حمير بن سبأ مَلَكَ حتى مات هرما ، ولم يزل الملك في ولد حمير لا يعدو ملكهم اليمن ، حتى مضت قرون ، وصار الملك إلى الحارث الرائش ، وبينه وبين خمير خمسة عشر أباً ، فخرج من اليمن ، وغزا وجَلَبَ الأموال ، فرأش الناس ، وبذلك سُمِّيَ الرائش ، وفي عصره مات لقمان صاحب النور ، وهو لقمان الذي بعثته عاد ليستسقى لها بمكة ، وكان مُلْكُ الرائش مائة وخمسة وعشرين سنة ، وذكر نبينا صلى الله عليه وسلم ، وأنشد ابن قتيبة :

وأحدُ اسمه ، يالَيْتَ أَنِي أَعْمَرُ بَعْدَ مَبْعَثِهِ بِعَامِ

ثم أْبْرَهَةَ ذُو الْمَنَارِ بْنِ الرَّائِشِ ، وكان ملكه مائة وثلاثاً وثمانين سنة ، ثم أفريقس بن أبرهة ، وهو الذي بنى أفريقية ، وبه سميت ، وكان ملكه

مائة وستين سنة ؛ ثم العبد بن أبرهة ، وهو ذو الأذعار ، سمي بذلك لقوم سباهم مُنْكَرِي الوجوه تزعم العرب أنهم النسناس ، وكان ملكه خمسا وعشرين سنة ، ثم هدهاد بن شرحبيل بن عمرو بن الراءش ، وهو أبو بلقيس ، ملك سنة واحدة ثم بلقيس إلى أن أسلمت على يَدَي سَلِيْمَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثم ناشر بن عمرو ابن يعفر بن شرحبيل ، وكان ملكه خمسا وثمانين سنة ، ثم شمير بن أفريقس ، وهو الذي أخرب مدينة سمرقند ، وبه سميت سمرقند ، ومعنى كند أخربها ، وهو الذي يسمى شمير يرعش ؛ لارتعاش كان به ، وكان ملكه مائة وسبعاً وثلاثين سنة ، ثم ابنه الأقرن بن شمير يرعش ، وكان ملكه ثلاثاً وخمسين سنة ، ثم تبع الأ أكبر بن الأقرن ، وكان ملكه مائة وثلاثاً وستين سنة ، ثم ابنه كليكرب ؛ ولم يفر حتى مات ، وكان ملكه خمسا وثلاثين سنة ، ثم تبع بن كليكرب وهو أبو كرب تبع الأوسط ، وكان يغزو بالنجوم ويعمل أعماله كلها بأحكامها ، ويقال : إنه آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو القائل فيه :

شهدتُ على أحمدٍ أنه رسولٌ من الله باري النَّسَمِ  
فلو مُدَّ عُمْرِي إلى عُمْرِهِ لَكُنْتُ وزيراً له وإِنَّ عَمَّ

ثم حسان بن تبع الأوسط ، وهو الذي غزا جديسا وقتل اليمامة التي سميت بها جَوْ اليمامة ، ثم عمرو بن تبع أخو حسان ، وكان ملكه ثلاثاً وستين سنة ، ثم عبد كلال بن منسوب ، وكان على دين عيسى يستر إيمانه ، وكان ملكه أربعاً وسبعين سنة ؛ ثم تبع بن حسان وهو الأصغر ، وكان الحارث بن عمرو بن حُجْر جد امرئ القيس ابن أخيه ، وتبع هو الذي عقد الحلف بين ربيعة واليمن ، وهو الذي أدخل في اليمن دين اليهود ثمانية وسبعين سنة ، ثم أخوه لأمه مرثد بن عبد كلال ، وقيل : مز بد ، وكان ملكه إحدى وأربعين سنة ، ثم ابنه ربيعة بن مرثد ، ملك سبعاً

وثلاثين سنة ، ثم أبرهة بن الصباح ، ملك ثلاثا وسبعين سنة ، وكان يكرم معداً ويعلم أن الملك كاثن في بنى النَّضْرِ بن كنانة ، ثم حسان بن عمرو بن تبيع بن كليكرب ، ملك سبعاً وثلاثين سنة ، ومدحه خالد بن جعفر بن كلاب لما شَقَّمه في أسارى من قومه ، ثم ذو الشنار ، واسمه نجيمة ينوف ، ولم يكن من أهل بيت المملكة ، لكنه من أبناء المَقَاوِل ، قتله ذو نُوَاس ، وكان غلاماً من أبناء الملوِك حَسَنَ الرِّجْه له ذُوَابِان ، أرادَه ذو الشنار على نفسه فَوَجَّاهُ بِمُخْجَرِكان قد أعدَّه له فقتله ، ورضيته حمير لنفسها لما أراحها من ذى الشنار ، وذو نواس صاحب الأخدود الذى ذكره الله عز وجل ، وكان يهودياً ، فَخَدَّ الأَخْدُودَ لِقَوْمٍ من أهل نجران تنصروا على يد قَيْلٍ من آل نجفة ، وعلى أيام ذى نواس دخلت الحبشة اليمن ، واقتحم البحر منهزماً ففرق ، وكان ملكه ثمانيا وستين سنة ، وقام بعده ذو جَدَنٍ فهزمته الحبشة ، فاقتحم البحر فهلك ، وملك اليمن أبرهة الأشرم ، وهو الذى زحف إلى مكة بالليل فهلك جيشه ، وابتلى بالأكلة ، فحمل إلى اليمن فهلك بها ، وملك بعده ابنه يكسوم فسادت سيرته باليمن ، فاستجاش سيف بن ذى يزن كسرى ، فحشَّ له جيشاً عظيماً ، وقد مات يكسوم ، وولى بعده مسروق أخوه ، وهو أيضاً أخو سيف لأمه ، فقتلته الحبشة ، وسببت نساؤهم ، فقام سيف ملكاً من قبل كسرى حتى غَدَرَهُ خُدَامُهُ من الحبشة ولم يجتمع ملك اليمن لأحد بعده ، ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنكشفت به الظلمة ، واهتدت بهديه الأمة ، واستقر الملك فى نصابه ، بعد الخلفاء الأربعة من أصحابه ، ممن وجبت طاعته ، وصحت بيئته ، وأنا واقف عند الشبهة ، قائل فى هذا بما قالت به الجماعة ، فقد تنازع اسم أمير المؤمنين من لا يصلح له ، ولا يسلم إليه ؛ فلذلك أعرضت عن ذكر من لم أذكره ، ولولا ذلك لذكرت كل واحد وزمانه ، ومنتهى عمره ، إلى وقتنا هذا ، وما توفيتى إلا بالله .

## ملوك الشام

ملوك الشام : كات بالشام سليج<sup>(١)</sup> وهم من غسان ، ويقال : من قضاة وأول ملوكهم النعمان بن عمرو بن مالك ، ثم من بعده ابنه مالك ، ثم من بعد مالك ابنه عمرو ؛ إلى خروج مُزَيْقيا—وهو عمرو بن عامر— من اليمن في قومه من الأزدي ، وسمى مُزَيْقيا لأنه كان يمزق كل يوم حلة لا يعود إلى لباسها ثم يهبها ، ويسمى عامر ماء السماء ؛ لأنه كان يبيء في المَحَلِّ فينوب عن الغيث بالرغد والعطاء [وهو] ابن حارثة<sup>(٢)</sup> العنطريف ، بن امرئ القيس البطريق ، بن ثعلبة البهلول ، بن مازن قاتل الجوع ، بن الأزدي<sup>(٣)</sup> ، ومعه رجل يقال له جذع بن سنان ، فنزلوا بلاد عكّ ، فقتل جذع ملك بلاد عكّ ، فافتقت الأزدي والملك فيهم حينئذ ثعلبة بن عمرو بن عامر ، فانصرف عامله فخارب جرم فأجلاهم عن مكة ، واستولوا عليها زماناً ثم أحدثوا الأحداث ، وجاء قُصَي بن كلاب فجمع معداً — وبذلك سمي مُجَمَّماً — واستعان ملك الروم فأعانه ، وحارب الأزدي فغلبهم ، واستولى على مكة دونهم ، فلما رأَت الأزدي ضيق العيش بمكة ارتحلت ، وانخرعت خزاعة لولاية البيت — وبذلك سميت — فصار بعض الأزدي إلى السواد فملكوا عليهم مالك بن فهم أبا جذيمة الأبرش ، وصار قوم إلى يثرب ، وهم الأوس والخزرج ، وصار قوم إلى عمان ، وصار قوم إلى الشام ، وفيهم جذع بن سنان ، فأتاه عامل الملك في خَرْجٍ وجَبَّ عليه فدفع إليه سيفه رهناً ، فقال الرومي : أدخله في كذا من أم الآخر ، فغضب جذع وقتلته ، فقيل : خُذْ من جذع ما أعطاك<sup>(٤)</sup> ، وسارت مثلاً ، وولوا الشام ، فكان أولهم الحارث بن عمرو مُحَرِّق ، سمي بذلك لأنه أول من حرَّق العرب في ديارها ، وهو الحارث الأكبر ، ويكنى أبا شَمِيرٍ ، ثم ابنه الحارث بن أبي شمر الغساني ، وهو الحارث الأعرج ، وأمه مارية ذات

(١) في بعض الأصول « سليخ » بالخاء المعجمة .

(٢) في بعض الأصول « جارية » .

(٣) في الأصول « من الأزدي بن الأزدي » وليس بشيء .

(٤) انظر التل رقم ١٢٤١ من مجمع الأمثال للبدياني ( ١ / ٢٣١ بتحقيقنا ) .

القرطابيين ، وهى مارية بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية الكندى ، وأختها هند الهندو امرأة حُجْرٍ آكل المرار الكندى ، وإلى الحارث الأعرج زَحَفَ المنذر الأكبر فانهزم جيشه ، وقتل ، ثم الحارث الأصغر بن الحارث الأكبر ، وهو ولد الحارث الأعرج [ثم] عمرو بن الحارث ، وكان يقال له : أبو شمر الأصغر ، وله يقول نابغة بنى ذبيان :

فَلْيَ لِعَمْرٍو نِعْمَةٌ بَعْدَ نِعْمَةٍ لَوْلَدِهِ لَيْسَتْ بِذَاتِ عِقَابٍ

والنعمان بن الحارث هو أخو الحارث الأصغر ، وله يقول النابغة :

هَذَا غُلَامٌ حَسَنٌ وَجْهُهُ مُسْتَقْبِلُ الْخَيْرِ سَرِيعُ النَّعَامِ

والنعمان هذا ثلاثة بنين : عمرو ، وحُجْرٌ ، والنعمان ، ومن ولد الأعرج أيضاً المنذر ، والأيهم أبو جَبَلَةَ ، وجَبَلَةَ آخر ملوك غسان ، كان طوله اثني عشر شبراً ، وهو الذى تنصّر فى أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

ملوك الحيرة : أولهم مالك بن قهم بن عمرو بن دؤس بن الأزد ، ملك ملوك الحيرة العرب بالعراق عشرين سنة ، ثم ابنه جذيمة بن مالك ، وهو الأبرش ، وهو الوضّاح ، كان ملكه ستين سنة ، ثم عمرو بن عدى بن نصر بن ربيعة اللخمي ، ويقال : إن نصرأ هو الساطرون صاحب الخضر ، وهو جرمقانى من أهل الموصل ، وقيل : بل هو من أشلاء قنص بن معد بن عدنان ، وعمرو هذا هو ابن أخت جذيمة الأبرش وفيه قيل : « سَبَّ عمرو عن الطوق » ثم امرؤ القيس ابن عمرو بن عدى ، ويقال : بل الحارث بن عمرو ، وإنه الذى يدعى محرقة ، ثم النعمان بن امرئ القيس ، وهو النعمان الأكبر الذى بنى الخوزنق ، ثم المنذر بن امرئ القيس ، وهو المنذر الأكبر بن ماء السماء أخو النعمان الأكبر ، ثم المنذر بن المنذر ، وهو الأصغر ، ثم أخوه عمرو بن المنذر ،

وهو عمرو بن هند ، ويسمى محرقا ؛ لأنه حرق بنى تميم ، وقيل : بل حرق نخل  
اليمامة ، ثم النعمان بن المنذر صاحب النابغة الذبياني ، وهو آخر ملوك لَخْمٍ ، ثم ولى  
بعده إياس بن قبيصة الطائي ، ثم ابنه أشهر ، واضطرب ملك فارس وضعفوا ،  
وكانت ملوك الحيرة من تحت أيديهم ، وأتى الله عز وجل بالإسلام فمزا أهله بالنبي  
صلى الله عليه وسلم .

### ٨٨ -- باب من النَّمْبَةِ

- الأرحبية قال ابن دريد : الإبل الأَرْحَبِيَّةُ منسوبة إلى أرحب بن همدان .  
خفية أَسَدُ خَفِيَّةٍ<sup>(١)</sup> وأَسَدُ خَفَانٍ<sup>(٢)</sup> وهما أَجْمَتَانِ من العذيب على ليلة .  
اليزنية الرماح اليزنية : منسوبة إلى ذي يزن الملك ، ويقال الأيزنية ، قال ذو الرمة :  
أرين الذي استودعن سَوْدَاءَ قلبه هَوَى مثل شكِّ الأَيْرِيَّ النَّوَاجِمِ<sup>(٣)</sup>  
هكذا جاءت الرواية في هذا البيت .  
الفرعونية الدرود تنسب إلى فرعون . قال راشد بن كثير :  
بكل فِرْعَوْنِيَّةٍ لَوْنُهَا مثل بصيص البغشة الغادية

(١) خفية - بفتح أوله وكسر ثانيه وياء مشددة مثناة - أجمة في سواد الكوفة ، بينها وبين الرحبة بضعة عشر ميلا ، ينسب إليها الأسود ، يقال : أسد خفية ، وانظر ياقوت .

(٢) خفان - بفتح أوله وتشديد ثانيه وآخره نون - موضع قرب الكوفة يسلكه الحاج أحيانا ، وهو مأسدة ، قيل : هو فوق القادسية ، وانظر ياقوت .

(٣) وقع في الأصول \* أين الذي . . . . . الأزاني النوجم \* وهو تصحيف ، والتصويب عن الديوان .

وتنسب إلى داود ، وسليمان ، وتبع ، ومحرق ، يريدون بذلك القِدَمَ  
وجودة الصنعة .

السكنائن الزُّغَرِيَّةُ : منسوبة إلى زغر<sup>(١)</sup> وهو موضع بالشام تعمل فيه كنانن  
حمر مذهبة .

قال أبو دؤاد يصف فرساً :

ككنانة الزُّغَرِيَّ زَيَّنَهَا من الذهبِ الدلاص

السمهرى : الرمح الشديد ، يقال : اسمهر الأمر ، إذا اشتد .

الأتحمية : برود منسوبة إلى أتحم<sup>(٢)</sup> باليمن .

القَعَضِيَّةُ : ضرب من الأسننة ، تنسب إلى قَعَضَب ، رجل قشيري كان  
يعملها ، وكذلك الشرعبيَّة أيضاً . قال الأعشى :

وَلَدُنَّ من أَخْطَى فيها أسنة ذخائر ماسن أبزى وشرعَب<sup>(٣)</sup>

والشرعبية أيضاً من الثياب الحاررية في قول امرئ القيس :

فلما دخلناها أضفنا ظهورنا إلى كل حارريٍّ جديدٍ مُشْطَبِ<sup>(٤)</sup>

قال الأصمعي : اُخْتَبُوا بِجَاهِلِ سَيُوفِهِمْ

(١) زغر - بضم ففتح - قرية بمشارف الشام .

(٢) وقال المرتضى : « قال شيخنا : والياء في الأتحمي ليست للنسب على

الأصح » ٥١ .

(٣) في الديوان ( ص ١٣٨ ) « فيه أسنة »

(٤) في الديوان ( ص ٢٠ ) « فلما دخلناه » ومعنى « أضفنا » أسندنا .

والشطب : المخطط ، على ما فسره أبو عبيدة .

قال أبو عبيدة : ما نسبت إلى الخيرة سيوف قط ، وإنما يريد الرجال كما قال الآخر : .

\*مشدودة برحال الخيرة الجدد\*<sup>(١)</sup>

قال ابن الكلبي : أول من اتخذ الرجال علاف ، وهو زبان بن جرم ؛ فلذلك قيل للرجال « علافية » وأول من عمل الحديد من العرب الهالك ابن مراد بن أسد بن خزيمه ؛ فلذلك قيل لبني أسد القيون ، وقيل لكل حداد : هالكى .

العلافية  
والهالكى

قال أبو عبيدة : أجود السهام التي صنعتها العرب في الجاهلية سهام بلام ، وسهام يثرب ، وهما بلدان قريبان من حجر اليمامة ، وأنشد الأعشى :

\* بسهام يثرب أم سهام بلام \*<sup>(٢)</sup>

سأوق : قرية باليمن ، وإليها تنسب الكلاب والدرع .

السلوقية

سيف مشرقى : منسوب إلى مشرف ، وهي قرية باليمن كانت السيوف تعمل بها ، وليس قول من قال إنها منسوبة إلى مشارف الشام أو مشارف الريف بشيء عند العلماء ، وإن قاله بعضهم .

المشرفى

والسيوف السريجية : منسوبة إلى سريج<sup>(٣)</sup> رجل من بني أسد ، قال محمد ابن حبيب : هو أحد بني معرض بن عمرو بن أسد بن خزيمه ، وكانوا قيونا .

السريجية

(١) هذا عجز بيت للناطقة الديباني ، وصدرة \* والأدم قد خيست فتلا مراقفها \* والأدم : البيض من النوق . وخيست : ذلت ، فتلا : بانت عن آباطها مراقفها والرجال : جمع رحل ، وهو شبه السرج ، الجدد : جمع جديد .

(٢) لم يذكر ياقوت بلاما ، والذي فيه وفي القاموس وشرحه ، « ويلبان موضع باليمن أو بالهند أو بالسند منه السيوف البيلمانية الجيدة » ا هـ .

(٣) في الأصول « السريجية . . . شريج » وهو تحريف .



- الدروع الحطمية : منسوبة إلى حطمة بن محارب بن عمرو بن وديعة بن الحطمية  
 لَكَيْز<sup>(١)</sup> بن عبد القيس بن أفضى .
- وقال ابن الكلبي : هي منسوبة إلى حطم ، وهو أحد بني عمرو بن مرثد  
 من بني قيس بن ثعلبة ، وقال الأصمعي : لا أعلم ما تنسب إليه .
- الخط : جزيرة بالبحرين تنسب إليها الرَّمَّاحُ ، قال الأصمعي : ليست تنبت  
 الرماح لكن سفن الرماح ترفأ إلى هذا الموضع فقيل للرماح خطية .
- المسك الدَّارِيُّ : منسوب إلى دارين ، يعني عطاراً بالبحرين ، زعم ذلك  
 أبو جعفر محمد بن حبيب البغدادي ، والأكثر المشهور عند العلماء أن دارين وغزة  
 موضعان بالشام .
- عصفور ، وداعر ، وشاعر ، وذا الكلبتين : فحول إبل النعمان بن المنذر .  
 عصافير النعمان : أولاد عصفور الفحل ، وهو أكرم فحل للعرب فيما يزعمون .
- والقسي العصفورية : منسوبة إلى رجل يسمى عصفوراً ، حكاه الجاحظ .  
 وأنشد لابن شير :
- عطف السيات بواقع في بذلها تُعزَى إذا نُسبت إلى عصفور  
 يعني قسيّ البندق ، دَعَا بها على حَمَام جاره .
- ويقال للقسي أيضاً « الماسخية » منسوبة إلى رجل من الأزد ، واسمه ماسخة  
 هو أول من عملها .
- والإبل العسجدية والعمدية والعمانية : إبل ضربت فيها الوحوش .  
 والإبل الشذقية والجديلية عن غيره منسوبة إلى شذقم وجديل ، وهما فحلان  
 مشهوران .
- الجر الأخرية : منسوبة إلى حمار يسمى أخدر ، وقيل : هو فرس كان لبعض  
 الملوك ، أظنه أردشير بن بابك ، توحش فضرب في عانة<sup>(٢)</sup> فنسبت أولاده إليه ، وهو
- (١) في الأصول « بكبير » تصحيف (٢) العانة : القطيع من الآن ، هنا .

أقره الحمر ، هكذا تزعم العرب ، والعادة أن يكون ما نتاج منه بنفالا . فأما الكدَاد  
فخمار معروف من الوحشية نتج . قال الفرزدق :

حمار لهم من بنات الكدَاد يدهمُجُ بالوطب والمزود

والبغال يزعمون أن قارون أول من أنتجها ؛ فهي تُنسَب إليه ، وقيل : بل  
أنتج البغال أول من أنتجها قبله أفريدون .

### (٨٩) - باب العتاق من الخيل ومذكوراتها

وأول ما أذكر منها خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومراكبه ، جرياً  
على العادة في التبرك باسمه : فنما « السَّكْب » وهو فرسه يوم أحد ، حكاه ابن  
قتيبة ، ومنها « المرئج » وكان له فرس يقال « اللزاز » وفرس يقال له « الضرب »  
وفرس يقال له « اللجيف » وفرس يقال له « الورد » وزاد غير ابن قتيبة فرساً يقال  
له « سحة » وكانت بغلته يقال لها « دلدل » وكان حماره يقال له « يعفور »  
وكانت ركائبه « القُصْوَى » و « الجداء » و « العُضْبَاء » .

مراكب  
رسول الله

وهذه خيل العرب : قال ابن قتيبة عن أبي عبيده : الغراب والوجيه ولاحق  
ومذهب ومكتوم كانت كلها لغنى .

خيل غنى

وقال أحمد بن سعد الكاتب : كان أعوج أولاً لسكنده ، ثم أخذته سليم ،  
ثم صار لبني عامر ، ثم لبني هلال ، قال ابن حبيب : رُكِبَ رطباً فاعوجت قوائمها  
وكان من أجود خيل العرب ، وأمه سبل كانت لغنى ، وأم سبل البشامة ، كانت  
لجمدة ، ولهم أيضاً الفياض .

أعوج

قال ابن سعد : والوجيه ولاحق لبني سعد ، قيل : وحلاب لبني تغلب ،  
والصريح لبني نهشل ، وزعم غيره أنه كان لآل المنذر ، وجلوى لبني ثعلب  
ابن ير بوع ، وذو العقال لبني رياح بن ير بوع ، وهو أبو داحس ، وكان داحس

عدة من غول  
الخيل

والغبراء لبني زهير ، وهى خالة داحس ، وأخته من أبيه ذى العقال ، [ و ] قرزل  
والخطار والحنفاء لحذيفة بن بدر ، وهى أخت داحس من أبيه وأمه ، [ و ] قرزل  
آخر للطفيل بن مالك ، [ و ] حذفة لخالد بن جعفر بن كلاب ، وحذفة أيضا لصخر  
بن عمرو [ بن ] الشريد ، [ و ] الشقراء لزهير بن جذيمة العيسى ، والزعفران لبسطام  
ابن قيس ، والوديقة ونصاب وذو الحمار لمالك بن نويرة ، والشقراء أخرى لأسيد  
ابن حنافة السليطى ، والشيط لأنيف بن جبلة الضبي ، والوجيف لعامر بن الطفيل  
والسكلب والمزنوق والوردله أيضاً ، والخنثى فرس لعمر بن عمرو بن عدس ، [ و ] الهداج  
فرس الريب بن شريق السعدى ، وجزة فرس يزيد بن سنان المرى فارس غطفان ،  
والنعامة للحارث بن عباد ، وابن النعامة لعنترة ، والنحام فرس السليك بن السلكة  
السعدى ، والمصاف فرس جذيمة بن مالك الأزدي ، والهاوأة لعبد القيس بن  
أفصى ، واليجموم فرس النعمان بن المنذر ، وكامل فرس زبد الخليل ، والربد فرس  
الحوفزان ، وأبو الزعفران فرس بسطام ، والعرادة<sup>(١)</sup> فرس السكلكبة اليربوعى ،  
انتهى كلام أحمد بن سعد

وعن ابن دريد : القطيب فرس كان للعرب ، وكذلك البطين واللعب  
والعباءة فرس حرثى بن ضمرة النهشلى ، والمدعاس فرس النواس بن عامر  
الجماشعى ، وصهباء فرس المر بن تواب ، وحافل فرس مشهور ذكره حرب بن  
ضرار فى قوله :

كملت عبادة السراة نعى بها  
إلى نسب الخليل الصريح وحافل  
والعسجدى لبني أسد ، والشموس فرس زيد بن حذاق العبدى ، والضيف  
لبني تغلب ، وهاوأة الغراب فرس الريان بن حويع العنبرى ، يقال : إنها جاءت  
سابقة طول أربع عشرة سنة فتصدق بها على الغراب يتكسبون عليها فى السباق  
والغارات ، والحرون فرس تنسب إليه الخليل ، وكان لمسلم بن عمرو بن أسيد الباهلى

(١) فى الأصول « والجالة » وانظر ( أنساب الخيل ٤٧ ) .

والزليف فرس مشهور ، وهو من نسل الخرون ، ومناهب فرس تنسب إليه الخليل أيضا ، قال الشمر دل .

لأنخل ثلاثة سمينا مناها والضيف والحرونا

والعاهان: فرس أوى ملك عبد الله بن الحارث اليربوعي .

ومن أقدم الخليل زاد الراكب ، وهبه سليمان عليه السلام لقوم من الأزدي كانوا أصهاره .

وكان إسماعيل عليه السلام أول من ذلل الخليل وركبها ، وكانت قبل من سائر الوحوش .

### (٩٠) - باب من المعاني المحدثه

قال أبو الفتح عثمان بن جنى : المولدون يستشهد بهم في المعاني كما يستشهد بالقدماء في الألفاظ ، والذي ذكره أبو الفتح صحيح بين ؛ لأن المعاني إنما اتسعت لاتساع الناس في الدنيا ، وانتشار العرب بالإسلام في أقطار الأرض ، فصروا الأمصار ، وحضروا الحواضر ، وتأثقوا في المطاعم ولللابس ، وعرفوا بالعيان عاقبة مادلتهم عليه بداهة القول من فضل التشبيه وغيره ، وإنما خصصت التشبيه لأنه أصعب أنواع الشعر ، وأبعدها متعاطى ، وكل يصف الشيء بمقدار ما في نفسه من ضعف أو قوة ، وعجز أو قدرة ، وصفة الإنسان ما رأى يكون لاشك أصوب من صفته ما لم ير ، وتشبيهه ما عين بما عين أفضل من تشبيهه ما أبصر بما لم يبصر ، ومن هنا يحكى عن ابن الرومي أن لا تمسأ لامة فقال : لم لا تشبه تشبيه ابن المعتز وأنت أشعر منه ؟ قال : أنشدني شيئاً من قوله الذي استعجزتني في مثله ، فأنشده في صفة الهلال :

فانظر إليه كزورقٍ من فضةٍ قد أثقلتُهُ حمولةٌ من عنبرٍ

فقال : زدني ، فأنشده :

كأنَّ آذَرِيُونَهَا . وَالشَّمْسُ فِيهِ كَالِيَةِ

بمن يصح  
الاستشهاد  
وسره

نَدَاهُنْ مِنْ ذَهَبٍ فِيهَا بَقَايَا غَالِيَةً

فصاح : واقوئناه ، يا الله ، لا يكلفُ اللهُ نفساً إلا وسعها ، ذلك إنما يصف ماعونَ بيته ؛ لأنه ابن الخلفاء ، وأنا أي شيء أصف ؟ ولكن انظروا إذا وصفت ما أعرف أين يقع الناس كلهم مني ؟ هل قال أحد قط أملح من قولي في قوس النعام :

صفة قوس  
قزح لابن  
الرومي

وَقَدْ تَشَرَّتْ أَيْدِي السَّحَابِ مَطَارِقًا

على الأرض دُكْنَا وهي خُضِرُ على الأرض

يطرؤها قوسُ النعام بأصفر على أحمر في أخضر وَسَطَ مُبْيَضِّ

كأذيال خَوْدٍ أَقْبَلَتْ فِي غَلَاثِلِ مُصَبَّغَةٍ وَالْبَعْضُ أَقْصَرُ مِنْ بَعْضِ

وقولي في قصيدة في صفة الرقاقة :

وصف الرقاقة  
وخبازها له

ما أنس لا أنس خَبَازًا مررت به يَدْحُو الرقاقة وَشَكَ اللّح بالبصر

ما بين رؤيتها في كفة كُرَّةً وبين رؤيتها زهراء كالقمر

إلا بمقدار ما تَنَدَّاحُ دَائِرَةَ في صفحة الماء يُرْمَى فيه بالحجر

وهذا كلام إن صح عن ابن الرومي فلا أظن ذلك أمراً لزمه فيه الدرك ؛ لأن جميع ما أراه ابن المعتز أبوه وجده في ديارهم — كما ذكر أن ذلك علة للاجادة وعذر — فقد رآه ابن الرومي هنالك أيضاً ، اللهم إلا أن يريد أن ابن المعتز ملك قد شغل نفسه بالتشبيه فهو ينظر ماعون بيته وأثائه فيشبهه به ما أراد ، وأنا مشغول بالتصرف في الشعر طالباً به الرزق : أمدح هذا مرة ، وأهجو هذا كرة ، وأعاتب هذا تارة ، وأستعطف هذا طوراً ، ولا يمكن أن يقع أيضاً عندي تحت هذا ، وفي شعره أيضاً من مליح التشبيه مادونه النهايات التي لا تبلغ ، وإن لم يكن التشبيه غالباً عليه كابن المعتز .

ولم أدلّ بهذا البسط كله على أن العرب خلت من المعاني جملة ، ولا أنها

أفسدتها ، لكن دللت على أنها قليلة في أشعارها ، تكاد تحصر لو حاول ذلك محاول ، وهي كثيرة في أشعار هؤلاء ، وإن كان الأولون قد نهجوا الطريق ، ونصبوا الأعلام للمتأخرين ، وإن قال قائل : ما بالك معشر المتأخرين كلما تمدى بكم الزمان قلّت في أيديكم المعاني ، وضاق بكم المضطرب ؟ قلنا : أما المعاني فما قلّت غير أن العلوم والآلات ضعفت ، وليس يدفع أحد أن الزمان كل يوم في نقص ، وأن الدنيا على آخرها ، ولم يبق من العلم إلا رَمَقُهُ معلقاً بالقدرة ، ما يمسكه إلا الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه .

تكثر المعاني كلما  
تقدم العصر

وإذا تأملت هذا تبين لك مافي أشعار الصدر الأول الإسلاميين من الزيادات على معاني القدماء والمخضرمين ، ثم مافي أشعار طبقة جرير والفرزدق ولهبجابهما من التوليدات والإبداعات العجيبة التي لا يقع مثلها للقدماء ، إلا في الندرة القليلة والفتنة المفردة ، ثم أتى بشار بن برد وأصحابه فزادوا معاني ما مرت قط بخاطر جاهلي ولا مخضرم ولا إسلامي ، والمعاني أبدأت تردد وتتولد ، والكلام يفتح بفضه بعضاً وكان ابن الرومي ضئيلاً بالمعاني ، حريصاً عليها ، يأخذ المعنى الواحد ويولده ، فلا يزال يقلبه ظهراً لبطن ، ويصرفه في كل وجه ، وإلى كل ناحية ، حتى يميتته ويعلم أنه لا مطمع فيه لأحد ، ثم نجد من بعده [مَنْ] لا ينتهي في الشعر ، بل لا يعشره ، قد أخذ المعنى بعينه فولد فيه زيادة ، ووجه له وجهة حسنة ، لا يشك البصير بالصناعة أن ابن الرومي مع شرّه لم يتركها عن قُدرة ، ولكن الإنسان مبنى على النقصان .

منزلة ابن  
الرومي في  
توليد المعاني

وسأورد عليك من معاني المتقدمين ، وأنظرها بأمثالها من أقوال المولدين لا أعُدُّوها ليتبين البرهان ، هذا ، على أنني ذممت إلى المحدثين أنفسهم في أما كن من هذا الكتاب ، وكشفت لهم عوارهم ، ونعيت لهم أشعارهم ، ليس هذا جهلاً بالحق ، ولا ميلاً إلى بنيات الطرق ، لكن غضاً من الجاهل المتعاطي ، والتحامل الجاني ، الذي إذا أعطى حقه تعاطى فوجه ، وأدغى على الناس الحسد ،

وقال : أنا ولا أحد ، وإلى كم أعيش لكم ؟ وأي علم بين جنبي لو وجدت له مستودعاً ؟ فإذا عورض في شعره بسؤال عن معنى فاسد أو مُتَّهم ، أو طولب بحجة في لحنه أو شاذ ، أو نوظر في كلمة من ألفاظ العرب مُصَحَّفة أو نادرة ، قال : هكذا أعرف ، وكأنا أعطى جوامع الكلم ، حاشَ اللهُ ! وأستغفر الله ، بل هو العمى الأكبر ، والموت الأصغر ، وبأى إمام يرضى ، أو إلى أى كتاب يرجع ، وعنده أن الناس أجمعين بضعة منه ، بل فضلة عنه ، فهو كما قال حمادُ عَجْرَدٍ في يونس بن فروة :

أما ابنُ فروة يُونسُ فكأنه من كبره أيرُ الحمار القاسم  
 ما الناس عندك غير نفسك وحدها والناس عندك ما خلاك بهائمُ

وأين من ذكر من بشار بن برد حين قيل له : بم قُتتَ أهلُ عمرك وسبقتَ بشار يبين  
 سبب تفوقه  
 أبناءُ عمرك : في حسن معاني الشعر ، وتهذيب ألفاظه ؟ قال : لأنني لم أقبل كل ما تورده عليّ قريحتي ، ويناجيني به طبعي ، وبيعه فكري ، ونظرت إلى مغارس الفطن ، ومعادن الحقائق ، ولطائف التشبيهات ، فسرت إليها بفكر جيد ، وغريزة قوية ، فأحكمت سترها ، وانتقيت حرها ، وكشفت عن حقائقها ، واحترزت عن متكلفها ، ولا والله ما ملك قيادي الإعجاب بشيء مما أتى به .

وكم في بلدنا هذا من الحفّاثِ قد صاروا ثعابين ، ومن البغاثِ قد صاروا شواهين ، إن البغاث في أرضنا يستنسر ، ولولا أن يُعرَفوا بعد اليوم بتخليد ذكركم في هذا الكتاب ، ويدخلوا في جُملة من يعد خطله ، ويحصى زلله ؛ لقد كرت من لحن كل واحد منهم وتصحيحه وفساد معانيه وركاكة لفظه ما يدللك على مرتبته من هذه الصناعة التي ادَّعَوْها باطلا ، وانتسبوا إليها انتحالا ، وقد بلغني أن بعض من لا يتورع عن كذب ، ولا يستحي من فضيحة ، زعم أني أخذت عنه

مسائل من هذا الكتاب لو سئل عنها الآن ما علمها ، والامتحان يقطع الدعوى ، كما قال بعض الشعراء :

من تحملى بغير ما هو فيه ففضح الإمتحان ما يدعيه

وكنت غنياً عن تهجين هذا الكتاب بالإشارة إلى مَنْ أشرت إليه أنفاً من ذكره ، وعزوفاً بهمتي عن الانحطاط إلى مُساواته ، ولكن رأيت السكوت عنه هجراً وتقصيراً ، كما قال أبو تمام :

ترك اللثيم ولم يُمزق عرضه نقص على الرجل الكريم وعار  
وكما قال أبو الطيب ، وقد استحق المعنى عليه :

إذا أتت الإساءة من وضع ولم ألمر المسيء فمن ألوم ؟

ثم أعود إلى التشطير فأطرح عن المحدث المولد ما كان من جسس تشبيه النعامة للطرماح<sup>(١)</sup> ، وصفة الثور الوحشى له أيضاً ، وصفة مغارز ريش النعامة إذا أمرط للشماخ ، ومثل بيت العنكبوت فيما يمتد من لغام الناقة تحت لحبيها في شعر الحطيئة ؛ وتشبيه الذباب بالأجذم ، ولحي الغراب بالجلم لعنقته ، وأشبه هذا مما انفردت به الأعراب والبادية كعادتها ، كأنفرادها بصفات النيران ، والغالوات الموحشة ، وورود مياها الآجنة ، وتمسّف طرقاتها المجهولة ، إلى غير ذلك مما لا يعرف عياناً ؛ إذ كان المحدث غير مأخوذ به ، ولا محمول عليه ، ألا ترى إلى أبي نواس — وهو مُقدّم في المحدثين — لما وصف الأسد وليس من معارفه ، ولعله ما شاهده قط إلا مرة في العمر إن كان شاهده ؛ دخل عليه الوهم فجمل عينيه بارزة وشبههما بعيون الخنوق ، وقام عنده أن هذا أشنع وأشبهه بشتامة وجة الأسد ، وذهب عنه من صفة أبي زييد وغيره لغور عينيه مما هو أعلم به من أخذ عليه ، وأكثر ظني — والله أعلم — أن أبا نواس إنما رجّع بالصفة

(١) انظر التشبيهات العقم التي أوردها المؤلف في الباب الأربعين (ج ١ ص

٢٩٦ من هذا الكتاب) .



إلى الرجل المشبه بالأسد ، وجعل ازورار عينيه وبروز جفنيه من علامات الفيظ والحنق على أقرانه في الحرب .

وكذلك لما تعاطى الأعرابي أبو نُخَيْلَةَ<sup>(١)</sup> ما لا يعرف قال :

\* ولم تذُقْ من البُقُولِ الفُسْتُقَا \*

فجعله بقلا<sup>(٢)</sup> على ما في نفسه من لعاع البقل .

على أن المحدثين قد شاركوا القدماء في كل ما ذكرته أيضاً ، إلا أن أولئك أولى به ، وأحق بالتقدمة فيه ، كما خالطوهم في صفات النجوم ومواقعها ، والسحب وما فيها من البروق والرعود ، والغيث وما ينبت عنه ، وبكاء الحمام ، وكثير مما لا يتسع له هذا الباب ، ولكنني أفرد له كتاباً قائماً بنفسه أذكر فيه ما انفرد به المحدثون ، وما شاركهم فيه المتقدمون ، وآتى ها هنا من هذين النوعين بما يسد خلة المفتقر إلى سماعه من المبتدئين .

ما جاء في  
طول الليل

قال النابغة يذكر طول ليله :

كلىني لهمَّ يا أميمة ناصب      وليل أقاسيه بطيء الكواكب

تطاول حتى قلت ليس بمقضمٍ      وليس الذي يرعى النجوم بأيب

وقال أبو الطيب في وزنه ورويه :

أعيدوا صباحي فهو عند الكواكب      ورُدُّوا رقادى فهو لحظ الحباب

فإن نهاري ليلةٌ مدلهمةٌ      على مقلة من فقدكم في غياهب

فأنت ترى ما فيه من الزيادة وحسن المقصد ، على أن بيتي النابغة عندهم في

غاية الجودة .

(١) في أكثر الأصول « أبو جبلة » وهو تصحيف ، وقبل هذا البيت قوله :

\* جارية لم تأكل المرققا \* (٢) ويجعله بعضهم « ولم تذق من النقول » جمع نقل ، بالنون .

(١٦ - الممددة ٢)

ما جاء في  
حلق الشعر

وقال يزيد بن الطُّخَيْرِيَّة حين حلق أخوه ثورٌ جُمَّته :  
فأصبح رأسي كالصخيرة أشرفت عليها عقابٌ ثم طارت عقابها  
وهذا البيت من أفضل الأوصاف وأحسنها بياناً عند قدامة وغيره  
وقال بعض المتأخرين ، وأحسبه الزيادي ، في غلام حلقت وفرته :  
حلقت رأسي ليكسوه قُبْحاً غيرة منهم عليه وشحاً  
كان صبوحاً عليه ليل بهمٍ فمحو الليل وأبقوه صبوحاً  
وقال رؤبة بن العجاج :

أمت بثمواتي كالصفاء صفصفاً فصار رأسي جهة إلى القفا  
فقال ابن الرومي وأحسن ما شاء :

يجذب من نقرته طرة إلى مدى يقصر عن نيله  
فوجه يأخذ من رأسه أخذ نهار الصيف من ليله

ولو تتبعت هذا لأطلت في غير موضع الإطالة .

فأما ما انفرد به المحدثون فمثل قول بشار :

يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحياناً  
قالوا: بمن لا ترى تهذي؟ فقلت لهم: الأذن كالعين تُوفي القلب ما كانا  
وكرره فقال :

قالت عقيل بن كعب إذ تعلقها قلبي وأمسى به من حبها أترُ :  
أني ولم ترها تهذي؟ فقلت لهم: إن الفؤاد يرى ما لا يرى البصر  
وقوله أيضاً :

وكيف تناسى من كان حديثه بأذني- وإن غيبت- قرط مُعلق  
واختراعاته كثيرة ، واشتهاره بذلك يعني عن الإنشاد له .

وكتقول أبي نواس ، وقد ذكر المبرد أنه لم يُسبق إليه ، وهو :

تما انفرد  
به بشار

بما اتفرد به  
أبو نديم

أيها الرأحمانُ باللوم كوماً  
نالني بالسلام فيها إمام  
فاصرفاها إلى سِوَايَ فإني  
كُذِبُ حطى منها إذا هي دارت  
فكأنني وما أزيئُ منها  
كلٌّ عن حمله السلاح إلى الحر  
لا أذوق للنمام إلا شميماً  
لا أرى لي خلافةً مستقيماً  
لست إلا على الحديث نديماً  
أن أراها أو أن أشم النسيماً  
قعدِي يُزِينُ التحكيميا  
بفاوصي المطيق أن لا يقيماً

« القعدية » : فرقة من الخوارج ترى الخروج وتأمر به ، وتقعده عنه .  
وقوله أيضاً :

بينسا على كسرى سماء مدامة  
فلوردٌ في كسرى بن ساسان روحه  
وهذا المعنى أيضاً لم يتناوله أحد قبله .  
وكذلك قوله :

قد قلت للعباس معتذراً  
أنت امرؤٌ جَلَّتْني نعماً  
فإليك مني اليومَ تَقْدِمةٌ  
لا تُسَدِّينَ إلى عارفةً  
من ضعف شكرٍ به ومعتزلاً :  
أوهت قوى شكرى فقد ضُمُفاً  
تلقاك بالصریح منكشفاً  
حتى أقوم بشكر ما سلفاً

وقال أيضاً في صفة النساء الخمارات ؛ ويروي لابن المعتز :

وتحت زنايرٍ شدَّدنَ عقودها  
فهذا تشبيهه ما علمت أنه سبق إليه .  
وقال أيضاً :

لست أدري أطلال آيلى أم لا  
لو تفرغتُ لاستطالة ليلى  
كيف يدري بذاك من يتقلّى ؟  
ولرغى النجوم كنت نخلًا

ومعاني أبي نواس واختراعاته كثيرة .

وأكثر المولدين معاني وتوليدا - فيما ذكره العلماء - أبو تمام ، غير أن القاسم بن مهرويه<sup>(١)</sup> قد زعم أن جميع ما لأبي تمام من المعاني ثلثه : أحدها قوله : ما انفرد به أبو تمام

وإذا أراد الله نشرَ فضيلة طُوِيَتْ أتاح لها لسانَ حسودٍ  
لولا اشتعالُ النارِ فيما جاوَزَتْ ما كان يعرفُ طيبَ عُرْفِ العودِ  
والثاني قوله :

بني مالك، قد نَبَّهْتَ خاملَ الثرى قُبُورٌ لَكُمْ مستشرفاتِ المعالمِ  
غوامضِ قيد الكفِّ من متناولٍ وفيها عُلَا لا يرتقى بالسلامِ  
والثالث قوله :

يأبى على التصريدِ إلا نائلاً إن لم يكنْ محضاً قرأحاً يمدقِ  
نزرأ كما استكرهت عائرَ نفحة من فارةِ المسك التي لم تفتقِ  
وأنا أقول : إن أكثر الشعراء اختراعاً ابن الرومي ، وسيأتي برهان ذلك في الكتاب الذي شرطت تأليفه إن شاء الله سبحانه . ولا بد هاهنا من نبذة يسيرة أشغل بها الموضوع : منها قوله :

عيني لعينك حينَ تنظر مَقْتَلُ لكن لحظك سَهْمُ حَتْفِ مرسلُ  
ومن العجائبِ أن معنى واحداً هُوَ منك سَهْمٌ وَهُوَ مني مقتلُ  
وقوله في عتاب :

توددتُ حتى لم أدع مُتَوَدِّداً وأفنيتُ أعلامي عتاباً مُرَدِّداً  
كأنى أستدعي بك ابن حنية إذا النزع أدناه من الصدرِ أبعداً  
وقوله في أبيات يتفضل فيها ، وإن كان قد كرر المعنى :

نظرت فأفصدتِ الفؤادَ بلحظها ثم اثنتُ عنه فظل يهيم  
فالموت إن نظرت وإن هي أعرضتُ وقع السهام وتزعُهنَّ أليم

(١) انظر الموازنة للأمدى (ص ١١٤ بتحقيقنا) وفي الأبيات بعض اختلاف

لا يغير المعنى .

وقوله ولم أسمع أحسن منه في معناه :

وما يعترها آفة بشرية<sup>١</sup> من النوم إلا أنها تتبختر  
وغير عجيب طيب أنفاس روضة<sup>٢</sup> منورقة<sup>٣</sup> باتت تروح<sup>٤</sup> وتمطر<sup>٥</sup>  
كذلك أنفاس الرياض بسحرة<sup>٦</sup> تطيب ، وأنفاس الورى تتغير

(٩١) - باب في أغاليط الشعراء والرواة<sup>(١)</sup>

ولابد أن يؤتى على الشاعر المقلق ، والعالم المتقن ؛ لما بنى عليه الإنسان من  
النقص والتقصير ، وخير ما في ذلك أن يرجع المرء إلى الحق إذا سمعه ، ولا يتأدى  
على الباطل لجماعة وأنفة من الخطأ ؛ فإن تماديه زيادة في الخطأ الذى  
أنف منه.

بين مسلم  
وأبي نواس

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن جعفر النحوى ، عن أبي على الأمدى ، عن على  
ابن سليمان الأخفش ، عن محمد بن يزيد المبرد ، قال : تلاحى مسلم بن الوليد  
وأبو نواس ، فقال [ مسلم ] : ما أعلم بيتاً لك يخلو عن سقط ، فقال أبو نواس :  
أذكر شيئاً من ذلك ، فقال : بل أنشد أنت أى بيت شئت ، فأنشد  
أبو نواس :

ذكر الصُّبُوحِ بسحرة فارتاحا وأمله<sup>١</sup> ديك الصباح صياحا

فقال مسلم : قف عند هذا ، لم أمله ديك الصباح ، وهو يبشره بالصبح ،  
وهو الذى يرتاح إليه ؟ فقال أبو نواس : فأنشدنى أنت ، فأنشده :

عاصى الشباب فراح غير مفند<sup>٢</sup> وأقام<sup>٣</sup> بين عزيمة<sup>٤</sup> وتجدد<sup>٥</sup>

فقال أبو نواس : ناقضت ، ذكرت أنه راح ، والروح لا يكون إلا بالانتقال  
من مكان إلى مكان ، ثم قلت « وأقام » فجعلته منتقلاً مقبلاً في حال ، هذا متناقض .

(١) ألف الرزبانى كتابه « الموشح » فى مأخذ العلماء على الشعراء ، وألف  
العسكرى كتاب التصحيف والتحريف ، فيما ورد فى عبارات الرواة ورواياتهم  
من التحريف .

قال أبو العباس : وكلا البيتين صحيح ، ولكن من طلب عيباً وجده ومن طلب له مخرجا لم يفته .

قال الأصمعي : وأخطأ زهير في قوله « كأحمر عاد<sup>(١)</sup> » ولا أدري لم خطأه وقد سمع قول الله عز وجل \* ( وأنه أهلك عاداً الأولى ) \* فهل قال هذا إلا وثم عاد أخرى ؟ وهي هلكت بالنمل من ولد قحطان . قال قيس بن سعد ابن عبادة :

\* سراويل عادِيٍّ نَمَتْهُ نَمُودُ \*

وكان يقال لنمود « عاد الصغرى » .

وخطأ الشماخ [ في قوله ] في وصف ناقته :

\* رَحَى حَبْرُومَهَا كَرَحَى الْعَلَجِينِ<sup>(٢)</sup> \*

ظنه يصفها بالكبر ، وهو عيب لا محالة ، وإنما وصفها بالصلابة لا غير .

وأخذ ابن بشر الأمدى على البحترى قوله :

مأخذ للأصمعي  
على زهير ورده

مأخذ له  
على الشماخ

مأخذ للأمدى  
على البحترى

(١) هذه قطعة من بيت زهير يقع في معلقته ، وهو بتمامه :

فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم كأحمر عاد ، ثم ترضع فتفطم

وعصل اعتراض الأصمعي أن قوله « كأحمر عاد » فيه نسبة قدار عاقر ناقة نمود إلى عاد ، وهو مالا يصادقه عليه العارفون بالأنساب والتاريخ ، وقد أجيب عن هذا الاعتراض بما ذكره المؤلف من أن عاداً يسمى به جماعتان ، وأنه يقال لنمود « عاد الأخرى » بدليل الآية ، وأنصار الأصمعي لا يقرون هذا الجواب ويزعمون أن « الأولى » في قوله تعالى ( عاداً الأولى ) معناه السابقة التي كانت قبل نمود ، وليس يدل على أن هناك عادين . وعصل هذا أن الوصف أتى به للايضاح لا للاحتراز .

(٢) صدره \* فنعم المرتجي ركدت إليه \* والمرتجي : الذي يرجى لنوائب الدهر . وركدت إليه : بركت عنده . ورحى حيزومها : كر كرتها ، شبهها بالرحى في الصلابة ، لافي العظم ؛ لأنه مما يعاب في الإبل ، وسيدكر لك المؤلف ذلك

هَجَرَ تَنَا يَقْضَى وَكَادَتْ عَلَى مَدْنُ هَبِيهَا فِي الصُّدُودِ تَهْتَجُرُ وَشَنَى  
قال : هذا غلط<sup>(١)</sup> ؛ لأن خيالها يتمثل له في كل أحوالها ، يقضى كانت  
أَوْ وَشَنَى أَوْ مَيْتَةً ، والجيد قوله :

أَرَدْتُ دُونَكَ يَقْضَانَا وَيَأْذُنُ لِي عَلَيَّكَ سُكْرُ الْكِرَى إِنْ جِئْتُ وَسَنَانَا  
وأنا أقول : إن مراده أنها لشدة هجرها له ونحوها<sup>(٢)</sup> عليه لاتراه في المنام إلا  
مهجوراً ، ولاتراه جملة ، فالعنى حينئذ صحيح لانفساد فيه ، ولا غلط ، ولعل  
الرواية « وكادت<sup>(٣)</sup> » وهذا موجود في كلام الناس اليوم ، ومثله يقولون « فلان  
لا يرى لى مناماً صالحاً » وليس بين بيتي البحترى تناسب من جهة المعنى جملة  
واحدة ؛ لأنه أولاً يحكى عنها ، وثانياً يحكى عن نفسه ، بلى إن في اللفظ  
اشتراكاً ظاهراً .

وفي كتاب عبد الكريم من المأخوذ على أبي تمام قوله :  
مها الوحش إلا أن هاتنا أوانس قننا انلظ إلا أن تلك ذوابل  
قال : فيه غلط من أجل أنه نفى عن النساء لين القنا ، وإنما قيل للرماح  
« ذوابل » للينها وثنيها ، فنفي ذلك أبو تمام عن قدود النساء التي من أكل  
أوصافها اللين والتثني والانعطاف .

قلت أنا : أما أبو تمام فقوله الصواب ؛ لأنهم يقولون « رمح ذابل » إذا  
كان شديد الكعوب صلباً ، وهو الذي تعرف العرب ، ومنه قولهم « ذبلت  
شفته » إذا يبستا من الكرب أو العطش أو نحوها ، فأما كلام المعارض فغير  
معروف إلا عند المولدين ؛ فإنهم يقولون « نورة ذابلة » وليسوا بقدوة ؛ على  
أن كلامهم راجع إلى ماقلناه ، إنما ذلك لقلة المائة وابتداء اليبس ، وإنما  
نقل عبد الكريم كلام ابن بشر الأمدى<sup>(٤)</sup> .

(١) انظر كتاب الموازنة للأمدى (ص ٣١٤ من الطبعة الثانية بتحقيقنا) .

(٢) كذا ، ولعله « وحنوها عليه » (٣) هي كذلك في جميع نسخ ديوانه

(٤) انظر الموازنة ١٣٠ .

قال الأصمعي<sup>(١)</sup> : قرأتُ على أبي محرز خلف بن حيان الأحمري شِعْرَ جرير ،  
فلما بلغت إلى قوله :

وليل كالبهام الجباري محبب      إلى هواه غالب لي باطلمة  
رزقنا به الصيد الغرير ولم نسكن      كن نبله محرومةً وحبائله  
فيالك يوماً خَيْرُهُ قَبْلَ شره      تنيب واشيه وأقصر عاذله

قال خلف : ويحه ، ما ينفعه خير يؤول إلى شره ؟ قلت : هكذا قرأته على  
أبي عمرو بن العلاء ، قال : صدقت ، وكذا قال جرير ، وكان قليل التنقيح  
لألفاظه ، وما كان أبو عمرو ليقرئك إلا كما سمع ، قلت : فكيف يجب أن يكون  
قال : الأجود أن يكون « خيرهُ دون شره » فاروه كذلك ، وقد كانت الرواة  
قديمًا تصلح أشعار الأوائل ، قلت : والله لا أرويه إلا كذا .

قلت أنا : أما هذا الإصلاح فمليح الظاهر ، غير أنه خلاف الظاهر ، وذلك  
أن الشاعر أراد أنه كان ليلة في وصال ، ثم فارق حبيبه نهاراً ، وذلك هو الشر  
الذي ذكر ، والرواية جعله لم يفارق فغير عليه المعنى ، إلا أن تكون الرواية  
\* ويوم كالبهام الجباري \* فحينئذ .. على أن « دون » تحتمل ما قصد ، وتحتمل  
معنى قبل ؛ فهي لفظة مشتركة ، وتكون أيضاً بمعنى بعد ؛ لأنها من الأضداد ،  
ولكن في غير هذا الموضع .

مأخذ على بشامة      وخطأ الأصمعي بشامة بن العديري في قوله يصف راحلته :  
ابن العديري      وصدر لها مهيع كالحليف      تخال بأن عليه شليلا  
لأن من صفة النجائب قلة الوبر .

مأخذ على كعب      وخطأ أيضاً كعب بن زهير في قوله يصف راحلته :  
ابن زهير      \* فَعَمَّ مَقِيدُهَا ضَخْمٌ مُقْلِدُهَا \*  
لأن النجائب دقيقات المذامح .

(١) انظر الوشع للمرزباني ١٢٥ .



ونبه أبو الفضل بن العميد على البحترى في بيت كسره ، وهو قوله :  
ولماذا تتبَعُ النفسُ شيئاً جعلَ اللهُ الفردوسَ منه جزاءً  
قال ننشده :

\* جعل الله الخلدَ منه جزاءً \*

ليستقيم ، حكى ذلك الصحاب بن عباد . . وأنشده أيضا :  
أبا غالب بالجود تذكر واجبي إذا ماغنى الباخلين نسيه  
وزعم أنه لحن ، ولست أرى به بأسا ، هذا الشاعر أسكن الياء لما يقتضيه  
بناء القافية ، فإذا أسكن الياء وما قبلها مكسور لم تكن الهاء إلا مكسورة إتباعاً لما  
قبلها ، لا سيما وهي طَرَفٌ ، وقد فعلوا مثل هذا في وسط الكلمة . . وقال  
رؤبة :

\* كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْقَاعِ الْقَرِقُ \*

ولم يقل أيديهن بالضم استئقلا ، وأيضا فكأنه - أعني البحترى - نوى  
الوقوف ، ثم جر القافية كعادتهم في تحريك الساكن أبداً إلى الجر  
وأنشد الصحاب بن عباد قال : أنشدني علي بن المنجم ، قال : أنشدني أبو  
النوثة لأبيه :

وأحقُّ الأيام بالأنس أن يؤثرفيه يوم المهرجان الكبير  
وأنا أقول : إن أبا النوثة جاء من قبله الخلدان في هذه الرواية ، فويل  
للآباء من أبناء السوء ، ودع المثل القديم ، ولا أظن البحترى قال إلا :  
وأحقُّ الأيام بالأنس أن تؤثرفيه يوم المهرجان الكبير  
وأخذ الأحمر على الفضل روايته في قول امرئ القيس :  
\* نَمَسُّ بِأَعْرَافِ الْجِيَادِ أَكْفَنًا \*

مأخذ على  
البحترى

مأخذ على  
الفضل في  
رواياته

وما هو إلا « نمش » أى : تمسح ، والمشوش المنديل .  
وكذلك قول الفضل :

وإذا ألم خيالها طرقت عيني فاء شجونها<sup>(١)</sup> سَجَمُ  
وإنما هو « طرفت » بالفاء .  
وأخذ عليه الأصمى في قول أوس :

\* تصمت بالماء تَوَلَّبا جَدَعَا \*<sup>(٢)</sup>

وإنما هو « جدعا » بدال مكسورة غير معجمة ، ولأمر ما قال ذو الرمة  
لموسى بن عمرو : اكتب شعري ، فالكتاب أعجب إلى من الحفظ ؛ لأن الأعرابي  
ينسى الكلمة قد تعب في طلبها ليلة ، فيضع في موضعها كلمة في وزنها ، ثم ينشدها  
الناس ، والكتاب لا ينسى ولا يبدل كلاما بكلام .

قال الأخطل : أخطأ الفرزدق حيث قال :

أبني غُدَانَةٌ إِنِّي حَرَزْتُكُمْ مَوْهَبْتِكُمْ لِعَطِيَّةَ بْنِ جُمَالٍ  
لَوْلَا عَطِيَّةٌ لَاجْتَدَعْتَ أَنْوْفَكُمْ مِنْ بَيْنِ الْأُمِّ أَوْجِهٍ وَسِبَالٍ

كيف يكون وهب له وهو يهجوم هذا الهجاء ؟ فأنبرى له فتى من نبي تميم  
فقال : وأنت الذي قلت في سويد بن منجوف<sup>(٣)</sup> :

فما جِدَعُ سَوْءِ خَرَقِ السَّوْسِ بَطْنُهُ لَمَّا حَمَلْتَهُ وَائِلُهُ بِمَطِيقٍ  
أردت هجاءه فرعمت أن وائلا تعصب به الحاجات ، وقَدَّرُ سويد لا يبلغ  
ذلك عندهم ، فأعطيته الكثير ، ومنعته القليل ، وأردت أن تهجو حاتم بن النعمان  
الباهلي ، وأن تصغر شأنه ، وتضع من قدره ؛ فقلت :

وَسَوَدَّ حَاتِمًا أَنْ لَيْسَ فِيهَا إِذَا مَا أَوْقَدَ النَّيْرَانَ نَارُ

(١) أحسبه \* ... ففاء شؤونها ... \*

(٢) صدره \* ودات هدم عار نواشرها \* وقد عاب قوم على أوس هذا

البيت ؛ لأنه سمي الصبي « تولبا » وإنما هو ولد الحمار .

(٣) انظر الموشح للدرزبانى ١٣٣ وما بعدها .

ماأخذ على  
الفرزدق، وعلى  
الأخطل

فأعطيته السؤدد من قيس الجزيرة ، ومنعته مالا يضر منعه ؛ وأردت أن تمدح سماكا الأسدي فقلت :

نعمَ المَجِيرُ سماكٌ من بني أسد      بالظَّفِ إِذِ قَتَلَتْ جيرانَهَا مُضْرُ  
قد كنتُ أحسبه قينا وأنبؤه      فالآنَ طَـيـرٌ عن أوابه الشرر<sup>(١)</sup>  
فانصرف الأخطل خجلا .

قال الحسن لعلّى بن زيد : رأيت قول الشاعر :

لولا جريزٌ هلكتُ بجيله      نعم الفتى وبئست القبيلة  
مدحه أم هجاء ؟ قال : مدحه وهجا قومه ، فقال الحسن : ما مدح من هجى قومه .

معذرة عن  
النايعة

وقال من اعتذر للنايعة في قوله :

فإنك كالليل الذي هو مدركي      وإن خلتُ أن المنتأى عنك واسم  
إنما قدم الليل في كلامه لأنه أهول ، ولأنه أول ، ولأن أكثر أعمالهم إنما كانت فيه ؛ لشدة حر بلدكم ، فصار ذلك عندهم متعارفاً .  
وكذلك اعترفوا زهير [ في قوله ] يصف الضفادع<sup>(٢)</sup> :

معذرة عن  
زهير

يخرجن من شربات ماؤها طحل<sup>١</sup>      على الجذوع يحفن العنبر والفرقا  
فقال : لم يرد أنها تخاف العرق على الحقيقة ، ولكنها عادة من هرب من الحيوان من الماء ، فكأنه مبالغة في التشبيه ، كما قال الله عز وجل :  
( وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال ) وقال : ( وبلغت القلوب الحناجر )  
والقول فيهما محمول على « كاد » هكذا ذكر الحدائق من المفسرين ، مع أنا نجد الأماكن البعيدة القعر من البحار لا تقربها دابة ، خوفاً على نفسها من الملكة ، فكأنه أراد المبالغة في كثرة ماء هذه الشربات ، وإنما اقتدى فيه بقول أوس بن حجر :

فباكرن جونا للعلاجيم فوقه      مجالسُ غرقى لا يُحَلِّأُ ناهله

(١) في الأصول « فأنبؤه » (٢) انظر الموازنة ص ٣٥ .

مأخذ على  
أبي نواس

وعند القاضي الجرجاني من غلط أبي نواس في الوزن قوله :  
رأيتُ كَلًّا من كان أحقًا معتوهاً في ذا الزمان صار المقدم الوجيها  
ياربُّ نذلٍ وضيع نوهته تنويها هجوته لَكِيما أزيدَه تشويها  
ولم يقل أبو نواس - فيما علمتُ - إلا « رب وضيع نذل » وهذا أفرط  
في التمصب والحية على أبي نواس وغيره لمن لا يُجْزَى في حَلْبَتهم ولا يُشَقُّ  
غبارهم .

### (٩٣) - باب ذكر منازل القمر

ولما رأيت العرب - وهم أعلم الناس بهذه المنازل وأنواعها ؛ لأنها سقف  
بيوتهم ، وسبب معاشهم وانتجاعهم - غلطوا فيها فقال أحدهم : من الأبرج  
العزلُ والراححة .. وقال امرؤ القيس .

سر ذكر المؤلف  
لهذا الباب

\* إذا ما الترياً في السماء تعرّضت \* (١)

فأتى بتعرض الجوزاء ، ورأيت كل من عني بالنجوم من المحدثين واستوفى  
جميع المنازل مخطئاً ، لا شك في خلافه ؛ لأنه إنما يصف نجوم ليلة سهرها ،  
والنجوم كلها لا تظهر في ليلة واحدة ، ولذلك قلت أنا احتياطاً في الليل من نسيب  
قصيدة مدحت بها السيد أبا الحسن أدام الله عزه :

قد طالَ حتى خلته من كل ناحيةٍ وَسَطُ  
وتكررت فيه المنازلُ مِنْهُ لا مِنِّي الغلطُ

وجب أن أذكر هذه المنازل وأنواعها ، واختلاف الناس فيها ، وعولت  
في ذلك على ما ذكره أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي ، مجتهداً فيما  
استطعت من البيان والاختصار ، إن شاء الله تعالى .

(١) عجزه \* تعرض أثناء الوشاح الفصل \* وهو بيت من معلقته .



نوء السماك

النوء الثاني : السّمَاك ، وهما سما كان : أحدهما السّمَاك الأعزل ، نجم وفاد ، شبهوه بالأعزل من الرجال ، وهو الذى لا سلاح معه ، وهو منزل القمر ، والآخر : كوكب تقدمه آخر ، شبهوه بالرمح ، وهما ساقا الأسد ، وسمى سماكا لعلوه ، ولا يقال لغيره إذا علا سماك ، هكذا قال سيبويه مما حكى الزجاجى عن أبى إسحاق الزجاج ، غير أنه قال فى الأعزل : وقيل إنما سُمى أعزل لأن القمر لا ينزل به . وأنا أقول : القول الآخر خلاف ما عليه جميع الناس ، ورؤية العين تدركه على غير ما يزعم الزاعم .

الغفر

النوء الثالث : الغفر ، وهو ثلاثة كواكب غير زُهرٍ ، وبذلك سميت ، من قولك : غَفَرْتُ الشئ ، إذا غَطَّيْتَهُ ، ومنه سميت الغفارة التى تلبس ، وقيل : إنما سُمى غفراً من الغفرة ، وهى الشعر الذى فى طَرْفِ ذَنبِ الأسد ، وقال أبو عبيدة : الغفر كل شعر صغير دون الكثير ، وكذلك هو فى الریش ، وقال قوم : هو من النكس فى المرض ، يقال : أغفر المريض ، إذا نكس ، كأن النكس غطاء العافية .

الزبانان

النوء الرابع : الزبانان ، كوكبان مفترقان ، وهما قرناً المقرب ، وقيل : يداها ، وسمىا زبانين لبعده كل واحد منهما عن صاحبه ، من قولهم : زَبَنْتُ كذا ، إذا دفعته لتبعده عن نفسك ، ومنه اشتقاق الزبانية ؛ لأنهم يدفعون أهل النار إليها .

الإكليل

النوء الخامس : الإكليل ، ثلاثة كواكب على رأس المقرب ، وبذلك سميت إكليلا .

القلب

النوء السادس : القلب ، كوكب أحمر وفاد : جملوه للمقرب قلباً ، على معنى التشبيه .

الشولة

النوء السابع : الشولة ، كوكبان أحدهما أخى من الآخر ، وهما ذَنبُ المقرب ،

وذنب العقرب شائل أبداً ، فشيبه به ، هذا قول بعضهم ، وبعضهم يجعل الشولة الإبرة التي في ذنب العقرب ، وهم أهل الحجاز ، وهو أصح على مذهب من زعم أنهما كوكبان فقط .

الربيع الثاني : الصيف ، أول أنوائه « النعائم » وهي ثمانية كواكب نيرة :  
 من السنة أربعة منها في الهجرة تسمى الواردة ، وأربعة خارجة منها تسمى الصادرة ، وشبهت  
 الصيف بالخشب التي تكون على البئر يعلق بها البكرة والدلاء .

الثاني من الصيف « البلدة » وهي فرجة لطيفة لا شيء فيها ، لكن بجوارها  
 البلدة كواكب تسمى القلادة ، وإنما قيل لتلك الفرجة البلدة تشبيهاً بالفرجة التي بين  
 الحاجبين ، إذا لم يكونا مقرونين ، يقال منه : رجل أبلدٌ ، ويقال : بل شبهت  
 بالبلدة ، وهي باطن الراحة كلها ، وقيل : باطن ما بين السبابة والإهام .

الثالث منه « سعد الذابح » وهما نجمان صغيران : أحدهما مرتفع في الشمال  
 سعدالذابح معه كوكب آخر يقال هو شاته التي تذبح ، والآخر هابط في الجنوب .

الرابع منه « سعد بُلَع » وهما كوكبان صغيران مستويان في الهجرة ، شبها  
 سعدبلع بضم مفتوح ، يريد أن يبتلع شيئاً ، وقيل : إنما قيل بلع كأنه بلع شاته ، و بُلَعٌ غير  
 مصروف ؛ لأنه معدول من بالع ، مثل زُقِرَ وَقُتِمَ ، وسعدٌ مضاف إليه .

الخامس منه « سعد السعود » وهما كوكبان : أحدهما أنور من الآخر ، سمي  
 سعدالسعود بذلك لأن وقت طلوعه ابتداء كمال الزرع وما يعيش به الحيوان من النبات .

السادس منه « سعد الأخبية » وهما كوكبان عن شمال الخباء ، والأخبية أربعة  
 سعدالأخبية كواكب : واحد منها في وسطها يسمى الخباء ؛ لأنها على صورة الخباء ، وزعم  
 ابن قتيبة أنه سمي بذلك لطلوعه وقت انتشار الحيات والهوام ، وخروج ما كان  
 مختبئاً .

السابع : فرع الدلو الأعلى ، وهو المقدم ، وبعضهم يسميه العرقوة العليا تشبيهاً بفرع الدلو الأعلى

بمرقوة الدلو ، وهما كوكبان مفترقان نيران ، وقيل له « دلو » لأنه تأني فيه الأمطار العظيمة ، ويقال : بل سميا بذلك لأنهما مثل صليب الدلو الذي يفرغ منه الماء .

الربع الثالث : الخريف ، أول أنوائه « فرع الدلو الأسفل » وصورته كوكبان مضمثان بينهما بعد صالح يتبعان المرقوة العليا .

ربع السنة  
الثالث الخريف

ثم الحوت ، وهو كوكب أزهر نير في وسط السمكة .

الحوت

ثم الشرطان ، وهما كوكبان مفترقان مع الشمال ، منهما كوكب دونه في القدر ، وسميا شرطين لأن سقوطهما علامة ابتداء المطر واتصاله ، وكل من جعل لنفسه علامة فقد شرطها ، ومنه سمي الشرط ؛ لأن لهم علامة عرفوا بها .

الشرطان

ثم البطين : وهو ثلاثة كواكب طمس خفيات ، وهو بطن الحمل ، إلا أنه قد صغر .

البطين

ثم الثريا ، وهو النجم ، وصورتها ستة كواكب متقاربة حتى كادت تتلاصق ، وأكثر الناس يجعلها سبعة ، وقد جاء الشعر بالتولين جميعا ، سميت بهذا لأن مَطَرَهَا عنه تكون الثروة وكثرة العدد والغنى ، وهي تصغير تَرْوِي ، ولم ينطق بها إلا مصغرة .

الثريا

ثم الدبران ، كوكب وقاد على أثر نجوم تسمى القلاص ، وقيل له « دبران » لأنه دبر الثريا ، أى : جاء خلفها ، ويقال له أيضا « الراعى » و « التالى » و « التابع » و « الحادى » على التشبيه .

الدبران

ثم المقمة ، سميت بهذا تشبيها بالدائرة التي تكون عند عقب الفارس في جنب الفرس ، وصورتها ثلاثة أنجم صغار متقاربة كأثار رموس أصابع ثلاث في ترى إذا جمعت الوسطى والسبابة والإبهام ، وهى رأس الجوزاء .

المقمة



الربيع: الشتاء ، وهو آخر أرباع السنة ، وأول أنوائه « الهنعة » سميت بذلك  
لأنها كوكبان مقترنان كل واحد منهما منعطف على صاحبه ، من قولك :  
الشتاء  
هنعه ، إذا عطفَ بعضه على بعض ، واقترانهما في الحجر بين الجوزاء  
والذراع المقبوضة .

الذراعان  
ثم الذراعان ، وهى ذراع الأسد المبسوطة والمقبوضة : كوكبان تَبْرَّان بينهما  
كواكب صغار تسمى الأظفار .

الثرة  
ثم الثرة ، وهى لطخة لطيفة بين كوكبين ، وهى عندهم ما بين فم الأسد  
وأفنه ، ومن الإنسان فرجة ما بين الشاربين حِيَال وَرَّة الأنف ، وقيل : إنما سميت  
ثرة لأنها كقطعة سحاب نثرت .

الطرف ( الطرف )  
ثم الطرف ، عينا الأسد ، وهما كوكبان صغيران بينهما نحو قامة فى  
عينا الأسد  
مَرَّأى العين .

الجبهة  
ثم الجبهة ، أربعة كواكب معوجة ، فى المياني منها بريق ، وهى جبهة  
الأسد عندهم .

الزبرة  
ثم الزبرة ، نجمان يرى أحدهما أكبر من الآخر ، ويقال لهما « الخرتان »  
كأنهما نَفَذَا إلى جوف الأسد ، والعيان يبطل ذلك ، كما قال الزجاجى .

الصرفة  
ثم الصرفة ، كوكب وقاد عنده كواكب طُمُس ، سمى بذلك لانصراف  
البرد لسقوطه .

فهذه عدة المنازل وصفاتها ، وإنما أضيفت إلى القمر دون الشمس ، وحظهما  
فيه واحد ؛ لظهورها معه ، وتسمى نجوم الأخذ ، كأن الأرض تأخذ عنها بركات  
المطر ، وقيل : لأخذ الشمس والقمر سمتهما فى سيرها .

## (٩٣) - باب في معرفة الأماكن والبلدان

حد الحجاز قال أبو عبيدة : الحِجَاز هو ما بين الجُحْفَة وجبل طيء ، وإنما سمي حجازاً لأنه حَجَزَ ما بين نجد والنَّوْر ، وحكى ابن قتيبة عن الرياشي عن الأصمعي : إذا خلفت حِجْرًا مُصْعِدًا فقد أنجذت ، فلا تَزَال مُنْجِدًا حتى تنحدر من ثنايا ذات عِرْقِي ، فإذا فعلت فقد أتهمت إلى البحر ، فإذا عرضت لك الحِرَارُ وأنت مُنْجِد فتلك الحجاز ، وإذا تَصَوَّبْتَ من ثنايا العَرَج واستقبلت المَرْنِخ والأراك فقد أتهمت ، وسمى حجازاً لأنه حجز ما بين نجد وتهامة ، فأما محمد بن عبد الله الأسدي فقال : حد الحجاز الأول بطن نَحْلَة وظهر جدة ، والحد الثاني مما يلي الشام شَعْبِي <sup>(١)</sup> وبدَا ، والحد الثالث مما يلي تهامة بدر والسقيا ورهاط وعكاظ ، والحد الرابع ساية [ و ] ودان ، ثم تنحدر إلى الحد الأول بطن نخل .

الجزيرة وأما الجزيرة فإنها ما بين دِجْلَة والفُرَات والموصل ، والسوادان : سواد البصرة والأهواز ودست ميسان وفارس ، وسواد الكوفة كسكر إلى الزاب وحلوان إلى القادسية.

جزيرة العرب وجزيرة العرب قال أبو عبيدة : هي في الطول ما بين حَقِيرِ أَبِي موسى إلى أقصَى اليمين ، وفي العرض ما بين يَبْرِينَ إلى السماوة .

وقال الأصمعي : هي ما بين بَجْرَان والعُدَيْب ، حكاها ابن قتيبة عن الرياشي ،

(١) في الأصول « شعب » بالعين المهملة ، وصوابه ما أثبتناه ، وفيه وفي « بدا » يقول كثير :

وأنت التي حبيت شعبي إلى بدا ، وأوطاني بلاد سواها

قال : وحكى عنه أبو عبيدة أنها في الطول من أقصى عدن إلى ريف العراق، وفي العرض من جدة وما والاها من طراز البحر إلى طراز الشام .

العراق

وقيل : سمي العراق تشبيهاً بعراق المزادة ، وهو موضع الخرز المستطيل في أسفلها ، وقال بعضهم : هو جمع عِرْق ؛ لاشتباك عروق النخل والشجر في تلك الأرض ، وقيل : إن اسمه كان بالفارسية « إيران شهر » أي : أسفل الأرض ، فمررت .

الشام واليمن

وأما الشام واليمن فمن اليد اليمنى واليد الشؤمى ، وهى الشمال ؛ لأن الذى يستقبل الشمس تكون اليمن عن يمينه والشام عن شماله ، ويقال « شام » بالهمز والتخفيف ، ومنهم من جعل الشام جمع شامة ، وهى النسكة تكون فى الجسم سوداء أو نحو ذلك ، وكذلك فى الأرض .

قال ذو الرمة :

وإن لم تكونى غيرَ شامٍ بقفرةٍ تجرُّ بها الأذيال صيفية كدرٍ

#### (٩٤) — باب من الزجر والعيافة

الفرق بين  
الفأل والطيرة

وعنهما يكون الفأل والطيرة ، وبين الطيرة والفأل فرقان عند أهل النظر والمعرفة والحقائق ؛ وذلك أن الفأل تقوية للعزيمة ، وتحضيض على البغية ؛ وإطماع فى النية ؛ والطيرة تكسر النية ، وتصد عن الوجهة ، وتذنى العزيمة ، وفى ذلك ما يعطل الإحالة على المقادير .

الرسول يحب  
الفأل ويكره  
الطيرة

وقد تفادى النبى صلى الله عليه وسلم ونهى عن الطيرة فى قوله : « لا عدوى ، ولا طيرة ، ولا هامة ، ولا صقر » وقد تقدم ذكرها ، وقيل فى الهامة : إنها هذه المروفة .

والطيرة من أحد شيئين : مشتقة إما من الطيران ، كأن الذى يرى ما يكره اشتاق الطيرة

أو يسمع يطير ، كما قال بعضهم :

عَوَى الذئبُ فاستأنستُ للذئبِ إذ عَوَى

وَصَوَّتَ إِنْسَانٌ فَكِدْتُ أُطِيرُ

وإما من الطير، وهو الأصل والمختار من الوجهين، هكذا ذكر الزجاجي. وكانت العرب تزجر الطير والوحش؛ فمن قال بالقول الأول احتج بأن الوحش يُطَيَّرُ بها، وزجرت مع الطير، ومن قال بالقول الثاني قال: إنما كان الأصل في الطير، ثم صار في الوحش، وقد يجوز أن يغلب أحد الشئيين على الآخر فيذكر دونه ويرادان جميعاً.

الرجوع عند  
العرب

أنشد الجاحظ :

ما يعيفُ اليومَ في الطيرِ الدوحَ من غُرَابِ البَيْنِ أوتيسِ بَرَحِ

قال: فجعل التيس من الطير؛ إذ قدم ذكر الطير وجسده من الطير في معنى التطير، والعرب تطير بأشياء كثيرة: منها العطاس<sup>(١)</sup>، وسبب تطيرهم منه دابة يقال له العاطوس يكرهونها، والغراب أعظم ما يتطيرون به، والقول فيه أكثر من أن يُطلب عليه شاهد، ويسمونه حاتمًا؛ لأنه يحتم عندهم بالفراق، ويسمونه الأعور على جهة التطير بذلك؛ إذ كان أصح الطير بصراً، ويقال: سمي أعور لقولهم: «عَوَزْتُ الرجلَ عن حاجته» إذا

(١) وفيه يقول امرؤ القيس:

وقد أغتدى قبل العطاس بهيكل شديد، منيع الجيب، نعم المنطق

أراد أنه يتنبه للصيد قبل أن يتنبه أحد لئلا يسمع عطاساً فيتشام به؛ وكانوا إذا عطس من يحبونه قالوا له: «عمرًا وشبابًا» وإذا عطس من يعضونه قالوا له «وربا وقحابًا» والورى - بفتح فسكون - داء يصيب السكند فيمسدها؛ وكان الرجل منهم إذا عطس قال: «كلاي» وكان تشاؤمهم بالمعطة الشديدة أشد.

رددته عنها ، وقد اعتذر أبو الشيص للغراب وتَطَيَّرَ بالإبل - وإن كان غيره سبقه إلى المعنى - فقال :

الناسُ يَلْحَوْنَ غِرا      بَ البينِ لما جهلوا  
وما على ظهرِ غِرا      بَ البينِ تَطَوَّى الرحلُ  
ولا إذا صاحَ غِرا      بَ في الديارِ احتملوا  
ما فرَّقَ الأحبابَ بعدَ اللهِ إلا الإبلُ  
وما غِرابُ البينِ إلا      لاءَ ناقةٍ أو جملُ

هكذا رويته ، وبعضهم يجعل الشعر \* ما قرب الأحباب \* وبعده \* والناس يَلْحَوْنَ . . \* بواو مكان الهمزة يعطف بها

وقال آخر ملح وظرف :

زعموا بأنَّ مَطِيئَهُمْ عَوْنُ النوى      والمؤذناتُ بِفِرْقَةِ الأحبابِ  
لو أنها حَتَفِي لما أبغضتْها      ولها بهم سَبَبٌ من الأسبابِ

ويتطرون بالسرَد ، ومن أسمائه الأخيَل ، والأخطب ، ويقال : الأخيَل مما يتطيرون به الشقراق ، ويقال : بل طائر يشبهه ، والولق أيضاً الصرد ، قال (١) زبان بن منظور الفزاري في حديث له كان مع نابتة بني ذبيان - وقد تطير من جرادة سقطت عليه فرجع من الغزو ومضى زبان فظفر وغنم :

(١) روى المؤلف هذه القصة معكوسة ، ولم يصب في ضبط أعلامها . والصواب فيها أن النابتة الديقاني كان يسير مع زياد بن سيار يريدان الغزو ، فرأى زياد جرادة ، فقال : حرب ذات ألوان ، ثم رحع ، ومضى النابتة في سبيله ، فلما رحع غانما قال :

يلاحظ طيرة أبدا زياد لتخبره ، وما فيها خبير  
أقام كأن لقمان بن عاد أشار له بحكته مشير

وبعد هذين البيتين البيتان اللذان رواهما المؤلف (وانظر ديوان النابتة ص ٦٥).

تَعْلَمُ أَنَّهُ لَا طَيْرَ إِلَّا عَلَى مُتَطَيِّرٍ، وَهِيَ الثَّبُورُ  
بِشَيْءٍ لَا يُوَافِقُ بَعْضَ شَيْءٍ أَحَابِينَا، وَبَاطِلُهُ كَثِيرٌ  
يَقُولُهَا فِي آيَاتِ لَا أَقْفَ عَلَى (١) جَمَلَتِهَا .

وَقَالَ شَاعِرٌ قَدِيمٌ لَزَبَانَ أَيْضًا :

لَا يَمْنَعُكَ مِنْ بَقَا ءِ الْخَيْرِ تَعَقُّدُ التَّمَامِ  
لَا ، وَالتَّشَاؤُمُ بِالْمَطَا سِ وَلَا التِّيَامُنُ بِالْمَقَاسِمِ  
وَلَقَدْ عَدَوْتُ وَكُنْتُ لَا أَعْدُو عَلَى وَاقٍ وَحَاتِمِ  
وَإِذَا الْأَشْأَمُ كَالْأَيَا مِنْ ، وَالْأَيَامُنُ كَالْأَشْأَمِ  
قَدْ خُطَّ ذَلِكَ فِي الزَّبُورِ الْأُولِيَّاتِ الْقَدَامِ

وَيَتَشَاءُمُونَ بِالثَّبُورِ الْأَعْضَبِ ، وَهُوَ الْمَكْسُورُ الْقَرْنِ .

وَقَالَ الْكَمَيْتُ يَنْفَى الطَّيْرَ وَيُدْفَعُهَا عَنْ نَفْسِهِ :

وَلَا أَنَا يَمْنُ يَزْجُرُ الطَّيْرَ هَمَّهُ أَصْحَابَ غَرَابٍ أَمْ تَعْرِضُ ثَعْلَبِ  
وَلَا السَّانِحَاتُ الْبَارِحَاتُ عَشِيَّةً أَمْرًا صَحِيحَ الْقَرْنِ أَمْ مَرًّا أَعْضَبِ  
وَالْبَيْتُ الْأَوَّلُ مِنْ هَذَيْنِ يَشْبَهُ بَيْتَ الْأَعْشَى الَّذِي أَنْشَدَهُ الْجَاهِلِيُّ .

وَمِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ «فَلَانُ كِبَارِحِ الْأُرُوى» وَفِيهِ قَوْلَانُ : أَحَدُهُمَا أَنَّ الْأُرُوى  
يُنْتَشَاءُ بِهَا ، فَإِذَا كَانَتْ بَارِحًا فَقَدْ عَظُمَ الْأَمْرُ ، وَالْآخَرُ أَنَّهَا إِنَّمَا تَكُونُ فِي قُرُونِ  
الْجِبَالِ ، وَلَا تَكَادُ تَكُونُ سَانِحَةً وَلَا بَارِحَةً .

وَفِي السَّانِحِ وَالْبَارِحِ اخْتِلَافٌ : قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَلَاءِ : سَأَلَ يُونُسُ رُؤْبَةَ عَنْ  
السَّانِحِ وَالْبَارِحِ ، فَقَالَ : السَّانِحُ مَا وَلَاكَ مِيَامِنُهُ ، وَالْبَارِحُ مَا وَلَاكَ مِيَاْسِرُهُ ،

السَّانِحُ  
وَالْبَارِحُ

(١) انظر الهامشة التي قدمناها في الصفحة السابقة .

قال ابن دريد : السانح يتيمن به أهل نجد ويتشاءمون بالبارح ، ويخالفهم أهلُ العالية فيتشاءمون بالسانح و يتيمنون بالبارح .

قال الشاعر الهذلي يذكر امرأته :

زَجَرْتُ لها طير السنيح فإن يكن هواك الذي تهوى يصبك اجتنابها

قال : والسانح: الذي يلقاك وميامنه عن ميامنك ، والبارح الذي يلقاك وشمائله عن شمائلك ، والجابه والناطح : اللذان يستقبلانك ، والقعيد : الذي يأتيك من ورائك .

قال صاحب الكتاب : السكارس الذي ينزل عليك من الجبل ، حكاة الثعالي ، قال أبو جعفر النحاس : السنيح عند أهل الحجاز : ما أتى عن اليمين إلى اليسار ، والبارح عندهم : ما أتى من اليسار إلى اليمين ، وهم يتشاءمون بالسانح ، و يتيمنون بالبارح ، وأهل نجد بالضد من ذلك ، والسانح عندهم هو البارح عند أهل الحجاز .

وقال المبرد : السانح : ما أراك مياسره فأمكن الصائد ، والبارح : ما أراك ميامنه فلم يمكن الصائد إلا أن ينحرف له .

وقد يتطيرون من البازي والعراب وأشياء كثيرة من جهة التسمية ، و يتيمن بها آخرون .

من مליح  
الزجر

ومن مليح ما رأيت في الزجر والعيافة ، قال الصولي : كان لأبي نواس إخوان لا يفارقهم ، فاجتمعوا يوماً في موضع أخفوه عنه ، ووجهوا إليه برسول معه ظفر قرطاس لم يكتبوا فيه شيئاً ، وحزموه بزير وختموه بقار ، وتقدموا إلى رسولهم أن يرمى بالكتاب من وراء الباب ، فرمى به ، فلما رآه استعلم خبرهم فلم أنه من فعلهم وتعرف موضعهم وأتاهم فأنشدهم :

زجرت كتابكم لما أتاني كزَجْرِ سَوَانِحِ الطير الجوارى

تظرت إليه مخزوماً بزير على ظهر ، ومختوماً بقار  
 فقلت : الزير مُلْهِيةٌ ومُـلْهِيةٌ وقلت : القار من دن العقار  
 وقلت : الظهر أهيف ذو جمال تركب صدغُه فوق المدار  
 نجحت إليكم طرباً وشوقاً فما أخطأت داركم بداري  
 فكيف ترونني وترون زجري ألسنتُ من الفلاسفة الكبار؟!

### (٩٥) — باب ذكر المعاظلة والتثبيح

المظال في التوافي : التضمين ، حكاة الخليل بن أحمد ، وزعم قدامة أن المعاظلة  
 حقيقه المعاظلة واشتقاقها  
 سوء الاستعارة ، وهو عندهم مشتق من التداخل والتراكب ، ومنه « تعاضلت  
 الجراد والكلاب » وأنشد قدامة بيت أوس بن حجر :  
 وذات هذيم عارٍ نواشِرُها نُصِمْتُ بالماء توَلِّباً جدعا<sup>(١)</sup>  
 لأنه قد أساء الاستعارة عنده ؛ لجملة الطفل تولبا ، وهو ولد الحمار .

وَأما التثبيح فهو طول الكلام واضطرابه ، ولا يقال « كلام مشبج » حتى  
 التثبيح  
 يكون هكذا ، ويقال : رجل مشبج الخلق ، إذا كان طويلاً في اضطراب ،  
 والتثبيح عند الصولي في الخط ألا يكون بيّناً ، وكذلك هو الكلام .  
 وزعم قوم أن المعاظلة تداخل الحروف وتراكبها ، كما عيب على كعب بن  
 رأي آخر في المعاظلة  
 زهير قوله :

تجلو عوارِضَ ذى ظلمٍ إذا ابتسمت كأنه مُنْهَلٌ بالراح مَمْلُولُ  
 وعاب ابن العميد حبيباً لقوله :

كريم متى أمدحُه أمدحه والورى معى ، ومتى مالمته لمته وحدى  
 بالتكرير في « أمدحه أمدحه » مع الجمع بين الحاء والهاء في كلمة ، وهما معاً  
 من حروف الخلق ، وقال : هو خارج عن حد الاعتدال ، نافر كل النفار ،  
 حكى ذلك عنه صاحب بن عباد .

(١) انظر ص ٢٥٠ السابقة .



وزعم آخرون أنها ترصيب الشيء في غير موضعه، كقول الكميث رأى ثالث في  
ابن زيد :  
المعاظلة

وقد رأينا بها حوراً مُنَمَّمةً بيضاً تكَلَّ فيها الدُّكُّ والشَّنْبُ  
وهذا البيت مما عابه عليه نصيب .  
ومثله عندي قول أبي الطيب :

يحمل المسك عن غدائرها الريح وَيَفْتَرُّ عن شَنِيبٍ <sup>(١)</sup> بَرُودٍ

(٩٦) — باب الوحشى المتكلف، والريك المُسْتَضْعَف

الوحشى من الكلام : ما نفر عنه السمع ، والمتكلف : ما بعد عن الطبع ،  
الكلام والريك : ما ضمنت بنيته ، وقَلَّتْ فائدته ، واشتقاقه من الرِّكَّةِ ، وهى المطر  
والضعيف ، وقيل : من الرِّكِّ ، وهو الماء القليل على وجه الأرض .  
والريك

وأشد النحاس

تهادى كموم الرِّكِّ يقطعه الحيا بأبطح سهلٍ حين تمشى تأوِّداً  
و«فلان ريك» أى : ضعيف العقل ، ويقال للوحشى أيضاً : حُوشِيٌّ ، كأنه  
منسوب إلى الحوش ، وهى بقايا إبلٍ وبَآرٍ بأرضٍ قد غلبت عليها الجن فعمرتها  
ونفت عنها الإنس ، لا يطؤها إنسى إلا حَبَلُوه .

قال رؤبة :

\* جَرَّتْ رجالاً من بلادِ الحوش \*

وإذا كانت اللفظة حَشَنَةً مستغربة : لا يعلماها [إلا] العالم المبرز ، والأعرابي القح؛

(١) فى الأصول « عن شنب » وهو تصحيف ، والشَنِيب : الثغر الذى فيه  
الشنب ، وهو حدة الأسنان ، وقيل : الرقة والعذوبة . والبرود - بفتح الباء -  
البارد

فتلك وَخْشِيَّةٌ ، وكذلك إن وقعت غير موقعها ، وأتى بها مع ما ينافرها ، ولا يلائم شكلها .

وكان أبو تمام يأتي بالوَخْشِيَّةِ الحُشْنِ كثيراً ويتكلف .

وكذلك أبو الطيب كان يأتي بالمستغرب ليدل على معرفته ، نحو قوله :

\* كل آخائِهِ كرامِ بنى الدنيا وَلِئِكَنتُهُ كَرِيمٌ كرامِ \*

وهذا مع غرابته وتكلفه غير محمول على ضرورة يكون فيها عذر ؛ لأن قوله « كل إخوانه » يقوم مقامه بلا بفاضة .

ومن التكلف قول إبراهيم بن سيار للفضل بن الربيع ، ويروى أيضاً لإبراهيم بن شبابة :

هبنى ظلمتُ وما ظلمتُ بلى ظلمتُ أقرُّكى يزداد طَوْلُكَ طولاً  
إن كان جُرْمِي قد أحاط بجرمتي فأحطَ بجرمي عَفْوُكَ المأمولاً  
فتبارك الله كأنهما لم يخرجوا من ينبوع واحد .

قال إبراهيم بن المهدي لعبد الله بن صاعد كاتبه : إياك وتَتَّبِعُ الوَخْشِيَّةَ من الكلام طمعاً في نيل البلاغة ؛ فإن ذلك هو العيُّ الأَكْبَرُ ، عليك بما سهل مع تجنبك ألفاظ السفلى .

وقال أبو تمام يمدح الحسن بن وهب بالبلاغة :

لم يتبع شنع اللغات ، ولا مَشِيَّ رَسْفَ المقيدِ في طريق المنطق  
ينشقُّ في ظلم المعاني إن دَجَّتْ منه تبشير الكلام المفلق  
وقال علي بن بسام :

ولاخير في اللفظ الكريه استماعهُ ولا في قبيح الأذن والقصد أزينُ

قال علي بن عيسى الرمائي : أسباب الإشكال ثلاثة : التخيير عن الأغلب كالقديم والتأخير وما أشبهه ، وسلوك الطريق الأبعد ، وإيقاع المشترك ، وكل

أبو تمام وولعه  
بالوخشي  
والتنبي

أمثلة من  
التكلف

من كلام  
أبي تمام في  
البلاغة

أسباب إشكال  
الكلام

ذلك اجتمع في بيت الفرزدق :

وما مثله في الناس إلا مملكاً أبو أمه حتى أبوه يقاربه

فالتغيير عن الأغلب سوء الترتيب ؛ لأن التقدير « وما مثله في الناس حتى يقاربه إلا مملكا أبو أمه أبوه » يريد بالملك هشام بن عبد الملك ، والمدوح هو إبراهيم بن هشام خال هشام بن عبد الملك ؛ وأما سلوك الطريق الأبعد فقوله « أبو أمه أبوه » وكان يُجزيه أن يقول « خاله » وأما المشترك فقوله « حتى يقاربه » لأنها لفظة « حتى » تشارك فيها القبيلة والحى من سائر الحيوان [المتصف] بالحياة ، قال : وإذا تفقدت آيات المعانى رأيتها لا تخرج عن هذه الأسباب الثلاثة .

وحكى الصولى قال : أنشدنى بعض الكتاب عن أحمد بن يحيى ثعلب قول

للبحترى في  
وصف البلاغة

البحترى للحسن بن وهب :

برقت مصابيحُ الدجى في كُتُبِهِ	وإذا دَجَّتْ أَقلامُهُ ثم اتحت
مِنَّا ، ويبعد نَيْلُهُ في قَرَبِهِ	فاللفظُ يقربُ فهمه من بعده
هَظَالَةٌ ، وَقَلْبِهَا في قَلْبِهِ	حكمٌ سحائبها خِلالَ بنانه
وبياض زهرته وخضرة عُشْبِهِ	كالروض مؤتلفاً بمحرقِ نوره
وجه الحبيب بدا لعين محبه	وكانها والسمعُ معقودُ بها

واستعادها أبو العباس حتى فهمها ، ثم قال : لو سمع الأوائل هذا الشعر لما فضّلوا عليه شعراً .

### (٩٧) - باب الإحالة والتغيير

وهذه ملح أتيت بها - تدل من عرفها على رداءتها ، وتدعو إلى كراهتها واجتنابها ، وقد وقعت في أشعار الجلمة من المتقدمين ، والتمس لهم فيها العذر لأنهم أرباب اللغة وأصحاب اللسان ، وليس المولد الحضرى منهم في شيء

أمثلة من  
الإحالة

فن الإحالة قولُ ابن مقبل :

أما الأداةُ ففينا ضميرٌ صنعٌ جودٌ حواجزٌ بالأبداً واللجمِ  
ونسج داود من بيضِ مُصَاعَفَةٍ من عهدِ عادٍ ، وبعدهُ الحىُّ من إرم  
فكيف يكون نسج داود من عهد عاد ؟ اللهم إلا أن يريد فينا ضمير صنع  
من عهد عاد ؛ فذلك له على سبيل المبالغة ، مع أن الإحالة لم تفارقه ، وكم بين  
قيس عيلان وبين عاد ، فضمــــــــــــلا عن بنى العجلان ؟ !

وقال عبد الرحمن بن حسان :

وإن مال الضجيعِ بها فدِعْصُ من السكُّنْبَانِ مُلْتَبِدٌ مَهِيلٌ  
قالوا : وكيف يكون ملتبداً مهيلاً ؟ هذا مستحيل متناقض ، والذي عندي  
فيه أنه صواب ؛ لأنه إنما أراد بالتباده صلابه ملمس العجيزة ، وأنها غير مُسترخية  
وجمله مهيلاً لارتعاده واضطرابه من العظم ، كما قال ابن مقبل :  
يمشِينَ هَيْلَ النَّقَاسَاتِ جَوَانِبُهُ يَهَالُ طَوْرًا ، وبنهاهُ الثَّرَى حِينًا  
فقد جعله مرة ينهال ، ومرة ينهال الثرى والثنى الذى فيه . .  
وقال جميل فى التغيير :

أمثلة من التغيير

لاحسناها حُسْنٌ ، ولا كدلالها دَلٌّ ، ولا كوقارها توقيرُ  
فذف كاف التشبيه فصار المعنى كأنه ليس حسنها حسناً<sup>(١)</sup> ، وقد يغيرون  
اللفظ كما قال النابغة :

وَنَسَجَ سُلَيْمٍ كُلَّ قَضَاءِ ذَائِلٍ<sup>(٢)</sup>

وهذا أسهل من قول الآخر :

(١) هذا فى قولها « لا حسنها حسن » لأنه يريد لا مثل حسنها حسن ، أو نحوه  
(٢) فى الأصل « ذابل » بالباء موحدة ، وفى الديوان « ذائل » بالهمز ،  
وصدر هذا قوله \* وكل صموت ثلثة تبعية \* والصموت : الدرغ الثقيلة التى =

مِنْ نَسِجِ دَاوُدَ أَبِي سَلَامٍ .

وهذا كثير يخرج منه في هذا الموضع ما ذكرت .

### (٩٨) باب الرخص في الشعر

وأذكر هنا ما يجوز للشاعر استعماله إذا اضطرَّ إليه ، على أنه لا خير في  
الضرورة ، على أن بعضها أسهل من بعض ، ومنها ما يسمع عن العرب ولا يعمل  
به ؛ لأنهم أتوا به على جيَّاتهم ، والمولد المحدث قد عرف أنه عيب ، ودخوله  
في العيب يلزمه إياه .

فمن ذلك قصر المدرد على مذهب أهل البصرة والكوفة جميعاً ، وله -  
على ما أجاز الكوفيون - وصل ألف القطع ، وهو قبيح . . قال حاتم طي :  
أبوه أبي ، والأمهاتُ أمَّهاتُنَا فأنعمُ فذاك اليومُ أهلي ومعشري  
قال بعضهم : إنما الرواية « والأم من أمهاتها »

وله تخفيف المشدد في القافية ، وأما في حشو البيت فمكروه جداً ، وحذف  
التنوين لالتقاء الساكنين ، ورمبما حذفوا النون الساكنة . . كما قال :

فلست بآتيه . ولا أستطيعهُ وَلَاكِ اسقيني إن كان ماؤك ذا فضل<sup>(١)</sup>

وأن يحذف للألف واللام أو الإضافة ما يحذف للتنوين مثل قول

خَفَّاف :

== إذا صبت لم يسمع لها صوت . والثلة - ومثلها الثرة - الواسعة من الدروع ،  
والقضاء : الدرع للمسحورة الحشنة المس من جدتها لم تنسحق بعد . والدائل :  
الطويلة النذيل ، ويقال : درع ذائل ودائلة .

(١) البيت للنجاشي ( انظر كتاب سيديويه ج ١ ص ٩ ) . وأصل الكلام :

« ولكن اسقى » لكنه لما اضطر حذف نون « لكن » تشبيها لها بالتنوين

كنواح ريش حمامة نجدية ومسحت باللثتين عَصَفَ الإمد<sup>(١)</sup>

وأن يحذف حرفا من الكلمة كقول العجاج :

\* قَواطِنًا مَكَّةَ مِنْ وَرَقِ الحَمِي \*<sup>(٢)</sup>

وحرفين كقول علقمة بن عبدة :

\* مُقَدَّمٌ بِسَبَابِ الكَتَانِ مَلْثُومٌ \*<sup>(٣)</sup>

يريد بسباب الكتان ، وأن يحذف من المكنى في الوصل ما يحذف منه

في الوقف . . كقول الشاعر :

\* سَأَجْمَلُ عَيْنِيهِ لِنَفْسِهِ مَقْنَعًا \*<sup>(٤)</sup>

وأقبح منه أن يحذف من المكنى المنفصل كقول الآخر :

فَبَيِّنَاهُ بِشَرِي رَحْلَهُ قَالَ قَائِلٌ : لِمَنْ جَمَلٌ رِخْوُ المِلاطِ نَجِيبٌ ؟

وأقبح من ذلك أن يحذف الألف من ضمير المؤنث . . أنشد قطرب :

أما تقولُ به شاةٌ فَيَا كَلِها أَوْ [أَنْ] تَبِيعةً فِي بعضِ الأراكِبِ

أراد « تبيعها » فحذف الألف ، قال : ولا يجوز استعمال هذا للمحدث

(١) أراد « كنواحي ريش - إلخ » فحذف الياء مع الإضافة ضرورة تشبيها

بحال الإفراد والتنوين وحال الوقف ، يصف شفق امرأة فشبههما بنواحي ريش الحمامة في رقتها ولطافتها وحوتهما ، وأراد أن لثاتها تضرب إلى السمرة فكأنها مسحت بالإمد .

(٢) أراد « الحمام » فغيرها إلى ماترى ، وفي ذلك وجوه أحسنها أن يكون قد

حذف اليم الثانية للضرورة ثم قلب الألف ياء بعد كسر اليم الأولى .

(٣) صدره \* كأن إبريقهم ظي على شرف \*

(٤) هذا مجز بيت لمالك بن خريم الهمداني ، وصدره \* فإن يك غشا أو

سمينا فإنني \* أراد « لنفسه » فحذف الياء ضرورة . وصف ضيفافه ويقول : سأقدم

إليه ما عندي غشا كان أو سمينا ، وأحكمه فيه ليختار أفضل ما ترى عيناه فيقع بذلك .

لشدوذه وقبحه ، ويجوز له حذف الياء والواو من المضمرة المذكر لكثيرته واطراده ،  
وللشاعر أن يحذف اسم « لَيْتِ » إذا كان مضمراً . . أنشد المفضل لعدى  
ابن زيد :

فليتَ دَفعتَ الهمَّ عنيَ سَاعَةً فبتنا على ما خيلتَ نَاعِيَّ بِال

يريد « لَيْتِكَ » وله حذف الفاء من « افتعلته » من التقوى وماتصرف منها ،  
أنشد المفضل لخداش بن زهير :

تَقُوهُ أَيُّهَا الْفَتِيَانُ ؛ إِنِّي رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ غَلَبَ الْجُدُودَا

وأنشد أبو زيد الأنصاري :

إِنَّ الْمَنِيَةَ بِالْفَتِيَانِ ذَاهِبَةٌ وَإِنْ تَقُوهاَ بِأَرْمَاحِ وَأَدْرَاعِ

وحذف الفاء من جواب الجزاء كما قال :

يَا أَقْرَعُ بَنَ حَابِسٍ يَا أَقْرَعُ إِنَّكَ إِنْ يُصْرَعُ أَخُوكَ تُصْرَعُ<sup>(١)</sup>

قال سيويوه : تقديره<sup>(١)</sup> إِنَّكَ إِنْ يُصْرَعُ أَخُوكَ فَتُصْرَعُ .

ومثله أيضاً :

مَنْ يَفْعَلُ الْحَسَنَاتِ اللَّهُ يُشْكِرُهَا وَالشَّرَّ بِالشَّرِّ عِنْدَ اللَّهِ مِثْلَانِ

يريد « فَاللَّهُ يُشْكِرُهَا » وهذا أبين من الأول ، وحذف النون من تثنية

« الذي » وجمعه

(١) في الأصول \* إِنَّكَ إِنْ تُصْرَعُ أَخُوكَ تُصْرَعُ \* وهو غير رواية سيويوه  
وغيره من النحويين ، ولذلك أثبتنا روايتهم ، وفيما نقله المؤلف عن سيويوه خطأ  
غير وجه الكلام وجعل المعنى فاسداً ، وعبارة سيويوه (ج ١ ص ٢٣٦) هكذا  
« أراد إِنَّكَ تُصْرَعُ إِنْ يُصْرَعُ أَخُوكَ » ومعنى هذا أن جواب الشرط محذوف ، وجملة  
« تُصْرَعُ » مع نائب الفاعل في محل رفع خبر إن .

قال الأخطل :

أَبْنَى كَثَائِبٍ إِنَّ عَمِّيَ الَّذِي قَتَلَ الْمُؤُوكَ وَفَكَكَ الْأَغْلَالَ  
وَأَنشَد سيبويه :

وَإِنَّ الَّذِي حَانَتْ بَفَلَجٍ دِمَاؤُهُمْ هُمُ الْقَوْمُ كُلُّ الْقَوْمِ يَا أُمَّ خَالِدٍ  
أراد « الذين » وعلى هذا قال أبو الطيب :

أَلَسْتَ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِي مِنْ رَمَاحِهِمْ نَدَاهُمْ ، وَمِنْ قَتْلَاهُمْ مُهَجَّةُ الْبُخْلِ  
ويجوز أن يكون جعل « الذي » للجماعة والواحد كما جعل « مَنْ » وقد  
حكى ذلك الزجاجي .

قال ابن قتيبة في قول الله عز وجل : ( كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت  
ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلماتٍ لا يبصرون ) : إن « الذي » ههنا  
بمعنى الذين ، والله أعلم .

وحذف الياء من « الذي » فمنهم من يسكن الذال بعد الحذف ، ومنهم  
من يدعها مكسورة على لفظها ، أنشد البصريون والكوفيون جميعاً :

فَظَلَّتْ فِي شَرِّهِ مِنَ اللَّذِّ كِيدًا كَمَنْ تَزَبَّى زُبِيَّةً فَاصْطِيدًا

ويروى \* كَالَّذِ تَزَبَّى زُبِيَّةً فَاصْطِيدًا \* فجمع بين اللفتين<sup>(١)</sup> . ونظير هذا

حذف الياء من « التي » وإسكان التاء ، وأنشدوا :

قَقُلْ لَلَّتْ تَلُومُكَ : إِنَّ نَفْسِي أَرَاهَا لَا تُتَوَدُّ بِالْتَمِيمِ

وحذف الياء والتاء من « اللواتي » ، أنشد الزجاجي :

(١) كلا ، بل هالعة واحدة ؛ فإن ذال الكلمتين في الشطر الأول والثاني على  
الرواية الثانية — وهي المشهورة للمعرفة في أكثر كتب النحو والأدب —  
ساكنة ، يعلم ذلك من له أدنى مسكة بعلم .



جَمَعْتَهَا مِنْ أَيْنُقِ غِيْـزَارٍ مِنَ اللّوَا شَرَفْنَ بِالصَّرَارِ  
وحذف الموصول وترك الصلة . كما قال يزيد بن مفرغ ؛  
عَدَسٌ مَا لِعَبَادِ عَلَيْنِكَ إِمَارَةٌ تَجَوَّتْ وَهَذَا تَحْمِلِينَ طَلِيقُ  
أراد « وهذا الذي تحمّلين » فحذف (١) .

وحذف اسم « إن » و « لكن » . كما قال :  
وَلَكِنْ مَنْ لَا يَلْقَى أَمْرًا يَنْوِبُهُ بِمُدَّتِهِ يَنْزِلُ بِهِ وَهُوَ أُغْزَلُ  
فحذف الماه من « لكنّه » لأنه قد جازى بمن ، ولو أعمل فيها « لكن »  
لم يجز أن (٢) يجازى بها .  
ومثله قول الآخر (٣) :

إِنَّ مَنْ يَدْخُلُ السُّكْنِسَةَ يَوْمًا يَلْقَى فِيهَا جَاذِرًا وَظِيَاءَ  
أراد « إنه » . ويبدلون من الحروف السالمة حروف المد واللين ، وأنشدوا :

(١) في كلام المؤلف خطأ ، وبيان الموضوع أن الكوفيين ذهبوا إلى جواز  
مجيء أسماء الإشارة أسماء موصولة مع اتصال حرف التنبيه بها ، واستشهدوا على ذلك  
بهذا البيت فقالوا : إن « هذا » اسم موصول بمعنى الذي ؛ فليس هو من حذف  
الموصول وإبقاء صلته عندهم ، والبصريون يمنعون مجيء « هذا » وغيره من أسماء  
الإشارة مع حرف التنبيه أسماء موصولة ، وعندهم أن « هذا » اسم إشارة مبتدأ ،  
وخبره « طليق » في آخر البيت ، وجملة « تحمّلين » في محل نصب على الحال ، أي  
وهذا طليق حال كونه محمولا عليك ؛ فتخريجهم للبيت لا يوافق أحد المذهبين .

(٢) أي : لأن أسماء الشرط لها الصدارة في الكلام فلا يعمل ما قبلها فيها ،  
ومن الذي تستحقه أن يتأخر عنها ما يعمل فيها نحو قوله تعالى : ( أيا ما تدعوا فله  
الأسماء الحسنی ) وهنا لا يمكن ذلك ؛ لأن « لكن » حرف ، وهو لا يعمل متأخرا  
فلذلك تقدم « لكن » وقدر اسمه ضمير شأن ، وجملة الشرط والجواب في محل  
رفع خبر « لكن » فافهم ذلك .

(٣) ينسب للأخطل .

لها أشار ير من لحم تُثَمَّره من الثعالى ووخر من أرائنها  
أراد « من الثعالب » « ومن أرائنها » ويلينون الهمزة ، وذلك كثير  
جدا جائز في المنثور والقصيح ، وله حذف ألف الاستفهام ، كما قال الأخطل :  
كَذَبْتُكَ عَيْنُكَ أَمْ رَأَيْتَ بَوَاسِطِ غَلَسَ الظلامِ مِنَ الرَّبَابِ خَيَالاً  
وهذا ردىء في المنثور جداً .

ونقصان الجروع عن أوزانها لضرورة التافية كما قال رؤبة :

\* حتى إذا بَلَّتْ حَلَاقِيمَ الخَلْقِ \*

يريد « الخلق » وترك صرف ما ينصرف ؛ لأنه يمحذف منه التنوين وهو  
يستحقه ، وهو غير جائز عند البصريين ، إلا أنه قد جاء في الشعر . قال  
عباس بن مرداس يخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم :

وما كان حِصْنٌ وَلَا حَابِسٌ يَفُوقَانِ مِرْدَاسَ فِي تَجْمَعِ  
وعلى هذا المذهب قال أبو نواس :

عَبَّاسُ عَبَّاسٌ إِذَا احْتَدَمَ الوِضَا وَالْفَضْلُ فَضْلٌ وَالرَّبِيعُ رَبِيعٌ  
ويروى \* إذا حضر الوضا \* والقراء يرى ترك الصرف لعلة واحدة ، وهي

التعريف ، والبصريون يخالفونه في ذلك ويأبونه .

ومن أقبح الحذف حذف حركة الإعراب للضرورة ، وأشدوا لأمريء القيس :

فاليوم أَشْرَبْتُ غَيْرَ مُسْتَحْقِبِ إِنَّمَا مِنْ اللَّهِ وَلَا وَاعِغِلِ  
ومثله للفرزدق :

رُحْتِ وَفِي رِجْلَيْكَ مَا فِيهِمَا وَقَدْ بَدَّاهْتِكَ مِنَ الْمُنْتَزِرِ

وزعم قوم أن الرواية الصحيحة في قول امرئ القيس \* اليوم أَسْقَى \*  
وبذلك كان المبرد يقول ، وقال الآخرون : بل خاطب نفسه كما يخاطب <sup>(١)</sup> غيره ،

(١) يريد أن قوله « اشرب » فعل أمر مبني على السكون ، وليس فعلاً مضارعاً  
فورد على هذا أن الهمزة في « اشرب » همزة قطع ، ونحن نعلم أن همزة أمر الثلاثي  
همزة وصل ، فقيل : إن الرواية « فاليوم فاشرب » وقد أشار المؤلف إلى هذا الجواب .

فقال : فالיום فأشرب ، وفي بيت الفرزدق \* وقد بدا ذاك من المنز \* كناية  
عن الهن ، وهذا مما يسمع ويحكي ، ولا يقاس عليه البتة .  
هذا صدر جيد مما علمته يجوز للشاعر من الحذف والنقصان .

ضرورات  
الزيادة

والذي يجوز له من الزيادات أنا ذا كرمته أيضاً ما وسعته قدرتي ، إن شاء الله تعالى :  
فمن ذلك صرف مالا ينصرف ، وإجراء المعتل مجرى الصحيح ؛  
فيرب في حال الرفع والخفض ، تقول : هذا القاضي ، ومررت بالقاضي ، وزيد  
يقضي ويقزو ، ولا يجوز في المنشور من الكلام ، وعلى هذا قول قيس  
ابن زهير :

ألم يأتيك والأنباء تنمي بما لاقت لبون بني زياد  
كأنه يقول في الرفع يأتيك بضم الياء ، فلما جزمها أسكنها .

ومنهم من يبدل من الياء همزة ، وهو القليل ، فيقول : القاضي ، والغايزي ،  
وأنشد :

يا دار سلمي بدكاديك البرق سقياً وإن هيجت شوق المشدق  
همز الياء ، وليس أصلها الهمزة .  
وله إظهار التضعيف كقوله :

يشكو الوَجَى من أظلل وأظلل

وإما هو « الأظلل » وهو باطن خف البعير .

وتثقل الخفف في وصل الكلام على نية من يقف على التثقل ، وأنشدوا :

يبازل وجنأ أو عيهل كأن مهواها على الكلكل  
موقع كفى راهب يوصل

فثقل « العيهل » وهي السريمة ، و « الكلكل » في صلة الشعر ، وهما مخففتان

وله إدخال النون الخفيفة أو الثقيلة في الواجب ، وإنما تدخل فيما ليس  
بواجب ، نحو الأمر والنهي والاستنهام . قال القطامي :

وهم الرجالُ ، وكلُّ ذلك منهمُ يحزنُّ في رَحْبٍ وفي مُتَضَيِّقٍ  
وأشدوا لآخر ، وهو جذيمة الأبرش :

رُبَمَا أَوْفَيْتُ فِي عَالَمٍ تَرْفَعُنْ ثَوْبِي شِمَالَاتُ

وله إدخال الفاء في جواب الواجب ، والنصب بها على إضمار « أن » .  
قال طرفة :

لنا هَضْبَةٌ لَا يَنْزِلُ الذَّلِيلُ وَسَطَهَا وَيَأْوِي إِلَيْهَا الْمُسْتَجِيرُ فِيمَصَا  
فنصب بالفاء على الجواب .

وقال آخر :

سَأَتْرِكُ مَنْزِلِي لِبَنِي تَمِيمٍ وَالْحَقُّ بِالْحِجَازِ فَاسْتَرِيحَا  
وقطع ألف الوصل لأنه زيادة حركة ، والجزم بحرف وحرفين ، وأكثر من  
ذلك ، وقد مضى فيما تقدم من هذا الكتاب .

وزيادة حرف في المجموع نحو قول الشاعر :

تَنَفَّى يَدَاهَا الْحَصَى فِي كُلِّ هَاجِرَةٍ تَنَفَّى الدَّرَاهِمِ تَنَقَّادُ الصِّيَارِفِ  
فزيد ياء في « الدراهم » وياء في « الصيارف » إن لم تكن الرواية تختلف ،  
على أن الدراهم لا يضطر فيها إلى زيادة الياء ؛ إذ كان الوزن يقوم دونها ،  
وإن قيل في بعض اللغات « دِرْهَامٌ » .

وله على مذاهب الكوفيين خاصة مد المقصور ، وقد أئزم ابن ولاد  
البصريين مده على مذهب سيبويه في امتناع الحركة

ويجوز له التقديم والتأخير ، كما قال العجيز السلولي :

وما ذاك إن كان ابن عمي ولا أخى ولكن متى ما أملك الضرر أنفع

بالرفع ، أراد ولسكن أنفع متى ما أملك الضر ، ولا أدري ما الفرق بين هذا وبين \* إن يُضَرَّغَ أخوك تصرع\* حيث فرقوا بينهما<sup>(١)</sup> غير أنا نسلم لهم كما سلم من هو أثقب منا حسا وأذ كي خاطرا  
وقال عمرو بن قبيثة :

لمسارات سائيداً ما استعبرتُ الله درُّ اليومَ مَنْ لَامَهَا  
وهذه أشباه من القرآن، وقعت فيه بلاغة وإحكاماً لا تصرفوا ضرورة ، وإذا  
وقع مثلها في الشعر لم ينسب إلى قائله عجز ولا تقصير ، كما يظن من لا علم له  
ولا تفتيش عنده :

من ذلك أن يذكر شيئين ثم يخبر عن أحدهما دون صاحبه اتساعاً ، كما قال  
الله عز وجل : ( وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها ) . أو يجعل الفعل لأحدهما  
ويشرك الآخر معه ، أو يذكر شيئاً فيقرن به ما يقاربه ويناسبه ولم يذكره ،  
كقوله تعالى في أول سورة الرحمن : ( فبأى آلاء ربكما تكذبان ) وقد ذكر  
الإنسان قبل هذه الآية دون الجان ، وذكر الجان بعدها .

الإخبار  
عن واحد  
من اثنين

وقال الملقب العبدى :

فما أدري إذا بيمت أرضاً أريد الخيرَ أيهما يلي  
الخيرُ الذي أما أتبعيه أم الشرُّ الذي هو يبتغي  
فقال « أيهما » قبل أن يذكر الشر ؛ لأن كلامه يقتضى ذلك .

وأن يحذف جواب القسم وغيره ، نحو قوله عز وجل : ( ق والقرآن المجيد ،  
بل عجبوا أن جاءهم منذرٌ منهم ) وقوله : ( والنازعات غراما ) إلى قوله : ( يوم  
ترجف الرامة ) فلم يأت بجواب ؛ لدلالة الكلام عليه ، وقال عز وجل :

حذف  
جواب القسم  
وعبره

(١) قد عرفت ما علمناه لك عن سبويه أن مخرجهما في العربية واحد ، فلا

( ولولا نضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤفٌ رحيم ) أراد « لئذ بكم » أو نحوه

ومن هذا قول امرئ القيس :

ولو أنها نفسٌ تموت جميعاً      ولسكنها نفسٌ تساقط أنفاسا

وقد تقدم ذكره .

ومن ذلك إضمار ما لم يذكر كقوله جل اسمه : ( حتى توارت بالحجاب )

يعنى الشمس ، وقوله : ( فأثرن به نفعاً ) ولم يحرك للوادي ذكر

وقال حاتم طيء :

أماوى ، ما يغنى الثراء عن النقى      إذا حشر سرت يوماً وضاق بها الصدر؟

يعنى النفس ، وأنشد ابن قتيبة عن القراء :

إذا نهي السفية جرى إليه      وخالف ، والسفيه إلى خلاف

يعنى « جرى إلى السفه »

وحذف « لا » من الكلام وأنت تريدها ، كقوله تعالى ( كجيز بعضكم

لبعض أن تحبط أعمالكم ) وزيادة « لا » في الكلام كقوله سبحانه ( وما يشعرم

أنها إذا جاءت لا يؤمنون ) فزاد « لا » لأنهم لا يؤمنون ، هذا قول ابن قتيبة ،

وقال جل اسمه : ( ما منعك أن لا تسجد ) أى : ما منعك أن تسجد ، قال :

وإنما تزداد « لا » في الكلام لإباء أو جحود ، وقال : ( لئلاً يعلم أهل الكتاب

أن لا يقدرن على شيء من فضل الله ) أى : ليعلم .

وقال أبو النجم :

\* فما ألوم النجم أن لا تسهرا \*

يريد « أن تسهرا » .

وحذف للمنادى كقوله تعالى : ( ألا يا اسجدوا لله ) كأنه قال « ألا يا هؤلاء

اسجدوا لله » وقال ذو الرمة فى مثل ذلك :

إضمار  
ما لم يحرك  
له ذكر .

حذف « لا »  
وزيادتها

حذف  
المنادى

الا ياسلمى يا دارمى على البلى ولا زال مُنْهَلًا بِجَرَ عَائِكَ الْقَطْرِ

وأن يخاطب الواحد بخطاب الاثنين والجماعة ، أو يخبر عنه ، كقوله تعالى : خطاب الواحد  
 ( إنَّ الذين ينادونك من وراء الحجرات ) وإنما كان رجلاً واحداً ، وقوله ( ألقيا  
 في جهنم ) وإنما يخاطب مالكا خازن النار ، وقيل : بل أراد ألقى ألقى ، فثنى (١)  
 الفعل ، وقوله : ( فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ) فخاطب الاثنين بخطاب  
 الواحد ، وقوله : ( فقد صمَّعتُ قلوبكما ) وقوله : ( وألقى الألواح ) وهما لوحان  
 فيما زعم المفسرون ، حكاه ابن قتيبة ؛ وأن يصف الجماعة بصفة الواحد كقوله :  
 ( وإن كنتم جنُبا ) .

ومن غرائب هذا الباب أن يأتي المفعول بلفظ الفاعل ، كقوله تعالى : مجيء المفعول  
 بلفظ الفاعل  
 وعكسه  
 ( لا بعاصم اليوم من أمر الله ) أى : لا معصوم ، وكذلك قوله : ( من ماء دافق )  
 أى : مدفوق ، وقوله : ( فى عيشة راضية ) أى : مرضى بها ، وقوله : ( وجعلنا  
 آية النهار مبصرة ) أى : مُبَصَّرٌ فيها ، وأن يأتي الفاعل بلفظ المفعول به كقوله  
 تعالى : ( إنه كان وعده مآثياً ) أى آتياً .

وقد جاء الخصوص فى معنى العموم فى قوله تعالى : ( يا أيها النبي إذا طلقت النساء )  
 وجاء العموم بمعنى الخصوص فى قوله : ( يا أيها الرسلُ كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً )  
 ومن الحمل على المعنى قوله تعالى : ( وكذلك زين لكثير من المشركين  
 قتل أولادهم شركاؤهم ) كأنه قيل : من زينهُ ؟ فقيل : شركاؤهم .

الحمل  
 على المعنى

والحمل على المعنى فى الشعر كثير ، ومن أنواعه التذكير والتأنيث ، ولا يجوز  
 أن تؤنث مذكراً على الحقيقة من الحيوان ، ولا أن تذكر مؤنثاً .

(١) ويدل : الألف هى نون التوكيد الخفيفة ، عاملها فى الوصل معاملتها فى  
 الوقف ، ولنا فى هذا الموضوع بحث طويل ووجوه كثيرة من الاستدلال فى شرحنا  
 على المعلقات .

قال ابن أبي ربيعة المخزومي :

فكان مِجَنِّي دُونَ مَنْ كُنْتُ أَتَقَى ثَلَاثُ شُخُوصٍ كَأَعْيَانٍ وَمُعَصِرُ  
فَأَنْتَ الشُّخُوصُ عَلَى الْمَعْنَى . وَكُلُّ جَمْعٍ مَكْسَرٍ جَائِزٌ تَأْنِيثُهُ وَإِنْ كَانَ  
وَاحِدُهُ مَذْكَرًا حَقِيقِيًّا .

وبما أنت من المذكر حملا على اللفظ قول الشاعر ، أنشده الكسائي :

أَبُوكَ خَلِيفَةٌ وَوَلَدَتُهُ أُخْرَى وَأَنْتَ خَلِيفَةٌ ، ذَاكَ الْكَمَالُ

ومثل هذا في الشعر كثير موجود .

#### ٩٩ — باب السرقات ، وماشا كلها

وهذا باب متسع جداً ، لا يقدر أحد من الشعراء أن يدعى السلامة منه ،  
وفيه أشياء غامضة ، إلا عن البصير الحاذق بالصناعة ، وآخر فاضحة لا تخفى على  
الجاهل المغفل ، وقد أتى الحاتمي في «حلية المحاضرة» بألقاب محدثة تدبرتها ليس لها  
محصول إذا حققت : كالاصطراف ، والاجتلاب ، والانتحال ، والاهتدام ،  
والإغارة ، والمرافدة ، والاستلحاق ، وكلها قريب من قريب ، وقد استعمل  
بعضها في مكان بعض ، غير أني إذا كررها على ما خيلت فيما بعد .

لا يدعى  
السلامة منه  
أحد .

وقال الجرجاني — وهو أصح مذهبا ، وأكثر تحقيقا من كثير ممن نظر في  
هذا الشأن — : ولست تعد من جهاذة الكلام ، ولا من نُقَادِ الشعر ، حتى تميز  
بين أصنافه وأقسامه ، وتحيط علما برتبه ومنازله ، فتفصل بين السرقة والغصب  
وبين الإغارة والاختلاس ، وتعرف الإلمام من الملاحظة ، وتفرق بين المشترك  
الذي لا يجوز ادعاء السرقة فيه والمبتذل الذي ليس واحد أحق به من الآخر ،  
وبين الخنص الذي حازه المبتدى فليسك واجتباها السابق فاقطعه .

رأى  
الجرجاني

قال عبد الكريم : قالوا : السرقة في الشعر ما نقل معناه دون لفظه ، وأبعد

السرقة عند  
عبد الكريم



في أخذه ، على أن من الناس من بسد ذهنه إلا عن مثل بيت امرئ القيس وطرفة<sup>(١)</sup> حين لم يختلفا إلا في القافية ؛ فقال أحدهما « وتحمل » ، وقال الآخر « وتجلد » ومنهم من يحتاج إلى دليل من اللفظ مع المعنى ، ويكون التامض عندهم بمنزلة الظاهر ، وهم قليل .

والسرق أيضاً إنما هو في البديع المخترع الذي يختص به الشاعر ، لافي المعاني المشتركة التي هي جارية في عاداتهم ومستعملة في أمثالهم ومحاوراتهم ، مما ترتفع الظنة فيه عن الذي يُورده أن يقال إنه أخذه من غيره .

قال : واتكال الشاعر على السرقة بلاذة وعجز ، وتَرَكة كل معنى سُبِقَ إليه جَهْل ، ولكن المختار له عندي أوسط الحالات .

وقال بعض الحدائق من المتأخرين : مَنْ أخذ معنى بلفظه كما هو كان سارقاً فإن غَيَّرَ بعض اللفظ كان سائلاً ، فإن غير بعض المعنى ليخفيه أو قلبه عن وجهه كان ذلك دليل حذقه .

وأما ابن وكيع فقد قدم في صدر كتابه على أبي الطيب مقدمة لا يصح لأحد معها شعر إلا الصدر الأول إن سلم ذلك لهم ، وسماه « كتاب المنصف » مثل ماسمي اللديغ سليماً ، وما أبعد الإنصاف منه .

والاصطراف : أن يعجب الشاعر ببيت من الشعر فيصرفه إلى نفسه ، فإن الاصطراف

(١) هما بيتان متشابهان وقعا في معلقتي امرئ القيس وطرفة بن العبد : أما بنت امرئ القيس فقوله :

وقوفا بها صبحي على مطيهم يقولون : لا تهلك أسي وتحمل

وأما بيت طرفة فقوله :

وقوفا بها صبحي على مطيهم يقولون : لا تهلك أسي وتجلد

فأنت ترى أن البيتين لم يختلفا إلا في القافية كما حكى المؤلف .

بقية أنواع  
السرقه

صرفه إليه على جهة المثل فهو اختلاب واستلحاق ، وإن ادعاه جملة فهو انتحال ، ولا يقال «منتحل» إلا لمن ادعى شعراً لغيره وهو يقول الشعر ، وأما إن كان لا يقول الشعر فهو مُدَّعٍ غير منتحل ، وإن كان الشعر لشاعر أخذ منه غلبة فتلك الإغارة والغصب ، وبينهما فرق أذكره في موضعه إن شاء الله تعالى ، فإن أخذه هبة فتلك المرافدة ، ويقال : الاسترفاد ، فإن كانت السرقه فيما دون البيت فذلك هو الاهتدام ، ويسمى أيضاً النسخ ، فإن تساوى المعنيان دون اللفظ وخفي الأخذ فذلك النظر والملاحظة ، وكذلك إن تضادا ودل أحدهما على الآخر ، ومنهم من يجعل هذا هو الإلمام ، فإن حول المعنى من نسيب إلى مديح فذلك الاختلاس ، ويسمى أيضاً نقل المعنى ، فإن أخذ بنية الكلام فقط فتلك الموازنة ، فإن جعل مكان كل لفظة ضدها فذلك هو العكس ، فإن صح أن الشاعر لم يسمع بقول الآخر — وكانا في عصر واحد — فتلك الموارد ، وإن ألف البيت من أبيات قد ركب بعضها من بعض فذلك هو الالتقاط والتلفيق ، وبعضهم يسميه الاجتذاب والتركب ، ومن هذا الباب كشفُ المعنى والمحدود من الشعر ، وسوء الأتباع ، وتقصير الأخذ عن المأخوذ منه ، وسأورد عليك مما رويته أو تأدى إلى فهمه لسكل واحد من هذه الألقاب مثالا يعرفه العالم ، ويقتدى به المتعلم ، إن شاء الله تعالى .

الاصطراف على ضربين  
أما الاصطراف فيقع من الشعر على نوعين : أحدهما : الاجتلاب ، وهو الاستلحاق أيضاً كما قدمت ، والآخر : الانتحال ؛ فأما الاجتلاب فنحو قول النابغة الذبياني :

وصهباء لا تحنني القذى وهو دونها  
تمزتها والديك يدعو صباحه  
تصفق في راوقها حين تقطب  
إذا ما بنو نعش دَنَوْا فتصوبوا

فاستلحق البيت الأخير فقال

ولاجانته رثا السرور كأنها إذا غست فيها الزجاجة كوكب  
تمزنتها والديك يدعو صباحه إذا ما بنو نعش دنوا فتصوبوا  
وربما اجتلب الشاعر البيتين على الشريطة التي قدمت ؛ فلا يكون في ذلك  
بأس ، كما قال عمرو ذو<sup>(١)</sup> الطوق :

صدت الكأس عنا أم عمرو وكان الكأس مجراه اليمين  
وما شرء الثلاثة أم عمرو بصاحبك الذي لا تصبحينا  
فاستلحقهما عمرو بن كلثوم ؛ فهما في قصيدته ، وكان عمرو بن العلاء وغيره  
لا يرون ذلك عيبا ، وقد يصنع المحدثون مثل هذا .

قال زياد الأعجم :

أشمت إذا ما جئت للعرف طالبا حباك بما تحوى عليه أنامله  
ولولم يكن في كفه غير نفسه لجاد بها فليمتق الله سائله  
ويروى هذا لأخت يزيد بن الطثيرة ، واستلحق البيت الأخير أبو تمام فهو

في شعره .

وأما قول جرير للفردق وكان يرميه بانتحال شعر أخيه الأخطل بن غالب :  
ستعلم من يكون أبوه قينا ومن كانت قصائده اجتلابا  
فإنما وضع الاجتلاب موضع السرقي والانتحال لضرورة القافية ، هكذا ذكر  
العلماء من هؤلاء المحدثين ، وأما الجحى فقال : من السرقات ما يأتي على سبيل  
المثل ليس اجتلابا ، مثل قول أبي الصلت بن أبي ربيعة الثقفي :

تلك المكارم لا قعبان من ابن شيبا بماء فعادا بعد أنو الآ .  
ثم قاله بعينه النابتة الجعدي لما أتى موضعه ، فبنو عامر ترويه للجعدي ، والرواة  
مجمعون أنه لأبي الصلت ؛ فقد ذهب الجحى في الاجتلاب مذهب جرير أنه انتحال ،  
ولم أر محدثا غيره يقول هذا القول .

والانتحال عندهم قول جرير :

الانتحال

(١) هو عمرو بن عدى ، ابن رفاش أخت جذيمة الأبرش .

إِن الَّذِينَ غَدَّوْا بِبَلْبِكَ غَادَرُوا      وَشَلَّأَ بِعَيْنِكَ لَا يَزَالُ مَعِينَا  
عَيْضُنَ مِنْ عِبْرَاتِهِمْ وَقُلْنَا لِي :      ماذا لقيتَ من الهوى ولاقيناً ؟  
فإن الرواة مجمعون على أن البيتين المعلوط السعدي اتحلها جرير ، واتحل  
أيضاً قول طُعَيْلِ الغنوي :

ولما التقى الحَيَّانِ أَلْقَيْتِ الْعَصَى      وماتَ الهوى لما أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ  
ولذلك قال الفرزدق :

إِن تَذَكَّرُوا كَرْمِي بِلُؤْمِ أَبِيكُمْ      وَأُوَابِدِي تَدَنَّنَحَلَّوْا الْأَشْعَارَا  
وكانا يتقارضان الهجاء ، ويعكس كل واحد منهما المعنى على صاحبه ، وليس  
ذلك عيباً في المناقضات ، ولما قال الفرزدق في بني ربيع :

تمنت ربيع أن يجيء صغارها      بخير ، وقد أعيار يريما كبارها  
أخذة البعيثُ بعينه في بي كليب رهط جرير فقال الفرزدق :  
إذا ما قلتُ قافية شَرُوداً      فتَحَلَّهَا ابْنُ حَمْرَاءِ الْمِجَانِ  
يعنى البعيث ؛ وكان ابن سُرَيْة .  
وأما قول البحتري :

رَمَتْنِي غَوَاةُ السَّمْرِ مِنْ بَيْنِ مُفْجَحِهِمْ      وَمُنْتَحَلِّ مَالِمْ يَقْتُلُهُ وَمُذْعِي  
فيشهد لك بما قدمت ذكره ؛ لأنه قسمهم ثلاثة أقسام : مفحهم قد عجز عن  
الكلام وصلا عن التحلي بالشعر غير أنه يبيع الشعراء ؛ والآخر منتحل لأجود من  
شعره ، والثالث مدع جملة لا يحسن شيئاً .

والإغارة : أن يصنع الشاعر بيتاً ويخترع معنى مليحاً فيتناوله من هو أعظم  
منه ذكراً وأبعد صوناً ، فيروى له دون فائله ، كما فعل الفرزدق بحميل وقد  
سمه بسد .

الإغارة

تَرَى النَّاسَ مَا سَرْنَا بِسِرْوَانٍ خَلَقْنَا      وَإِنْ نَحْنُ أَوْمَانَا إِلَى النَّاسِ وَقَفُوا

فقال : متى كان المثلُّ في بني عُذْرَةَ ؟ إنما هو في مُضَرَ وأنا شاعرها ، فغلب  
الفرزدق على البيت ، ولم يتركه جميل ولا أسقطه من شعره .

وقد زعم بعض الرواة أنه قال له : تَجَافَى عنه ، فتجافى جميل عنه ، والأول  
أصح ؛ فما كان هكذا فهو إغارة ، وقوم يرون أن الإغارة أخذ اللفظ بأسره والمعنى  
بأسره ، والسرقة أخذ بعض اللفظ أو بعض المعنى ، كان ذلك لمعاصر أو قديم .

النصب

وأما النصب فنقل صنيعه بالسرادل اليربوعي ، وقد أنشد في محفل :

فَمَا بَيْنَ مَنْ لَمْ يُعْطِ سَمْعًا وَطَاعَةً      وَبَيْنَ تَمِيمٍ غَيْرِ حَزْرٍ الْخَلَاقِمِ

فقال الفرزدق : والله لتداعنه أو لتدعن عرضك ، فقال : خذها لا بارك الله لك فيه .

وقال ذو الرمة بمحضرته : لقد قلت أبياتا ، إن لها لعروضاً وإن لها المراداً ومعنى

بعيداً ، قال : وما قلت ؟ فقال : قلت :

أَحِينَ أَعَادَتُ بِي تَمِيمٍ نِسَاءَهَا      وَجُرِّدَتْ تُجْرِيدَ الْيَمَانِي مِنَ النَّمْدِ

وَمَدَّتْ بَضْبِعِي الرَّبَابُ وَمَالِكُ      وَعَمْرُو وَسَالَتْ<sup>(١)</sup> مِنْ وَرَائِي بَنُو سَعْدِ

وَمَنْ آلَ يَرْبُوعَ زَهَاءَ كَأَنَّهُ      دَجَى اللَّيْلِ مَحْمُودَ النِّكَايَةِ وَالرَّفْدِ

فقال له الفرزدق : إياك وإياها لا تعودن إليها ، وأنا أحق بها منك ، قال :

والله لا أعود فيها ولا أنشدها أبداً إلا لك

وسمعت بعض المشايخ يقول : الاضطراب في شعر الأموات كالإغارة على

شعر الأحياء ، إنما هو أن يرى الشاعر نفسه أولى بذلك الكلام من قائله .

(١) في الديوان « وشالت » وبعد الأبيات الثلاثة التي رواها المؤلف قوله :

تمنى ابن راعي الإبل شتمى ، ودونه معاقل صعبات طوال على العبد

معاقل لو أن الثميري رامها رأى نفسه فيها أذل من القرد

للرافدة

وأما المرافدة فإن يعين الشاعر صاحبه بالأبيات يهبها له ، كما قال جرير لذي  
الرمة : أنشدني ما قلت لهشام المرئي<sup>(١)</sup> ، فأنشده قصيدته :

نَبَتْ عَيْنَاكَ عَنْ طَلَلٍ بِحُزْوَى      تَحْتَهُ الرِّيحُ وَامْتَنَحَ القَطَارَا

فقال : ألا أعينك ؟ قال : بلى بأبي وأمي ، قال : قل له :

يَعُدُّ النَّاسِبُونَ إِلَى تَمِيمٍ      بِيُوتِ المَجْدِ أَرْبَعَةً كِبَارًا  
يَعُدُّونَ الرَّبَابَ وَآلَ سَعْدِ      وَعَمْرًا ثُمَّ حَنْظَلَةَ الخِيَارَا  
وَيَهْلِكُ بَيْنَهَا المرئيُّ لَعْوَا      كَمَا أَلغَيْتَ فِي الدَّيَّةِ الحَوَارَا

فلقبه الفرزدق فاستنشده ، فلما بلغ هذه قال : جيد ، أعده ، فأعاده ، فقال :  
كلا والله ، لقد علمك من هو أشد لحين منك ، هذا شعر ابن المراغة .  
واسترفد هشام المرئي جريراً على ذي الرمة فقال في أبيات :

يُمَاشِي عَدِيًّا لَوْمَهَا مَا تَجْنِسُهُ      مِنَ النَّاسِ مَا مَاشَتْ عَدِيًّا ظِلَالُهَا  
فَقُلْ لَعْدِيَّ تَسْتَعْنُ بِسَائِهَا      عَلَيَّ فَقَدْ أَعْيَا عَدِيًّا رَجَالُهَا  
أَذَا الرِّمَ ، قَدْ قَلَدْتُ قَوْمَكَ رِمَةً      بِطَيْتًا بِأَيْدِي العَاقِدِينَ المَحْلَالُهَا

ويروى \* بأيدى المطلعين \* فقال ذو الرمة لما سمعها : يا ويلتنا ، هذا والله شعر  
حنظلي ، وغلب هشام على ذي الرمة بعد أن كان ذو الرمة مستعلياً عليه .  
وقد استرفد نابغة بنى ذبيان زهيراً فأمر ابنه كعباً فرفده .

والشاعر يستوهب البيت والبيتين والثلاثة وأكثر من ذلك ، إذا كانت

(٢) في الأصول « المرى » وهو خطأ ، وصوابه « المرئي » كما أثبتناه ،  
وهشام أحد بنى امرئ القيس بن سعد مناة ، هذا ، ورواية الديوان ( ص ٣٣ )  
في البيت الثاني \* يعدون الرباب لهم وعمرا \* وسعدا ثم . . . ورواية البيت  
الثالث في غير هذا الكتاب \* ويسقط منها المرئي . . . \*

شبيهة بطريقته ، ولا يعد ذلك عيباً ؛ لأنه يقدر على عمل مثلها ، ولا يجوز ذلك إلا للحاذق المبرز .

الاهتمام

والاهتمام نحو قول النجاشي :

وكنت كذى رجلين رجلٍ صحيحةً      ورجلٍ رَمَتْ فيها يَدُ الحدَّانِ  
فأخذ كثير القسمِ الأولِ واهتدم باقى البيت فجاء بالمعنى فى غير اللفظ ، فقال :  
\* ورجلٍ رَمَى فيها الزمانُ فَشَلَّتِ \*  
وَأما النظر والملاحظة فنقل قول مهلهل :

النظر  
وللملاحظة

أنبضوا معجسِ القسيِّ وأبرقنا كما توعِدُ الفحولُ الفحولاً  
نظر إليه زهير بقوله :

يطعنهم ما ارتعموا حتى إذا اطعمنوا      ضارب حتى إذا ما صاروا اعتنقاً  
وأبو ذؤيب بقوله :

ضَرُوبٌ لهاماتِ الرجالِ سيفه      إذا حَنَّ تَبِعَ بينهم وشريمُ  
والإلام : ضرب من النظر ، وهو مثل قول أبي الشيص :

الإلام

\* أجِدُ الملامَةَ فى هوائِكَ لذيذَةً \*  
وقول أبي الطيب :

\* أحبه وأحبُّ فيه ملامة \*  
البيت ، وقد تقدم<sup>(١)</sup> ذكرهما فى التباير .

الاختلاس

وأما الاختلاس فهو قول أبي نُوَاس :

مَلِكٌ تَصَوَّرَ فى القلوبِ مِثْلَهُ      فكأنه لم يَخْلُ مِنْهُ مَكَانُ  
اختلسه من قول كثير :

(١) انظر ( ص ١٠٣ ) من هذا الجزء ، وفيها تمام بيتى أبي الشيص والتنبى .

أريدُ لأُنسى ذِكْرَها فكَأَنَّما تَمَثَّلُ لي لَيْلَى بِكُلِّ سَيْبِلِ  
وقولُ عبدِ اللهِ بنِ مصعبٍ :

كَأَنَّكَ كُنْتَ مُحْتَكِمًا عَلَيْهِمُ تَحَيَّرُ فِي الْأَبْوَةِ مَا تَشَاءُ  
ويروى \* كأنك جئت محتكما عليهم \* اختلسه من قول أبي نواس :  
خُلِّيتُ وَالْحُسْنَ تَأْخُذُهُ تَنْتَقِي مِنْهُ وَتَنْتَخِبُ  
فَا كَدَسَتْ مِنْهُ طَرَائِفُهُ ثُمَّ زَادَتْ فَضْلَ مَا تَهَبُ  
أردت البيت الأول .

ومن هذا النوع قولُ امرئ القيس :

إِذَا مَا رَكِبْنَا قَالَ وَلِدَانُ حَيِّنًا تَعَالَوْا إِلَى أَنْ يَأْتِنَا الصَّيْدُ نَحْتَبُ (١)  
نقله ابن مقبل إلى القدح فقال :  
إِذَا أُمَّتَحَنَّتُهُ مِنْ مَعْدِي عَصَابَةٌ عِدَارِيَّةٌ (٢) قَبْلَ الْإِفَاضَةِ يَقْدَحُ  
نقله ابن المعتز إلى البازي فقال :

قَدْ وَثِقَ الْقَوْمُ لَهُ بِمَا طَلَبُ فَهُوَ إِذَا عَرَى لِصَيْدِهَا ضَرْبُ  
\* عَرَوْا سَكَ كَيْنِهِمْ مِنْ الْقُرْبِ (٣) \*

نقلته أنا إلى قوس البندق فقلت :

طَيْرُ أَبَابِيلُ جَاءَ تَنَافًا بَرَحَتْ إِلَّا وَأَقْوَانَا الطَّيْرُ الْأَبَابِيلُ  
تَرْمِيهِمْ بِحَصَى طَيْرِ مُسَوِّمَةٍ كَأَنَّ مَعْلَمَهَا لِلرَّمِيِّ سَجِيلُ  
تَعْدُو عَلَى نِقَّةٍ مِنَّا بِأَطْيَبِهَا فَالنَّارُ تَقْدَحُ وَالطَّنْبَجِيرُ مَغْسُولُ  
والموازنة مثل قول كثير :

الموازنة

تَقُولُ مَرِيضًا فَمَا عُدْتَنَا وَكَيْفَ يَعُودُ مَرِيضٌ مَرِيضًا  
وازن في القسم الآخر قول نابعة بن تغلب :

(١) في الديوان « ولدان أهلنا » . (٢) في نسخة « غذارية » .

(٣) في ديوان ابن المعتز ( ٤ / ٧ ) « فهو إذا جلى » وفي نسخة منه « فهو إذا

حلى » وفي نسخة في ثالث هذه الأبيات « سلوا سكا كينهم » .



بَخِلْنَا لُبُخْلِكَ قَدْ تَعْلَمِينَ وَكَيْفَ يَعْيبُ بَخِيلٌ بِبَخِيلٍ؟

العكس

والعكس قول ابن أبي قيس ، و يروى لأبي حفص البصرى :

ذهب الزمانُ برهطِ حَسَّانِ الأولى كانت مَنَاقِبهم حديثَ الفأبرِ  
وبقيتُ في خلفِ بَخْلٍ ضِيُوفُهُمُ منهم بمنزلة اللثيمِ النادرِ  
سود الوجوه لثيمةِ أحسابهم فُطُسِ الأنوفِ من الطرازِ الآخرِ  
وقد عاب ابن وكيع هذا النوع بقلة تمييز منه أو غفلة عظيمة .

الموارد

وأما الموارد فقد ادعاها قوم في بيت امرئ القيس<sup>(١)</sup> وطرفة ، ولا أظن هذا مما يصح ؛ لأن طرفة في زمان عمرو بن هند شاب حول العشرين ، وكان امرؤ القيس في زمان المنذر الأكبر كهلا واسمه وشعره أشهر من الشمس ؛ فكيف يكون هذا موارد ؟ إلا أنهم ذكروا أن طرفة لم يثبت له البيت ، حتى استحلف أنه لم يسمعه قط لخلف ، وإذا صح هذا كان موارد ، وإن لم يكونا في عصر ، وسئل أبو عمر وابن المعتز : رأيت الشاعرين يتفقان في المعنى ويتواردان في اللفظ لم يلتق واحد منهما صاحبه ولم يسمع شعره ؟ قال : تلك عقول رجال توافت على ألسنتها ، وسئل أبو الطيب عن مثل ذلك فقال : الشعر جادة ، وربما وَقَعَ الحافر على موضع الحافر .

الالتقاط

والتلفيق

و أما الالتقاط والتلفيق فمثل قول يزيد بن الطثرية :

إذا مارآنى مُقْبِلًا غَضَّ طرفه كأن شعاعَ الشمسِ دونى يقابله

فأوله من قول جميل :

إذا ما رأونى طالما من ثنيةٍ يقولون : من هذا ؟ وقد عَرَفُونى

(١) ذكرناها أول الباب فانظر ( ص ٢٨١ ) من هذا الجزء .

ووسطه من قول جرير :

فَفَضَّ الطَّرْفَ إِنْكَ مِنْ نَمَيْرٍ فَلَا كَعْبًا بَلَغْتَ وَلَا كَلَابًا  
وهجزه من قول عنتره الطائي (١) :

إذا أبصرتني أعرضت عني كأن الشمس من حوالى تدور

فأما كشف المعنى فنحو قول امرئ القيس :

نمش بأعراف الجياد أ كفنا إذا نحن قمنا عن شواء مضهيب

وقال عبدة بن الطيب بعده :

ثمة قنا إلى جرد مسومة أعرافهن لأيدينا مناديل

فكشفت المعنى وأبرزه .

وأما المجدود من الشعر فنحو قول عنتره العبسي :

\* وكما علمت شمائلي وتكرمي \* (٢)

رزق جدا واشتهاراً على قول امرئ القيس :

وشمائلي ما قد علمت ، وما نبعثت كلابك طارقاً مثلي

ومنه أخذ عنتره ، والمخترع معروف له فضله ، متروك له من درجته ،

غير أن المتبع إذا تناول معنى فأجاده - بأن يختصره إن كان طويلاً ، أو

يبسطه إن كان كزاً ، أو يبينه إن كان غامضاً ، أو يختار له حسن الكلام إن

كان سفسافاً ، أو رشيق الوزن إن كان جافياً - فهو أولى به من مبتدعه ،

وكذلك إن قلبه أو صرفه عن وجه إلى وجه آخر ، فأما إن ساوى المبتدع

كشفت  
المعنى

الشعر المجدود

مق يكون  
الآخذ أولى  
بالمعنى ؟

(١) هو عنتره بن عكبرة الطائي ، وهي أمه ، وأبوه الأخرس بن ثعلبة : فارس

شاعر ، ذكره الآمدي في المؤلفات والمختلف .

(٢) صدره \* وإذا صحوت لما أقصر عن ندى \*

فله فضيلة حسن الاقتداء لا غيرها ، فإن قصر كان ذلك دليلا على سوء طبعه ، وسقوط همته ، وضعف قدرته .

فما أجاد فيه المتبع على المبتدع قول الشاعر :

إِذَا بَلَغْتَنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي      عَرَابَةَ فَأَشْرَقِي بِدَمِ الْوَتِينِ

فقال أبو نواس :

أَقُولُ لِنَاقَتِي إِذْ بَلَغْتَنِي      لَقَدْ أَصْبَحْتِ مِنِّي بِالْمِينِ

فلم أجبك للعربان نحلا      ولا قلتُ «أشرفي بدم الوتين»

وكرره فقال :

وَإِذَا الْمَطِيُّ بِنَا بَلَغْنَ مُحَمَّدًا      فظهورهنَّ على الرجال حرامٌ

قرهٗ بئنا من خير من وطئ الحصى      فلها علينا حرمةٌ وذمامٌ

ومما يتساوى فيه السارق والمسروق منه قول امرئ القيس \* فلو أنها

نفس<sup>(١)</sup> \* البيت ، وقول عبدة بن الطيب \* فما كان قيس<sup>(٢)</sup> \* البيت .

وسوء الاتباع أن يعمل الشاعر معنى رديا ولفظا رديا مستهجنا ثم يأتي من

بعده فيتبعه فيه على رداءته ، نحو قول أبي تمام :

بِأَشْرَتِ أَسْبَابِ الْغَنَى بِمَدَائِحِ      ضَرَبَتْ بِأَبْوَابِ الْمُلُوكِ طُوبُولًا

فقال أبو الطيب :

إِذَا كَانَ بَعْضُ النَّاسِ سَيْنًا لِلدَّوْلَةِ      فِي النَّاسِ بُوقَاتُهَا وَطُوبُولُ

(١) هذه قطعة من بيت سبق ذكره مرارا ، وهو بتامه :

فلو أنها نفس تموت جميعا      ولكنها نفس تساقط أنفسا

(٢) هذه قطعة من بيت ، وهو بتامه :

فما كان قيس هلكه هلاك واحد      ولكنه بنيان قوم تهتما

وسبق ذكره مرارا أيضا .

سوء  
الاتباع

فسرق هذه اللفظة لثلاث تفوته .

ومما قصر فيه الآخذ عن المأخوذ منه قول أبي دهل الجمحي في معنى بيت الشماخ:

ياناقُ سِيرِي وَأَشْرُقِي بِدِيمِ إِذَا جَشْتِ الْمُعْبِرَةَ  
سَيُثْبِتُنِي أُخْرَى سِوَاكَ ، وَتَلَكَ لِي مِنْهُ يَسِيرُهُ  
فَأَنْتَ تَرَى أَيْنَ بَلَغْتَ هِمَّتَهُ ؟؟

ومما يعد سرقا وليس بسرقا اشتراك اللفظ للتعريف كقول عنترة :

وَخَيْلٍ قَدْ دَلَفْتُ لَهَا بِخَيْلٍ عَلَيْهَا الْأَسَدُ تَهْتَمِرُ اهْتِصَارَا  
وقول عمرو بن معدى كرب :

وَخَيْلٍ قَدْ دَلَفْتُ لَهَا بِخَيْلٍ تَحِيَّةٌ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجِيْعٌ  
وقول الخنساء ترضى أخاها صخرأ :

وَخَيْلٍ قَدْ دَلَفْتَ لَهَا بِخَيْلٍ فَذَارَتْ بَيْنَ كَبْشَيْهَا رَحَاهَا  
ومثله :

وَخَيْلٍ قَدْ دَلَفْتَ لَهَا بِخَيْلٍ تَرَى فُرْسَانَهَا مِثْلَ الْأَسْوَدِ  
وأمثال هذا كثير .

وكانوا يقضون في السرقات أن الشعراء إذا ركبا معنى كان أولاهما به أقدمهما

موتا ، وأعلاهما سنا ، فإن جمعهما عصر واحد كان ملحقا بأولاهما بالإحسان ،

وإن كانا في مرتبة واحدة روى لهما جميعا ، وإنما هذا فيما سوى المختص الذي

حازه قائله ، واقتطعه صاحبه ، ألا ترى أن الأعشى سبق إلى قوله :

وَفِي كَلِّ عَايِمٍ أَنْتَ جَائِشٌ مُعْزَوَةٌ تَشُدُّ لِأَقْصَاهَا عَزِيمَ عَزَائِكَا<sup>(١)</sup>  
مُورَثَةٌ بِجَدِّأ ، وَفِي الْأَصْلِ رِفْعَةٌ لِمَا ضَاعَ فِيهَا مِنْ قُرُوءِ نَسَائِكَا<sup>(٢)</sup>

(١) روى أبو عبيدة \* . . . حاشم رحلة \*

(٢) في الديوان (ص ١٢) \* مورثة مالا وفي المجد . . . \* وروى أبو

عبيدة \* . . . وفي الذكر رفعة \* ولوضاع . . . .

مما يعد سرقا  
وليس بسرقا

أولى الشعراء  
بالمعنى

فأخذه النابغة فقال :

شُئِبُ الْعَلَاْفِيَاتِ بَيْنَ فُرُوجِهِمْ وَالْمُحْصَنَاتِ عَوَازِبُ الْأَطْهَارِ (١)  
 وبيت النابغة خير من بيت الأعشى باختصاره ، وبما فيه من المناسبة بذكر  
 الشعب بين الفروج وذكره النساء بعد ذلك ، وأخذه الناس من بعده ، فلم يغلبه  
 على معناه [ أحد ] ، ولا شاركه فيه ، بل جعل مقتدياً تابعاً ، وإن كان مقدماً  
 عليه في حياته ، وسابقاً له بماتته .

وقال أوس بن حجر :

كأن هماً جنبياً عند غرضتها والنف ديكٌ رجليها وخزيرٌ  
 فلم يقر به أحد ، وكذلك سائر المعاني المفردة والتشبيهات المقم تجرى  
 هذا الجرى .

وأجل السرقات نظم النثر وحل الشعر ، وهذه ملحمة منه . قال نادب  
 الإسكندر « حركنا الملك بسكونه » فتناوله أبو العتاهية فقال :

قَدْ أَعْمَرِي حَكِيمَتِي لِي غُصَصَ التَّمْوِ تِ وَحَرَّ كُتَيْفِي لَهَا وَسَكَنْتَا  
 وقال أرساطاطا ليس يندبه « قد كان هذا الشخص واعظاً بليغاً ، وما وعظ  
 بكلامه عظة قط أبلغ من موعظته بسكوته » وقال أبو العتاهية في ذلك :  
 وكانت في حياتك لي عِظَاتٌ فَأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيًّا  
 وقال عيسى عليه السلام : تعملون السيئات وترجون أن تجازوا عليها بمنزل  
 ما يُجَازَى به أهلُ الحسنات ، أجل لا يُجَنَّبِي الشوك من العنب .

(١) شعب : جمع شعبة ، وهى رُج بين أعواد الرحل ، ومن السرج ما بين  
 قربوسه ومؤخرته . والعلافيات : رحال منسوبة إلى حى من اليمن اسمه علاف  
 (وانظر ص ٢٣٢ السابقة) . والمحصنات : يعنى نساءهم . عوازب : بهيدات . الأطهار :  
 جمع طهر . يريد أنهم دائماً على صهوات الخيل فوق السروج أو فوق رحال الإبل ؛  
 فلا يشتغلون عن العزو بنسائهم .

فقال ابن عبد القدوس :

إِذَا وَتَرْتِ امْرَأً فَاحْذَرِي عَدَاوَتَهُ مَنْ يَزْرَعُ الشُّوكَ لَا يَحْصُدُهُ عِنْبًا

وأخذ السكتاب قولهم « قدمت قبلك » من قول الأقرع بن حابس ،

ويروى لحاتم :

إِذَا مَا آتَى يَوْمٌ يُفَرِّقُ بَيْنَنَا بِمَوْتِ فَكُنْ أَنْتَ الَّذِي تَتَأَخَّرُ

وقولهم « وأتم نعمته عليك » من قول عدى بن الرقاع العاملي :

صَلَّى الْإِلَهَ عَلَى اسْرِيءَ وَدَعَّيْتَهُ وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ وَزَادَهَا

فما جرى هذا المجرى لم يكن على سارقه جناح عند الخذاق ، وفي أقل

ما جئت به منه كفاية .

### (١٠٠) — باب الوصف

أكثر الشعر  
يرجع إلى  
الوصف

الشعر إلا أقله راجع إلى باب الوصف ، ولا سبيل إلى حصره واستقصائه ، وهو مناسب للتشبيه ، مشتمل عليه ، وليس به ؛ لأنه كثيراً ما يأتي في أضعافه ، والفرق بين الوصف والتشبيه أن هذا إخبار عن حقيقة الشيء ، وأن ذلك مجاز وتمثيل .

أحسن الوصف

وأحسن الوصف ما نعت به الشيء حتى يكاد يمثله عياناً للسامع ، كما قال النابغة الجعدي يصف ذئباً اقترب جُوْذراً :

فَبَاتَ يَذْصَكِيهِ بِفَسِيرِ حَدِيدٍ أَخْوَقْنَصِي يَمْسِي وَيَصْبِحُ مَفْطَرًا

إِذَا مَا رَأَى مِنْهُ كِرَاعًا تَحْرَكَتْ أَصَابَ مَكَانَ الْقَلْبِ مِنْهُ وَفَرَفَرَا

فأنت ترى كيف قام هذا الوصف بنفسه ، ومثل الموصوف في قلب

سامعه . قال قدامة : الوصف إنما هو ذكر الشيء بما فيه من الأحوال والهيئات ،

ولما كان أكثر وصف الشعراء إنما يقع على الأشياء المركبة من ضروب المعاني كان أحسنهم وصفاً من أتى في شعره أكثر المعاني التي الموصوفُ بها مركب فيها ، ثم بأظهرها فيه ، وأولاها به ، حتى يحكيه ويمثله للحس بنعته .

وقال بعض المتأخرين : أبلغ الوصف ما قلب السمع بصراً . وأصل الوصف الكشف والإظهار ، يقال : قد وصف الثوبُ الجسمَ ، إذا تمَّ عليه ولم يستره ، ومنه قول ابن الرومي :

إذا وصفتُ مافوقِ جِجْرِي وشاحِها غَلَّابُها رَدَّتْ شَهَادَتَها الأُزْرُ  
إلا أن من الشعراء والبلغاء من إذا وصف شيئاً بالغ في وصفه ، وطلب الغاية القُصوى التي لا يعدها شيء : إن مدحا فدحا ، وإن ذمما فدما .

والناس يتفاضلون في الأوصاف ، كما يتفاضلون في سائر الأصناف : فمنهم تفاضل الناس من يجيد وصف شيء ولا يجيد وصف آخر ، ومنهم من يجيد الأوصاف كلها وإن غلبت عليه الإجابة في بعضها : كامرئ القيس قديما ، وأبي نُوَاس في عصره ، والبحتري وابن الرومي في وقتها ، وابن المعتز ، وكشاجم ؛ فإن هؤلاء كانوا متصرفين مجيدين الأوصاف ، وليس بالحدث من الحاجة إلى أوصاف الإبل ونعوتها ، والقِفَار ومياهما ، وُحُر الوحش ، والبقر ، والظلمان<sup>(١)</sup> ، والوُحُول ؛ ما بالأعراب وأهل البادية ؛ لرغبة الناس في الوقت عن تلك الصفات ، وعلمهم أن الشاعر إنما يتكلفها تكلفا ليجري على سَنَنِ الشعراء قديما ، وقد صنع ابن المعتز وأبو نُوَاس قبله ومن شا كلهما في تلك الطرائق ما هو مشهور في أشعارهم : كرائية الحسن في الخصيب ، وجيمية ابن المعتز المرذفة في الضرب الثاني من الكامل .

والأولى بنا في هذا الوقت صفات الخمر والقيان وما شا كلهما ، وما كان مناسبا لهما كالكَوَس والقناني والأباريق ، وتفاح التحيات ، وباقات الزهر  
(١) الظلمان : جمع ظلم ، وفي الأصول «والظلمات» وأعتقد أنه تحريف ما أثبت

إلى ما لا بد منه من صفات الخدود ، والقُدود ، والنهود ، والوجوه ، والشعور ،  
والريق ، والثغور ، والأرداف ، والخصور ، ثم صفات الرياض والبرك والقصور ،  
وما شا كل المولدين ؛ فإن ارتفعت البضاعة فصفت الجيوش وما يتصل بها من  
ذكر الخليل ، والسيوف ، والرماح ، والدروع ، والقسي ، والنبل ، إلى نحو ذلك  
من ذكر الطبول ، والبُنود ، والمنحرفات ، والمنجنيقات ، وليس يتسع بنا هذا  
الموضع لاستقصاء ما في النفس من هذه الأوصاف ؛ فحينئذ أدل على مظانها دلالة  
مجملّة ، وأذكر بما قل شكله وعز نظيره شواهد وأمثلة يعرف بها المتعلم كيف العمل  
فيها ومن حيث المسلك إليها ، إن شاء الله تعالى .

ذكر شعراء  
اشتهروا في  
وصف أشياء

أما نعات الخليل فامرؤ القيس ، وأبو دؤاد ، وطُفَيْلُ العَنَوِي ، والنابغة  
الجمدى ، وأما نعات الإبل فطرّفة في معلقته من أفضلهم ، وأوس بن حجر ،  
وكعب بن زهير ، والشماخ ، وأكثر القدماء يجيد وصفها ؛ لأنها مراكبهم ،  
ألا ترى رؤبة لما غلط في وصف الفرس كيف قال : أذني من ذنب البعير ،  
وكان عبيد بن حصين الراعي النيمري أوصف الناس للابل ، ولذلك سمى راعيا ،  
وأما الحر الوحشية والقسي فأوصف الناس لها الشماخ ، شهد له بذلك الحطيئة  
والفرزدق ، وهذان يجيدان صفات الخليل والقسي أيضاً والنبل ، وأما الخمر فمن  
أوصاف الأعشى والأخطل وأبي نواس وابن المعتز ، ولأبي نواس أيضاً وابن المعتز  
الصيد والطرْد ، فما شئت من هذه الأوصاف فالتسها حيث ذكرت ، ومن  
الأوصاف القليلة المثل قول رؤبة يصف الفيل :

أجرْدُ الخَصْرِ طَوِيلُ النَّائِنِ مشرب اللحي صغير الفقمين<sup>(١)</sup>

وصف  
فيل

(١) لا يتفق هذا ووزن الرجز ، وقد وقع في نسخة :  
أبيض كالحصن طويل النابن مشرف اللحي صغير العينين  
ولم أجد هذا البيت في ديوان أراجيزه .



\* عليه أذنانِ كفضلِ الثوبينِ \*

وقال آخر يصفه ، أنشده عبد الكريم :

من يركب الفيل فهذا الفيلُ إن الذي يحمله محمولُ

على تهاويلَ لها تهاويلُ كالظَّوْدِ إلا أنه يجولُ

\* وأذنٍ كأنها مندِيلُ \*

هكذا أنشده ، وبين البيتين الأخيرين أبيات كثيرة أسقطتها ، وقد أنشدها

غلام نعلب عنه عن ابن الأعرابي .

في وصف الفيل  
أيضا

وقال عبد الكريم لجمع ما فرقه وزاد عليهما :

وأضخمَ هندیّ النجارُ تُعدّهُ ملوكُ بني ساسانِ إن رابها أمرُ

من الورقِ لامن ضر به الورقُ ترتعي أضاح ولامن ضر به الخمس والعشر

يجي كظَّوْدِ جائل فوق أربع مُضَبَّرَةٌ لمت كالت الصخر

له فخذان كالكتيبين لبدا وصدْرُ كأوفى من المَضْبِبةِ الصَّدْرُ

ووجهٌ به أنف كراووق خمرة ينالُ به ما تدركُ الأمل العشر

وأذنٌ كمنصف البرد بسمعه الندأ خفيا وطرف ينقصُ الغيب مزورُ

ونابان شقًا لا يريك سواهما قناتين سمرأوين طَعْنُهما نثرُ

له لونُ ما بين الصباح وليله إذا نطق العصفور أو غلس الصقر

وصنعت أنا في زرافة أنت في الهدية من مصر إلى مولانا خلد الله ملكه من في وصف زرافة

قصيدة طويلة :

وأنتك من كَسَبِ للملوكِ زَرَافَهُ شتى الصفات لكونها أثناء

جمعت محاسنَ ما حكمت فتناسبت في خلقها وتنافت الأعضاء

تمشها بين الخوافق مشية بادٍ عليها الكبرُ والخيلاءُ

وتمدُّ جيذاً في الهواء يزيناها      فكانه تحت اللواء لواء  
 حطَّت مآخرها وأشرَفَ صدرها      حتى كأنَّ وقوفها إقعامه  
 وكانَ فيهرَ الطيبَ ما رجمتُ به      وجه الثرى لو لم ت الأجزاء  
 وتخيَّرتُ دون الملبسِ حُلَّةً      عَمِيَتْ لصنعةٍ مثلها صنمائه  
 لو نأى كلون الزبل إلا أنه      جَلَى وجزعَ بعضه الجلاء  
 أو كالسحاب المسكفرة خيَّطت      فيه البروقُ، وميضها إيماء  
 أو مثل ما صدئت صفائحُ جَوْشِنِ      وَجَرَى على حافلتهم جلاء  
 نعم التجافيف التي أدرعتُ به      من جلدها لو كان فيه وقاء  
 وصنعت أنا أيضاً :

ومجنونة أبدأ لم تكن      مُذَلَّةَ الظهر للراكبِ  
 قد اتصل الجيد من ظهرها      بمثل السنَّامِ بلا غاربِ  
 مُلَمَّعةٌ مثل ما لَمَّعتُ      بِحِمْيَاءِ وَشِي يَدِ السَّكَّابِ  
 كأنَّ الجوارى كَنَفْنَهَا      نَلَّحَ من كل جانبِ [؟] (١)

وقال كشاجم يصف اصطراباً :

في وصف  
 اصطراب

ومستدير كجرم البدر مسطوح      عن كل رابعة الأشكال مصفوح  
 صُلبٌ يَدَارُ على قطب يُلَيِّنُهُ      تَمَثَّلَ طَرْفِ بِشَكَمِ الخدقِ مشبوح  
 مثل البنان وقد أوفت صفائحهُ      على الأقاليم في أقطارها الفيح  
 كأنما السبعةُ الأفلاكُ مُحَدِّقَةٌ      بالماء والنار والأرضين والريح  
 تنبيك عن طالع الأبراج هيئته      بالشمس طوراً وطوراً بالمصاييح  
 وإن مَضَتْ ساعةٌ أو بعضُ ثانية      عَرَفْتَ ذاك بعلم منه مشروح  
 وإن تَعَرَّضَ في وقت يقدرهُ      لك التشككُ جلاءً بتصحيح

(١) كذا ، وليس عندنا بمستقيم.

مميزٌ في قِيَّاسَاتِ النُّجُومِ لَنَا بَيْنَ الشَّائِمِ مِنْهَا وَالْمُنَاجِيحِ  
 لَهُ عَلَى الظَّهْرِ عَيْنَا حِكْمَةٍ بِهِمَا يَحْوِي الضِّيَاءَ وَيَجْنِيهِ مِنَ اللُّوْحِ  
 وَفِي الدَّوَائِرِ مِنْ أَشْكَالِهِ حَكْمٌ مُتَلَقِّحٌ الفَهْمَ مِنْ أَيِّ تَلْفِيحٍ  
 لَا يَسْتَقِلُّ لِمَا فِيهَا بِمَعْرِفَةٍ إِلَّا الحَصِيفُ اللطيفُ الحِسُّ وَالرُّوحُ  
 حَتَّى تَرَى العَيْبَ عَنْهُ وَهُوَ مَمْتَلِقُ الأَبْوَابِ عَمَّنْ سِوَاهُ جِدًّا مَفْتُوحِ  
 نَتِيجَةِ الدَّهْرِ وَالتَّفَكِيرِ صَوْرَهُ ذُو العُقُولِ الصَّحِيحَاتِ المَرَاجِيحِ  
 وَقَالَ أَيْضًا يَصِفُ تَحْتَ حِسَابِ المَهْنَدِسَةِ :

وَقَلَمٍ مِمْدَادُهُ تُرَابٌ فِي صَحْفِ سَطُورِهَا حِسَابِ  
 يَكْتُرُ فِيهِ المَحوُ وَالإِضْرَابُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُسْوَدَ الكِتَابُ  
 حَتَّى يَبِينُ الحَقُّ وَالصَّوَابُ وَليْسَ إِعْجَامٌ وَلَا إِعْرَابُ  
 فِيهِ وَلَا شَكٌّ وَلَا ارْتِيَابُ

وَقَالَ يَسْتَهْدِي بِرَكَارَا :

فِي وَصْفِ  
 بَرَكَارِ

جُدُلِي بِرَكَارِكِ الذِّي صَنَعْتَ فِيهِ يَدَا قَيْنَةَ أَعَاجِيَا  
 مُلَامٌ الشُّفْرَتَيْنِ مُعْتَدِلٌ مَآشِينَ مِنْ جَانِبٍ وَلَا عِيَا  
 شَخْصَانِ فِي شَكْلِ وَاحِدٍ قَدْرَا وَرَكَبَا فِي العُقُولِ تَرْكِيَا  
 أَشْبَهَ شَيْئَيْنِ فِي اشْتِبَاهِهِمَا بِصَاحِبِ لَا يَمَلُّ مَصْحُوبَا  
 أَوْثَقَ مَسَارِهِ وَغُيِّبَ عَنْ نَوَاطِرِ النَّاقِدِينَ تَعْيِينَا  
 فَعِينِ مِنْ يَحْتَلِيهِ تَحْسَبُهُ فِي قَالِبِ العِئْتَدَالِ مَصْبُوبَا  
 وَضْمًا شَطْرِيهِ مُحْكَمٌ لَهَا ضَمٌّ مَحَبَّةٍ إِلَيْهِ مَحْبُوبَا  
 يَزْدَادُ حِرْصًا عَلَيْهِ مَبْطَرُهُ مَا زَادَهُ بِالبِنَانِ تَقْلِيمَا  
 فِقُولِهِ كَلِمًا تَأْمَلُهُ طُوبَى لِمَنْ كَانَ ذَالَهُ طُوبَى

ذو مُقَلَّةٍ بصرتَه مذهبَه      لم تآله زينة وتذهيبًا  
 ينظر منه إلى الصواب به      فلا يزال الصواب مطلوبًا  
 لولاه ماصحَّ شكلُ دائرة      ولا وجدنا الحساب محسوبًا  
 الحق فيه. فإن عدلت إلى      سواء كان الحساب تقريبًا  
 لو عَيْنُ إقليدس به بصُرَتْ      خر له بالسجود مكبوبًا  
 فابعثه واجنُبه لي بمسطرة      تلق الهوى بالثناء مجنوبًا  
 لازلتَ تجدى وتجدى حكما      مستوهبًا للصدق موهوبًا

وقال في صفة البنكام :

في وصف  
البنكام

روح من الماء في جسم من الصُّفْرِ      مؤتلف بلطيف الحس والنظر  
 مستعبر لم يَغِبْ عن إلفه سَكَنُ      ولم يبت قَطُّ من طعن على حذر  
 له على الظهر أجفانٌ مُحَجَّرَةٌ      ومقلَّةٌ دمعها يجرى على قَدَرِ  
 تنشأ له حركات في أسافله      كأنها حركات الماء في الشجر  
 وفي أعاليه حسابان يُفَصِّلُهُ      للناظرين بلا ذهن ولا فكر  
 إذا بكى دار في أحشائه فَلَكَ      خافي المسير وإن لم يبك لم يَدْرِ  
 مترجم عن مواقيت نخبرنا      عنها فيوجد فيها صادق الخبر  
 تقضى به الخمس في وقت الوجوب ، وإن

غَطَّى      على الشمس سِتْرَ الغيم والمطر  
 وإن سَهَرَتْ لأسبابٍ تُورِقِي      عَرَفْتُ مقدار ما ألقى من السهر  
 مُحَرَّرٌ كل ميقاتٍ تخيره      ذوو التخيير للأسفار والحضر  
 ومخرج لك بالإجراء أطفها      من النهار وقوس الليل والسحر  
 نتيجة العلم والأفكار صَوَّرَه      يا حبذا بدعُ الأفكار في الصور  
 وقال يصف زرمانج أبوس :

في وصف  
زرمائج

نعم المعين على الآداب والحكم  
لا تستمد مداً غير صبغتها  
خفت وجفت فلم تدرس لحاملها  
وأمكن الحوف فيها الكف فاستمت  
حليتها بلجين وانتخب لها  
فالكم يعبق منها حين تودعه  
لو كنّ ألواح موسى حين يغضبه  
وله من قصيدة ذكر فيها طاووساً مات له :

في وصف  
طاووس

رَزْنَتُهُ رَوْضَةٌ يَرُوقُ ، ولم  
نَسْمَعُ بَرُوضٍ يَمْشِي عَلَى قَدَمِ  
جَشَلِ الذَّنَابِي كَانَ سَنَدَةً  
زُرَّتْ عَلَيْهِ مَوْشِيَّةُ الْعَلَمِ  
مُتَوَجِّجًا خَلْقَةَ حَبَاهُ بِهَا  
ذُو النِّطَارِ المَعْجَزَاتِ والحِكمِ  
كَأَنَّهُ يَزْدَجِرُّ مُنْتَصِبًا  
يَبْنِي بَيْتَهُ عَلَى مَأْتِرِ المَعْجَمِ  
يُطَبِّقُ أَجْفَانَهُ وَيَحْسِرُ عَنْ  
فَصَيْنِ يَسْتَصْبِحَانِ فِي الظَّالِمِ  
أَدَلَّ بِالْحَسَنِ فَاسْتَدَالَ لَهُ  
ذَيْلًا مِنَ الكِبَرِ غَيْرِ مَحْتَشِمِ  
ثُمَّ مَشَى مِشْيَةَ العُرُوسِ ؛ فَمَنْ  
مَسْتَظَرَفٍ مَعْجَبٍ وَمَبْتَسِمِ  
فهذا طرف مما شرطته كافٍ ، يرى به المتعلم نهج هذه الطريقة ، إن شاء  
الله تعالى .

### (١٠١) باب الشطور ، وبقية الزحاف

القول في الشطور على أحد وجهين : إما أن يراد بالشطر نصف البيت ،  
جهد الشطور ، وإما أن يراد به القصد ، وذلك أنهم إذا ذكروا الشطور فرما أنشدوا أبياتا  
كاملة ، وليست أقسمة ؛ فيكون هذا من قوله تعالى : ( قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ

المسجد الحرام) وكذلك القسيم أيضاً : يجوز أن يكون نصف البيت ، ويجوز أن يكون بمعنى الحظ من الوزن ؛ لأن الحظ يقال له قسيم وقسم .

قال جرير :

أَتَارِكَةٌ أَكَلَ الْخَزِيرَ مُجَاشِعٌ      وَقَدْ خَسَّ إِلَّا فِي الْخَزِيرِ قَسِيمُهَا

يريد حظها . وقالت ابنة<sup>(١)</sup> المنذر بن ماء السماء :

بِعَيْنِ أَبَاغٍ قَاتَمْنَا الْمَنِيَا      فَسَكَانَ قَسِيمُهَا خَيْرَ الْقَسِيمِ

وهذا حين أبدأ بذكر الشطور على مذهب الجوهري لقلة حشوه .

الطويل : مثنى قديم ، مسدس محدث ، أجزاءه « فَعُولُنْ مَفَاعِلَيْنِ » ثمانى مرات<sup>(٢)</sup> وزحافه : الْقَبِيضُ ، التَّمُّ ، التَّرْمُ ، السَّكْفُ ، الحَذْفُ . ومسده أن يحذف منه مفاعيلن الآخرة من كل قسم .

الطويل

المديد : مثنى محدث ، مسدس قديم ، مربع قديم ، أجزاءه « فاعلاتن فاعلن » ثمانى مرات<sup>(٣)</sup> وعلى ذلك أنى محدثه ، وبيت مر بعه السالم :

المديد

يُؤَسَّ لِلْحَرْبِ الَّتِي غَادَرَتْ قُوَى سُدَى

قال : وهذا شعر قديم ، إلا أن الخليل لم يذكره . زحافه : الخلبن ، الكف ، الشكل ، القصر ، الحذف ، الصلم .

البسيط : مثنى قديم ، مسدس قديم ، مربع محدث ، أجزاءه « مستفعلن فاعلن » ثمانى مرات<sup>(٤)</sup> ومسده « مستفعلن فاعلن مستفعلن » مكررة ، قال :

البسيط

(١) الذي في ياقوت أن هذا البيت لابنة فروة بن مسعود ترى أباه ، وكان قد قتل بعين أباغ - بضم الهمزة ، وفي آخره غين معجمة - وبعد هذا البيت : وقالوا سيدا منكم قتانا كذلك الرمح يكلف بالكريم  
(٢) صوابه « أربع مرات » .

وله مسدس آخر يسميه الخليل السريع ، وقد نقص منه « فاعلان » الأولى والثالثة  
و بيته المربع المحدث :

دَارُ عَقَاهَا الْقِدَمُ بَيْنَ الْبَلَى وَالْعَدَمِ

زحافه : الخلبن ، الطيُّ ، الخبل ، القطع ، الإذالة ، التخليع . ومعنى التخليع :  
قطع « مستفعلن » في العروض والضرب جميعاً .

الوافر : مسدس قديم ، مربع قديم ، أجزاءه « مفاعلتن » ست مرات ،  
ولم يجيء عن العرب في مسدسه بيت صحيح . زحافه : العصب ، القطف ،  
النقص ، العقل ، العصب ، القصم ، العقص ، الجم .

الكامل : مسدس قديم ، مربع قديم ، أجزاءه « متفاعلتن » ست مرات ،  
زحافه : الإضمار ، الوقص ، الخزل ، القطع ، الخرم ، الترفيل ، الإذالة  
الهزج : مسدس محدث ، مربع قديم ، أجزاءه « مفاعلتن » أربع مرات ،  
بيته المسدس المحدث :

أَلَا هَلْ هَاجَكَ الْأَطْعَانُ إِذْ بَانُوا وَإِذْ صَاحَتْ بِشَطِّ الْبَيْنِ غِرْبَانُ

زحافه : الخزم ، الكف ، القبض ، الحزب ، الشتر ، الحذف .

الرجز : مسدس ، مربع ، مثلث ، مُثَنِّي ، كله قديم ، موحد محدث ، أجزاءه  
« مستفعلن » ست مرات ، زحافه : الخلبن ، الطي ، الخبل ، القطع ، الفرق ،  
الوقف ؛ ومعنى قوله الفرق : أن يفرق الوند المجموع في حشو مسدسه فيعود  
مستفعلن مستفعلن — بتقديم النون — فيكون وزنه مفعولات .

قال : وهو الذي يسميه الخليل المنسرح ، ولم يجيء ضربه إلا مطوياً ، وفي  
صدر بربعه ، قال : وهو الذي يسميه الخليل المتضضب ، وفي ضرب مثناه ومثله  
إلا أنه ساكن اللام ؛ لأن آخر البيت لا يكون إلا متحركاً ، وذلك هو الوقف .

- الرمل : مسدس قديم ، مربع قديم ، أجزاءه « فاعلاتن » ست مرات ،  
 زحافة : الخين ، الكف ، الشكل ، الحذف ، القصر ، الإسباغ .
- الخفيف : مسدس قديم ، مربع قديم ، أجزاءه « فاعلاتن مستفعلن  
 فاعلاتن » مكرر ، ومربعه « فاعلاتن مستفعلن » قال : وقد ركب منه مربع  
 آخر ، وهو الذى يسميه الخليل مجتثا ، وقد نقص منه « فاعلاتن » الأولى  
 والرابعة . زحافة : الخين ، الكف ، الشكل ، الحذف ، القطع ، التشعيث ،  
 الإسباغ ، الطى .
- المضارع : مربع قديم لا غير ، أجزاءه « مفاعلهن فاعلاتن » مكرر ، ولم  
 يجيء عن العرب فيه بيت صحيح . زحافة : القبض ، الكف ، الحذف ،  
 الشتر ، الخين .
- المتقارب : مثنى قديم ، مسدس مربع محدث ، أجزاءه « فعولن » ثمانى  
 مرات . زحافة : القبض ، التلم ، الترم ، القصر ، الحذف ، البتر ، وبيت  
 مربعه المحدث :
- وَقَفْنَا هُنَيْهَ بِأَطْلَالِ مَيْهَ
- المتدارك : مثنى قديم ، مسدس محدث ، أجزاءه « فاعلان » ثمانى مرات ،  
 وبيته السالم من مثنىه :
- لَمْ يَدْعُ مَنْ مَضَى لِلَّذِي قَدْ غَبَرَ فَضَلَ عِلْمِهِ سِوَى أَخْذِهِ بِالْأَمْرِ
- وشعر عمرو الجنى مخبون . زحافة : الخين ، القطع ، الإذالة ، الترفيل . .  
 وهذا شرح الألقاب عن أى زهرة النحوى وغيره . كل ما حذف ثانيه  
 الساكن فهو مخبون ، وكل ما حذف رابعه الساكن منه فهو مطوى ، وما  
 حذف خامسه الساكن فهو مقبوض ، وما حذف سابعه الساكن فهو مكفوف ،  
 وما حذف ثانيه ورابعه الساكنان فهو مخبول ، وما حذف ثانيه وسابعه الساكنان



فهو مشكول ، وما حذف ثانيه المتحرك فهو موقوص ، وما حذف خامسه المتحرك فهو معقول ، وما حذف سابعه المتحرك فهو مكشوف عند الخليل ، ولم يعتد به الجوهري ، وما حذف رابعه الساكن وأسكن ثانيه المتحرك فهو مخزول ، وما أسكن ثانيه المتحرك فهو مُضَمَّر ، وما أسكن خامسه المتحرك فهو معصوب ، وما أسكن سابعه المتحرك فهو موقوف ، وما حذف ساكن سببه وأسكن متحركه فهو مقصور ، وإن كان هذا العمل في وَتِدٍ فهو مقطوع ، وكل سبب زيد عليه حرف ساكن ليس من الجزء الذي هو فيه فهو مُسَبَّغ ، وإن كان ذلك في وتد فهو مُدَّيْل ؛ فإن زيد على الوجد حرفان فهو مُرْقَل ، وكل ما حذف منه وتد مجموع فهو أَحَدٌ ، فإن حذف وتد مفروق فهو أَصْلَم ، وإذا حذف من الجزء سبب وأسكن المتحرك الذي يليه فهو مقطوف ، وكل وتد مجموع كان في مبتدأ البيت نحذف أولُ الوجد فهو مخروم ، وإن كان ذلك في « فعولن » فهو أَتْلَم ، فإن كان فيه مع الخرم قبض فهو أَرَم ، وإن كان الخرم في « مفاعلتين » فهو أعصب وإن كان مع ذلك عصب فهو أَقْصَم ، وإن كان فيه مع الخرم قبض فهو أعفص ، وإن كان فيه مع الخرم عَقْلٌ فهو أَجْمٌ ، وإذا حرمت « مفاعيلن » فهو أخرم وإذا كَفَفْتَهُ مع ذلك فهو أخرج ، وإذا خرمته وقبضته فهو أَشْتَر ، وما ذهب منه جزآن من العروض والضرب فهو مَجْزُؤ ، وما يذهب منه شطره فهو مشطور ، وما ذهب ثلثاه فهو مَنَهْوُك ، وما سلم من الزحاف - وهو يجوز فيه - فهو سالم ، وما سلم من الخرم فهو موفور ، وما استوفى دائرته فهو تام ، وما استوفى أجزاء دائرته وكان في بعض الأجزاء نقص فهو وَافٍ ، وكل جزء كان في ضرب أو عروض فكان بمنزلة الحشو فهو صحيح ، وإن خالف الحشو فهو معتل ، ومخالفة الحشو: أن يدخل فيه من النقص والزيادة مالا يدخل الحشو ، أو يمتنع من النقص

الذي يدخل الحشو ، والمعتدل على أربعة أوجه : ابتداء ، وفصل ، وغاية ، واعتماد . وقد شرحتها فيما تقدم .

( ١٠٢ ) — باب بيوتات الشعر والمعْرِقِينَ فِيهِ

بيت  
أبي سلمى  
منها في الجاهلية بيتُ أبي سُلَيْمَى : كان شاعراً واسمه ربيعة ، وابنه زهير كان شاعراً ، وله خِزْوَلَةٌ في الشعر : خاله بَشَامَةُ بن (١) العذير ، وكان كَعْبٌ وُبَيْرِ ابنا زهير شاعرين ، وجماعة من أبنائهما .

بيت  
حسان بن ثابت  
ومن الخضرمين حَسَّان بن ثابت بن المنذر بن حَرَام ، وهو وأبوه وجده وأبو جده شعراء ، وابنه عبدالرحمن شاعر ، وسعيد بن عبد الرحمن شاعر ، ذكر ذلك المبرد

بيت  
النعمان بن بشير  
وبعد هذين بيت النعمان بن بشير ، وبنوه : أبان ، وبشير ، وشبيب ، وابنته حميدة ، ومن بني بنيه عبد الخالق بن عبد الواحد ، وعبد القدوس بن عبد الواحد ابن النعمان ، وأم النعمان عمرة بنت رَوَاحَةَ شاعرة ، وخالهُ عبد الله بن رِوَاحَةَ أحد شعراء النبي صلى الله عليه وسلم .

بيت  
نهشل بن حري  
ومن المعرقين في الشعر - عن عبد الكريم - نَهْشَل بن حَرَّيِّ بن ضمرة بن جابر بن قطن ، ستة ليس يتوالى في بني تميم مثلهم شعراً وشرفاً وفعالا .

وعن ابن قتيبة القاسم بن أمية بن أبي الصلت ، وهو القائل :

قوم إذا نزل الغريبُ بدارهم تركوه رَبًّا صَوَاهِلَ وَقِيَانِ  
وربيعة بن أمية عن غير ابن قتيبة .

بيت جرير  
ومن بيوتات الشعر في الإسلام بيت جرير : كان هو وأبوه عطية وجده ائْتَلَطَفِي شعراء ، وكان بنوه وبنو بنيه شعراء . . قال أبو زياد الكلابي :

(١) في الأصول «أسامة بن العذير» وهو تصحيف من وجهين ، وصوابه ما أثبتنا

رأيت باليمامة نوحا وبلالا ابني جرير وما يتسايران ولهما جمال وهيئة وقدر عظيم،  
وأشعر من باليمامة يومئذ حجناء بن نوح بن جرير، وكان عقيل بن بلال شاعراً،  
وعمارة ابنة شاعراً، أدرك الطائي حبيبا ولقيه المبرد .

ابن رؤبة  
بن العجاج

ومن المعرقين عُمَيرة بن رؤبة بن العجاج .

بيت  
أبي حفصة

ومن البيوتات بيت أبي حفصة : كان مروان شاعراً ، وجعاعة بيته شعراء  
يضربون بالسنتهم أنوفهم ، حكاه الجاحظ ، وكان يحيى جد مروان شاعراً  
يهاجي اللعين المقرئ ، وجريراً ، وأكثر أهل بيته شعراء رجالا ونساء .

بيت  
أبي عيينة

[بيت] أبي عيينة بيت شعر : منهم مجد وبنوه أبو عيينة وعبد الله وداود  
وعباد بن داود لقبه الخرق لقوله :

أنا الخرقُ أعراض اللثام كما كان الممزقُ أعراض اللثام أبي

بيت  
الرقاشيين

وبيت الرقاشيين منهم عبد الصمد بن الفضل وابناه الفضل والعباس ،  
وأكثرهم شعراء .

بيت  
اللاحقين

وبيت اللاحقين : كان حمدان شاعراً ، وابنه ، وأبوه أبان شاعرا ، وجده  
عبد الحميد شاعرا ، ولاحق أبو عبد الحميد شاعر ، وإليه نسبوا ، وهو مولى الرقاشيين ،  
وأكثر أهل هذا البيت شعراء .

بيت  
أمية الكاتب

وبيت أمية الكاتب ذكرهم دعبيل ، وهم أمية وإخوته : علي ، ومحمد ،  
والعباس وسعيد ، ومن أولاد هؤلاء أبو العباس بن أمية وأخواه علي وعبد الله ،  
وابن عمهم محمد بن علي بن أبي أمية .

بيت  
رزين

وبيت رزين بيت شعر ، منهم عبد الله شاعر ، وابنه أبو الشَّيْصِ شاعر ،  
واسمه محمد ، ومنهم علي شاعر ، وابناه دعبيل وعلي شاعران .

بيت  
حميد

وبيت حميد بن عبد الحميد : كان حميد شاعرا ، وبنوه أهرم وأبو عبد الله  
وأبو نصر وأبو نَهْشَل شعراء ، ذكرهم دعبيل

الفرق بين  
للمرق ودي  
البيت

والفرق بين المُرَقِّ وبين ذى البيت أن المرق من تكرار الأمر فيه وفي  
أبيه وفي جده فصاعداً ، ولا يكون مُعْرِقاً حتى يكون الثالث فما فوقه ، وعلى  
هذا فسر قول أبى الطيب :

العارض المتهنئ ان العارض المتهنئ ابـن العارض المتهنئ ابن العارض المتهنئ  
قالوا : إنما أراد أنه مُعْرِق ، وزاد واحداً على الشرط المتعارف ، وإنما أخذه  
أبو الطيب من قول محمد بن عبد الملك الزيات :

ما كان يندرنا ويؤمن سربنا ويحيرنا من شر كل نخيفة  
إلا مقامُ خليفة خليفة خليفة خليفة خليفة خليفة

يعنى الواثق بن المعتصم بن الرشيد بن المهدي بن المنصور ، فصدق وحسن في  
معناه ، ونقص المتنبي بواحد بعد سرقة .

وذو البيت من عم الأمر جميع أهل بيته أو أكثرهم ، فهذا فرق بينها .

من الشعراء  
الإخوة

وس الإخوة ومن لم يعرق : ليبد وأخوه لأمه أربد ، والشماخ وأخواه  
جزء ويزيد - وهو مزرد - وبنو ابن مقبل وهم عشرة إخوة ، تميم ، وفضالة  
وحيان : ورفاعة ، ووبرة ، والمضاء ، وأعقد ، وعبد الله ، وخفاف ، وأبو الشال ،  
وأُم تميم ابنة أمية بن أبي الصلت ، وفي أولاد إخوته المذكورين آفنا شعر ؛ وقيس  
أبن عمرو النجاشي وأخوه خديج ، وعمرو بن أحمر وأخواه سنان وسيار ، وغيلان  
ذو الرمة وإخوته : أوفى ، ومسعود ، وهشام ، وحر قاس ، شعراء خمسهم ، ومسلم  
أبن الوليد وأخوه سليمان الكعيف ، وأشجع السلمي وأخوه أحمد .

أما الشاعر ابن الشاعر فقط فيقال له « الثنَّيان » حكاه عبد الكريم عن  
من الشعراء  
التميان

غيره ، وهو كثير لو أخذنا في ذكرهم لطالت مسافة الباب .

(١٠٣) - باب حكم البسملة قبل الشعر

قال أبو جعفر النحاس : اختلف العلماء في كُتِبِ « بسم الله الرحمن الرحيم » الاختلاف في جواز كتابتها  
أمام الشعر ؛ فكره ذلك سعيد بن المسيب والزهرى ، وأجازة النخعي ، وكذا يروى عن ابن عباس ، قال : أكتب « بسم الله الرحمن الرحيم » أمام الشعر وغيره ؛ قال أبو جعفر : ورأيت علي بن سليمان يميل إلى هذا ، وقال : ينبغي أن يكتب أمام الشعر « بسم الله الرحمن الرحيم » لأنه يجيء بعده « قال فلان » وما أشبه ذلك . . قلت أنا : إنما هذا في الشعر إذا دُونَ ، فأما قصيدة رفعها الشاعر إلى ممدوحه فلا يكتب قبلها اسم قائلها ، لكن بعدها ، وإذا كان الأمر هكذا فلا سبيل إلى كتاب البسملة ؛ لأن العذر حينئذ ساقط .

(١٠٤) - باب أحكام القوافي في الخط

إذا صارت الواو الأصلية والياء الأصلية وصلا للقافية سقطت في الخط كما يسقط واو الوصل ويأوه ، مثل واو « يغزو » للواحد ، و ( يغزوا ) للجماعة وإذا كانت القافية على الزاى ، ألا ترى أنهم أسقطوها في اللفظ فضلا عن الخط . . قال الراجز :

\* كَرِيمَةٌ قَدَرُهُمْ إِذَا قَدَرَ \*

يريد « إذا قدروا » قال أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن السمين وقد سأله عن هذا : لا يجوز حذف هذه الواو إلا في أشد ضرورة ، للعرب لا للمولدين ؛ لأنها علامة جمع وإضمار ؛ فحذفها يلتبس بالواحد ، قال : وهذا مذهب سيويوه والبصريين ، ومثل واو « يغزو » وياء « يقضى » للغائب « وتقضى »

للمؤنثة الغائبة والمذكر المخاطب . وكذلك ياء ثم القاضي والغازي ✽ إذا كانا معرفين بالألف واللام ، هذا هو الوجه ، فإن كتب ياثبات الواو والياء فعلى باب المساحة ، والأجود أن تكون الواو والياء خارجاً في الغرض ، وكذلك ياء الضمير محو ✽ غلامى ✽ إذا كانت القافية الميم فالوجه سقوط الياء ، فإن كتبت مساحة ففي الغرض كما قدمت ، وقد أسقطها بعضهم في اللفظ . ثم أشدنى أبو عبد الله للأعشى :

ومن شأنيء كاسفٍ وجهه إذا ما انتسبت له أنكرن

قال : يريد « أنكرنى » فحذف الياء ، فأما ما يكون متوناً نحو « قاض ، وغاز » أو مجزوماً نحو « لم يقض ، ولم يعز » فلا يجوز أن يثبت فيهما الياء والواو على المساحة ؛ لأنهما سقطا بالتنوين والعامل . . ومن العرب من يقول « هذا الغاز ، ومررت بالقاض » بشيرياء ، وهذا تقوية لمذهب من حذفها في الخط إذا كانت وصلًا للقافية .

وإن كان في قوافي قصيدة ما يكتب بالياء وما يكتب بالألف كتبنا جميعاً بالألف لتستوى القوافي ، وتشتبه صورتها في الخط .

### (١٠٥) — باب النسبة إلى الروى

إذا قلت قصيدة فنسبتها إلى ما [ كان ] على حرفين قلت هذه قصيدة بأئية وحائية ، وكذلك أخواتهما ، وإن شئت جعلت الهمزة واواً فقلت : ياوية ، وكان أبو جعفر الرقاشى ينسب إلى ما كان على حرفين يقول : هذا بيوى ، ويتوى ، وكذلك أخواتهما ، إلا «ا» و «لا» فإنه يقول : موى ، ولوى على فعلى ، وتقول على هذا القول : قصيدة موية ولوية ، قال ثعلب : ما كان على ثلاثة أحرف الأوسط ياء فليس فيه إلا وجه واحد ، تقول : سينت سيناً ، وعينت عيناً ، إذا كتبت سيناً وعيناً ، فيقول على هذا : قصيدة مسينة ومعينة

كيف تنسب  
إلى ما كان  
على حرفين

وسينية وعينية ، وكذلك قصيدة ميمية ، ولا تقول « مؤومة » فإنه خطأ ، وتقول في الواو وهي على ثلاثة أحرف الأوسط ألف بالياء لا غير ؛ لكثرة الواوات ، فتقول : وَوَيْتُ وَاوَأُ حسنة ، وبعضهم يجعل الواو الأولى همزة لاجتماع الواوين فيقول : أويت وَاوَأُ حسنة ، فالقصيدة على هذا واوية ومؤواة وسوواة ، وقال بعضهم في « ما » و « لا » من بين أخواتهما : مويت ماء حسنة ، ولويت لاء حسنة ، بالمد ؛ لمكان الفتحة من ماولا .

## (١٠٦) — بلاء الإنشاد وما ناسبه

ليس بين العرب اختلاف — إذا أرادوا التزم ومدّ الصوت في الغناء والحداء — في إتباع القافية المطلقة ، مثلها من حروف المد واللين في حال الرفع والنصب والخفض ، كانت مما ينون أو مما لا ينون ، فإذا لم يقصدوا ذلك اختلفوا : فمنهم من يصنع كما يصنع في حال الغناء والتزم ؛ ليفصل بين الشعر والكلام المنثور ، وهم أهل الحجاز ، ومنهم من ينون ما ينون ومالا ينون : إذا وصل الإنشاد آتى بنون خفيفة مكان الوصل فجعل ذلك فصلا بين كل بيتين فينشد قول النابغة :

يَا دَارَ مَيْتَةٍ بِالْعَلْيَاءِ فَالْسَّنْدِ

منوناً إلى آخر القصيدة ، لا يبالى بما فيه ألف ولام ، ولا مضاف ، ولا بفعل ماض ، ولا مستقبل ، وهم ناس كثير من بني تميم .

ومنهم من يجرى القوافي مجراها ولولم تكن قوافي فيقف على المرفوع والمكسور موقوفين ويعوض المنصوب ألفا على كل حال ، وهم ناس كثير من قيس وأسد ، فينشدون :

لا يبعد الله جيراننا لنا فلعنوا لم أدر بعد غداة البين ما صنع

الوقف  
على لغة  
قيس وأسد

يريد « ما صنعوا » . وكذلك ينشدون :

ففاضت دموع العين منى صباية على النحر حتى بل دمعى محل  
فإذا وصلوا جعلوه كالسكلام وتركوا اللدة لعلهم أنها في أصل البناء .

قال سيبويه : سمعناهم ينشدون :

\* أَقْلَى الْأَوْمِ عَاذِلَ وَالْعِتَابِ \*

إذا كان منوناً أثبتوا تنوينه ووصلوه كما يفعلون بالسكلام المنثور .

ومن العرب من في لغته أن يقف على إشباع الحركة : فتجر الضمة واوا ،  
والكسرة ياء ، والفتحة ألفاً ، فينشد هذا كله موصولاً من غير قصد غناء  
ولا ترنم .

الوقف  
بإشباع الحركة

ومنهم من في لغته أن لا يعوض شيئاً من النصب فهو ينشد هذا كله موقوفاً  
من غير اعتماد تقييد ، وإذا كان الشعر مقيداً كان تنوينه بإزاء إطلاقه ، فهو  
غير جائز ؛ لأن الشعر المقيد يكسر بتنوينه كما يكسر بإطلاقه ، ما خلا الأوزان  
التي قدمنا القول فيها أنها من بين ضروب الشعر يجوز إطلاقها وتقييدها .

ويحكي عن رؤبة أنه أشد قصيدته القافية المقيدة منونة ، فرد ذلك الزجاجي  
وأنكره ، وذكر أنه وهم من السامع ، وأن الوجه فيه أن من العرب من يزيد بعد  
كل قافية « إن » الخفيفة المكسورة إعلماً بانقضاء البيت ، فينشد :

وقاتم الأعماق خاوى المخرق إن مُشْتَدِّهِ الأعلام للناع الخلق إن

\* يكلء وقد الريج من حيث أنخرق إن \*

وإذا كان ما قبل حرف الروى ساكناً - وكانت لفة مُشْتَدِّهِ الوقوف على  
بنقل الحركة المضموم والمكسور - بنقل الحركة كما أنشد أعرابي من بني سنبس قول  
ذى الرمة :

\* وَلَا زَالَ مِنْهَلًا بِمِجْرَعَاتِكَ الْقَطْرُ \*



— بضم الطاء وإسكان الراء لما وقف — حكى ذلك عبد الكريم ، وعلى هذا قال الآخر :

\* أنا ابن ماوية إذ جد النفر \*

أراد « النفر » بالخليل .

وأشدد أبو العباس ثعلب :

أرْتَبِي حِجْلًا عَلَى ساقِهَا فَهَشَّ الْفُوَادَ لِدَاكِ الْحِجْلُ  
فَقَلْتُ وَلَمْ أَخْفِ مِنْ صَاحِبِي : أَلَا بِأَبِي أَصْلُ تِلْكَ الرَّجْلُ

وقال : نَقَلَ لِاضْطِرَارِ الْقَافِيَةِ .

ومما يدخل في شفاة هذا الباب : الغناء ، والحداء ، والتغبير ، قال الشاعر :

تَعَنَّ بِالشَّعْرِ إِنَّمَا كُنْتَ قَائِلُهُ إِنْ الْغِنَاءَ لِهَذَا الشَّعْرِ مِضْمَارُ  
وَيَقُولُونَ : فَلَانِ يَتَغَنَّى بِفُلَانٍ أَوْ بِفُلَانَةٍ ، إِذَا صَنَعَ فِيهِ شِعْرًا .

قال ذو الرمة :

أَحِبُّ الْمَكَانَ الْقَفْرَ مِنْ أَجْلِ أَنِّي بِهِ أَتَغَنَّى بِاسْمِهَا غَيْرَ مُعْجِمٍ  
وَكَذَلِكَ يَقُولُونَ : حَدَا بِهِ ، إِذَا عَمِلَ فِيهِ شِعْرًا .

قال المرار الأسدي :

وَلَوْ أَنِّي حَدَوْتُ بِهِ أَرْفَأْتُ نِعَامَتَهُ وَأَبْصَرَ مَا يَقُولُ

وغناء العرب قديماً على ثلاثة أوجه : النصب ، والسناد ، والمزج .

أنواع  
غناء العرب

فأما النصب فغناء الركبان والفتيان ، قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي : وهو الذي يقال له المرأى ، وهو الغناء الجنابي ، اشتقه رجل من كلب يقال له جناب ابن عبد الله بن هبل ، فنسب إليه ، ومنه كان أصل الحداء كله ، وكله يخرج من أصل الطويل في العروض .

وأما السناد فالتقييل ذو الترجيع ، الكثير النغمات والنبرات ، وهو

على ست طرائق : التثقيب الأول ، وخفيفه ، والتثقيب الثاني ، وخفيفه ،  
والرمل ، وخفيفه .

وأما المزج فالخفيف الذي يرقص عليه ، ويمشى بالدفِّ والمزمار فيطرب ،  
ويستخف الحليم ، قال إسحاق : هذا كان غناء العرب حتى جاء الله بالإسلام ،  
وفتحت العراق ، وجلب الغناء الرقيق من فارس والروم ، فغنوا الغناء  
الجزأ المؤلف بالفارسية والرومية ، وغنوا جميعاً بالعيدان والطناير والمعازف  
والمزامير .

قال الجاحظ : العرب تقطع الألحان الموزونة على الأشعار الموزونة ، والمعجم  
تمطط الألفاظ فتقبض وتبسط حتى تدخل في وزن اللحن فتضع موزوناً على  
غير موزون .

فرق ما بين  
العرب والمعجم

ويقال : إن أول من أخذ في ترجيمه الحداء مضر بن نزار ؛ فإنه سقط عن  
جل فانكسرت يده فحمله وهو يقول : وايداه ، وايداه ، وكان أحسن خلق الله  
جرماً وصوتاً ، فأصغت الإبل إليه وجدت في السير ، فجعلت العرب مثلاً لقوله  
هايدا هايدا يحدون به الإبل ، حكى ذلك عبد الكريم في كتابه .

أول من  
حدا

وزعم ناس من مضر أن أول من حدا رجل منهم ، كان في إبله أيام  
الربيع ، فأمر غلاماً له ببعض أمر ، فاستبطلأه ، فضربه بالعصا ، فيجعل ينشد في  
الإبل ويقول : يايداه ، يايداه ، فقال له : الزم الزم ، واستفتح الناس الحداء من  
ذلك الوقت .

وذكر ابن قتيبة أنهم قالوا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، وحكى الزبير  
ابن بكار في حديث يرفعه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لقوم من بني غفار  
سمع حاديهم بطريق مكة ليلاً فقال إليهم : إن أباكم مضر خرج إلى بعض  
رعائه فوجدها قد تفرقت ، فأخذ عصا فضرب بها كف غلامه ، فعدا

الغلام في الوادي وهو يصيح : وايداه ، وايداه ، فسمعت الإبل ذلك فعطفت ، فقال مضر : لو اشتق مثل هذا لا تنفقت به الإبل واجتمعت ، فاشتق الحداء .

وَأما التغبير فهو تهليل أو تردد صوت ، بقراءة أو غيرها ، حكى ذلك ابن دريد ، وحكى أبو إسحاق الزجاجي قال : سألتني بعض الرؤساء : لم سمي التغبير تغبيرا ؟ قلت : لأنه وضع على أنه يرغب في الثأب - أي : الباقي ، أي : يرغب في نعيم الجنة وفيما يعمل للآخرة - وقال غيره : إنما قيل له تغبير لأنه جعل ما يخرج من الفم بمنزلة الغبار ، فعرض الجوابان على أحمد ابن يحيى ، فاستجد جوابي .

يقال للمرسل في الغناء : المثالي ، حكاة غلام ثعلب

### ١٠٧ - باب الجوائز والصلوات

قال أبو جعفر النحاس : أصل الجائزة أن يعطى الرجل ما يجيزه ليذهب إلى وجهه ، وكان الرجل إذا ورد ماء قال لقيمه : أجزني - أي : أعطني ماء حتى أذهب لوجهي وأجوز عنك - فكثرت حتى جعلت الجائزة عطية .

قال الراجز :

ياقيم الماء فددتكَ نفسي أحسن جَوَازِي وأقلَّ حَبْسِي

قال ابن قتيبة : أصل الجائزة والجوائز أن عبد عوف بن أصرم من بني هلال بن عامر بن صعصعة ولي فارس لعبد الله بن عامر ، فمر به الأحنف بن قيس في جيشه غازيا إلى خراسان ، فوقف لهم على قنطرة السكر فجعل ينسب الرجل فيعطيه على قدر حسبه ، فكان يعطيهم مائة مائة ، فلما كثروا عليه قال : أجزوهم ، فأجزوا ؛ فهو أول من سن الجوائز .

أول من  
سن الجوائز

قال الشاعر:

فَدَى لِلأَكْرَمِينَ بَنِي هَلالِ      على عَلائِهم عَمِّي وَخَالِي  
هُمُ سَنُّوا الجَوائِزَ في مَمَدِّ      فصارت سُنَّةَ أُخرى اللِيالي

والبدرة : عشرة آلاف درهم ، سميت بذلك لوفورها ، قال بعضهم : ومنه سمي القمر ليلة أربع عشرة ﴿ نَدْرًا ﴾ لتمامه وامتلائه من النور ، ويقال : لمبادرته الشمس ، وقيل : بل البَدْرَةُ جلدة السَّخْلَةِ إذا فُطِمَتْ والجذع من المعز يملأ مالا ، فسمى المال ﴿ بَدْرَةً ﴾ باسم الوعاء مجازا .

البدرة

والصَّلَّةُ ﴿ ما أخذه الرجل من السلطان أول ما يتصل به ، ثم كثر ذلك حتى قيل لهبة الملك ﴿ صِلَّةٌ ﴾ .

الصلة

وهذه أبيات كنت صنعتها للسيد أبي الحسن أدام الله عزه ختمت بها الكتاب لما جاء موضعها :

إن الذي صاغت يدي وفي      وجري لساني فيه أو قلبي  
عما عنيت لسببك خالصه      واخترته من جوهر السكلم  
لم أهديه إلا لتكسوه      ذكراً مُجَدِّده على القدم  
لسنا نزيدك فضل معرفة      لكنن مصائد الكرم  
فأقبل هدية من أشدت به      وسخت عنه آية العدم  
لا تحسب الدنيا أبا حسن      تأتي بمثلك فائق المهم

الحمد لله الذي بنعمته تكمل الصالحات ، وصلى الله على سيدنا محمد  
أشرف الكائنات ، وعلى آله وصحبه نجوم الهداية وأعلام الدرايات ، وسلم  
تسلية كثيراً .

وبعد ، فقد نجز كتاب « العمدة ، في محاسن الشعر وآدابه » لأبي علي  
الحسن بن رشيق الأزدي : المولود في سنة ٣٩٠ من الهجرة ( ١٠٠٠ م )  
المتوفى في ذي القعدة من سنة ٤٥٦ من الهجرة ( ١٠٦٤ م ) بعد أن صقله  
التحقيق ، وجلاؤه حُسن الوضوح ، وزانه رونق الطبع ، وبعد أن قضيت  
نصف حَول في المراجعة ومعاودة النظر ، وقضيت من بعد ذلك ثلاثة أشهر  
في الإشراف على طبعه ، لا يحملني على تجشُّم هذه الأحوال إلا الرغبة  
الصادقة في خدمة العربية ، والحرص على أن تكون كتبها صحيحة المعنى جميلة  
الرؤاء .

وإني أتضرع إلى الله تعالى أن يثيبني على هذا بمقدار إخلاصى فيه لوجهه ؛

عبدجبار الدين محمد الجبدي

فهو حسبي ونعم الوكيل .

## فهرس الجزء الثأنى، من كتاب

« العمدة ، فى محاسن الشعر وتقده »

لأبى على الحسن بن رشىق ، القىروانى ، الأزدى

ص	الموضوع	ص	الموضوع
١٧	أشعر بيت قالته العرب	٣	باب التصدير
—	من أمثلة المقابلة أيضاً	—	حد التصدير ، وفائدته
—	من جيد المقابلة	—	أقسام التصدير
—	من خفى المقابلة	—	الفرق بين التصدير والترديد
١٨	من جيد المقابلة فى المنثور	—	أمثلة للتصدير
—	مما عيب من المقابلة	٤	من التصدير نوع يسمى «المضادة»
١٩	منها نوع يختص باسم «الموازنة»	—	باب المطابقة
٢٠	من أملح للموازنة وتعديل الأقسام	٥	حد المطابقة ، والاختلاف فىه
—	باب التقسيم	٧	رد الحدود المختلفة بعضها إلى بعض
٢٠	حد التقسيم	—	أمثلة من المطابقة
٢١	من جيد التقسيم	٩	مما يظن أنه من المطابقة ، وليس منه
٢١	من جيد التقسيم فى المنثور	١١	من أمثلة المطابقة أيضاً
٢٢	عود إلى جيد التقسيم فى الشعر	—	من شعر أبى الحسن فى الطباق
—	أصح تقسيم	١٢	أمثلة مما يغلط فىه الناس من هذا الباب
٢٥	جمع الأوصاف (التعقيب)	—	باب ما اختلط فىه التجنىس بالمطابقة
—	من أنواع التقسيم التقطيع	١٢	أسباب اختلاط أحد النوعين بالآخر
٢٦	الترصيع	١٤	مما ظاهره التجنىس وباطنه طباق
—	باب التسهم	—	باب المقابلة
٣١	الاختلاف فى تسميته ، وأنواعه	١٥	حد المقابلة
٣٤	من جيد التسهم	—	أكثر ما نجىء فىه المقابلة الأعداد
—	مأخذ التسهم والتوشىح	١٦	نوع خاص من المقابله يسمى «مقابلة الاستحقاق»
—	باب التفسىر	—	من أمثلة المقابلة
٣٥	حد التفسىر		

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٣٥	من جيد التفسير	٦٠	من الإيغال نوع يسمى «الاستظهار»
	باب الاستطراد	—	اشتقاق الإيغال
٣٩	حد الاستطراد		باب الغلو
—	أوضح الاستطراد ، وأول من قاله	٦٠	أسماءه ، وميزته
٤١	من الاستطراد نوع يسمى «الإدماج»	٦١	أصح الكلام
	باب التفرع	—	تعريف الغلو لتقديمه
٤٢	حد التفرع ، ومثله من الاستطراد	—	اختلاف الناس في الإفراط
—	أمثلة من التفرع	—	قول الحاتمي في الغلو
	باب الالتفات	٦٢	من أبيات الغلو
٤٥	حد الالتفات ، والاختلاف في تسميته	٦٣	من علو المتن
—	أمثلة منه	٦٤	أحسن الإغراق
٤٦	قد يجيء الالتفات في آخر البيت	٦٥	اشتقاق الغلو
	باب الاستثناء	—	الإغراق
٤٨	تسميته ، وحده		باب التشكك
—	أمثلة من ملبح هذا النوع	٦٦	فائدة التشكك
	باب التتميم	—	أمثلة منه
٥٠	حد التتميم	٦٨	أول من نطق بهذا المعنى
٥١	من أمثلة التتميم في القرآن الكريم		باب الحشو وفضول الكلام
—	من أمثلة التتميم في الشعر	٦٩	أسماءه ، وحده
	باب المبالغة	—	أمثلة من الحشو
٥٣	آراء الناس في المبالغة	٧١	الكلمات التي يكثر الحشو بها
٥٥	من المبالغة نوع يسمى «التقصي» وحده	٧٢	من الحشو نوع يسمى «التفصيل»
—	ترادف الصفات		باب الاستدعاء
—	الغلو	٧٣	حد الاستدعاء
	باب الإيغال	—	أمثلة الاستدعاء
٥٧	حد الإيغال		باب التكرار
—	صفة أشعر الناس	٧٣	متى يحسن التكرار ؟ ومتى يقبح ؟
—	أول من ابتكر هذا النوع	٧٤	أمثلة من التكرار
٥٨	أمثلة من الإيغال	٧٧	من تكرير المعنى

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٧٨	باب من التكرار	١٠٠	أمثلة من التغاير
٧٩	صماه ابن المعتز « المذهب الكلامي »	باب في التصرف ونقد الشعر	
—	أمثلة منه	١٠٤	مقي يحوز الشاعر قصب السبق ؟
—	نوع آخر هو أولى بهذه التسمية ، وأمثلة له	١٠٤	موازنة بين مسلم بن الوليد وأبي نواس
٨٠	باب نفي الشيء بإيجابه	—	موازنة بين جرير والفرزدق
—	هو من البالغة ، ولا يختص بها	١٠٥	ليحيي المنجم في نقد الشعر
٨٢	أمثلة له	—	من عنده علم الشعر
—	العيب من هذا النوع	باب في أشعار الكتاب	
—	باب الاطراد	١٠٦	من شعر إبراهيم بن العباس الصولي
٨٢	حده ، وميزته	١٠٧	من شعر محمد بن عبد الملك الزيات
—	أمثلة له	١٠٨	من شعر الحسن بن وهب
٨٤	باب التضمين والإجازة	١٠٩	من شعر سعيد بن حميد
—	يختلط على كثير من الشعراء	—	مالا يلزم الكاتب
—	حد التضمين	١١٠	من شعر أبي الحسن
—	أمثلة من جيد التضمين	باب في أغراض الشعر وصنوفه	
٨٩	حد الإجازة ، وأنواعها	١١٣	لأبي العباس الناشيء في صناعة الشعر
—	أمثلة منها	١١٤	وصية أبي تمام للبحثري
٩٠	اشتقاق الإجازة	١١٥	للناشئ أيضا في صناعة الشعر
٩١	منها نوع يسمى « التمليط »	باب النسب	
٩٢	اشتقاق التمليط	١١٦	حق النسب
—	باب الاتساع	١١٧	الفرق بين الغزل والنسب
٩٣	حد الاتساع ، وسببه	—	من يختار نسب المتقدمين
—	أمثلة له	١١٨	مما يختار من نسب المحدثين
٩٦	باب الاشتراك	١١٩	لمسلم بن الوليد
٩٨	أنواع الاشتراك ، أمثلة له	—	للبحثري ، لأبي تمام
—	الاشتراك في المعاني ، وأنواعه	—	للمتنبى
—	أمثلة له	١٢٠	لأبي نواس
١٠٠	باب التغاير	—	أعزل بيت ، واختلاف العلماء في اختياره
—	حد التغاير ، وسببه	١٢١	لأبي نواس أيضا
		—	الأسماء التي يتعزل الشعراء فيها



الموضوع	ص	الموضوع	ص
باب الافتخار		١٢٣ من عيوب هذا الباب	
١٤٣ يقال في الافتخار ما يقال في المدح		١٢٥ طرد الحيال ، ومن ركب من الشعراء	
١٤٤ أفخر بيت ، واختلاف العلماء في اختياره		١٢٦ من الأمانى غير المقبولة	
١٤٥ ما أنكره قدامة في المدح		١٢٧ اشتقاق التشبيب	
— مما أنكره الجرجاني (صاحب الوساطة)		باب في المدح	
١٤٦ من المختار في الفخر		١٢٨ صليل الشاعر في المدح	
— من شعر أبي الحسن في الفخر		١٢٩ كيف يمدح الشاعر الملوك والسوقة ؟	
— ما عابه الأصمعي		١٣٣ أبو العتاهية وعمر بن العلاء	
باب الرثاء		١٣٤ ما يمدح به الكاتب والوزير	
١٤٧ الفرق بين الرثاء والمدح		١٣٥ ما يمدح به القائد	
— صليل الرثاء		١٣٥ ما يمدح به القاضي ، وصاحب الظالم	
١٤٨ المختار من جيد الرثاء		١٣٦ سلمان بن عبد الملك يعجبه جماله	
— لابن أبي حفصة		— مما يعاب على أبي تمام	
— لأبي تمام		— مما يقدم في المدح قول كعب بن زهير	
١٤٩ لديك الجن (عبد السلام بن رغبان)		في رسول الله صلى الله عليه وسلم	
١٥٠ يكون الرثاء مجحلا كالممدح		— مما يناسب ذلك	
— أرثى بيت		١٣٧ من شعر الخطيئة في المدح	
— من عادة القدماء في شعر الرثاء		١٣٨ من شعر الشماخ	
١٥١ مذهب المحدثين في الرثاء		— أفضل ما يمدح به الملوك	
— ليس من عادة الشعراء تقديم نسيب قبل الرثاء		— الشعراء يباب العتصم	
١٥٢ ما عيب في الرثاء شعر للكعبيات		١٣٩ أمدح بيت ، واختلاف العلماء في اختياره	
١٥٣ على شدة الجزع يبنى الرثاء		١٤٠ من أجود ما يختار للمحدثين في المدح	
١٥٤ أشد الرثاء صعوبة		١٤٣ ما عيب في المدح شعر للكعبيات في مدح النبي	
١٥٥ الجع بين التهنتة والتعزية			
١٥٦ مآرثى به للنساء			

الموضوع	ص	الموضوع	ص
باب الهجاء		باب الاقتضاء والاستنجاز	
١٧٠ خير الهجاء		١٥٨ ما يستوجب الاقتضاء	
— الهجاء المقذع		— أحسن المختار من الشعر في الاقتضاء	
— عقوبة الهجاء في الإسلام		قول أمية بن الصلت لعبد الله بن	
١٧١ أبلغ الهجاء		جدعان	
١٧٢ مذاهب الشعراء في الهجاء		١٥٩ قول محمد بن يزيد الأموي لعيسى بن	
١٧٣ لريعة الرقي في الهجاء		فرخان	
— للطرماح		— للمؤلف	
— لجرير في بني التميم		باب العتاب	
١٧٤ لأبي هفان في التهمك		١٦٠ عتبي العتاب	
— أجود الهجاء		— للعتاب طرائق	
١٧٤ لأبي الحسن في الهجاء		— أحسن الناس طريقا في العتاب	
١٧٥ أهدى بيت		البحترى	
باب الاعتذار		١٦١ للبحترى أيضا في العتاب	
١٧٦ لمحمد بن علي الأصمهاني في الاعتذار		١٦٢ لمؤلف الكتاب في العتاب	
— لإبراهيم بن المهدي		— لأبي تمام في العتاب	
— لأبي علي البصير		١٦٣ لأبي تمام في العتاب أيضا	
— للمؤلف		١٦٤ لابن الرومي يعاتب إسماعيل بن بليبل	
١٧٧ اعتذارات النابتة الديباني		— للمتقي يعاتب سيف الدولة	
١٧٨ لسلم الحاسر يعتذر إلى المهدي		١٦٥ عتاب الأوكفاء ودوى المودات	
١٧٩ لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر		١٦٦ للصولي يعاتب ابن الزيات	
— للنتبي		— لأبي الحسن	
— لعلي بن جبلة		— لسعيد بن حميد يعاتب صديقا له	
— لأبي الهول الجبيري		١٦٧ لبشار بن برد	
١٨٠ اشتقاق الاعتذار		باب الوعيد والإنذار	
باب سيرورة الشعر والحظوة في المدح		١٦٧ لا بن مقبل	
١٨١ الذين سار شعرهم في الجاهلية ، وفي		١٦٨ لجرير	
الإسلام		— لابن الرومي	
— بين حسين بن الضحاك الخليل وأبي نواس		١٦٩ للمؤلف ، في الوعيد	

الموضوع	ص	الموضوع	ص
الأحلاف	١٩٤	١٨٢ قبائل لم يحك هجاؤم إلا قليلا	
الأرقام	—	— قبائل شققت كثيرا بالهجاء	
البراجم	١٩٥	١٨٣ الذين حفظوا بالمدح	
التعلبات	—	١٨٤ مفاخر تميم	
الرباب	—	١٨٥ الأوابد من الشعر	
الاجارب	—	— المجدودون في التكسب بالشعر	
الحرام	—	باب ما أشكل من اللدح والهجاء	
الضباب	—	١٨٦ لرجل من بني عبد شمس بن سعد بن تميم	
الأكابير	١٩٦	— مما أنشده العلماء	
بنو أم البنين	—	— لسليمان بن قنة	
الكلمة	١٩٧	١٨٧ كرم الكلب	
الحمس	—	— تحجب الجيوش	
العنايس	—	١٨٨ ابنة الجبل	
الأعياص	—	— الثنيان	
أم القبائل	—	١٨٩ ذو فجرات	
الجزرات	—	— بيضة البلاد	
بنو طيبة	١٩٨	باب في أصول النسب	
الموالي	—	١٩٠ أصول الأنساب	
باب ذكر الوقائع والأيام		١٩١ أصل تسمية الطبقات	
١٩٩ مغازي الرسول صلى الله عليه وسلم		١٩٢ مفاخر القبائل	
٢٠٠ يوم إراب		— فرسان العرب	
٢٠١ يوم ننف فشاوة		— بيوتات العرب	
— يوم نجران		باب مما يتعلق بالأنساب	
— يوم الصمد		١٩٣ قريش البطاح	
— يوم طخفة		١٩٤ قريش الظواهر	
٢٠٢ يوم الروت		— ألقاب لبعض القبائل	
— يوم مليحة		— الأحابيش	
— يوم اللوى		— المطيبون	
— يوم الصليفاء (الصلماء)			

الموضوع	ص	الموضوع	ص
٢١٤ يوم البشر		٢٠٢ يوم الهبابة	
— يوم الرغام		٢٠٣ يوم عراسر	
٢١٥ يوم المراميت		— يوم الفروق	
— يوم الوقيظ		٢٠٣ يوم شعب جبلة	
— يوم جزع طلال		٢٠٤ يوم أقرن	
— يوم أواره ( الأول )		٢٠٥ يوم زباله	
٢١٦ يوم أواره ( الأخير )		— يوم جدود	
— يوم زرود الأول		— يوم الكلاب الأول	
— يوم زرود الآخر		٢٠٦ يوم الشعبية ( الكلاب الثاني )	
٢١٧ يوم تثليث		— يوم حر الدواب	
٢١٧ يوم ذى علق		— يوم ذى بيض	
— يوم العذيب		٢٠٧ يوم عاقل	
— يوم الصفقة		— يوم عينين	
٢١٨ يوم الفجار الأول		— يوم قلبي	
— يوم الفجار الثاني		— يوم زاخة	
٢١٩ يوم الفجار الثالث		٢٠٨ يوم إضم	
— يوم الجفار		— يوم تقا الحسن	
— يوم الصريف		— يوم أعيار	
٢٢٠ مفاخر بنى شيمان		٢٠٩ يوم رحرحان الأول	
— وفود ربيعة عند النعمان بن المنذر		— يوم رحرحان الثاني	
٢٢١ مفاخرة بين عامرى وشيبانى عند معاوية		— يوم ضرية	
٢٢٢ حديث ذى الجدين		٢١٠ يوم الصرائم	
باب فى معرفة ملوك العرب		٢١١ يوم الفيظ	
٢٢٥ ملوك اليمن		— يوم ذى نجب	
٢٢٨ ملوك الشام		٢١٢ يوم خزازى	
٢٢٩ ملوك الحيرة		— يوم ملزق	
باب من النسبة		٢١٣ يوم الوندنة	
٢٣٠ الإبل الأرحبية		— يوم فيف الريح	
		٢١٤ يوم ذى بهدى	

الموضوع	ص	الموضوع	ص
٢٣٨ تكثر المعاني كلما تقدم العصر		٢٣٠ أسد خفية	
— منزلة ابن الرومي في توليد المعاني		— الرماح الزينية	
٢٣٩ بشار بن برد يبين سبب تفوقه		— الدرود الفرعونية	
٢٤٠ معان سبق إليها المتقدمون ولا تطلب		٢٣١ الكنائن الرغرية	
من المحدثين		— الرمح السمهرى	
٢٤١ ماجاء في طول الليل		— البرود الأحمية	
٢٤٢ ماجاء في حلق الشعر		— الأسنة القعضية	
— مما انفرد به بشار بن برد		— الثياب الحارية	
٢٤٣ مما انفرد به أبو نواس		٢٣٢ الرجال العلافية	
٢٤٤ مما انفرد به أبو تمام		— الكلاب والدرود السلووية	
— أ كثر الشعراء اختراعاً ابن الرومي		— السيوف السرجية	
٢٤٥ بين مسلم بن الوليد وأبي نواس		٢٣٣ الدرود الخطمية	
٢٤٦ مأخذ للاصمعي على زهير ، وردة		— الرماح الخطية	
— مأخذ له على الشماخ		— للسك الدارى	
— مأخذ للامدى على البحرى		— فحول إبل النعمان	
٢٤٧ من المأخوذ على أبي تمام		— القسى الصفورية	
٢٤٨ مأخذ على جرير ، وردة		— القسى الماسخية	
— مأخذ على بشامة بن الغدير		— خيار الإبل	
— مأخذ على كعب بن زهير		٢٣٣ الحجر الأخدرية	
٢٤٩ مأخذ على البحرى		٢٣٤ أول من أنتج البغال	
— مأخذ على الفضل في رواياته		باب العناق من الخيل ومذكوراتها	
٢٥٠ مأخذ على الفرزدق وعلى الأخطل		٢٣٤ مراكب رسول الله صلى الله عليه وسلم	
٢٥١ معذرة عن النابغة الذبياني		— خيل غنى ، أعوج	
— معذرة عن زهير بن أبي سلمى		— عدة من فحول الخيل	
٢٥٢ مأخذ على أبي نواس		باب من المعاني المحدثه	
باب ذكر منازل القمر		٢٣٦ من الذى يصح الاستشهاد بشعره ؟	
٢٥٢ السبب الذى دعا المؤلف لذكر		وبيان السر فى ذلك	
هذا الباب		٢٣٧ صفة قوس قزح ، لابن الرومى	
٢٥٣ أجزاء السنة وما يتبعها		— وصف الرقاقة وخبازها ، له	

الموضوع	ص	الموضوع	ص
الصفحة	٢٥٧	النوء	٢٥٣
باب في معرفة الأماكن والبلدان		— الربع الأول من السنة الربيع	
حد الحجاز	٢٥٨	— العواء	
— الجزيرة		٢٥٤ نوء السماك	
— جزيرة العرب		— الغفر	
٢٥٩ العراق		— الزبانات	
— الشام واليمن		— الإكليل	
باب من الزجر والعيافة		— القلب	
٢٥٩ الفرق بين القائل والطيرة		— الشولة	
— كان الرسول صلى الله عليه وسلم		٢٥٥ الربع الثاني من السنة الصيف	
يجب القائل ويكره الطيرة		— البلدة	
— اشتقاق الطيرة		— سعد الذابح	
٢٦٠ الزجر عند العرب		— سعد بلع	
٢٦١ مما يطهرون به		— سعد السعود	
٢٦٢ السامح والبارح ، واختلاف العرب		— سعد الأخبية	
في التيمن والتطير بكل منهما		— فرع الدلو الأعلى	
٢٦٣ من ملبح الزجر		٢٥٦ الربع الثالث من السنة الحريف	
باب ذكر المعاظلة والتشييع		— الحوت	
٢٦٤ حقيقة المعاظلة ، واشتقاقها		— الشرطان	
— التشييع		— البطين	
— رأى آخر في المعاظلة		— الثريا	
٢٦٥ رأى ثالث في المعاظلة		— الدرمان	
باب الوحش المتكلف والريك المستضعف		— الحقعة	
٢٦٥ بيان الوحش من الكلام ، والتكلف		٢٥٧ الربع الرابع من السنة الشتاء	
والريك		— القراعان	
— اشتقاق الريك		— النثرة	
٢٦٦ ولع أبي تمام والتنبي بالوحش		— الطرف (عيننا الأسد)	
— أمثلة من التكلف		— الجبهة	
— من كلام أبي تمام في البلاغة		— الزبرة	

الموضوع	ص	الموضوع	ص
أشكال السرقة	٢٨١	أسباب إشكال الكلام	٢٦٦
— الاصطراف	—	٢٦٧ للبحر في وصف بلاغة الحسن	
٢٨٢ سرد بقية أنواع السرقة		ابن وهب	
— الاصطراف على ضربين	—	باب الإحالة والتعبير	
٢٨٣ الانتحال		٢٦٧ وقعت في شعر الجلة من المتقدمين	
٢٨٤ الإغارة		٢٦٨ أمثلة من الإحالة	
٢٨٥ النصب		— أمثلة من التعبير	
٢٨٦ المرافدة		باب الرخص في الشعر	
٢٨٧ الاهتمام		٢٦٩ هل يجوز للولد ارتكاب الضرورات؟	
— النظر والملاحظة	—	— سرد أنواع من الضرورات ، وذكر	
— الإمام	—	مثال لكل نوع منها	
— الاختلاس	—	٢٧٥ أنواع لضرورات الزيادة ، ومثال	
٢٨٨ الموازنة		لكل نوع	
٢٨٩ العكس		٢٧٧ مما جاء في القرآن على خلاف	
— الموارد	—	الظاهر ، وهو من البلاغة والإحكام	
— الالتقاط والتلفيق	—	لامن الضرورة	
٢٩٠ كشف المعنى		— الإخبار عن واحد من اثنين	
— الشعر المجدود	—	— حذف جواب القسم وغيره	
— متى يكون الآخذ أولى بالمعنى؟	—	٢٧٨ إضمار ما لم يذكر له ذكر	
٢٩١ سوء الاتباع		— حذف « لا » وزيادتها	
٢٩٢ مما يعد سرقا وليس بسرقة		— حذف المنادى	
— أولى الشعاعين بالمعنى	—	٢٧٩ خطاب الواحد كالاثنيين والجماعة	
٢٩٣ نظم النثر ، وحل الشعر		— مجيء الفعول بلفظ الفاعل ، وعكسه	
باب الوصف		— الحمل على المعنى	
٢٩٤ أكثر الشعر يرجع إلى الوصف		باب السرقات ، وماشاكلها	
— أحسن الوصف	—	٢٨٠ لا يدعى السلامة منه أحد	
٢٩٥ تفاضل الناس في الوصف		— رأى القاضي الجرجاني	
٢٩٦ ذكر شعراء اشتهر كل منهم في		— السرقة عند عبد الكريم	
وصف شيء		٢٨١ فيم تكون السرقة ؟	

الموضوع	ص	الموضوع	ص
٣٠٨ الثنيان من الشعراء		٢٩٦ وصف فيل	
باب جواز كتب البسمة قبل الشعر		٢٩٧ في وصف فيل أيضا	
٣٠٩ اختلاف الأئمة ، وتحديد موضع الاختلاف		— في وصف زرافة	
باب احكام القوافي في الخط		٢٩٨ في وصف إسطرابل	
٣٠٩ ياء الوصل وواوه ، والياء والواو الأصلتان		٢٩٩ في وصف بركار	
باب النسبة إلى الروي		٣٠٠ في وصف البنكام	
٣١٠ كيف تنسب إلى ما كان على حرفين؟		٣٠١ في وصف زرمانج	
باب الإشاد وما ناسبه		— في وصف طاووس	
٣١١ الوقف بالترنم		باب الشطور وبقية الزحاف	
— الوقف على لغة قيس وأسد		٣٠١ حد الشطور	
٣١٢ الوقف بإشباع الحركة		٣٠٢ الطويل ، المديد ، البسيط	
— الوقف بنقل الحركة		٣٠٣ الوافر ، السكامل ، الهزج ، الرجز	
٣١٣ أنواع غناء العرب		٣٠٤ الرمل ، الخفيف ، المضارع ، التقارب للتدارك	
٣١٤ فرق ما بين العرب والعجم في الغناء		باب بيوتات الشعر والعريين فيه	
— أول من حدا ، وسبب ذلك		٣٠٦ بيت أبي سلمى المزني	
٣١٥ التفسير		— بيت حسان بن ثابت ، بيت النعمان بن بشير ، بيت نهشل بن حري ، بيت جرير بن عطية بن الحطفي	
باب الجوائز والصلوات		٣٠٧ عقبة بن روية بن العجاج	
٣١٥ اشتقاق الجائزة وأصلها		بيت أبي حفصة ، بيت أبي عيينة	
— أول من سن الجوائز		بيت الرقاشيين ، بيت اللاحقيين	
٣١٦ البدرة ، وأصلها ، الصلة		بيت أمية الكاتب ، بيت رزين	
— من شعر المؤلف الذي صنعه لأبي الحسن		— بيت حميد	
		٣٠٨ الفرق بين العرق وذى البيت	
		— من الشعراء الإخوة الذين لم يعرفوا	

تمت - بحمد الله تعالى واهب القوى والقدر - فهرست الموضوعات الواردة في الجزء الثاني من كتاب « العمدة ، في صناعة الشعر ونقده » لابن رشيق القيرواني ، مفصلة غاية التفصيل . والحمد لله رب العالمين ، وصلاته وسلامه على إمام اللتين ، سيدنا محمد خاتم المرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين